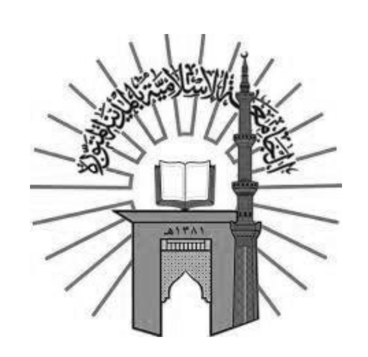


المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(٠٣٢)
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

المَسَائِلُ العَقَدِيَّةُ المُتَعَلِّقَةُ بِقَرَابَاتِ أُولِي العَزمِ مِنَ الرُّسُلِ عَلَيهِمُ الصَّلَاة وَالسَّلَام

مشروع رسالة علمية مقدم للحصول على درجة العالمية (الماجستير)

إعداد الطالب
عارف البحر على زار

إشراف
الدكتور محمد باكريم بن محمد باعبد الله

العام الجامعي: ١٤٣٥/١٤٣٦هـ

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله لا نبي بعده.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ (1)

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ (2)

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ (3)

أما بعد : (4)

فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة(5).

فإن خير ماشُغلت به الأوقات، وصُرفت إليه العزائم والهمم، الفقهُ في الدين، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم :(من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) (6).

---

(١) سورة آل عمران : (١٠٢).

(٢) سورة النساء: (١).

(٣) سورة الأحزاب: (٧٠-٧١).

(٤) هذه خطبة الحاجة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابها، كما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، رواه أبو داود في كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح، رقم (٢١١٨)، والترمذي في كتاب النكاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في خطبة النكاح، رقم (١١٠٥)، والنسائي في كتاب النكاح، باب ما يستحب من الكلام عند النكاح، رقم (٣٢٧٧)، وابن ماجة، في كتاب النكاح، باب خطبة النكاح، رقم (١٨٩٣)، والحديث حسنه الترمذي في سننه، وصححه الألباني في رسالته خطبة الحاجة (ص:١٢).

(٥) رواه مسلم، في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، حديث رقم : (٢٠٠٥)، ص: (٣٥٩).

(٦) رواه البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقه في الدين، حديث رقم : (٧١، =

وإن أعظم الفقه ، الفقه الأكبر الذى هو علم العقائد؛ إذ به يصح معتقد العبد وإيمانُه، وبه فلاحه في الدنيا والآخرة ونجاته.

وإن من أركان الإيمان، الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام، وإن الله تعالى أرسل في كل أمة رسولا يبين لهم سبيل الهدى، ويحذرهم من طرق الغواية والردى، ومن الإيمان بالرسل الإيمان بأنهم يتفاضلون، قال الله تعالى ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾[1]وأن أفضلهم أولو العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام.

وإن لهؤلاء الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام قرابات، وكان لهم مكانة عند أتباعهم؛ لِما بينهم وبين هؤلاء الرسل من صلة ونسب؛ مما أدى إلى غلوٍّ بعضهم في هؤلاء القرابات، مخالفين بذلك النصوص الواضحة الصريحة والأصول الثابتة عند أهل السنة والجماعة، ولذلك كان الاهتمام بدراسة قرابات أولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام من الأهمية بمكان.

وأولو العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام أوَّلُهم نوح عليه السلام، وقد ابتلي في زوجته وابنه، وثانيهم إبراهيم عليه السلام، وابتلي من جهة أبيه، وامتُحنت زوجاتُه وأبناؤه، وثالثهم موسى عليه السلام الذي أنعم الله عليه وأجاب دعاءه فجعل أخاه هارون نبيّاً يشد أزره ويعينه في دعوته، ورابعهم عيسى عليه السلام الذي ابتليت أمُّه مريم بسبب ولادته منها من غير أب، فأوذيت من قومها واتُّهمت في عرضها، وخامسهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ حيث مات أبواه وبعض أعمامه على الكفر، وابتلي في أبنائه، واتُّهمت زوجاته من أقوام لا خلاق لهم.

ورغبة مني في دراسة جانب من الجوانب العقدية المتعلقة بقرابات أولي العزم من الرسل، رأيت أن يكون موضوع بحثي في مرحلة الماجستير في الجامعة الإسلامية بالمدينة

٣١١٦، ٣٦٤١، ٧٣١٢، ٧٤٦٠)، مع الفتح : (٢٨٩/١)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، حديث رقم (٢٣٨٩)، ص : (٤٢٠).

(١) سورة البقرة : (٢٥٣).

النبوية في قسم العقيدة – بعد الاستشارة والاستخارة– تحت عنوان "**المسائل العقدية المتعلقة بقرابات أولي العزم من الرسل عليهم الصلاة السلام**".

أهمية الموضوع:

وتظهر أهمية هذا الموضوع من خلال الأمور التالية:

أولا : إن هذا الموضوع يتعلق بقرابات أولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام الذين فضلهم الله عز وجل على سائر الأنبياء والرسل، وأن لقراباتهم أثر كبير في الدين لما لهم صلة بأفضل الخلق وأحسنه.

ثانيا: إن في دراسة قرابات أولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام جزء من الدين، وقد رتب الله تعالى بعض الأحكام مبني على معرفة سيرهم وأحوالهم وما جرى لهم في حياتهم.

ثالثا: ما جاء في كتاب الله جل جلاله وفي السنة النبوية من ضرب الأمثال تثبيتا وعظة وتذكيرا للمؤمنين لما حصل عليهم من مشقة في أمور الحياة الدنيا، كما قال الله عز وجل في القرآن الكريم: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [(١)]، ومن ذلك صبرهم عليهم الصلاة والسلام على ما حصل لقراباتهم، إما لميلهم عنهم وإعراضهم عما جاء بهم من الحق والهدى أو الأذى الذي نسب إليهم وهم بريؤون من ذلك، فمن ابتلي بعدم صلاح زوجته، فيتسلى بنوح عليه السلام، ومن ابتلي بكفره أبيه وأمه وابنه يتسلى بنوح وإبراهيم ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وهكذا بقية أنبياء ورسل أولي العزم.

رابعا: إنه بحث يتعلق بتقدير الله عز وجل وحكمته وابتلائه لأفضل خلقه أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام في أنفسهم وقراباتهم، وذلك الإيمان بقضاء الله وقدرته الذي كان من أركان الإيمان، وأن الله تعالى قد يبتلي عبده الصالح ببعض أقاربه ليمتحن صبره ورضاه، ويختبر إيمانه.

خامسا: يتجلى في دراسة قرابات أولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام وسطية أهل السنة والجماعة، إذ لا إفراط فيهم ولا تفريط، وهم وسط بين الأديان، ووسط بين الفرق المنتسب للإسلام

---

(١) سورة هود : (١٢٠).

سادسا: المسائل المتعلقة بقرابات أولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام متفرقة في كتب أهل العلم، ولم أجد -حسب اطلاعي- من لم شتاتها مما يستدعى بذل الجهد باستقراء هذه المسائل أولا، ثم جمعها وترتيبها، وهو المقصود بهذا البحث، وخاصة فيما يتعلق بقرابات أولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

أسباب اختيار الموضوع:

ومن أسباب اختيار الموضوع أمور وهي:

أولا: الوقوف على حقيقة ما جرى لقرابات أولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام: ما لهم وما عليهم.

ثانيا: مكانة قرابات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وميل الناس لهم، مما يستدعى القيام بحقهم.

ثالثا: معرفة الانحرافات التي حصلت من بعض الفرق التي تنتسب إلى الإسلام تجاه قرابات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بين الغالي والجافي.

رابعا: معرفة أكاذيب أتباع الأديان المحرفة الذين يتقولون على قرابات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

خامسا: أن في هذا البحث ذبا عن عرض هؤلاء الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام من جهة بيان كذب بعض ما نسب إليهم وإلى قراباتهم، إذ الطعن في قراباتهم طعن فيهم.

تقسيم المشروع.

وقد جعلت هذا البحث في مقدمة، وتمهيد وخمسة أبواب، وخاتمة.

أما المقدمة فهي مشتملة على ما يلي :

أ- الافتتاحية.

ب- بيان الأهمية العلمية للموضوع.

ت- أسباب اختيار الموضوع.

ث- خطة البحث.

ج- منهج البحث.

ح- شكر وتقدير.

وأما التمهيد ففيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : معنى القرابة، لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني : معنى أولي العزم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول : معنى أولي العزم لغة.

المطلب الثاني : معنى أولي العزم شرعا.

المطلب الثالث : من هم أولو العزم من الرسل؟، وفيه مسألتان :

المسألة الأولى : ذكر أقوال العلماء في ذلك.

المسألة الثانية : ذكر الراجح في المسألة.

المبحث الثالث : معنى الرسول، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : معنى الرسول لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني : الفرق بين النبي والرسول.

المطلب الثالث : الحكمة من إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام.

المطلب الرابع : عقيدة المسلم تجاه الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

المبحث الرابع : ابتلاءات الأنبياء عليهم الصلاة السلام في قراباتهم والحكمة في ذلك، وفيه مطلبان:

المطلب الأول : ابتلاءات الأنبياء عليهم الصلاة السلام في قراباتهم.

(١) سورة التحريم : (١٠).

المطلب الرابع : شبهة من قال : كيف سأل نوح عليه السلام مالا يجوز طلبه وهو انقاذ ابنه مع أن الله قال له ﴿ **وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ** ﴾[1].

المطلب الخامس : عدل الله عز وجل.

المبحث الثاني : أبناء نوح عليه السلام بعد الطوفان ووصيته لأبنائه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول : أبناء نوح عليه السلام بعد الطوفان.

المطلب الثاني : وصية نوح عليه السلام لأبنائه.

المبحث الثالث : علاقة أبناء نوح عليه السلام بأصل البشرية.

المبحث الرابع : ما ذكر من لعن نوح عليه السلام لبعض أبنائه وأثر ذلك.

الباب الثاني :

قرابة إبراهيم الخليل عليه السلام، وفيه تمهيد وثلاثة فصول:

تمهيد : لمحة عن نبوة ورسالة إبراهيم عليه السلام

الفصل الأول : **والدا إبراهيم عليه السلام**، وفيه مبحثان:

المبحث الأول : أبو إبراهيم عليه السلام، وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول : اسمه ونسبه ونشأته.

المطلب الثاني : ملة أبي إبراهيم عليه السلام.

المطلب الثالث : دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه وشفاعته له.

المطلب الرابع : محنة إبراهيم عليه السلام مع أبيه.

المبحث الثاني : أم إبراهيم عليه السلام، وفيه مطلبان:

المطلب الأول : اسمها ونسبها ونشأتها.

المطلب الثاني : ملة أم إبراهيم عليه السلام.

الفصل الثاني : **زوجات إبراهيم عليه السلام**، وفيه مبحثان:

---

(١) سورة هود : (٢٧).

المبحث الأول : سارة عليها السلام، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول : اسمها ونسبها وصفاتها.

المطلب الثاني : هجرتها مع زوجها طاعة لأمر الله تعالى.

المطلب الثالث : إيمانها وصبرها على الابتلاءات.

المطلب الرابع : كرامات سارة عليها السلام.

المطلب الخامس : بيان مدى صحة ما ورد في سنة الخفاض والقرط للنساء.

المطلب السادس : وفاة سارة عليها السلام.

المبحث الثاني : هاجر عليها السلام، وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول : اسمها ونسبها وصفاتها.

المطلب الثاني : هاجر عليها السلام زوجة إبراهيم عليه السلام أم جاريته.

المطلب الثالث: هجرتها بابنها إسماعيل إلى جبال فاران.

المطلب الرابع : هاجر عليها السلام وماء زمزم.

المطلب الخامس : معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لها: " رحم الله هاجر".

المطلب السادس : معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: " إذا فتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا...".

المطلب السابع : كرامات هاجر عليها السلام.

المطلب الثامن : هاجر عليها السلام في التوراة المحرفة.

المطلب التاسع : وفاة هاجر عليها السلام وأين دفنت؟.

الفصل الثالث : **أبناء إبراهيم عليه السلام**، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : إسماعيل عليه السلام، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول : ذكر إسماعيل عليه السلام في القرآن الكريم وصفاته.

المطلب الثاني : بيان البشارة به.

المطلب الثالث : ذكر الخلاف في الذبيح وذكر الراجح في المسألة.

المطلب الرابع : شبهة من قال إن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ليس من ذرية إسماعيل عليه السلام والرد عليه.

---

(١) سورة القصص : (٧).

المبحث الثالث : بيان ضعف الحديث الذى فيه أن أخت موسى عليه السلام زوجة النبي صلى اله عليه وسلم في الجنة.

الباب الرابع :

قرابة عيسى عليه السلام، وفيه تمهيد وثلاثة فصول.

تمهيد : لمحة عن نبوة عيسى عليه السلام

الفصل الأول : **بيان ما جرى لمريم عليها السلام**، وفيه أحد عشر مبحثا:

المبحث الأول : اسمها ونسبها ونشأته.

المبحث الثاني : فضائلها.

المبحث الثالث : مريم عليها السلام منذورة لبيت المقدس.

المبحث الرابع : تسميتها وحفظها من الشيطان.

المبحث الخامس : البشارة بعيسى عليه السلام.

المبحث السادس : تمنى الموت من مريم عليها السلام وحكم تمنى الموت في الإسلام.

المبحث السابع : القدرة الربانية في ولادة ابن مريم عليها السلام بلا أب.

المبحث الثامن : شهادة الله تعالى لمريم عليها السلام بالعبودية.

المبحث التاسع : كرامات الله لها ومعجزاتها.

المبحث العاشر : القول بنبوة مريم عليها السلام والرد عليه.

المبحث الحادي عشر : زعم أنها تكون زوجة نبينا صلى الله عليه وسلم في الجنة، وبيان عدم صحة ذلك.

الفصل الثاني : معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم :"...وكلمته القاها إلى مريم وروح منه..." وشبهة بعض الفرق المتعلقة بهذا الحديث والرد عليها، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم :"...وكلمته القاها إلى مريم وروح منه..."

المبحث الثاني: شبهة بعض الفرق المتعلقة بهذا الحديث والرد عليها

الفصل الثالث : موقف الأديان من مريم عليها السلام، وفيه ثلاثة مباحث:

الخاتمة.

وفيها ذكر أهم نتائج البحث.

الفهارس، وهي كالتالي :

أولا : فهرس الآيات القرآنية.

ثانيا : فهرس الأحاديث النبوية.

ثالثا : فهرس الآثار.

رابعا : فهرس المصطلحات العلمية والكلمات الغريبة.

خامسا : فهرس الأعلام المترجم له في البحت.

سادسا : فهرس الفرق والطوائف والأديان المعرف بها في البحث.

سابعا : فهرس المصادر والمراجع.

ثامنا : فهرس الموضوعات.

منهج البحث.

أولا : جمعت المادة العلمية المتعلقة بقرابات أولى العزم من الرسل – عليهم الصلاة والسلام- من مصادرها الأصلية من كتب أهل العلم.

ثانيا : قسمت المادة العلمية إلى أبواب وفصول ومباحث ومطالب ومسائل حسب ما جاء في خطة البحث.

ثالثا : بذلت الجهد في نقل أقوال المخالفين لأهل السنة والجماعة من كتبهم مباشرة بما يفي بالمقصود، وإذا تعذر ذلك فبالواسطة.

رابعا : عزوت الآيات القرآنية الواردة في البحث بذكر اسم السورة ورقم الآية مع كتابتها بالرسم العثماني.

خامسا : خرّجت الأحاديث النبوية الشريفة من مصادرها الأصلية بذكر اسم الكتاب والباب ورقم الحديث.

فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك، وإن كان الحديث ليس فيهما، عزوته إلى مصادره من كتب السنة الأخرى المعتمدة، مع ذكر حكم أهل العلم عليه.

سادسا :عزوت الآثار الواردة عن السلف إلى مصادرها.

سابعا : ترجمتُ ترجمة موجزة للأعلام الوارد ذكرهم في البحث ما عدا المشهورين منهم- كالعشرة المبشرين بالجنة والأئمة الأربعة- اكتفاء بشهرتهم.

ثامنا : وضّحت المصطلحات العلمية الواردة في البحث، وشرح الكلمات الغريبة.

تاسعا : عرّفتُ بالفرق والطوائف والأديان والأماكن الواردة في البحث.

عاشرا : التزمتُ بعلامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

الحادي عشر : وضعت الفهارس المساعدة في الحصول على مسائل البحث بسهولة وذلك على النحو المبين في الخطة.

شكر وتقدير.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يشكر الله من لا يشكر الناس" [1]

فأشكر الله سبحانه وتعالى على نعمه الكثيرة التي لا نعد ولا تحصى، وفي مقدمتها نعمة الإيمان والإسلام وشرف الانتساب إلى طلب العلم الشرعي على منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم، ولا سيما في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي هذه الجامعة المباركة، وأشكر الله تعالى على توفيقه إياي بإتمام هذا البحث، وأدعو الله تعالى ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [2]

وأتقدم بالشكر لوالدي الذين تحملا في سبيل تعليمي مشاق كثيرة، وأنفقا علي بما تيسر، وصبرا على ابتعادي عنهما في طلب العلم سنوات طويلة، فجزاهما الله خيرا، وبارك الله فيهما ﴿ رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [3].

ثم أتقدَّمُ شكري وتقديري لأستاذي وشيخي الأستاذُ الدكتور محمد با كريم بن محمد با عبد الله –حفظه الله– الذي أشار عليَّ بهذا الموضوع، وساعدني في إعداد الخطة، كما أحاطَني بِتوجيهِه ونُصحِه، ونَهَلتُ من علمه وأدبِه وصبرِه، وكانت لتَوْجِيهاتِه السديدةِ ومَلْحُوظاتِه الدقيقة، بالغُ الأثرِ في إصلاح هذه الرسالةِ وإتمامِ نقصِها، فجزاه الله خيرَ الجزاء وأثابه على ذلك وأمدَّ في عمره على طاعته مع الصحة والعافية، وزاده عِلما وعملا وتوفيقا في الدنيا والآخرة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لهذه الدولةِ المباركةِ: المملكةِ العربيةِ السعوديةِ على ما تُقدِّمُه من جهودٍ عظيمة لأبناء المسلمين وعلى اهتمامها بقضايا المسلمين، وعلى

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب في الشكر المعروف، حديث رقم : (٤٨١١)، ص: (٨٧٢)، والترمذي في كتاب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، حديث رقم: (١٩٥٤)، ص: (٤٤٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (١/٢٣٤)

(٢) سورة النمل : (١٩).

(٣) سورة الإسراء : (٢٤).

رأسهم: خادمُ الحرمين الشريفين –حفظه الله تعالى- وحكومتُه، كما أشكر الجامعةَ الإسلاميةَ بالمدينة النبوية التي أتاحت لي الفرصةَ للدراسة، وهيأت لي ظروفَ تحصيلِ العلمِ النافع من منابعه الأصلية، ولا أنسى كذلك قسمَ العقيدة وأعضاءَه، فأسأل الله تعالى أن يجزي الجميعَ خيرَ الجزاء.

ثم أتقدم بالشكر للمناقشَيْنِ الفَاضِلَينِ والشَّيخَيْنِ الجَلِيلَينِ: الأستاذُ الدكتورُ عبدُ الله بن سليمان الغفيلي والدكتورَ بدر بن مقبل الظفيري على تَحمُّلِهما أعباءَ قراءة هذه الرسالةِ وتقويمِها على ما فيها من نقصٍ وخللٍ، وأسأل الله تعالى أن يجعلَ ذلك في ميزانِ حسناتهما يوم القيامة.

والشكر موصول لكل من ساعدني في إكمال هذا البحثِ من أساتذةٍ فضلاء وإخوانٍ أعزاء، وأسأل الله تعالى أن يُثِيبَهم خيرَ الجزاء.

وبعد؛ فهذا عملٌ بشريٌ وجهد المقلّ، فما كان فيه من صوابٍ فبفضلِ الله تعالى وتوفيقِه، وإن كان غير ذلك فمن نفسي وأستغفر الله تعالى من ذلك وأتوب إليه، وهو حسبي ونعمَ الوكيل.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبَّلَ مني هذا الجهدَ، وأن يجعلَه عملا صالحا ولوجهِه الكريمِ خالصا، وأن يغفرَ زلاَّتي وسيِّئاتي، إنه عفوٌّ كريم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تمهــيد

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : معنى القرابة.

المبحث الثاني : معنى أولي العزم.

المبحث الثالث : معنى الرسول.

المبحث الرابع : ابتلاءات الأنبياء عليهم الصلاة السلام في قراباتهم والحكمة في ذلك.

المبحث الأول : معنى القرابة لغة واصطلاحا.

القرابة مأخوذ من مادة (قرب)، والقُربُ نقيض البعد وضده.

قال ابن فارس [1]-رحمه الله- :

(قَرَبَ) القاب والراء والباء أصل صحيح يدل على خلاف البعد، يقال قَرُبَ يَقْرُبُ قُرْباً.

وفلان ذو قرابتي: وهو من يقرب منك رحما، وفلان قريبي وذو قرابتي.

والقُربة والقربى : القرابة [2].

والقَرابة: القُربى في الرحم، وهو في الأصل مصدرٌ.

تقول: بيني وبينه قَرابة، وقُرْبٌ، وقُرْبى ومَقْرَبَةٌ، وقُرْبَةٌ، وقُرُبَةٌ بضم الراء.

وهو قريبي وذو قرابتي، وهم أقْرِبائي وأقاربي[3].

وقال ابن منظور [4]-رحمه الله- :

القرابة والقربى : الدنو في النسب، والقربى في الرحم، وهي في الأصل مصدر.

وفي التنزيل ﴿ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[5] وما بينهما مَقْرَبَةٌ و مَقْرِبَةٌ و مَقْرُبَةٌ أي قرابة.

---

(١) هو الامام العلامة اللغوي المحدث أبو الحسين أحمد بن فارس ابن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني، المعروف بالرازي المالكي اللغوي، نزيل همذان، جمع إتقان العلم إلى ظرف أهل الكتابة والشعر، وله مصنفات ورسائل، ومات بالري في صفر سنة ٣٩٥ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: (١٧/ ١٠٣-١٠٦)، وبغية الوعاة: (٣٥٢/١).

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس : (٨٠/٥).

(٣) الصحاح في اللغة للجوهري : (٢٨٩/٢).

(٤) هو محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي، صاحب لسان العرب، الإمام اللغوي الحجة، من نسل رويفع بن ثابت الأنصاري، ولد بمصر (وقيل: في طرابلس الغرب) وتوفي فيها، وعمي في آخر عمره، أشهر كتبه لسان العرب، توفي سنة ٧١١هـ . انظر: فوات الوفيات للكتبي : (٣٩/٤)، وبغية الوعاة للسيوطي: (٢٤٨/١).

(٥) سورة النساء : (٣٦).

وأقارب الرجل، وأقربوه: عشيرته الأدنون، وفي التنزيل العزيز ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [1]...وتقول : بيني وبينه قرابة، وقربة، وقربٌ، وقرابي، ومقرَبَة، ومقرُبَة، وقرَبة، وقرُبة بضم الراء، وهو قريبتي، ذو قرابتي، وهم أقربائي، وأقاربي.

والعامة تقول: هو قرابتي، وهم قراباتي [2].

وقال صاحب المغرب في مادة "قرب":

"(قَرُبَ) : خلاف بَعُد (قُرْباً) و (قُرْبةً) وقُرْبَى) و (مَقْرُبَةً)، وقيل : القُرب في المكانِ والقُرْبة في المنزلةِ والقَرابة والقُرْبى في الرحم[3]".

قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى ﴿ إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ [4]: تحفظوني في قرابتي.

وقال سعيد بن جبير –رحمه الله– في قول الله : "ذوي القربى" يعني: قرابته[5].

وفي قصة حاطب بن أبي بلتعة[6] رضي الله عنه: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا حاطب، ما هذا؟ قال: يا رسول الله لا تعجل علي، إني كنت امرءا ملصقا في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفرا، ولا ارتدادا، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام... [7]".

---

(١) سورة الشعراء : (٢١٤).

(٢) لسان العرب لابن منظور : (٦٦٥/١).

(٣) المغرب في ترتيب المعرب: (٢/ ١٦٥).

(٤) سورة الشورى: (٢٣).

(٥) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي: (١٣/ ١٤٧).

(٦) هو حاطب بن أبي بلتعة بن عمرو بن عمير بن سلمة بن صعب اللخمي حليف بني أسد بن أسد بن عبدالعزى قديم الاسلام، روى عنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه كلامه في اعتذاره عن مكاتبة قريش وفيه نزلت (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) وفي القصة أنه شهد بدرا، مات حاطب سنة ٣٠هـ، وله سبعون سنة. انظر: تهذيب التهذيب: (٢/ ١٤٧)، والإصابة في تمييز الصحابة: (٢/ ٤).

(٧) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، حديث رقم: (٣٠٠٧)، مع الفتح: الفتح: (٧/٢٥٩-٢٦٠).

قرابات: بالجمع، أي له أولاد وأهالي في مكة[1]".

ويتلخص من هذا أن القرابة هي: من كان بينك وبينه رحما ونسبا.

قال ابن عباس رضي الله عنه في معنى قول الله تعالى ﴿ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[2]: يعني الذي بينك وبينه قرابة[3].

وقال السيوطي –رحمه الله-: "إعطاء ذوي الرحم الحق الذي أوجبه الله عليك بسبب القرابة والرحم"[4].

وعلى هذا يكون المراد بقرابات أولى العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام: أرحامهم وأقرباؤهم وأقاربهم من النسب، كأبآئهم وأمهاتهم وإخوانهم وأزواجهم وأبنائهم وبناتهم ممن يقرب منهم الرحم والنسب.

---

(١) انظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني: (٦/ ٣٨٧).

(٢) سورة النساء : (٣٦).

(٣) انظر تفسير ابن أبي حاتم : (١/ ٢٨٩)، وجامع البيان للطبري: (٨/٣٣٥)، والدر المنثور في المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي: (٤/ ٤١٦).

(٤) سورة النساء : (٣٦).

المبحث الثاني : معنى أولي العزم.

المطلب الأول : معنى أولي العزم لغة.

يتركب لفظ "أولي العزم" من كلمتين، (أولو)و (عزم)، ولكلٍّ معنىً.

وأمّا (أوُلو) قال صاحب الصحاح:

فجمعٌ لا واحدَ له من لفظه، واحده ذو.

و(أولات) للإناث واحدتها ذات،

تقول: جاءني (أوُلو) الألباب، و(أولات) الأحمال.

وأمَّا أُولي فهو أيضاً جمعٌ لا واحدَ له من لفظه، واحدُه ذا للمذكر، وذِهِ للمؤنث، يمدّ ويقصر، فإنْ قصرته كتبته بالياء، وإن مددتَّه بنيته على الكسر.

ويستوي فيه المذكَّر والمؤنث[1].

ولا يُتكلم به إلا مضافا، كقولك أولو بأس شديد وأولو كرم، كأن واحده أُلٌ، والواو للجمع، ألا ترى أنها تكون في الرفع واوا وفي النصب والجر ياءً[2].

(أولو) بمعنى أصحاب[3].

وأما العزم : فهو الجد والثبات.

قال الخليل بن أحمد[4] : "وهو ما عَقدَ عليه القلبُ أَنَّكَ فاعلهُ أو من أمرٍ تيقَّنْتَهُ.

وما لفلان عزيمة أيْ : ما يثبُتُ على أمرٍ يَعْزِمُ عليه، وما وجدنا له عَزْما، وإنَّ رأيه لذو عزم"[5].

---

(١) الصحاح في اللغة للجوهري (١/٥٥).

(٢) لسان العرب : (١١/٢٧).

(٣) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة : (١/١٠١)، معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن لحسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح : (١/١٢٧).

(٤) هو الإمام أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد الفراهيدي، البصري، أحد الأعلام، أخذ عنه سيبويه النحو، والنضر بن شميل، والاصمعي، وآخرون، وثقه ابن حبان، ولد سنة ١٠٠هـ، ومات سنة بضع وستين ومئة، وقيل: بقي إلى سنة سبعين ومئة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي : (٧/٤٢٩-٤٣١).

(٥) كتاب العين : (٣/ ١٤٩).

يقال: عَزَمْتُ على كذا عَزْماً وعُزْماً بالضم وعَزِيمَةً وعَزِيماً، إذا أردت فعله وقطعت عليه. قال الله تعالى:﴿ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾[1] أي صَرِيمةَ أمرٍ[2].

قال ابن فارس –رحمه الله-:

"(عزم) العين والزاي والميم أصلٌ واحد صحيحٌ يدلُّ على الصَّرِيمة والقَطْع.

يقال: عزَمت أعزِمُ عزماً.

ويقولون: عزمت عليك إلاَّ فعَلْتَ كذا، أي جعلتُه أمراً عَزْماً، أي لا مَثْنويّة فيه.

ويقال: كانوا يَرون لِعَزمة الخُلفاء طاعةً.

قال الخليل: "العَزْم: ما عُقِد عليه القلبُ من أمرٍ أنت فاعلُه، أي متيقِّنة".

ويقال: ما لفلانٍ عزيمةٌ، أي ما يَعزِم عليه، كأنَّه لا يمكنه أن يَصْرِمَ الأمر، بل يختلط فيه ويتردَّد"[3].

والعَزْم : الصَبْرُ في لغة هُذَيل . يقولون : مالي عنك عَزْمٌ أي صبرٌ .

وقال جلّ وعزّ : ﴿ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾[4].

و عن قَتَادة في قوله تعالى :﴿ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾[5] قال: "صبراً" [6].

وفي حديث سعد[7] (فلما أصابنا البلاء اعتزمنا لذلك أي احتملناه وصبرنا عليه وهو افتعلنا من العزم) [1].

---

(١) سورة طه : (١١٥).

(٢) الصحاح في اللغة للجوهري: (١١١/٢).

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس (٤ /٣٠٨).

(٤) سورة طه : (١١٥).

(٥) سورة طه : (١١٥).

(٦) تهذيب اللغة للأزهري: (٢/ ٩١).

(٧) يشير إلى أثر مصعب بن عمير رحمه الله، قال أبو سليمان (وهو الخطابي) في حديث مصعب مصعب أن سعد بن أبي وقاص قال كان يصيبنا ظلف العيش بمكة فلما أصابنا البلاء اعتزمنا لذلك وكان مصعب أنعم غلام بمكة فجهد في الإسلام حتى لقد رأيت جلده يتحسف تحسف جلد الحية عنها، ذكره الخطابي في غريب الحديث : (٢/ ٢٩١).

المطلب الثاني: معنى أولي العزم شرعا.

أولوا العزم هو مصطلح قرآني يطلق على بعض الرسل عليهم الصلاة والسلام، وذلك لما حصل من واقع حياتهم ودعوتهم وصبرهم وجهودهم الذين بذلوه لله وفي سبيل الله، وهم أعلى الخلق درجة، وأكملهم من كل وجه، وقد تطرقنا في المطلب السابق معنى كلمة أولي العزم عند علماء اللغة، وهذا المعنى لا يبعد عن معناه في الاصطلاح الشرعي، وكان معنى أولي العزم في اصطلاح الشرع فأولئك هم الرسل عليهم الصلاة والسلام الذين عزموا على أمر الله تعالى فيما عُهد إليهم، وهم أولو الجد والثبات والصبر، كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله لعائشة رضي الله عنها: "يا عائشة، إن الله لم يرض من أولي العزم من الرسل إلا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها..." [٢].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما عن معنى أولي العزم: أولو الحَزْم[٣].

وقال الضحاك: ذوو الجد والصبر[٤].

وقال القرظي[٥] –رحمه الله– : ذوو الرأي[٦].

وقال ابن فارس –رحمه الله–:

"وأولُو العَزْم من الرُّسلِ عليهم الصلاة السلام: الذين قَطَعوا العلائقَ بينهم وبين مَنْ لم يؤمِن مِن الذين بُعثِوا إليهم، كنوح عليه السلام، إذ قالَ : ﴿ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ

(١) لسان العرب لابن منظور : (١٢/٤٠٠).

(٢) شرح السنة للبغوي: (١٤/٢٤٨)، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٧/ ٣٠٥).

(٣) تفسير اللباب لابن عادل: (ص: ٤٥٦٠).

(٤) تفسير البغوي: (٧/ ٢٧١).

(٥) هو محمد بن كعب بن حيان بن سليم، الامام العلامة الصادق أبو حمزة، وقيل: أبو عد الله القرظي المدني، من حلفاء الاوس، وكان أبوه كعب من سبي بني قريظة، سكن الكوفة، ثم المدينة، وكان من أوعية العلم، توفي سنة ثمان ومئة. انظر سير أعلام النبلاء: (٥/ ٦٥).

(٦) الكشف والبيان عن تفسير القرآن للنيسابوري: (٩/ ٢٤).

ٱلۡكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾[1]، وكمحمَّدٍ صلى الله عليه وآله إذْ تبرَّأ من الكُفَّار وبَرَّأه الله تعالى منهم، وأمَرَه بقتالهم في قوله: ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[2]، ثم قال ﴿ ٱنسَلَخَ فَإِذَا ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ﴾"[3][4].

وفي المعجم الوسيط: "أولوا العزم من الرسل –عليهم الصلاة والسلام– هم الذين صبروا وجدوا في دعوتهم"[5].

وقال الآخر: "أولوا العزم من الرسل –عليهم الصلاة والسلام– هم أصحاب الشرائع، اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعادة الطاعنين فيها".

وقال الآخر: "المرسل إذا أعطي السيف أو الجبر أو الإلحاح في الجملة كان من أولي العزم من الرسل –عليهم الصلاة والسلام"–[6].

وكل هذه المعاني تدور حول الجد والصبر والثبات على أمر الله سبحانه، قاله الرازي وغيره من المفسرين[7].

---

(١) سورة نوح : (٢٦).

(٢) سورة التوبة : (١).

(٣) سورة التوبة : (٥).

(٤) مقاييس اللغة لابن فارس : (٣٠٩/٤).

(٥) المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية : (٥٩٩/٢).

(٦) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : (٦٥/١).

(٧) انظر مفاتيح الغيب: (٢٨/ ٣٠)، وتفسير اللباب لابن عادل: (ص: ٤٥٦٠).

المطلب الثالث : من هم أولو العزم من الرسل؟

المسألة الأولى : ذكر أقوال العلماء في ذلك

اختلف العلماء رحمهم الله في تعيين أولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام على عدة أقوال، منها:

القول الأول:

إن جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام هم أولوا العزم، لأن الله عز وجل لم يتخذ رسولا إلا من كان ذا عزم، قاله ابن زيد[(١)] واختاره ابن الأنباري[(٢)].

والقول الثاني:

أنه ليس جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام من أولي العزم، لأن الله عز وجل استثنى منهم آدم عليه السلام بقوله: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾[(٣)]، ويونس عليه السلام بقوله: ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾[(٤)]، واستدلوا بهاتين الآيتين على أنه ليس جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام من أولي العزم[(٥)].

إلا أن أصحاب هذا القول تعددت أقوالهم في تعيينهم:

---

(١) جامع البيان للطبري : (١٧٥/٢٤)، وابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدويّ مولاهم المدنيّ، روى عن أبيه، وابن المنكدر، وعنه أصبغ، وقتيبة، وهاشم، ضعفوه، وله التفسير والناسخ والمنسوخ، مات سنة اثنتين وثمانين ومائة، أخرج له الترمذيّ، وابن ماجة، انظر: طبقات المفسرين للداوودي: (١/ ٢٧١)

(٢) زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين عبد الرحمن البغدادي : (١٤٤/٧)، وانظر: تفسير البغوي : (٢٧١/٧)، وتفسير ابن عطية : (٣٣٨/١)، وتفسير القرآن العظيم : (٣٠٤/٧).

(٣) سورة طه : (١١٥).

(٤) سورة القلم : (٤٨).

(٥) انظر: تفسير السمعاني: (١٦٥/٥).

فمنهم من قال: "إن أولي العزم من الرسل خمسة، وهم نوح، وابراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام"، قاله ابن عباس، وقتادة،[١] ومجاهد، وابن السائب،[٢] وعطاء الخراساني[٣]، وكذلك روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عن الجميع[٤].

ومنهم من قال: "إن أولي العزم من الرسل هم الذين أُمروا بالقتال والجهاد، وأظهروا المكاشفة مع أعداء الدين"، قاله السدي،[٥] والكلبي،[٦] وابن السائب[٧].

ومنهم من قال: "إن أولي العزم من الرسل كانوا ثلاثة، والنبي صلى الله عليه وسلم رابعهم، وهم إبراهيم وهود ونوح عليهم الصلاة والسلام"، قاله أبو العالية[٨].

ومنهم من قال: "إن أولي العزم من الرسل هم الذين لم تصبهم فتنة من الأنبياء"، قاله الحسن[٩].

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي : (٢٧١/٧).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي : (١٤٤/٧).

(٣) جامع البيان للطبري: (٢٤/ ١٨٥).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية : (٣٣٨/١)، وانظر: تفسير القرطبي : (٢٣٢/١٩-٢٣٥)، وفتح القدير للشوكاني : (٣٩/٥)، وتفسير ابن كثير : (٣٠٤/٧)، وتفسير ابن رجب : (٢٢١/١)، وتفسير السيوطي : (٣٤٦/١٣).

(٥) بحر العلوم تفسير السمرقندي : (٢٣٧/٣).

(٦) تفسير البغوي : (٢٧١/٧).

(٧) زاد المسير لابن الجوزي : (١٤٤/٧)، وانظر: تفسير السيوطي، : (٣٤٦/١٣)، تفسير تفسير القرطبي : (٢٣٢/١٩-٢٣٥)، وتفسير العز بن عبد السلام : (١٩٠/٣)، وفتح القدير للشوكاني : (٣٩/٥).

(٨) بحر العلوم تفسير السمرقندي : (٢٣٧/٣)، وانظر: تفسير السيوطي : (٣٤٦/١٣)، تفسير القرطبي : (٢٣٢/١٩-٢٣٥)، وتفسير العز بن عبد السلام : (١٩٠/٣)، وفتح القدير للشوكاني : (٣٩/٥).

(٩) زاد المسير لابن الجوزي : (١٤٤/٧-١٤٥)، وانظر: تفسير العز بن عبد السلام : (١٩٠/٣).

ومنهم من قال: "إن أولي العزم من الرسل هم العرب من الأنبياء"، قاله مجاهد، والشعبي[1].

ومنهم من قال: "إن أولي العزم من الرسل هم إبراهيم، وموسى، وداود، وسليمان، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام"، قاله السدي[2].

ومنهم من قال: "إن أولي العزم من الرسل منهم إسماعيل، ويعقوب، وأيوب، وليس منهم آدم، ولا يونس، ولا سليمان"، قاله ابن جريج[3].

ومنهم من قال: "إن أولي العزم من الرسل هم الأنبياء الثمانية عشر المذكور في سورة الأنعام في قول الله تعالى ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[4]، قاله الحسين بن الفضل[5].

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي : (٧/١٤٤-١٤٥)، وانظر: تفسير العز بن عبد السلام : (٣/١٩٠).

(٢) المصدر نفسه، وانظر: تفسير القرطبي: (١٩/٢٣٢-٢٣٥)، وفتح القدير للشوكاني : (٥/٣٩).

(٣) المصدر نفسه، وانظر: تفسير القرطبي: (١٩/٢٣٢-٢٣٥)، ، وتفسير السيوطي: (١٣/٣٤٦).

(٤) سورة الأنعام : (٨٣-٨٦).

(٥) زاد المسير لابن الجوزي : (٧/١٤٤-١٤٥)، وانظر: تفسير القرطبي: (١٩/٢٣٢-٢٣٥)، وفتح القدير للشوكاني : (٥/٣٩)، وهو هو الحسين بن الفضل ابن عمير: العلامة المفسر الامام اللغوي المحدث أبو علي البجلي الكوفي، ثم النيسابوري، عالم عصره، ولد قبل الثمانين ومئة، توفي سنة اثنتين وثمانين ومئتين، وهو ابن مئة وأربع، ودفن في مقبرة الحسين بن معاذ، انظر: سير أعلام النبلاء: (١٣/ ٤١٤)، وطبقات المفسرين للداوودي: (١/١٥٩).

ومنهم من قال: "إن أولي العزم من الرسل هم جميع الأنبياء إلا يونس عليه السلام، قاله الثعلبي[1].

ومنهم من قال:" إن أولي العزم من الرسل هم أربعة : إبراهيم، وموسى، وداود، وعيسى عليهم الصلاة والسلام"، قاله الحسن[2].

ومنهم من قال:" إن أولي العزم من الرسل هم نوح، وهود، وإبراهيم، وشعيب، وموسى عليهم الصلاة والسلام"، قاله قتادة[3].

ومنهم من قال: "إن أولي العزم من الرسل هم من أصابه بلاء بغير ذنب أو هم الذين صبروا على أذى قومهم فلم يجزعوا "، قاله العز بن عبد السلام[4].

وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه : "بلغني أن أولي العزم من الرسل ثلث مائة وثلاثة عشر "[5].

وقال بعضهم: "إن أولي العزم من الرسل اثنا عشر نبيا"[6].

وقال الآخر: "إن أولي العزم من الرسل هم المذكورون على النسق في سورة الأعراف والشعراء، وهم هود وصالح وشعيب ولوط وموسى عليهم السلام"[7].

وسبب تعدد أقوال العلماء في هذه المسألة هو الاختلاف من قول الله تعالى ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[8]، هل "مِنْ" في قول الله تعالى -مِنَ الرُّسُلِ- للتبعيض أم للبيان؟

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي : (١٤٤/٧-١٤٥)، وانظر: تفسير القرطبي: (٢٣٢/١٩-٢٣٥)، وفتح القدير للشوكاني : (٣٩/٥).

(٢) تفسير القرطبي: (٢٣٢/١٩-٢٣٥)، وفتح القدير للشوكاني : (٣٩/٥).

(٣) تفسير السيوطي : (٣٤٦/١٣)، وانظر: تفسير العز بن عبد السلام : (١٩٠/٣).

(٤) تفسير العز بن عبد السلام: (١٩٠/٣).

(٥) تفسير السيوطي، ص : ٣٤٦/١٣.

(٦) تفسير القرطبي: (٢٣٢/١٩-٢٣٥)، وانظر: تفسير التستري : (١١٤/١).

(٧) المصدر نفسه.

(٨) سورة الأحقاف : (٣٥).

فإذا كانت تبعيضية فيكون أولو العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام بعض الرسل ، وإذا كانت بيانية فيكون أولو العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام كل الرسل، كما سيأتي بيان هذه المسألة في المطلب اللاحق[1].

(١) انظر: ص : (١/٣٤-٣٧).

المسألة الثانية : ذكر الراجح في المسألة.

وقد ذهب كثير من العلماء أن أولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام هم الخمسة المذكورون في قول الله تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴾[2] ، وقالوا: إن "مِنْ" في قول الله تعالى ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[3] تبعيضية، وليست بيانية.

قال العلامة الشنقيطي[4] -رحمه الله-:

"أشهر الأقوال في ذلك أنهم خمسة، وهم الذين قدمنا ذكرهم في «الْأَحْزَابِ» وَ «الشُّورَى» ، وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد -عليهم الصلاة والسلام - .

وعلى هذا القول فالرسل الذين أُمر رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أن يصبر كما صبروا-أربعة، فصار هو-صلى الله عليه وسلم خامسهم.

واعلم أن القول بأن المراد بأولي العزم جميع الرسل - عليهم الصلاة والسلام — وأن لفظة مِنْ في قوله: مِنَ الرُّسُلِ بيانية يظهر أنه خلاف التحقيق ، كما دل على ذلك بعض الآيات القرآنية ، كقوله تعالى : ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ

---

(١) سورة الأحزاب : (٧).

(٢) سورة الشورى : (١٣).

(٣) سورة الأحقاف : (٣٥).

(٤) هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي: مفسر مدرس من علماء شنقيط (موريتانيا)، ولد وتعلم بها، واستقر مدرسا في المدينة المنورة ثم الرياض وأخيرا في الجامعة الاسلامية بالمدينة (١٣٨١) وتوفي بمكة سنة ١٣٩٣هـ ، له كتب، منها أضواء البيان في تفسير القرآن ومنع جواز المجاز، انظر: طبقات النسابين :(١٩٨/١)، والأعلام للزركلي: (٦/ ٤٥).

نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٌ ﴾[1] ، فأمر الله جل وعلا نبيه في أية القلم هذه بالصبر ، ونهاه أن يكون مثل يونس -عليه السلام- لأنه هو صاحب الحوت ، وكقوله: ﴿ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمًا ﴾[2]، تدل على أن أولي العزم من الرسل الذين أُمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يصبر كصبرهم ليسوا جميع الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، والعلم عند الله تعالى"[3].

وممن ذهب إلى أن أولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام هم الخمسة ابن تيمية وابن القيم وابن أبي العز وغيرهم من العلماء رحمهم الله تعالى، وهو المروي عن أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهما وغيرهما كثير[4]..

قال ابن تيمية[5] -رحمه الله-:

"وأفضل أولياء الله هم أنبياؤه، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم، وأفضل المرسلين أولو العزم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر قول الله تعالى في سورتي الأحزاب والشعراء"[6].

وقال الشيخ صالح آل الشيخ لشرحه عقيدة الطحاوية:

---

(١) سورة القلم : (٤٨).

(٢) سورة طه : (١١٥).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي: (٧/ ٢٦٦).

(٤) انظر: تفسير البغوي: (٧/٢٧٢).

(٥) هو الشيخ الامام العلامة المفتي المفسر الخطيب البارع عالم حران وخطيبها وواعظها، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله ابن تيمية الحراني الحنبلي صاحب الديوان الخطب والتفسير الكبير، ولد في شعبان سنة اثنتين وأربعين بحران، ، توفي في صفر سنة اثنتين وعشرين وست مئة وله ثمانون سنة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي : (٢٢/٢٨٨-٢٩٠).

(٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية : (١١/ ١٦١)، و(١١/٣٦٩)، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: (ص: ٥٥)، وانظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين: (ص: ٥١٦).

"وهذا القول بأنهم الخمسة هؤلاء، هو الأظهر والأرجح، ويَدُلُّ له ويُقَوِّيه أنَّ هؤلاء الخمسة هم الذين يستغيث الناس بهم يوم القيامة من شدة الحساب أو من شدة هول الموقف وطول المقَامْ في طلب تعجيل المحاسبة والقضاء بين الخلق، -أعاننا الله جل علا على شدائد ذلك اليوم-، في حديث الشفاعة الطويل المعروف، يأتون آدم ثم قال يأتون نوحا ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمد صلى الله عليه وسلم[1]، آدم خَرَجَ، لأنه ليس برسول، بقي الخمسة لأنهم مرسلون"[2].

وآدم عليه السلام لم يك من أولى العزم لأنه ورد نص خاص بأن ليس له عزم، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ [3]،والله أعلم.

---

(١) أشار إلى حديث الشفاعة الطويل من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه، كما رواه البخاري، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى:" وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ"، حديث رقم: (٣٣٤٠) مع الفتح : (٧/٦١٧-٦١٨)، ورواه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث رقم : (٤٧٥).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية للشيخ صالح آل الشيخ : (ص:٤٦٩-٤٧٠).

(٣) سورة طه : (١١٥).

المبحث الثالث : معنى الرسول.

المطلب الأول: معنى الرسول لغة واصطلاحا.

الرسول جمعه رُسْلٌ ورُسُلٌ .

يقال: "أَرْسَلْتُ فلاناً في رِسالةٍ، فهو مُرْسَلٌ ورَسولٌ"[1].

والرسول معناه في اللغة الذي يتابع أخبار الذي بَعَثَه؛ أُخِذ من قولهم: جاءت الإبلُ رسلاً، أي: متتابعة .

وقال أبو إسحاق النحويّ[2] في قول الله جلّ وعزّ حكايةً عن موسى وأخيه: ﴿ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [3]، معناه: إنا رسالةُ ربّ العالمين، أي: ذَوَا رِسالةِ رَبِّ العالمين ، وأنشد هو أو غيره:

لقد كَذَب الواشُون ما فُهتُ عندَهم   بسرَ ولا أَرْسَلْتهُم برَسولِ

أراد: ولا أرسلتهُم برسالة .

قلت : وهذا قولُ الأخفش[4]، وسمِّيَ الرسولُ رسولاً لأنه ذُو رَسول، أي: ذو رسالة.

والرسول اسمٌ من أَرسلْت، وكذلك الرسالة.

ويقال: جاءت الإبلُ أَرْسالاً: إذا جاء منها رَسل بعد رَسل ، والإبل إذا وَرَدت الماءَ وهي كثيرة فإن القيِّم بها يُورِدها الحوضَ رَسلاً بعد رَسل ، ولا يُورِدُها جملةً فتزدَحم على الحوض ولا تَرْوَى.

---

(١) الصحاح في اللغة للجوهري: (٤٩٧/١).

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السرى بن سهل الزجاج النحوي؛ كان من أهل العلم بالأدب والدين المتين، وصنف كتاباً في معاني القرآن وغيره، توفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة سنة عشر – وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة ست عشرة — وثلث مائة، ببغداد، رحمة الله تعالى، وقد أناف على ثمانين سنة. انظر: وفيات الأعيان (١/ ٤٩).

(٣) سورة الشعراء : (١٦).

(٤) هو أبو الحسن، سعيد بن مسعدة البلخي ثم البصري، مولى بني مجاشع، أخذ عن الخليل بن أحمد، ولزم سيبويه حتى برع، وكان من أسنان سيبويه، بل أكبر، مات الأخفش سنة نيف عشرة ومئتين، وقيل: سنة عشر، قال ابن النجار: كان أجلع – وهو الذي لا تنطبق شفتاه على أسنانه. انظر: سير أعلام النبلاء : (١٠/ ٢٠٦).

والرَّسلُ: قطيعٌ من الإبل قَدْر عَشر تُرسل بعد قَطِيع[1].

الإرسال: التوجيه وقد أرسل إليه والاسم الرسالة والرسالة والرسول... والرسول بمعنى الرسالة يؤنث ويذكر[2].

وعلى هذا فإن الرسول في اللغة إما أن يكون مأخوذا من الإرسال بمعنى التوجيه، وإما أن يكون مأخوذا من التتابع، فيكون الرسول هو من تتابع عليه الوحي[3].

وقال ابن تيمية -رحمه الله-:

"ورسول: فعول؛ بمعنى مفعول؛ أي مُرْسَل؛ فرسول الله: الذي أرسله الله"[4].

ولفظ الرسول هو في الأصل إنما قيل مضافاً إلى الله؛ فيُقال: رسول الله، ثم عُرّف باللام؛ فكانت اللام تعاقب الإضافة؛ كقوله: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولاً شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ ﴾[5]، وقوله: ﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضًاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذًاۚ ﴾[6][7].

وأما الرسول في اصطلاح الشرعي فهو الذي أوحى الله تعالى إليه بوحي ليبلغ رسالته إلى من خالف أمر الله تعالى.

قال ابن تيمية —رحمه الله تعالى-:

"الرسول: هو من أنبأه الله تعالى وأرسله إلى من خالف أمره، ليبلغه رسالةً من الله إليه، فالرسل من أُرسلوا إلى كفار يدعوهم إلى توحيد الله، وعبادته وحده لا شريك له، ولا بُدّ أن يكذّب الرسلَ قومٌ، قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ

(١) انظر: تهذيب اللغة للأزهري : (١٢/ ٢٧٢).

(٢) انظر: لسان العرب :(١١/ ٢٤٣-٢٤٥).

(٣) انظر: أصول الدين للإمام أبي منصور بن طاهر بن محمد التميمي البغدادي : (ص:١٧٣).

(٤) انظر: النبوات لابن تيمية رحمه الله : (ص: ٦٨٨).

(٥) سورة المزمل : (١٥-١٦).

(٦) سورة النور : (٦٣).

(٧) النبوات لابن تيمية رحمه الله : (ص: ٦٨٧).

سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾[1]، وقـال: ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾[2]؛ فـإنّ الرسل تُرسَل إلى مخالفين؛ فيكذّبهم بعضهم.

والرسول يُسمّى رسولاً على الإطلاق؛ لأنّه يُرسل إلى قوم بما لا يعرفونه، وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة؛ فإنّ يوسف عليه السلام كان رسولاً، وكان على ملة إبراهيم عليه السلام، وداود وسليمان عليهما السلام كانا رسولين، وكانا على شريعة التوراة.

قال تعالى عن مؤمن آل فرعون: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولاً ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾"[4][5].

---

(١) سورة الذاريات: (٥٢).

(٢) سورة فصلت : (٤٣).

(٣) سورة غافر : (٣٤).

(٤) سورة النساء : (١٦٣-١٦٤).

(٥) النبوات لابن تيمية : (ص: ٧١٧-٧١٨).

المطلب الثاني : الفرق بين النبي والرسول.

لعلماء أهل السنة والجماعة–رحمهم الله تعالى– في هذه المسألة أقوال، منها:

القول الأول:

أن النبي والرسول مترادفان، فكل نبي رسول وكل رسول نبي، فالنبي والرسول واحد ولا فرق بينهما، وإنما جمع بينهما لأن الأنبياء تخص البشر والرسل تعم الملائكة والبشر[1].

وقد قال بهذا القول من المتأخرين " الشيخ عبد الله بن زيد بن محمود" رئيس المحاكم القطرية في كتابه الذي سماه "اتحاف الأحفياء برسالة الأنبياء" قائلا: أن كل نبي فإنه رسول، وأنه لا فرق بين الرسول والنبي إلا بمجرد الاسم والمسمى واحد[2].

القول الثاني:

التفريق بين النبي والرسول، ذهب إليه أكثر أهل العلم.

واستدلوا بالآية السابقة قول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ...﴾ [3]، فأثبت سبحانه التفريق بين الاسمين، وهذا يدل ضرورة على كون المعطوف غير المعطوف عليه كما هو الأصل في تغاير المتعاطفين، ولو كان شيئا واحدا، لماَ حسُن تكرارهما في الكلام البليغ[4].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى – :

"عطف الشيء على الشيء في القرآن وسائر الكلام يقتضي مغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه مع اشتراك المعطوف والمعطوف عليه في الحكم الذي ذكر لهما"[5] ، وكذا ذكر الرازي في تفسيره[1].

---

(١) النكت والعيون للماوردي : (٤/٣٤–٣٥).

(٢) فتح المعبود في الرد على ابن المحمود للشيخ حمود بن عبد الله التويجري : (ص: ١٢٠)، وانظر: السلسلة الصحيحة للألباني : (٦/٣٦٥).

(٣) سورة الحج : (٥٢).

(٤) شرح الشفا للإمام القاضي عياض، شرحه الملا علي القارئ الهروي الحنفي : (١/٥٣٤).

(٥) الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية : (ص:١٤٣).

واستدلوا كذلك بحديث أبي ذر رضي الله تعالى عنه الذي رواه الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – في مسنده، قال: قلت: يا رسول الله كم وفي عده الأنبياء؟ قال: (مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل من ذلك ثلاث مائة وخمسه عشر جما غفيرا)[٢].

فهذا يدل على أن أمر الرسالة أمر زائد على النبوة، كقول الله تعالى في حق موسى عليه السلام: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴾[٣][٤].

قال الألباني –رحمه الله–:

"اعلم أن الحديث و ما ذكرنا من الأحاديث الأخرى، مما يدل على المغايرة بين الرسول و النبي ، وذلك مما دل عليه القرآن أيضا في قوله عز وجل: تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ...﴾[٥]، و على ذلك جرى عامة المفسرين، من ابن جرير الطبري الإمام ، إلى خاتمة المحققين الألوسي[٦]، و هو ما جزم به شيخ الإسلام ابن تيمية في غير موضع من فتاويه أن كل رسول نبي، و ليس كل نبي رسولا"[٧].

---

(١) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي الشافعي : (٤٤/١٢).

(٢) رواه أحمد في مسنده، ص : ٦١٩/٣٦، عن طريق علي بن يزيد عن القاسم أبي عبد الرحمن عن أبي أمامة، ورواه ابن حبان في صحيحه، حديث رقم: ٣٦١، والحاكم في المستدرك : (٢٨٨/٢) حديث رقم : (٣٠٣٩) وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، والهيثمي في المجمع : (٤٧٣/٢) وله شواهد، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة : (٣٦٤/٦) حديث رقم : (٢٦٦٨) هذا إسناد صحيح.

(٣) سورة مريم: (٥١).

(٤) انظر: : فتح المعبود في الرد على ابن المحمود للشيخ حمود بن عبد الله التويجري : (ص:١٢٠) وما بعده.

(٥) سورة الحج : من الآية (٥٢).

(٦) هو محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر محدث أديب من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها،كان سلفي الاعتقاد، مجتهدا، ثم سافر سنة ١٢٦٢ هـ إلى الموصل، وعاد إلى بغداد يدون رحلاته ويكمل ما كان قد بدأ به من مصنفاته، فاستمر إلى أن توفى سنة ١٢٧٠هـ . الأعلام للزركلي: (٧/ ١٧٧).

(٧) السلسلة الصحيحة للألباني: (٦/ ٣٦٤).

إلا أن أصحاب هذا القول تعددت أقوالهم في الفرق بين النبي والرسول:

- فمنهم من قال: "إن الرسول الذي أرسل إلى الخلق بإرسال جبريل عليه السلام إليه عيانا، والنبي الذي تكون نبوته إلهاما أو مناما"، قاله الفراء[١] والحسن القمي النيسابوري[٢].
- ومنهم من قال: "إن النبي هو إنسان أوحي إليه بشرع و لم يؤمر بتبليغه، والرسول هو إنسان أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه"، قاله السفاريني[٣].
- ومنهم من قال: "إن النبي هو إنسان بعثه الله تعالى إلى العباد ليبلغ ما أوحي إليه، والرسول من يأتي بشرع ابتداء، أو ينسخ بعض أحكام شريعة قبله، والنبي أعم من الرسول"، قاله السمرقندي[٤] وابن عاشور [٥]والجاحظ[٦].
- ومنهم من قال: "إن الرسول من الأنبياء: من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه، والنبي غير الرسول: من لم ينزل عليه الكتاب"، قاله الزمخشري[٧].
- ومنهم من قال: "إن الرسول هو المبعوث إلى الأمة، والنبي هو المحدث الذى لا يبعث إلى أمة"، قاله قطرب[٨].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : (٤٢٤/١٤).

(٢) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للقمي النيسابوري : (٩٠/٥).

(٣) كتاب لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرق المرضية المرضية للسفاريني : (٤٦/١).

(٤) الصحائف الإلهية لشمس الدين السمرقندي : (ص: ٤١٧).

(٥) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور : (٢٩٧/١٧).

(٦) النكت والعيون للماوردي : (٣٥/٤).

(٧) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري : (٢٠٤/٤).

(٨) النكت والعيون للماوردي : (٣٥/٤)، وقطرب هو أبو علي محمد بن المستنير بن أحمد النحوي اللغوي البصري، مولى سالم بن زيادة، المعروف بقطرب؛ أخذ الأدب عن سيبويه وعن جماعة من العلماء البصريين، وقطرب: اسم دويبة لا تزال تدب ولا تفتر، وكان من أئمة عصره؛ وله من التصانيف وتوفي سنة ست ومائتين، انظر: وفيات الأعيان: (٤/ ٣١٢).

- ومنهم من قال: "إن الرسول من أوحي إليه وأمر بالتبليغ، والنبي من أوحي إليه سواء أمر بالتبليغ أم لا"، قاله الألوسي[1].

ومن أحسن الوجوه في بيان الفرق بين النبي والرسول ما أورده شيخ الإسلام ابن تيميه – رحمه الله– في كتابه النبوات بقوله:

"فالنبي هو الذي ينبئه الله وهو ينبئ بما أنبأ الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي ليس برسول، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ...﴾ "[2][3].

وهذا الضابط أحسن ما قيل في الفرق بين النبي والرسول، إذ سلم من الاعتراضات التي وردت على غيره من التعاريف، والله تعالى أعلم.

وقد ذهب بعض الفرق كالمعتزلة والشيعة إلى أنه لا فرق بين النبي والرسول.

قال القاضي عبد الجبار[4] من المعتزلة فقال: "فاعلم أنه لا فرق في الاصطلاح بين الرسول والنبي"[5]

وكذلك الطبرسي –من علماء الشيعة– حيث قال : "فالرسول والنبي واحد"[6]

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي البغدادي : (٩/١٦٥).

(٢) سورة الحج : (٥٢).

(٣) النبوات لابن تيمية : (ص: ٧١٤–٧٢٠)، وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية : (١٠/٢٩٠) و (١٨/٧).

(٤) هو عبد الجبار ابن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل، العلامة المتكلم، شيخ المعتزلة، أبو المعتزلة، أبو الحسن الهمذاني، صاحب التصانيف، من كبار فقهاء الشافعية، ولي قضاء القضاة بالري، وتصانيفه كثيرة، تخرج به خلق في الرأي الممقوت، مات في ذي القعدة سنة خمس عشرة وأربع مئة، من أبناء التسعين. انظر: سير أعلام النبلاء : (١٧/ ٢٤٤).

(٥) شرح أصول الخمسة للقاضي عبد الجبار : (ص:٥٦٧).

(٦) مجمع البيان للطبرسي : (٧/١٧٤).

المطلب الثالث : الحكمة من إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام.

فإن الله عز وجل رحيم بعباده ولطيف بهم، ومن رحمته ولطفه أرسل إليهم رسلا من أنفسهم ليُعلمهم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، فإن الإنسان بحاجة ماسة إلى الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام لصلاح قلوبهم وإنارة نفوسهم وهداية عقولهم، لأن الأنبياء والرسل وسيلة الإنسان إلى معرفة ربه عز وجل.

ومن حكمة إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام:

١- أرسل الله عز وجل الرسل عليهم الصلاة والسلام لدعوة الناس إلى عبادة الله وحده وترك عبادة سواه، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1]، ولا يستطيع الإنسان أن يعرف حقيقة العبادة إلا بواسطة الأنبياء والمرسلين، فهم الذين يُعرِّفون الإنسان إلى ما يحبه الله ويرضاه، ويحذرهم مما يكرهه ويأباه بالحجج والبراهين والآيات التي أنزل الله إليهم ليدعوا الإنسان إلى عبادة الله وحده حق العبادة، وأنهم لم يُخلق عبثا، قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[3]، وقال ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[4][5].

٢- أرسل الله تعالى الرسل لإقامة الحجة على الخلق حتى لا يحتج أحد على الله فيقول ﴿ لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾[6]، فقطع الله الحجة من أساسها بإرسال الرسل، وأيدهم بالآيات والبراهين، قال الله

---

(١) سورة الذاريات : (٥٦).

(٢) سورة المؤمنون : (١١٥).

(٣) سورة الملك : (٢).

(٤) سورة هود : (٧).

(٥) انظر: النبوات لابن تيمية : (ص:٢٣).

(٦) سورة طه : (١٣٤).

تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولًا ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ قَدِيرٌ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾[4] .

٣-أرسل الله الرسل عليهم الصلاة والسلام ليكون قدوة حسنة لأتباعهم، وأسوة حميدة للناس في السلوك والأخلاق، قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[5]، وقال عز وجل: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾[6].

٤-توجيه الناس وإرشادهم لما فيه الخير والصلاح لهم في دينهم ودنياهم، لأن الناس مهما أتوا من الفهم والعقل، لا يمكن أن تستقل بذلك، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها فجعل ينزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها فأنا آخذ بحجزكم ، عن النار وأنتم تقتحمون فيها[7].

---

(١) سورة النساء : (١٦٥).

(٢) سورة الإسراء : (١٥).

(٣) سورة المائدة : (١٩).

(٤) سورة المائدة : (١٠٩).

(٥) سورة الأحزاب : (٢١).

(٦) سورة الأنعام: (٩٠)، وانظر النبوات لابن تيمية: (ص:٢٤).

(٧) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، حديث رقم: (٦٤٨٣)، مع مع الفتح: (٦٣١/١٤).

٥- بيان الطريق الموصل إلى الله تعالى، كما ذكر الله تعالى في كتابه ﴿ العزيز هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1].

٦-أرسل الله تعالى الرسل عليهم الصلاة والسلام لإقامة الدين والحفاظ عليه، وللنهي عن التفرق فيه، وللحكم بما أنزل الله تعالى، قال تعالى ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾[2]، وقال تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾[3].
[3].

٧- أرسل الله تعالى الرسل عليهم الصلاة والسلام رحمة للعالمين، قال الله تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾[4].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- مبينا عن حاجة الإنسان إلى الرسول والرسالة :

"والرسالة ضرورية للعباد لا بد لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور ؟ والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة.

وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة ويناله من حياتها وروحها فهو في ظلمة؛ وهو من الأموات، قال الله تعالى : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا

---

(١) سورة الجمعة: (٢).

(٢) سورة الشورى: (١٣).

(٣) سورة الأنبياء: (١٠٧).

(٤) سورة الأنبياء: (١٠٧).

يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ ﴾[1]، فهذا وصف المؤمن كان ميتا في ظلمة الجهل فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان وجعل له نورا يمشي به في الناس، وأما الكافر فميت القلب في الظلمات"[2].

وقال أيضا في موضع آخر:

"والرسالة ضرورية في إصلاح العبد في معاشه ومعاده فكما أنه لا صلاح له في آخرته إلا باتباع الرسالة فكذلك لا صلاح له في معاشه ودنياه إلا باتباع الرسالة ؛ فإن الإنسان مضطر إلى الشرع ؛ فإنه بين حركتين : حركة يجلب بها ما ينفعه ؛ وحركة يدفع بها ما يضره، والشرع هو النور الذي يبين ما ينفعه وما يضره، والشرع نور الله في أرضه وعدله بين عباده وحصنه الذي من دخله كان آمنا...ولولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل النافع والضار في المعاش والمعاد، فمن أعظم نعم الله على عباده وأشرف منة عليهم: أن أرسل إليهم رسله ؛ وأنزل عليهم كتبه ؛ وبين لهم الصراط المستقيم، ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الأنعام والبهائم بل أشر حالا منها، فمن قبل رسالة الله واستقام عليها فهو من خير البرية ومن ردها وخرج عنها فهو من شر البرية وأسوأ حالا من الكلب والخنزير والحيوان البهيم "[3].

وقال –رحمه الله- :

"وحاجة الإنسان إلى رسالة رب العالمين لا يساوى أي حاجة فيما سواه، واضطرارهم إلى بعثة الرسل تفوق عن كل ضرورة، كما بين ذلك شيخ الإسلام رحمه الله بقوله: "وليست حاجة أهل الأرض إلى الرسول كحاجتهم إلى الشمس والقمر ؛ والرياح والمطر ولا كحاجة الإنسان إلى حياته ؛ ولا كحاجة العين إلى ضوئها والجسم إلى الطعام والشراب؛ بل أعظم من ذلك؛ وأشد حاجة من كل ما يقدر ويخطر بالبال، فالرسل وسائط بين الله وبين خلقه في أمره ونهيه وهم السفراء بينه وبين عباده"[4].

---

(١) سورة الأنعام : (١٢٢).

(٢) مجموع فتاوى لابن تيمية : (١٩/٩٣-٩٤).

(٣) المصدر نفسه : (١٩/٩٩-١٠٠).

(٤) المصدر نفسه : (١٩/١٠١).

وقال ابن القيم[1] -رحمه الله تعالى- في بيان ضرورة البشر وحاجتهم إلى الرسل:

"ومن هاهنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول، وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا، ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضى الله البتة إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق، ليس إلا هديهم وما جاؤوا به، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأي ضرورة وحاجة فرضت، فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير. وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين، فسد قلبك، وصار كالحوت إذا فارق الماء، ووضع في المقلاة، فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرسل، كهذه الحال، بل أعظم، ولكن لا يحس بهذا إلا قلب حي

وما لجرح بميت إيلام

وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدي النبي صلى الله عليه وسلم، فيجب على كل من نصح نفسه، وأحب نجاتها وسعادتها، أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه، والناس في هذا بين مستقل، ومستكثر، ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم"[2].

وقال -رحمه الله- في موضع آخر:

---

(١) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن حريز الزرعي ثم الدمشقي الحنبلي، المعروف بابن قيم الجوزية ،شمس الدين، أبو عبد الله، فقيه، أصولي، مجتهد، مفسر، نحوي، محدث، مشارك في غير ذلك، ولد بدمشق سنة ٦٩١هـ، وتفقه وأفتى، ولازم ابن تيمية، وسجن معه في قلعة دمشق، وتوفي في ١٣ رجب سنة ٧٥١هـ، ودفن في سفح قاسيون بدمشق. انظر: معجم المؤلفين : (٩/ ١٠٦)، بغية الوعاة للسيوطي : (١/ ٦٢).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد : (١/٦٨-٦٩).

"حاجة الناس إلى الشريعة ضرورية فوق حاجتهم إلى كل شيء ولا نسبة لحاجتهم إلى علم الطب إليها إلا ترى أن أكثر العالم يعيشون بغير طبيب ولا يكون الطبيب إلا في بعض المدن الجامعة وأما أهل البدو كلهم وأهل الكفور كلهم وعامة بني آدم فلا يحتاجون إلى طبيب وهم أصح أبدانا وأقوى طبيعة ممن هو متقيد بالطبيب، ولعل أعمارهم متقاربة وقد فطر الله بني آدم على تناول ما ينفعهم واجتناب ما يضرهم وجعل لكل قوم عادة وعرفا في استخراج ما يهجم عليهم من الأدواء حتى أن كثيرا من أصول الطب إنما أخذت عن عوائد الناس وعرفهم وتجاربهم.

وأما الشريعة فمبناها على تعريف مواقع رضى الله وسخطه في حركات العباد الاختيارية فمبناها على الوحي المحض والحاجة إلى التنفس فضلا عن الطعام والشراب لأن غاية ما يقدر في عدم التنفس والطعام والشراب موت البدن وتعطل الروح عنه، وأما ما يقدر عند عدم الشريعة ففساد الروح والقلب جملة وهلاك الأبدان وشتان بين هذا وهلاك البدن بالموت.

فليس الناس قط إلى شيء أحوج منهم إلى معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه و سلم والقيام به والدعوة إليه والصبر عليه وجهاد من خرج عنه حتى يرجع إليه وليس للعالم صلاح بدون ذلك البتة ولا سبيل إلى الوصول إلى السعادة والفوز الأكبر إلا بالعبور على هذا الجسم"[١].

---

(١) مفتاح دار السعادة : (٢/٣١٨-٣١٩).

المطلب الرابع : عقيدة المسلم تجاه الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

الإيمان بالأنبياء والمرسلين أصل من أصول الاعتقاد، فهو من أركان الإيمان، وهو واجب على كل مسلم، ولذلك أمر الله عباده المؤمنين بقوله: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ (١)، وقال: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ (٢).

وحديث عمر رضي الله عنه المشهور، أن جبريل أتى النبي الله صلى الله عليه وسلم فقال: أخبرني عن الإيمان؟ قال عليه الصلاة والسلام: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره"(٣).

فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الإيمان مبني على هذه الأركان، فإذا انتفى منها ركن، انتفى جميع الأركان، قال ابن تيمية –رحمه الله-:

"فإن الكفر بكل من هذه الأصول يستلزم الكفر بغيره، فمن كفر بالله كفر بالجميع ومن كفر بالملائكة كفر بالكتب والرسل فكان كافرا بالله إذ كذب رسله وكتبه، وكذلك إذا كفر باليوم الآخر كذب الكتب والرسل فكان كافرا" (٤).

الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام رجال اصطفاهم الله تعالى من النوع الإنساني، ليكون وسطاء بينه وبين عباده، يبشرون من آمن منهم بحسن الثواب، وينذرون من كفروا وأعرضوا عن الحق بأن لهم عقابا على كفرهم وإعراضهم، قال تعالى ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾ (٥).

---

(١) سورة البقرة : (١٣٦).

(٢) سورة آل عمران : (١٧٩).

(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، حديث رقم: (٩٣)، (ص:٧٨).

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية : (١٩/١٩٣-١٩٤).

(٥) سورة الحج : (٧٥).

وقال تعالى: ﴿ وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [1]، وقال تعالى ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [2].

والإيمان بالأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام يكون بأننا نؤمن بأن الله تعالى بعث وأرسل مرسلين وأيدهم، وكانوا أصلح أهل زمانهم وأيدهم بالآيات والبراهين الدالة على صدقهم، وانهم أتقى الخلق، أتقى الناس لربهم، وأعرف وأعلم الناس بربهم عز وجل، فنؤمن بكل نبي علمناه أو لم نعلمه، لأن الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام منهم من قُصّ علينا ومنهم من لم يُقصّ علينا، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلاً مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَ ﴾ [3].

والإيمان بالأنبياء والمرسلين يكون مجملا ومفصلا:

أما المجمل فهو الإيمان بكل من بعثه الله من الأنبياء والمرسلين، علمنا أم لم نعلم، قال تعالى ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴾ [4].

وقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأَخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَـٰلاَۢ بَعِيدًا ﴾ [5].

وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَـٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [6].

وقال: ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأَخِرِ وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلۡقُرۡبَىٰ

---

(١) سورة الزخرف : (٦).

(٢) سورة الأنعام : (١٢٤).

(٣) سورة غافر : (٧٨).

(٤) سورة آل عمران : (١٧٩).

(٥) سورة النساء: (١٣٦).

(٦) سورة الحديد : (١٩).

وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (١).

ومن الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام:

- تصديقهم فيما أخبروا، لأنهم لا يتكلمون فيما يتعلق بالشريعة إلا بالوحي، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ (٢).
- اعتقاد وجوب طاعتهم فيما أمروا به، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾ (٤)، وقال تعالى ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ (٥) ، وقال تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (٦).
- الإيمان بجميعهم من غير تفريق ولا تبعيض، قال تعالى ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (٧).

  وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (٨).

---

(١) سورة البقرة : (١٧٧).

(٢) سورة النجم : (٣-٤).

(٣) سورة النساء : (٥٩).

(٤) سورة النور : (٥٤).

(٥) سورة النساء : (٨٠).

(٦) سورة النساء : (٦٤).

(٧) سورة البقرة : (١٣٦).

(٨) سورة النساء : (١٥٢).

قال قتادة –رحمه الله–[1]:

"أمر الله المؤمنين أن يؤمنوا ويصدقوا بأنبيائه ورسله كلهم، ولا يفرّقوا بين أحد منهم"[2] .

.

وقال ابن القيم –رحمه الله–:

"وكما أنه لا يكون مؤمنا حتى يؤمن بجميع الأنبياء ومن كفر بنبي من الأنبياء فهو كمن كفر بعضه ورد بجميعهم، فكذلك لا يكون مؤمنا حتى يؤمن بجميع ما جاء به الرسول فإذا آمن ببعضه فهو كمن كفر به كله"[3] .

وأما الإيمان مفصلا وهو القدر الذي يكون تبعا للعلم التفصيلي الذي يبلغ المكلف من نصوص الكتاب والسنة، وكل من علمنا رسالته ونبوته بأدلة القرآن والسنة فيجب الإيمان به وحبه، لأن الأنبياء إخوة من علات ودينهم واحد[4] .

قال ابن أبي العز –رحمه الله تعالى– :

"وأما الأنبياء والمرسلون فعلينا الإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه من رسله والإيمان بأن الله تعالى أرسل رسلا سواهم وأنبياء لا يعلم أسماءهم وعددهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم.

فعلينا الإيمان بهم جملة لأنه لم يأت في عددهم نص، وقد قال تعالى: ﴿ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾[1].

---

(١) هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، وقيل: قتادة بن دعامة بن عكابة، حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين أبو الخطاب السدوسي البصري الضرير الاكمه، وكان مولده في سنة ستين، وكان من أوعية العلم، وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ، توفي قتادة سنة ثماني عشرة ومئة. انظر: سير أعلام النبلاء : (٥/ ٢٦٩)، ووفيات الأعيان : (٤/٨٥).

(٢) جامع البيان للطبري : (١١١/٣).

(٣) بدائع الفوائد لابن القيم : (٤/ ٩٥٧).

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضل عيسى عليه السلام، حديث رقم : : (٦١٣٢).

(٥) سورة النساء : (١٦٤).

وعلينا الإيمان بأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمرهم الله به وأنهم بينوه بيانا لا يسع أحدا ممن أرسلوا إليه جهله ولا يحل خلافه، قال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[2]، وقال: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[3]، وقال: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[4]، وقال: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [5].

وأما الإيمان بمحمد صلى الله عليه و سلم فتصديقه واتباع ما جاء به من الشرائع إجمالا وتفصيلا[6]، لأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وأنه بُعث بالإسلام، وأن الإسلام نَسخَ ما عداه من الأديان، وأن كل دعوى للدين غير ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فهي باطلة ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ﴾[7]، وبه خُتمت النبوة والرسالة، وأعطاه الله الإسلام وأنزل عليه القرآن حجة له ولأمته إلى قيام الساعة ﴿ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [8].

---

(١) سورة غافر : (٧٨).

(٢) سورة النحل : (٣٥).

(٣) سورة النحل : (٨٢).

(٤) سورة النور : (٥٤).

(٥) سورة التغابن : (١٢).

(٦) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الدمشقي : (ص:٤٢٣-٤٢٤).

(٧) سورة آل عمران : (١٩).

(٨) سورة الأحزاب : (٤٠).

المبحث الرابع : ابتلاءات الأنبياء عليهم الصلاة السلام في قراباتهم والحكمة في ذلك.

المطلب الأول : ابتلاءات الأنبياء عليهم الصلاة السلام في قراباتهم.

الابتلاء سنة كونية من سنن الله عز وجل في هذا الكون لعباده المؤمنين، وقد أشار الله تعالى في القرآن الكريم، وأنه لا بد منه، قال الله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [1]، وقال تعالى: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴾ [2]، وقال تعالى ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ﴾ [3]، بل قد يكون دليلا على حب الله تعالى لعباده، قال النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أنس رضي الله عنه : (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط)[4].

وعن مصعب بن سعد عن أبيه قال قلت يا رسول الله : أي الناس أشد بلاء ؟ قال: (الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان دينه صلبا اشتد

---

(١) سورة العنكبوت : (١-٣).

(٢) سورة البقرة : (٢١٤).

(٣) سورة محمد : (٣١).

(٤) رواه الترمذي في سننه، في كتاب الشهادات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء ما جاء في الصبر على البلاء، حديث رقم (٢٣٩٦) وقال : حديث حسن غريب، ورواه ابن ماجه في سننه، في كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، حديث رقم (٤٠٣١)، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة : (٢٧٦/١) حديث رقم : (١٤٦): وسنده حسن ، رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين غير ابن سنان هذا، وهو صدوق.

بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلى على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض ما عليه خطيئة)[1].

والابتلاء يكون بالحسنات والسيئات وبالخير والشر، قال تعالى: ﴿ وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ [2]، وقال تعالى ﴿ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴾ [3].

وقد ابتلى الله تعالى أفضل خلقه وصفوة عباده، وهم رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهم أفضل الدعاة إلى الله إلى توحيده وعبادته، الذين تحملوا المشاق في تبليغ الدعوة وصبروا على الأذى.

وقد ابتُلي نوح عليه السلام بابنه وفلذة كبده، حيث كان ممن أعرض عن دعوته ورسالته كما هو مذكور في سورة هود[4]، وكذلك ابتُلي بامرأته حيث خانته بخيانة الكفر كما هو مذكور في سورة التحريم[5]، لأنه من أعظم ما مرَّ عليه من البلاء أن أقرب الناس إليه من ولده وزوجته لم يستجب لنداء الله تعالى.

وكذلك ابتُلي نبي الله تعالى إبراهيم عليه الصلاة والسلام بأبيه حيث كان ممن قام ضد دعوته ورسالته، وفي زوجته حيث كانت بعيدة عنه، وبابنه حيث أُمر بذبحه، قال

---

(١) رواه الترمذي في سننه، في كتاب الشهادات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الصبر على البلاء ، حديث رقم (٢٣٩٨)، وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح، ورواه وابن ماجه في سننه، في كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، حديث رقم (٤٠٢٣)، والحاكم في المستدرك : (٩٩/١) حديث رقم : (١٢٠) وقال : و هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة : (٢٧٤/١) حديث رقم : (١٤٣) : و هذا سند جيد رجاله كلهم رجال الشيخين، غير أن عاصما إنما أخرجا، له مقرونا بغيره ، و لم يتفرد به.

(٢) سورة الأعراف : (١٦٨).

(٣) سورة الأنبياء : (٣٥).

(٤) انظر: قصته في سورة هود : (٣٦-٤٩).

(٥) انظر: سورة التحريم : (١٠).

الله تعالى في شأن إبراهيم عليه السلام ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ [(١)]، والابتلاء لإبراهيم عليه الصلاة والسلام يكون بالأوامر والنواهي، ومن ذلك أمره عليه الصلاة والسلام بذبح ابنه عليهما السلام، كما ذكره الطبري[(٢)] -رحمه الله-.

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [(٣)].

وابتُلي موسى عليه السلام من جهة أخيه حيث اتهمه اليهود بأنه صانع الأوثان، وابتُلي عيسى عليه السلام من جهة أمه حيث اتهمها اليهود والنصارى بالفاحشة —والعياذ بالله-، ومحمد صلى الله عليه والسلام بوفاة عمه أبي طالب، وزوجته خديجة رضي الله عنها، وأبنائه الذين ماتوا وهم صغار، وفي زوجته العفيفة الطاهرة الصديقة حيث اتهمها المنافقون بالفاحشة، وغير ذلك مما جعل الله ذلك لرفع قدرهم وتمكينهم.

وقد وصف ابن القيم -رحمه الله- ما حصل للأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام قائلا:

"والطريق طريق تعب فيه آدم عليه السلام، وناح لأجله نوح عليه السلام، ورمى في النار الخليل عليه الصلاة والسلام، واضجع للذبح اسماعيل عليه السلام، وبيع يوسف عليه

---

(١) سورة البقرة : (١٢٤).

(٢) جامع البيان للطبري: (٧٣/٢٣)، وهو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، الطبري، وقيل يزيد بن كثير ابن غالب، صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير، كان إماما في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك، وله مصنفات، وكانت ولادته سنة أربع وعشرين ومائتين، بآمل طبرستان، وتوفي يوم السبت آخر النهار، ودفن يوم الأحد في داره، في السادس والعشرين من شوال سنة عشر وثلث مائة ببغداد. انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٢٠)، وفيات الأعيان : (٤/ ١٩١-١٩٢).

(٣) سورة الصفات : (١٠٢-١٠٧).

السلام بثمن بخس ولبث في السجن بضع سنين، ونشر بالمنشار زكريا عليه السلام وذبح السيد الحصور يحيى عليه السلام، وقاسى الضر أيوب عليه السلام، وزاد على المقدار بكاء داود عليه السلام، وسار مع الوحش عيسي عليه السلام وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد صلى الله عليه وسلم"[1].

وقال الكشميري صاحب فيض الباري :

"... وأمَّا نوح عليه الصلاة والسلام، فلم تَكُنْ زوجتُهُ مؤمنةً، وأمَّا إبراهيم عليه الصلاة السلام، فاضطر إلى الخروج من أجل الخصومة بين سارة وهاجر عليهما السلام، وكذلك ما وَقَعَ لموسى عليه الصلاة والسلام في الخُطْبَة، حيث قذفته امرأةٌ، وكان قارون أَمَرَهَا به، وقد ابْتُلِي عيسى عليه الصلاة والسلام من جهة أمِّهِ حيث اتَّهمُوها ممَّا يَعْلَمُ اللَّهُ أنها كانت بريئةً منه، فتلك سُنَّةٌ قد أتت على من قبله من الرُّسل أيضًا، لِيَرَى اللَّهُ سبحانه بها صبرَ أنبيائه، واستقامتَهم على الحقِّ، وثباتَهم على الدين، عليهم الصلاة والتسليم"[2].

---

(١) الفوائد لابن القيم : (ص: ٤٢).

(٢) فيض الباري على صحيح البخاري للكشميري : (٥/ ٧٤)، وهو محمد أنور شاه بن كعظم شاه الكشميري الهندي المتوفى سنة ١٣٥٣هـ.

المطلب الثاني : الحكمة في ابتلاءات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في قراباتهم.

ومادام الله تعالى جعل الابتلاء سنة في هذا الكون على جميع عباده، فأفعاله كلها حكمة، فلا تكون إلا عن علم وحكمة، منها ما نعرفه ومنها ما تقصر عقولنا وأفهامنا عن إدراكه، وحسبنا بقول الله تعالى ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ (1)، والابتلاء من أفعال الله تعالى وتقديراته التي كلها حكمة ورحمة.

وأما الحكمة في ابتلاءات الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام في قراباتهم فكثيرة، بينها ابن القيم –رحمه الله تعالى– في قوله:

"فإنه سبحانه كما يحميهم –الأنبياء– ويصونهم ويحفظهم ويتولاهم فيبتليهم بما شاء من أذى الكفار لهم:

١–ليستوجبوا كمال كرامته.

٢–وليتسلى بهم من بعدهم من أممهم وخلفائهم، فرأوا ما جرى على الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فصبروا ورضوا وتأسوا بهم.

قال ابن العربي –رحمه الله–(2)فيما يتعلق بابن نوح عليه السلام :

"في هذه الآية – يعني سورة هود– تسلية للخلق في فساد أبنائهم وإن كانوا صالحين(3)، وروي أن ابن مالك بن أنس نزل من فوق ومعه حمام قد غطّاه،

---

(١) سورة البقرة : (٢٨٥).

(٢) هو الإمام العلامة الحافظ القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله، ابن العربي الاندلسي الاشبيلي المالكي، صاحب التصانيف، وُلد سنة ثمان وستين وأربع مئة، وكان ممن يقال: إنه بلغ رتبة الاجتهاد، توفي بمكة في المحرم سنة خمس وثلاثين وخمس مئة وقد شاخ. انظر: سير أعلام النبلاء : (٢٠/ ١٩٧)، ووفيات الأعيان : (٤/٢٩٦).

(٣) أحكام القرآن لابن العربي : (٤/٤٩٤).

قال: فعلم مالك أنه قد فهمه الناس، فقال: الأدب أدب الله لا أدب الآباء والأمهات، والخير خير الله لا خير الآباء والأمهات"[1].

وقال ابن القيم–رحمه الله– في الفوائد :

٣- "ليرى الله سبحانه وتعالى بها صبرَ أنبيائه، واستقامتَهم على الحقِّ، وثباتَهم على الدين، عليهم الصلاة والتسليم كما سبق ذلك من كلام الكشميري –رحمه الله تعالى–.

٤-ولتمكينهم في الأرض على ما صبروا به من الابتلاءات، وقد سأل رجل الإمام الشافعي –رحمه الله –فقال: يا أبا عبد الله، أيما أفضل للرجل أن يُمكَّن أو يبتلي؟ فقال الشافعي رحمه الله: لا يُمكَّن حتى يُبتلي، فإن الله ابتلي نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فلما صبروا مكنهم فلا يظن أحد أنه يخلص من الألم البتة"[2].

٥-لرفع درجتهم ومقامهم عند الله عز وجل من إظهار عزمه وثباته في طاعة ربه، والمقصود من هذا الابتلاء إظهار عزمه وإثبات علو مرتبته في طاعة ربه، فإن الولد عزيز على نفس الوالد، والولد الوحيد الذي هو أمل الوالد في مستقبله أشد عزة على نفسه لا محالة، وقد علمت أنه سأل ولدا ليرثه نسله ولا يرثه مواليه، فبعد أن أقر الله عينه بإجابة سؤله وترعرع ولده أمره بأن يذبحه فينعدم نسله ويخيب أمله ويزول أنسه ويتولى بيده إعدام أحب النفوس إليه وذلك أعظم الابتلاء، فقابل أمر ربه بالامتثال وحصلت حكمة الله من ابتلائه، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴾[3][4].

---

(١) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للرامهرمزي : (ص: ٢٤٢)، وانظر: بدائع الفوائد لابن القيم: (٤٥٢/٢).

(٢) الفوائد: (ص:٢٠٨).

(٣) سورة الصافات : (١٠٦).

(٤) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور : (١٥٠/٢٣).

قال ابن تيمية —رحمه الله تعالى في شأن إبراهيم عليه السلام :

"والمقصود هنا أن الله أمر الخليل بذبح ابنه بكره امتحانا له وابتلاء ليخرج من قلبه محبة ما سوى الله ليتم كونه خليلا بذلك فهذا هو الكمال"[1].

وقد ذكر ابن القيم –رحمه الله تعالى– عن تلك الحكم بقوله :

"وإذا تأملت حكمته سبحانه فيما ابتلى به عباده وصفوته بما ساقهم به إلى أجل الغايات وأكمل النهايات التي لم يكونوا يعبرون إليها إلا على جسر من الابتلاء والامتحان، وكان ذلك الجسر لكماله كالجسر الذي لا سبيل إلى عبورهم إلى الجنة إلا عليه، وكان ذلك الابتلاء والامتحان عين المنهج في حقهم والكرامة، فصورته صورة ابتلاء وامتحان وباطنه فيه الرحمة والنعمة، فكم لله من نعمة جسيمة ومنه عظيمة تجنى من قطوف الابتلاء والامتحان...ثم ذكر رحمه الله أنواع الابتلاءات التي حصل لهؤلاء الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

وختمه بقوله: "...فلله سبحانه من الحكم في ابتلائه أنبياءه ورسله وعباده المؤمنين ما تتقاصر عقول العالمين عن معرفته، وهل وصل من وصل إلى المقامات المحمودة والنهايات الفاضلة إلا على جسر المحنة والابتلاء.

كذا المعالي إذا ما رمت تدركها ... فاعبر إليها على جسر من التعب" [2].

---

(١) الرد على المنطقيين (ص: ٥١٨).

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم الجوزية : (٢/٣٠٢-٣٠٦).

الباب الأول

قرابة نوح عليه السلام

وفيه تمهيد وفصلان:

التمهيد : لمحة عن نبوة ورسالة نوح عليه السلام

الفصل الأول : امرأة نوح عليه السلام

الفصل الثاني : أبناء نوح عليه السلام

تمهيد :

لمحة عن نبوة ورسالة نوح عليه السلام.

كان نوح عليه السلام أول الرسل إلى أهل الأرض[1]، وكان قبله أنبياء، وكان بينه وبين آدم عليه السلام عشرة قرون، كلهم على الإسلام، كما قال ذلك ابن عباس رضي الله تعالى عنه[2]، بعثه الله تعالى إلى الناس لما عُبدت الأصنام وضلوا عن عبادة ربهم، وذلك بعد أن زين لهم الشيطان عبادة الأصنام.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه في قول الله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾[3]:

"هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم عُبدت"[4].

---

(١) كما جاء ذلك عند البخاري، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى:" وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ"، حديث رقم: (٣٣٤٠) مع الفتح : (٦١٧/٧-٦١٨) ، ورواه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث رقم : (٤٧٥).

(٢) المستدرك على الصحيحين، للحاكم، ص : ٥٩٦/٢، وقال : حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجا، ، والسيوطي في الدر النثور : (٧١١/١٤-٧١٢)، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة : (٨٥٥/٧).

(٣) سورة نوح : (٢٣)، وفي صحيح البخاري : (٢٤/١١)، كتاب التفسير باب ﴿ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾، حديث رقم : (٤٩٢٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما "ود" كانت لكلب بدومة الجندل، وأما "سواع" كانت لهذيل، وأما "يغوث" فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبا، وأما "يعوق" فكانت لهمدان، وأما "نسر" فكانت لحمير لآل ذي الكلاع.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ، حديث رقم : (٤٩٢٠) مع الفتح : (٢٤/١١).

وروى ابن جرير في تفسيره بإسناده عن محمد بن قيس أن يغوث ويعوق ونسرا كانوا قوما صالحين من بني آدم وكان لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم[1].

فدعا نوح عليه السلام قومه الى عبادة الله وحده وترك ما يعبدون من دونه، فدعاهم ليلا ونهار، سرا وجهارا، ولا يدع بابا إلا سلكها لدعوتهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ويتوبوا من شركهم، ولكن مع ذلك كله، ما أجابوا دعوته إلا قليل منهم، وأعرضوا عن دعوته وسخروا منه حتى أرسل الله عليهم الطوفان، فأغرق كل من كفر بالله وانجى من آمن به وبرسله.

وقد ذكر الله تعالى نبوة ورسالة نوح عليه السلام لقومه في غير موضع من القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ ﴾[2].

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى

(١) جامع البيان للطبري :(٣٥٨/٢٦).

(٢) سورة الأعراف : (٥٩-٦٤).

ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾[1].

وغير ذلك من السور التي تبين دعوة ورسالة نوح عليه السلام، بل قد أفرد الله تعالى سورة خاصة باسمه عليه السلام وهي سورة نوح[2].

وهذه الآيات يحدثنا عن قصة نوح عليه السلام ونبوته ورسالته في زمنه وما حصل له من المعرضين والمعارضين لدعوته وطول زمن دعوته مع قلة المتبعين له، وكيف صبر نوح عليه السلام حتى أغرق الله تعالى الكافرين ونجى المؤمنين، حتى صار نوح عليه السلام أبا البشر الثاني بعد آدم عليه السلام بعد أن أهلك الله تعالى الكافرين جميعا بالطوفان.

---

(١) سورة يونس : (٧١-٧٣).

(٢) انظر: قول الله تعالى في سورة الأنبياء : (٧٦-٧٧)، وفي سورة المؤمنون :(٢٣-٣٠)، وفي سورة الشعراء : (١٠٥-١٢٢)، وفي سورة العنكبوت، : (١٤-١٥)، وفي سورة الصافات : (٧٥-٨٢)، وفي سورة القمر : (٩-١٧).

الفصل الأول : امرأة نوح عليه السلام

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول : اسمها وإطلاق كلمة "امرأة" عليها

المبحث الثاني : امرأة نوح عليه السلام في القرآن الكريم والتوراة المحرفة

المبحث الثالث : امرأة نوح عليه السلام وموقفها من الدعوة

المبحث الرابع : دفع توهم التعارض بين قوله تعالى : ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ وقول النبي صلى الله عليه وسلم " ما بغت امرأة نبي قط..."

المبحث الخامس : طعن الشيعة في زوجات الأنبياء والمقصود بالخيانة عندهم.

المبحث الأول : اسمها وإطلاق كلمة "امرأة" عليها.

امرأة نوح عليه السلام لم تذكر باسمها في القرآن الكريم، وإنما أشار الله تعالى إليها مرة واحدة ووصفها بأنها "امرأة نوح عليه السلام"، وذكرها مع امرأة لوط عليه السلام، وذلك في قول الله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّاخِلِينَ ﴾[(١)].

وأجمع المفسرون على أن المرأة التي أشار لها القرآن على أنها امرأة نوح عليه السلام، وهو نص جلي في ذلك، وكان اسمها والغة، وقد اختلف أهل العلم في ذلك على عدة أقوال:

- فمنهم من قال: إن اسمها والعة والهة، قاله مقاتل[(٢)].
- ومنهم من قال: إن اسمها واغلة، كما ذكره الثعلبي[(٣)] في تفسيره[(٤)].
- ومنهم من قال: إن اسمها واعلة، ذكر الضحاك عن عائشة أن جبريل نزل على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أن اسم امرأة نوح واعلة[(٥)].

وجاء في القرآن أن امرأة نوح أُطلق عليها لفظ "امرأة "دون لفظ "الزوجة"، وقد اختلف العلماء رحمهم الله في هذه المسألة. لأن بعضهم ذكروا فروقا بين إطلاق لفظ

---

(١) سورة التحريم : (١٠).

(٢) تفسير البغوي : (٨/١٧٠)، والنكت والعيون للماوردي: (٦/٤٧)، وزاد المسير: (٨/٥٥).

(٣) هو أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري المفسر المشهور؛ كان أوحد زمانه في علم التفسير، وصنف التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفاسير، والثعلبي والثعالبي هو لقب له وليس بنسب، توفي في المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة، انظر: وفيات الأعيان : (١/ ٧٩-٨٠)، ومعجم الأدباء للحموي: (١/١٩٤)، والوافي بالوفيات للصفدي : (٢/٤٨٤).

(٤) الكشف والبيان للثعلبي :(٩/٥٥).

(٥) النكت والعيون للماوردي : (٦/٤٧)، وانظر: الكشاف للزمخشري : (٦/١٦٤).

(الزوجة) ولفظ (امرأة) على الأنثى في القرآن الكريم، وذكروا أن هذه الفروق تستند إلى المعنى اللغوي لكلمة الزوج، وهي تعنى المشابهة والتساوي، وبعض العلماء لم ير لهذا التفريق معنى، حيث جاء استعمال اللفظين في الكتاب والسنة للتعبير عن الزوجة، سوآء كانت هذه الزوجة مؤمنة أم كافرة، تتفق مع زوجها في الدين أو لا.

وممن ذهب إلى التفريق بين اللفظين في التعبير عن الأنثى مرة بلفظ (الزوج)، ومرة بلفظ (امرأة) ، الإمام ابن القيم -رحمه الله- حيث قال:

"وأما الأزواج فجمع زوج وقد يقال زوجة، والأول أفصح ، وبها جاء القرآن، قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [1]، وقال تعالى في حق زكريا عليه السلام ﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ﴾ [2]، ومن الثاني: قول ابن عباس رضي الله عنهما في عائشة رضي الله عنها "إنها زوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة"[3].

وقال الفرزدق[4]:

"وإن الذي يبغي ليفسد زوجتي ... كساع إلى أسد الشرى يستبيلها"

وقد يجمع على زوجات، وهذا إنما هو جمع زوجة وإلا فجمع زوج أزواج ، قال تعالى: ﴿ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴾ [5]، وقال تعالى: ﴿ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ

(١) سورة البقرة : (٣٥).

(٢) سورة الأنبياء : (٩٠).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر، حديث رقم : (٧١٠١).

(٤) هو همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس، الشهير بالفرزدق: شاعر، من النبلاء، من أهل البصرة، عظيم الأثر في اللغة، كان يقال: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس، كان شريفا في قومه، عزيز الجانب، ولقب بالفرزدق، لجهامة وجهه وغلظه، وتوفي في بادية البصرة، وقد قارب المئة، توفي سنة ١١٠هـ، انظر: سير أعلام النبلاء : (٤/٥٩٠)، وفيات الأعيان : (٦/٨٦).

(٥) سورة يس : (٥٦).

تُحۡبَرُونَ ﴾[1]، وقد وقع في القرآن الإخبار عن أهل الإيمان بلفظ الزوج مفردا وجمعا كما تقدم، وقال تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ ﴾[3] .

والإخبار عن أهل الشرك بلفظ المرأة، قال تعالى: ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴾[4]، وقال تعالى ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖ ﴾[5]، فلما كانتا مشركتين أوقع عليهما اسم المرأة ، وقال في فرعون ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ ﴾[6]، لما كان هو المشرك وهي مؤمنة لم يسمها زوجا له.

وقال في حق آدم ﴿ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾[7]، وقال للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ﴾[8]، وقال في حق المؤمنين ﴿ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ ﴾[9].

فقالت طائفة منهم السهيلي[10] وغيره: إنما لم يقل في حق هؤلاء أزواج لأنهن لسن بأزواج لرجالهم في الآخرة ولأن التزويج حلية شرعية وهو من أمر الدين، فجرد الكافرة منه كما جرد منها امرأة نوح وامرأة لوط عليهما السلام.

---

(١) سورة الزخرف : (٧٠).

(٢) سورة الأحزاب : (٦).

(٣) سورة الأحزاب : (٥٩).

(٤) سورة المسد : (١-٤).

(٥) سورة التحريم : (١٠).

(٦) سورة التحريم : (١١).

(٧) سورة البقرة : (٣٥).

(٨) سورة الأحزاب : (٥٠).

(٩) سورة البقرة : (٢٥).

(١٠) هو أبو القاسم وأبو زيد عبد الرحمن بن الخطيب أبي محمد عبد الله ابن الخطيب أبي =

ثم أورد السهيلي على نفسه قول زكريا عليه السلام ﴿ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾[1]، وقوله تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٍ ﴾[2]، وأجاب بأن ذكر المرأة أليق في هذه المواضع لأنه في سياق ذكر الحمل والولادة ، فذكر المرأة أولى به لأن الصفة التي هي الأنوثة هي المقتضية للحمل والوضع، لا من حيث كانت زوجا .

قلت (ابن القيم –رحمه الله–) : ولو قيل إن السر في ذكر المؤمنين ونسائهم بلفظ الأزواج أن هذا اللفظ مشعر بالمشاكلة والمجانسة والاقتران كما هو المفهوم من لفظه فإن الزوجين هما الشيئان المتشابهان المتشاكلان أو المتساويان ومنه قوله تعالى ﴿ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾[3].

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "أزواجهم أشباههم ونظراؤهم "

وقاله الإمام أحمد أيضا

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾[4] أي: قرن بين كل شكل وشكله في النعيم والعذاب، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذه الآية : الصالح مع الصالح في الجنة والفاجر مع الفاجر في النار، وقاله الحسن وقتادة والأكثرون.

وقيل زوجت أنفس المؤمنين بالحور العين وأنفس الكافرين بالشياطين وهو راجع إلى القول الأول.

عمر أحمد بن أبي الحسن أصبغ بن حسين بن سعدون بن رضوان بن فتوح، وهو الداخل إلى الأندلس، ومولده سنة ثمان وخمسمائة بمدينة مالقة، وتوفي بحضرة مراكش يوم الخميس ودفن وقت الظهر، وهو السادس والعشرون من شعبان سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، رحمه الله تعالى؛ وكان مكفوفاً . انظر: وفيات الأعيان : (٣/ ١٤٣).

(١) سورة مريم : (٥).

(٢) سورة الذاريات : (٢٩).

(٣) سورة الصفات : (٢٢).

(٤) سورة التكوير : (٧).

قال تعالى: ﴿ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴾ [1]، ثم فسرها ﴿ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ﴾ [2] ﴿ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ﴾ [3] ، فجعل الزوجين هما الفردان من نوع واحد ، ومنه قولهم زوجا خف وزوجا حمام ونحوه .

ولا ريب أن الله سبحانه وتعالى قطع المشابهة والمشاكلة بين الكافر والمؤمن ،قال تعالى ﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ ﴾ [4]، وقال تعالى في حق مؤمني أهل الكتاب وكافرهم ﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ [5]، وقطع المقارنة سبحانه بينهما في أحكام الدنيا فلا يتوارثان ولا يتناكحان ولا يتولى أحدهما صاحبه فكما انقطعت الوصلة بينهما في المعنى انقطعت في الاسم فأضاف فيها المرأة بلفظ الأنوثة المجرد دون لفظ المشاكلة والمشابهة .

وتأمل هذا المعنى تجده أشد مطابقة لألفاظ القرآن ومعانيه ، ولهذا وقع على المسلمة امرأة الكافر وعلى الكافرة امرأة المؤمن لفظ المرأة دون الزوجة تحقيقا لهذا المعنى، والله أعلم .

وهذا أولى من قول من قال إنما سمى صاحبة أبي لهب امرأته ولم يقل لها زوجته لأن أنكحة الكفار لا يثبت لها حكم الصحة بخلاف أنكحة أهل الإسلام، فإن هذا باطل بإطلاقه اسم المرأة على امرأة نوح وامرأة لوط مع صحة ذلك النكاح.

وتأمل هذا المعنى في آية المواريث وتعليقه سبحانه التوارث بلفظ الزوجة دون المرأة كما في قوله تعالى ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ ﴾ [6] إيذانا بأن هذا التوارث إنما وقع

---

(١) سورة الأنعام : (١٤٣).

(٢) سورة الأنعام : (١٤٣).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) سورة الحشر : (٢٠).

(٥) سورة آل عمران : (١١٣).

(٦) سورة النساء : (١٢).

بالزوجية المقتضية للتشاكل والتناسب والمؤمن والكافر لا تشاكل بينهما ولا تناسب فلا يقع بينهما التوارث .

وأسرار مفردات القرآن ومركباته فوق عقول العالمين"[1].

---

(١) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على خير الأنام صلى الله عليه وسلم: (ص: ٣٤٣-٣٤٧)، وانظر: التفسير القيم لابن القيم : (١٣١-١٣٣).

المبحث الثاني : امرأة نوح عليه السلام في القرآن الكريم والتوراة المحرفة.

المطلب الأول : امرأة نوح عليه السلام في القرآن الكريم.

وقد ذكر الله تعالى امرأة نوح في موضع واحد من سورة التحريم، وقد أنعم الله عليها نعمة عظيمة وأكرمها بكرم منه، فجعلها زوجة لنبي عظيم من أولي العزم، ولكن مع ذلك كفرت بالله وبرسله، فجعلها الله تعالى مثالا للكافرين، فهذا المثل القرآني أخبر الله تعالى بأن مجرد مخالطة ومعاشرة المسلمين لا يجدى شيئا ، إن لم يسلموا ويؤمنوا بالله عز وجل وبرسله، إذ لا رابطة سوى رابطة الإيمان ولا وشيجة إلا وشيجة الحب في الله والبغض في الله عز وجل، أما الزوجة والقرابة فلا قيمة لهما في ميزان الله إذ كانوا من الكافرين.

قال ابن تيمية –رحمه الله– :

"وليس في القرآن مدح أحد لمجرد كونه من ذوي القربى وأهل البيت ولا الثناء عليهم بذلك، ولا ذكر استحقاقه الفضيلة عند الله بذلك ولا تفضيله على من يساويه في التقوى بذلك، وإن كان قد ذكر ما ذكره من اصطفاء آل إبراهيم واصطفاء بني إسرائيل، فذاك أمر ماض فأخبرنا في جعله عبرة لنا فبين مع ذلك أن الجزاء والمدح بالأعمال، ولهذا ذكر ما ذكره من اصطفاء بني إسرائيل وذكر ما ذكره من كفر من كفر منهم وذنوبهم وعقوبتهم فذكر فيهم النوعين الثواب والعقاب، وهذا من تمام تحقيق أن النسب الشريف قد يقترن به المدح تارة إن كان صاحبه من أهل الإيمان والتقوى، وإلا فإن ذم صاحبه أكثر كما كان الذم لمن ذم من بني إسرائيل وذرية إبراهيم وكذلك المصاهرة قال تعالى ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ

ٱبۡنِ لِى عِندَكَ بَيۡتٗا فِى ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾"[1][2].

وقال ابن القيم –رحمه الله– :

"فاشتملت هذه الآيات على ثلاثة أمثال، مثل للكفار ومثلين للمؤمنين فتضمّن مثل الكفار أن الكافر يعاقب على كفره وعداوته لله ورسوله وأوليائه ولا ينفعه مع كفره ما كان بينه وبين المؤمنين من لحمة نسب أو صلة صهر أو سبب من أسباب الاتصال، فإن الأسباب كلها تنقطع يوم القيامة إلا ما كان منها متصلا بالله وحده على أيدي رسله، فلو نفعت وصلة القرابة والمصاهرة أو النكاح مع عدم الإيمان لنفعت الوصلة التي كانت بين لوط ونوح وامرأتيهما فلما لم يغنيا عنهما من الله شيئا قيل ادخلا النار مع الداخلين، قطعت الآية حينئذ طمع من ركب معصية الله وخالف أمره ورجا أن ينفعه صلاح غيره من قريب أو أجنبي ولو كان بينهما في الدنيا أشد الاتصال فلا اتصال فوق اتصال البنوة والأبوة والزوجية ولم يغن نوح عن ابنه ولا إبراهيم عن أبيه ولا نوح ولا لوط عن امرأتيهما من الله شيئا قال الله تعالى: ﴿ لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗا ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِى نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا ﴾[5]، وقال: ﴿ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾"[6][7].

(١) سورة التحريم : (١٠-١١).

(٢) منهاج السنة النبوية : (٨/ ١٥٣)

(٣) سورة الممتحنة : (٣).

(٤) سورة الانفطار : (١٩).

(٥) سورة البقرة : (٤٨).

(٦) سورة لقمان : (٣٣).

(٧) إعلام الموقعين: (١/ ١٨٨).

فقصة امرأة نوح عليه السلام لم ترد إلا في هذه السورة، إلا أن الله عز وجل أشار لهلاكها في سورة هود، قال الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾ [1]، وفي سورة المؤمنون، فقال تعالى: ﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴾[2].

قال ابن كثير[3] -رحمه الله- في قول الله تعالى ﴿ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ ﴾ أي: "سبق فيه القول من الله بالهلاك، وهم الذين لم يؤمنوا به من أهله، كابنه وزوجته، والله أعلم"[4].

وقال في موضع آخر :

"بل الظاهر أنها (أي امرأة نوح عليه السلام) هلكت؛ لأنها كانت على دين قومها، فأصابها ما أصابهم، كما أصاب امرأة لوط ما أصاب قومها"[5].

وقال الشنقيطي -رحمه الله- :

---

(١) سورة هود، : (٤٠).

(٢) سورة المؤمنون : (٢٧).

(٣) هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقي، أبو الفداء، الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه، ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، ورحل في طلب العلم، وتوفي بدمشق سنة ٧٧٤هـ، تناقل الناس تصانيفه في حياته، من كتبه البداية والنهاية، وتفسير القرآن العظيم وغيره. انظر: معجم المحدثين للذهبي : (٤١/١)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي : (٣٢٦/١)، والدرر الكامنة لابن حجر : (٤٤٥/١).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : (٤٧٣/٥)، وانظر: الدر المنثور للسيوطي : (٦٤/٨). (٦٤/٨).

(٥) المصد نفسه : (٤/ ٣٢٢).

"فبين أن الذين حملهم مع نوح عليه السلام هم أهله ومن آمن معه من قومه في قوله ﴿ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ﴾ ، وبين أن الذين آمنوا من قومه قليل بقوله ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾، وبين أن ممن سبق عليه القول من أهله بالشقاء امرأته وابنه، قال في امرأته ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ﴾ إلى قوله ﴿ وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾"[1].

فكانت امرأة نوح عليه السلام ممن أهلك الله تعالى مع من كذّب من قوم نوح عليه السلام، فأغرقها الله تعالى بالطوفان، ولم تك من الناجين، وإن نوحا عليه السلام لما حل بقومهم الطوفان وأغرقهم الله جميعا؛ سأل عن ابنه ودعاه على أن يركب معه حتى لا يكون مع الكافرين المغرقين، ثم أكد عليه السلام بأنه ابنه، حتى رد الله عليه بأنه ليس من أهله الحقيقي، ولم يكن هذا الطلب والإلحاح حصل لامرأته، وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام علم أن امرأته لم تك من المؤمنين، بل ممن كفرت به وبرسالته ونبوته، وأنها من الكافرين بالله تعالى.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : (٣/ ١٣).

المطلب الثاني : امرأة نوح عليه السلام في التوراة المحرفة.

ذكرت التوراة[1] قصة امرأة نوح عليه السلام وما جرى لها من الأحداث، إلا أنها تختلف مع ما ذكره القرآن الكريم، فلم يرد فيها ذكر الإيمان ولا رابطة الإيمان أصلا، فزعموا أن نوحا عليه السلام أدخل في السفينة أبناءه، وجاء كذلك أن امرأة نوح عليه السلام كانت مع زوجها في السفينة، ولم تذكر التوراة كفر وإهلاك امرأة نوح عليه السلام فيها مع وضوح ذلك في القرآن الكريم، بل تفرد القرآن الكريم بذكر هلاك امرأة نوح عليه السلام، ويوضح ذلك كما سبق أن أشرت.

مما جاء في التوراة في ذلك:

" **فدخل نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه إلى الفلك من وجه مياه الطوفان**"[2].

" **في ذلك اليوم عينه دخل نوح وسام وحام ويافث بنو نوح وامرأته نوح وثلاث نساء بنيه معهم إلى الفلك**"[3].

" **أخرج من الفلك أنت وامرأتك وبنوك ونساء بنيك معك**"[4].

" **فخرج نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه**"[5].

وقد ذكر ابن كثير –رحمه الله– مضمون ما أورد اليهود في كتبهم في عدم هلاك امرأة نوح عليه السلام فقال :

---

(١) التوراة هي كلمة عبرانية تعني الشريعة أو الناموس، وهي عند اليهود خمسة أسفار يعتقدون أن موسى عليه السلام كتبها بيده ويسمونها "توراة" أو "بنتاتوك" نسبة إلى "بنتا" وهي كلمة يونانية تعني خمسة أي الأسفار الخمسة، وهي سفر التكوين وسفر الخروج وسفر اللاويين وسفر العدد وسفر التثنية، انظر: دراسات في الأديان لسعود خلف : (ص:٧٦).

(٢) سفر التكوين ، الإصحاح السابع، العدد : ٧.

(٣) المصدر نفسه، الإصحاح السابع، العدد :١٣.

(٤) المصدر نفسه، الإصحاح الثامن، العدد: ١٦.

(٥) المصدر نفسه، الإصحاح الثامن، العدد :١٨.

"وعند أهل الكتاب أنها (امرأة نوح عليه السلام) في السفينة"[1].

وهذه النصوص التي أوردها اليهود في التوراة صريحة في مخالفة ما جاء به القرآن الكريم بأن امرأة نوح عليه السلام كانت كافرة بالله وبرسوله وأنها كانت من أصحاب النار ، بل الظاهر أنها هلكت؛ لأنها كانت على دين قومها، فأصابها ما أصابهم[2]، وإن كان بعض علماء المسلمين لهم تفصيل في هذه المسألة.

فقال بعضهم: إن لنوح عليه السلام امرأتان، أما امرأته الأولى أخذها الطوفان لكفرها وعدم إيمانها لزوجها، والتي كانت معها في السفينة هي امرأته الثانية.

وقال بعضهم: إن كفر امرأة نوح عليه السلام كان بعد حدوث الطوفان[3]، والله أعلم، ولكن ظاهر نصوص التوراة تدل على أن امرأة نوح عليه السلام كانت معه في السفينة.

---

(١) قصص الأنبياء لابن كثير : (١٠٣/١).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير : (٣٢٢/٤).

(٣) قصص الأنبياء لابن كثير : (١٠٣/١).

المبحث الثالث : امرأة نوح عليه السلام وموقفها من الدعوة.

لقد بعث الله نوحا عليه السلام بالرحمة إلى قومه، وكان أولى أن يصدقه أقرب الناس إليه وهي زوجته، ولكنها كانت ممن صد عن دعوة نوح عليه السلام، وقد وصف الله تعالى امرأة نوح عليه السلام بالخيانة للمبالغة في تصوير ضلالها وموقفها المناوئ لدعوة زوجها.

فقد كانت معارضة كل المعارضة لما يقول زوجها النبي الرسول عليه السلام، رغم أنها في بيته، وضمن أسرته، فإذا هي تنتظم في سلك الضالين المضلين وتمضي تحت رايتهم وشعارهم، فاستحقت من الله العذاب الأليم وأن تكون مثلا يضرب للكافرين بسوء المصير وعبرة وعظة للناس أجمعين.

ومن مواقفها من دعوة زوجها نوح عليه السلام ما يلي:

١- كفرها بالله تعالى وبرسالة زوجها نوح عليه السلام، وذلك أنها لم توافقه بالإيمان ولم تصدقه في الرسالة، قال الله تعالى ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ ﴾ إلى قوله ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ [(١)].

قال الإمام الطبري –رحمه الله-: "إن خيانة امرأة نوح عليه السلام زوجها أنها كانت كافرة"[(٢)].

وإن نتيجة هذا الكفر هي الدخول الأبدية في النار ﴿ وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾[(٣)].

٢-ولم تكتف امرأة نوح عليه السلام بموقفها الكفري السلبي، بل ولم تأخذها الحمية لأجل زوجها ولا العشرة الزوجية معه عليه السلام، بل تعدت ذلك إلى الإيذاء،

---

(١) سورة التحريم : (١٠).
(٢) جامع البيان للطبري : (١٤٤/٢٦).
(٣) سورة التحريم : (١٠).

فكانت ترى قومها يتّهمونه بالضلال، فيقولون له ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[1]، وبالجدال العقيم ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[2]، ويتهكمون به ويسخرونه ﴿ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٞ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾[3]، ويتوعدون بالرجم ﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾[4]، وهي معهم عليه توافقهم على أذيتهم له وتشجع تطاولهم عليه.

٣-ومن موقفها المخزية المؤلمة أنها لم ترض بانتشار دعوة زوجها بل كانت سببا في عدم قبول تلك الدعوة الإلهية، لأنها من تفشى سر زوجها، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه : فكانت امرأة نوح عليه السلام تُطلِع على سر نوح عليه السلام، فإذا آمن مع نوح عليه السلام أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به، فكان ذلك من أمرها[5].

٤-وصار الأمر أشد من ذلك، حيث اتّهمت زوجها بالجنون، كما جاء ذلك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه بقوله : أما امرأة نوح عليه السلام فكانت تُخبر أنه مجنون[6].

وذكر القرطبي[7] -رحمه الله- : أنها قالت له : أما ينصرك ربك ؟

---

(١) سورة الأعراف : (٦٠).

(٢) سورة هود : (٣٢).

(٣) سورة هود : (٣٨).

(٤) سورة الشعراء : (١١٦).

(٥) جامع البيان للطبري : (١٤٦/٢٦).

(٦) المصدر نفسه : (١٤٥/٢٦).

(٧) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: القرطبي: من كبار المفسرين، صالح متعبد، من أهل قرطبة، رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن =

فقال لها : نعم.

قالت : فمتى ؟

قال : إذا فار التنور ؛

فخرجت تقول لقومها : يا قوم، والله إنه لمجنون ، يزعم أنه لا ينصره ربه إلا أن يفور هذا التنور[1].

وهذه هي مواقفها من زوجها النبي الرسول عليه السلام، ولم تؤمن به بل كانت من الكافرين بدعوته، كما كانت تسبب في صد الآخرين عن دعوته عليه السلام.

خصيب (في شمالي أسيوط، بمصر) وتوفي فيها، ومن كتبه الجامع لأحكام القرآن يعرف بتفسير القرطبي، وغيره، وكان ورعا متعبدا، طارحا للتكلف، توفي سنة ٦٧١هـ. انظر: طبقات المفسرين للسيوطي : (٧٩/١)، ونفح الطيب للمقري التلمساني : (٢١٠/٢)، والديباج المذهب لليعمري : (٣٠٨/٢).

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : (١٣٦/١١).

المبحث الرابع : دفع توهم التعارض بين قوله تعالى : ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ وقول النبي صلى الله عليه وسلم " ما بغت امرأة نبي قط...".

قال الله تعالى ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّاخِلِينَ ﴾ [1].

قال ابن عباس[2] رضي الله عنه قال: "ما بغت امرأة نبي قط"[3].

وقال سعيد بن جبير[4]:

---

(١) سورة التحريم : (١٠).

(٢) هو عبد الله بن عباس البحر حبر الامة، وفقيه العصر، وإمام التفسير، أبو العباس عبد الله، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس بن عبدالمطلب شيبة بن هاشم، مولده بشعب بني هاشم قبل عام الهجرة بثلاث سنين، صحب النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من ثلاثين شهرا، وبورك بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم "اللهم علمه تأويل القرآن" ، مات ابن عباس بالطائف سنة ثمان وسبعين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة وقد كف بصره، ، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: (١٤١/٤)، وسير أعلام النبلاء : (٣/ ٣٣١).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره : (٣٤٣/١٥) من طريق أبي عامر الهمداني عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس، فذكره موقوفا على ابن عباس، والسيوطي في الدر المنثور : (٧٧/٨) من رواية عبد الرزاق والفريابي وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن عساكر، وزادوا قوله إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ، يقول : إنه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم معك، قال الألباني في السلسلة الضعيفة : (٤٢٩/١٢) : وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه بين الضحاك وابن عباس، إلا أن الطبري أخرجه بسند ولفظ آخر : (٣٤٣/١٥) من طريق الثوري وابن عيينة عن موسى بن أبي عائشة عن سليمان بن قتة قال : سمعت ابن عباس يسأل –وهو إلى جنب الكعبة– عن قوله تعالى فَخَانَتَاهُمَا قال : أما إنه لم يكن بالزنا، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة : (٤٣٠/١٢) : وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات رجال مسلم غير سليمان بن قتة وثقه ابن معين وغيره.

(٤) هو سعيد بن جبير ابن هشام، الامام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد، أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله الاسدي الوالبي، مولاهم الكوفي، أحد الاعلام، وكان من كبار العلماء، قرأ القرآن =

"قال بعض العلماء: ما فجرت امرَأة نبيٍّ قط"[1].

وهذا الأثر المروي عن ابن عباس رضي الله عنه وغيره له حكم الرفع، لأن القطع بأنه "ما بغت امرأة نبي قط " مما لا يعلم إلا بوحي، فلا بد أن يكون سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ لا يمكن أن يقطع ابن عباس رضي الله عنه وغيره من السلف ويجزموا به من عند أنفسهم، لأنه من أمر الغيب، والغيب لا يظهره الله تعالى به أحدا إلا من ارتضى من رسول.

وأخرج ابن عساكر عن أشرس الخراساني رضي الله عنه يرفعه إلى النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: ما بغت امرأة نبي قط"[2].

قال ابن تيمية –رحمه الله–:

"ولهذا قال السلف ما بغت امرأة نبي قط"[3].

وذكر بعض العلماء –رحمهم الله– أن مقصود "الخيانة" في سورة التحريم هي الفاحشة، كما نقله الطبري والقرطبي والرازي وغيرهم هذا القول، فقالوا : "أنه ولد على فراشه لغير رشدة"، والقائلون بهذا القول احتجوا بقوله تعالى﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ ﴾ وقوله تعالى ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾[4][5]، أي خيانة الفاحشة.

على ابن عباس، ومولده في خلافة أبي الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقتله الحجاج، وكان قتله في شعبان سنة خمس وتسعين من الهجرة، انظر: سير أعلام النبلاء : (٤/ ٣٢١)، وتهذيب التهذيب : (٤/١١)، ووفيات الأعيان : (٢/٣٧١).

(١) جامع البيان للطبري: (١٥/ ٣٤٣-٣٤٤).

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي: (١٤/ ٥٩٤).

(٣) الفتاوى الكبرى: (٣/ ١٥٢).

(٤) سورة التحريم : (١٠).

(٥) مفاتيح الغيب للرازي :(٩/١٨٥).

قال مجاهد[1] والحسن –رحمهما الله-: "أنه ولد حنث ولد على فراشه ولم يعلم نوح – عليه السلام- بذلك"[2].

روى ابن الأنباري[3] بإسناده عن الحسن أنه قال : لم يكن ابنَه ، إن امرأته فجرت.

وعن الشعبي[4] قال: "لم يكن ابنه ، إن امرأته خانته" [5].

وقال ابن جريج [6]: "ناداه وهو يحسب أنه ابنه ، وكان ولد على فراشه ، وكانت امرأته امرأته خانته فيه، ولهذا قال ﴿ فَخَانَتَاهُما ﴾ [1][2].

---

(١) هو مجاهد بن جبر الامام، شيخ القراء والمفسرين، أبو الحجاج المكي الاسود مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، روى عن ابن عباس، فأكثر وأطاب، وعنه أخذ القرآن، والتفسير، والفقه، وعن أبي هريرة، وعائشة، وخلق كثير، وعرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة، مات مجاهد وهو ساجد سنة ثنتين ومئة، وقيل سنة ثلاث ومئة، وقيل غير ذلك. انظر: سير أعلام النبلاء : (٤/ ٤٤٩)، وتهذيب التهذيب : (١٠/٣٨).

(٢) تفسير السراج المنير : (٢/ ٥٠) ، وانظر: النكت والعيون للماوردي : (٢/٤٧٤) ، وانظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : (١١/١٣٥).

(٣) هو الإمام الحافظ اللغوي ذو الفنون، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار ابن الانباري، المقرئ النحوي، ولد سنة اثنتين وسبعين ومئتين، وكان صدوقا دينا من أهل السنة، صنف في علوم القرآن والغريب والمشكل والوقف والابتداء، وتوفي سنة أربع وثلثمائة ببغداد، سنة خمس وثلث مائة. انظر: سير أعلام النبلاء : (١٥/ ٢٧٤)، وفيات الأعيان : (٤/ ٣٤٢).

(٤) هو عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار، الامام أبو عمرو الهمداني ثم الشعبي، ويقال: هو عامر بن عبد الله، مولده في إمرة عمر بن الخطاب لست سنين خلت منها، وكان الشعبي توءما ضئيلا فكان يقول: إني زوحمت في الرحم، وهو من أفقه الناس، مات الشعبي سنة أربع ومئة، انظر: سير أعلام النبلاء : (٤/ ٢٩٤)، وفيات الأعيان (٣/ ١٣).

(٥) زاد المسير لأبي الفرج الجوزي : (٤/٩١).

(٦) هو عبدالملك بن عبد العزيز بن جريج، الامام العلامة الحافظ شيخ الحرم، أبو خالد، وأبو وأبو الوليد القرشي الاموي المكي، صاحب التصانيف، وأول من دون العلم بمكة ، وكان من بحور العلم، مات سنة خمسين ومائة، عاش سبعين سنة، فسنه وسن أبي حنيفة واحد، ومولدهما وموتهما واحد. انظر: سير أعلام النبلاء : (٦/ ٣٢٥)، ووفيات الأعيان : (٣/١٦٣).

وهذه الروايات التي أوردها العلماء –رحمهم الله– في معنى قول الله تعالى بقوله ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ ﴾ وقوله تعالى ﴿ فَخَانَتَاهُما ﴾ [3] بأنها خيانة زوجية (فاحشة الزنا) لا تتعارض مع قول ابن عباس –رضي الله عنه، إذ تلك الروايات لا تخلو من أمور، منها :

١-إن هذه الروايات التي نُسبت إلى الحسن لا تصح عنه، وليس من قوله، قال الآلوسي –رحمه الله– : "ونسبة هذا القول إلى الحسن ومجاهد –كما زعم الطبرسي– كذب صريح"، وقال : "إن الله تعالى قد طهر الأنبياء عليهم السلام عما هو دون ذلك من النقص بمراحل، فحاشاهم ثم حاشاهم أن يشار إليهم بأصبع الطعن، وإنما المراد بالخيانة الخيانة في الدين"[4].

٢-أن هذه الأقوال عن مجاهد والحسن وغيرهما قد جاء عن هؤلاء أنفسهم قول آخر ، بل قد رُوي عن هؤلاء ما يخالف هذا القول.

روى الطبري بإسناده عن مجاهد وعكرمة قالا: "هو ابنه".

وعن الحسن بإسناده عن ابن عباس قال: "هو ابنه: غير أنه خالفه في العمل والنية"[5].

وقال ابن كثير –رحمه الله–:

"وقال عبد الرزاق أيضا: أخبرنا الثوري وابن عيينة، عن موسى بن أبي عائشة، عن سليمان بن قتة قال: سمعت ابن عباس رضي الله عنه –سئل –وهو إلى جنب الكعبة –عن قول الله: ﴿ فَخَانَتَاهُما ﴾[6]، قال: أما وإنه لم يكن بالزنا،

---

(١) سورة التحريم : (١٠).
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : (١٣٥/١١).
(٣) سورة التحريم : (١٠).
(٤) روح المعاني للآلوسي :(٦/ ٢٥٦).
(٥) جامع البيان للطبري: (١٥/ ٣٤٥).
(٦) سورة التحريم : (١٠).

ولكن كانت هذه تخبر الناس أنه مجنون، وكانت هذه تدل على الأضياف. ثم قرأ: ﴿ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾[1]، قال ابن عيينة: وأخبرني عمار الدهبي أنه سأل سعيد بن جبير عن ذلك فقال: كان ابن نوح، إن الله لا يكذب! قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ ﴾[2]، قال: وقال بعض العلماء: ما فجرت امرأة نبي قط، وكذا روي عن مجاهد أيضا وعكرمة والضحاك وميمون بن مهران وثابت بن الحجاج، وهو اختيار أبي جعفر بن جرير، وهو الصواب الذي لا شك فيه" [3].

٣-أن كثيرا من الأئمة قد نص على خلاف ذلك، بل وعلى تخطئة من ذهب إلى القول به، كما قال ابن كثير -رحمه الله-: "وقد نص غير واحد من الأئمة على تخطئة من ذهب في تفسير هذا إلى أنه ليس بابنه، وإنما كان ابن زنية"[4].

قال الرازي -رحمه الله- : "وهذا قول خبيثٌ يجب صون منصب الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - عن هذه الفضيحةِ لا سيما هو على خلاف نصِّ القرآن" [5].

وقال ابن كثير -رحمه الله-: "وقول ابن عباس في هذا هو الحق الذي لا محيد عنه، فإن الله سبحانه أغير من أن يمكن امرأة نبي من الفاحشة ولهذا غضب الله على الذين رموا أم المؤمنين عائشة بنت الصديق زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وأنكر على المؤمنين الذين تكلموا بهذا وأشاعوه"[6].

---

(١) سورة هود : (٤٦).

(٢) سورة هود : (٤٢).

(٣) جامع البيان: (١٥/٣٤٤)، وانظر تفسير القرآن العظيم : (٤/ ٣٢٧).

(٤) تفسير القرآن العظيم : (٤/ ٣٢٦).

(٥) مفاتيح الغيب للرازي: (١٧/ ٣٥١)، وانظر: تفسير اللباب لابن عادل : (ص: ٢٨٥٨)، ٢٨٥٨)، وغرائب القرآن للقمي النيسابوري : (٤/٢٣).

(٦) تفسير القرآن العظيم : (٤/ ٣٢٦).

٤-اختيار العلماء —رحمهم الله — لقول ابن عباس —رضي الله عنه، وعلى رأسهم الطبري[١] والقرطبي —رحمهم الله-، قال القرطبي : "وهذا هو الصحيح في الباب إن شاء الله تعالى لجلالة من قال به"[٢].

قال ابن تيمية —رحمه الله-:

"فالله ورسوله يقولان: إنه ابنه وهؤلاء الكذابون المفترون المؤذون للأنبياء يقولون: إنه ليس ابنه، والله تعالى لم يقل: إنه ليس ابنك، ولكن قال إنه ليس من أهلك [٣].

٥-إن احتجاج مجاهد والحسن وغيرهما —رحمهم الله- قول الله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾[٤] بالقراءة التي قرأ بها عروة بن الزبير[٥] وهي: "ونادى نوح ابنها" يريد يريد ابن امرأته، وهذا لا يسلم، لأنها قراءة شاذة ، فلا نترك المتفق عليها لها[٦].

لها[٦].

٦-أن الحسن —رحمه الله- يحتمل أن يريد بهذا القول المجاز، لا الحقيقية، كما قال ابن كثير —رحمه الله-: "وهذا يحتمل أن يكون أراد ما أراد الحسن، أو أراد أنه نسب إليه مجازا، لكونه كان ربيبا عنده، فالله أعلم"[٧].

---

(١) جامع البيان للطبري: (١٥/ ٣٤٦).
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : (١١/١٣٥).
(٣) منهاج السنة النبوية: (٤/ ١٩٠).
(٤) سورة هود: (٤٢).
(٥) هو عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزي بن قصي الاسدي أبو عبد الله عبد الله المدني، وهو أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، وأبوه الزبير بن العوام أحد الصحابة العشرة المشهود لهم بالجنة وهو ابن صفية عمة النبي، صلى الله عليه وسلم، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق، توفي سنة احدى أو اثنتين وتسعين من الهجرة في فتنة الجمل، انظر: تهذيب التهذيب: (٧/ ١٦٣)، وفيات الأعيان : (٣/ ٢٥٥).
(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : (١١/١٣٧).
(٧) تفسير القرآن العظيم : (٤/ ٣٢٦).

وقد أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- هذه المسألة بقوله:

"قال الله تعالى فيها: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾[1]، وكانت خيانتهما لهما في الدين لا في الفراش، فإنه ما بغت امرأة نبي قط ؛ إذ نكاح الكافرة قد يجوز في بعض الشرائع ويجوز في شريعتنا نكاح بعض الأنواع وهن الكتابيات وأما نكاح البغي فهو دياثة، وقد صان الله النبي عن أن يكون ديوثا"[2].

وأما الخيانة في هذه الآية لا يخرج توجيهها عن أربعة أوجه:

١-أنهما كانتا كافرتين ، فصارتا خائنتين بالكفر ، قاله السدي[3].

٢-إنهما كانتا منافقتين، تظهران الإيمان وتستران الكفر ، وهذه خيانتهما قال ابن عباس : ما بغت امرأة نبي قط ، إنما كانت خيانتهما في الدين.

٣-إن خيانتهما النميمة ، إذا أوحى اللّه تعالى إليهما شيئاً أفشتاه إلى المشركين، قاله الضحاك .

---

(١) سورة التحريم : (١٠).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية : (٧/ ٤٧٣)، والديوث هو الرجل الذي لا يغار على أهله ومحارمه ويرضى بالمعصية والفاحشة، وفي الحديث قول الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثة قد حَرّم الله عليهم الجنة، مدْمِن الخمر، والعاقّ، والدّيُّوث، الذي يُقِرُّ في أهله الخَبَثَ، رواه أحمد في مسنده : (٥/٤٠)، حديث رقم : (٥٧٣٢)، والنسائي في كتاب الزكاة، باب المنان بما أعطى، حديث رقم : (٢٥٦٢)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة : (٢٧/٢٢) حديث رقم : (٣٠٩٩). انظر: لسان الرب : (٣٩٨/١٥).

(٣) هو إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة الإمام المفسر أبو محمد الحجازي ثم الكوفي الأعور الأعور السدي، أحد موالي قريش، وورد عنه أنه رأى أبا هريرة، والحسن بن علي، وقال يحيى بن سعيد القطان: لا بأس به، وقال أحمد بن حنبل: ثقة، وقال مرة: مقارب الحديث، مات سنة سبع وعشرين ومئة. انظر: سير أعلام النبلاء : (٥/ ٢٦٤-٢٦٥).

٤-إن خيانة امرأة نوح أنها كانت تخبر الناس أنه مجنون، وإذا آمن أحد به أخبرت الجبابرة به[1].

(١) النكت والعيون للماوردي: (٦/ ٤٦)، وانظر: تفسير السمعاني: (٤/ ٣٣٣).

المبحث الخامس : طعن الشيعة في زوجات الأنبياء والمقصود باالخيانة عندهم.

المطلب الأول : طعن الشيعة في زوجات الأنبياء.

يدعى الشيعة الرافضة الاثنا عشرية[١] أن الله عز وجل ضرب امرأة نوح وامرأة لوط عليهما السلام مثلا لعائشة وحفصة -رضي الله عنهما-، ويفسرون قول الله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾[٢] بذلك، وقالوا هذا مثل للذين كفروا-، وأن عائشة وحفصة رضي الله عنهما من الذين كفروا —بزعمهم-، واستدلوا على ما ذهبوا إليه بقول الله تعالى ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾[٣]، وزعموا أن معنى قوله ﴿ صَغَت ﴾ أي زاغت، والزيغ هو الكفر، وقد رووا هذا التفسير عن أبي جعفر الباقر[٤] وولده جعفر الصادق[٥].

ونسبوا هذا الزعم إلى ذي النورين عثمان بن عفان -رضي الله تعالى عنه-.

قال الإربلي – من علماء الرافضة -: "قالت له عائشة : أعطني ما كان يعطيني -أبي وعمر رضي الله عنهما- ، فقال: لا أجد موضعا في الكتاب ولا في السنة، ولكن كان

---

(١) الشيعة الإمامية الاثنا عشرية هم فرق من الرافضة الذين زعموا أن عليا رضي الله عنه هو الأحق في الخلافة دون أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وقد أطلق عليهم الإمامية لأنهم جعلوا قضية الإمامة هو أساس الدين، وقالوا باثني عشر إماما، وكان آخرهم دخل السرداب إلى أجل مسمى، انظر: الملل والنحل للشهرستاني : (١/١٦١).

(٢) سورة التحريم: (١٠).

(٣) سورة التحريم : (٤).

(٤) هو الامام أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي العلوي الفاطمي المدني، ولد زين العابدين، ولد سنة ست وخمسين في حياة عائشة وأبي هريرة، وهو أحد الائمة الاثني عشر الذين تبجلهم الشيعة الامامية وتقول بعصمتهم وبمعرفتهم بجميع الدين سير ، واتفق الحفاظ على الاحتجاج به، ومات أبو جعفر سنة أربع عشرة ومئة بالمدينة. انظر: سير أعلام النبلاء : (٤/ ٤٠١)، وتهذيب التهذيب : (١٢/ ٣٠٢).

(٥) الصراط المستقيم للبياضي (٣/١٦٨)

أبوك وعمر –رضي الله عنهما- يعطيانك عن طيبة أنفسهما، وأنا لا أفعل، قالت: فأعطني ميراثي من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال : أليس جئت فتشهدت أنت ومالك بن أوس النضري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يورث؟ فأبطلت حق فاطمة رضي الله عنها وجئت تطلبينه؟ لا أفعل.

فكان إذا خرج إلى الصلاة نادت وترفع القميص وتقول : إنه قد خالف صاحب هذا القميص، فلما آذته صعد المنبر فقال : إن هذه الزعراء عدوة الله، ضرب الله مثلها ومثل صاحبتها حفصة في الكتاب ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ "[1][2].

وعلق حيدر الآملي على هذه القصة بقوله : "يمكن أن يكون أزواج الأنبياء والأوصياء والصالحين حمقات جاهلات خائنات"[3].

قال البياضي: "قد أخبر الله عن امرأتي نوح ولوط –عليهما السلام–أنهما لم يغنيا عنهما من الله شيئا، وكان ذلك تعريضا من الله لعائشة وحفصة –رضي الله عنهما– من فعلهما، وتنبيها على أنهما لا يتكلان على رسوله، فإنه لن يغن شيئا عنهما"[4].

وقال الكاشاني عند تفسيره لهذه الآية: "مثل الله حال الكفار والمنافقين في أنهم يعاقبون بكفرهم ونفاقهم، ولا يحابون بما بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم وآله والمؤمنين من النسبة والمواصلة، بحال امرأة نوح وامرأة لوط –عليهما السلام–، وفيه تعريض لعائشة وحفصة –رضي الله عنهما– في خيانتهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله

---

(١) سورة التحريم : (١٠).
(٢) كشف الغمة للإربلي (٤٨٩/١)
(٣) الصراط المستقيم للبياضي: (٣٠/٣)
(٤) المصدر نفسه (١٦٥/٣-١٦٦)

بإفشاء سره ونفاقهما إياه وتظاهرهما عليه كما فعلت امرأتا الرسولين، فلم يغنيا عنهما من الله شيئا..." [١]

وقال المجلسي معلقا على الآية: "لا يخفى على الناقد البصير والفطن الخبير ما في تلك الآيات من التعريض، بل التصريح بنفاق عائشة وحفصة وكفرهما"[٢].

وذكر رجب البرسي -وهو من علماء الرافضة- "أن عائشة -رضي الله عنها-جمعت أربعين دينارا من خيانة، وفرقتها على مبغضي علي -رضي الله عنه-"[٣].

وعقد المجلسي بابا في بيان أحوال شقاوة عائشة وحفصة -رضي الله عنهما-وفي بقية أبواب الكتاب يصرح بنفاق أمهات المؤمنين، ويروى ذلك عن الإمام جعفر الصادق، وعقب على رواه في ذلك بقوله: "وهكذا اتفق المنافقان -يقصد أبا بكر وعمر رضي الله عنه- والمنافقتان -يعني عائشة وحفصة رضي الله عنهما- وقتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسم" [٤].

وقد أسند العياشي —من علماء الرافضة-إلى جعفر الصادق[٥] -زورا وبهتانا- القول في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا ﴾[٦]، قال:

---

(١) تفسير الصافي للكاشاني : (٧/٢٣٨)، وانظر: تفسير البياضي الصراط المستقيم: (٣/١٦٥).

(٢) بحار الأنوار: (٢٢/٣٣).

(٣) مشارق أنوار اليقين لرجب البرسي: (ص:٨٦)، وذكر المجلسي في بحار الأنوار: (١٣/٨٠٧).

(٤) حياة القلوب للمجلسي : (٢/٧٠٠).

(٥) هو جعفر بن محمد ابن علي بن الشهيد أبي عبد الله، ريحانة النبي صلى الله عليه وسلم وسبطه ومحبوبه الحسين، وهو شيخ بني هاشم أبو عبد الله القرشي الهاشمي العلوي النبوي المدني أحد الاعلام، وكان يغضب من الرافضة، ويمقتهم إذا علم أنهم يتعرضون لجده أبي بكر ظاهرا وباطنا، ولد سنة ثمانين، وهو من ثقات الناس كما قال ابن معين، مات جعفر الصادق في سنة ثمان وأربعين ومئة، انظر: سير أعلام النبلاء : (٦/ ٢٥٥-٢٦٩).

(٦) سورة النحل : (٩٢).

"التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا عائشة -رضي الله عنها-، هي نكثت إيمانها" [1].

وزعم الرافضة أن لعائشة بابا من أبواب النار، فدخلت فيها، فقد أسند العياشي إلى جعفر الصادق أنه قال في تفسير قول الله تعالى حكاية عن النار ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ [2]: "يؤتى بجهنم لها سبعة أبواب، والباب السادس العسكر -والعسكر كناية عن عائشة -رضي الله عنها-، لأنها كانت تركب جملا في موقعة الجمل يقال له عسكر" [3].

ويقول شيخ الشيعة جعفر مرتضى : "إننا نعتقد كما يعتقد به علماؤنا الأفذاذ وهم جهابذة الفكر والتحقيق أن زوجة النبي يمكن أن تكون كافرة كامرأتي نوح ولوط" [4].

وقال علي غروي –أحد كبار علماء الحوزة- : "إن النبي لا بد أن يدخل فرجه النار، لأنه وطئ بعض المشركات" [5].

وغير ذلك من الحكايات المكذوبة على آل البيت والأقوال المنكرة التي لا تليق بعامة المؤمنين، فكيف برسول الهدى صلى الله عليه وسلم وأزواجه أمهات المؤمنين رضي الله عنهن.

قال ابن تيمية –رحمه الله-:

---

(١) انظر: تفسير العياشي ٢/٢٦٩، والبرهان للبحراني ٢/٣٨٣، وبحار الأنوار للمجلسي: (٧/٤٥٤).

(٢) سورة الحجر : (٤٤).

(٣) انظر: تفسير العياشي ٢/٢٤٣، والبرهان للبحراني ٢/٣٤٥، وبحار الأنوار للمجلسي: (٧/٣٧٨)، و (٨/٢٢٠).

(٤) حديث الإفك: (١٧).

(٥) كشف الأسرار للموسوي: (ص:٢٤).

"ومن المعلوم أنه من أعظم أنواع الأذى للإنسان أن يكذب على امرأته رجل ويقول إنها بغي ويجعل الزوج زوج قحبة، فإن هذا من أعظم ما يشتم به الناس بعضهم بعضاً، وهؤلاء الرافضة يرمون أزواج الأنبياء: عائشة وامرأة نوح بالفاحشة، فيؤذون نبينا صلّى الله عليه وسلّم وغيره من الأنبياء من الأذى بما هو من جنس أذى المنافقين المكذِّبين للرسل" [1].

وجاء كذلك طعنهم في زوجة نبي الله إبراهيم عليهم الصلاة والسلام سارة عليها السلام، كما روى إمام الرافضة ابن بابويه القمي بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام – كذبا وزورا– قال : "إن بنات الأنبياء صلوات الله عليهم لا يطمثن، وأول من طمثت سارة"[2].

وكل ما أوده الشيعة الرافضة روايات وحكايات مكذوبة موضوعة، وقد اخترعوها علماؤهم وأسندوها إلى أئمة آل البيت زورا وبهتانا، حاشاهم من ذلك، ولكن لشدة بغضهم لبعض نساء الأنبياء، وضعوا هذه الحكايات المكذوبة انتصارا لمذهبهم الفاسد.

وقد رد العلماء عليهم أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى–وغيره من العلماء رحمهم الله تعالى.

قال ابن تيمية –رحمه الله – :

"فإنهم يرمون عائشة بالعظائم ثم منهم من يرميها بالفاحشة التي برأها الله منها وأنزل القرآن في ذلك ، ثم إنهم لفرط جهلهم يدعون ذلك في غيرها من نساء الأنبياء فيزعمون أن امرأة نوح كانت بغيا وأن الابن الذي دعاه نوح لم يكن منه وإنما كان منها وإن معنى قوله ﴿ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ﴾ [3] أن هذا الولد من عمل غير صالح ، ومنهم

---

(١) انظر: منهاج السنة لابن تيمية : (١٩٠/٤).

(٢) كتاب علل الشرائع لابن بابويه القمي : (ص:٢٩٠) حديث:(١)، باب:(٢١٥) علة الطمث.

(٣) سورة هود : (٤٦).

من يقرأ ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ ﴾ [1] يريدون ابنها ويحتجون بقوله ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ [2] ويتأولون قوله تعالى ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ [3] على أن امرأة نوح خانته في فراشه وأنها كانت قحبة وضاهوا في ذلك المنافقين والفاسقين أهل الإفك الذين رموا عائشة بالإفك والفاحشة ولم يتوبوا ، وفيهم خطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أيها الناس من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي والله ما علمت على أهلي إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا والله ما علمت عليه إلا خيرا" [4].

وقال –رحمه الله– في موضع آخر:

"ومن المعلوم أنه من أعظم أنواع الأذى للإنسان أن يكذب على امرأته رجل ويقول إنها بغى ويجعل الزوج زوج قحبة فإن هذا من أعظم ما يشتم به الناس بعضهم بعضا حتى أنهم يقولون في المبالغة شتمه مبالغة في شتمه والرمي بالفاحشة دون سائر المعاصي جعل الله فيه حد القذف لأن الأذى الذي يحصل به للمرمى لا يحصل مثله بغيره فإنه لو رمى بالكفر أمكنه تكذيب الرامي بما يظهره من الإسلام بخلاف الرمي بالفاحشة فإنه لا يمكنه تكذيب المفتري بما يضاد ذلك"[5].

وسيأتي زيادة بيان فساد قول الرافضة هذا[6].

---

(١) سورة هود : (٤٢).

(٢) سورة هود : (٤٦).

(٣) سورة التح: (١٠).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضا، حديث رقم: (٢٦٦١،٤١٤١، ٤٧٥٠، و ٧٣٦٩)، ومسلم في كتاب التوبة، باب حديث في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، رقم :(٧٠٢٠)

(٥) منهاج السنة النبوية : (٤/ ١٨٨).

(٦) انظر: ص: (٢/٧٢٤-٧٣٢).

المطلب الثاني : المقصود بالخيانة عند الشيعة وبيان بطلان ذلك.

إذا تأملنا أقوال الشيعة الرافضة[1]، نجد أنهم يطعنون في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وفي عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك ما قاله علمائهم حين فسروا قول الله تعالى ﴿ فَخَانَتَاهُما ﴾[2] بالفاحشة، والعياذ بالله، وهذا التفسير له سلبية خطيرة تجاه أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وتجاه الأمة الإسلامية، حيث أنهن مبلغات لهذا الدين، وإذا طُعن فيهن، فغيرهن من باب أولى.

روى القمي في تفسير قول الله عز وجل ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾[3]، "عن أبي الحسن قال: والله ما عنى بقوله: فخانتاهما، إلا الفاحشة، وليقيمن الحد على فلانة فيما أتت في طريق البصرة، وكان فلان يحبها، فلما أرادت أن تخرج إلى البصرة قال لها فلان: لا يحل لك أن تخرجي من غير محرم، فزوجت نفسها من فلان"[4].

جاء في بعض النسخ التصريح باسم فلان هذا، وأنه طلحة –رضي الله عنه–[5].

---

(١) الرافضة في الاصطلاح فإنه يطلق على تلك الطائفة ذات الأفكار والآراء الاعتقادية الذين رفضوا خلافة الشيخين وأكثر الصحابة، وزعموا أن الخلافة في علي وذريته من بعده بنص من النبي صلى الله عليه وسلم، وأن خلافة غيرهم باطلة، قال الإمام أحمد –رحمه الله–: والرافضة وهم الذين يتبرؤون من أصحاب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويسبونهم وينتقصونهم ويكفرون الأئمة الأربعة علي وعمار والمقداد وسلمان وليست الرافضة من الإسلام في شيء، انظر: طبقات الحنابلة : (١/٣١)، فرق معاصرة للعواجي : (١/ ٢٣١).

(٢) سورة التحريم : (١٠).

(٣) سورة التحريم: (١٠).

(٤) تفسير القمي (٢/٣٧٧)، والبرهان للبحراني (٤/٣٥٨)، الإمامة والنص (١/ ٣٧٩).

(٥) المصدر نفسه

وصرح المجلسي في فصل الغيبة بسم فلانة وأنّها عائشة أمّ المؤمنين، إلا أنه قال بأنه بسبب ما قالته في مارية ، فلم يجرؤ أن يصرح مع ذكر الاسم بما صرح به القمي من القذف الصريح والمراد بفلان طلحة[1].

وهذا النص كما ترى قد جاء في تفسير القمي الذي يوثقه شيوخهم المعاصرون، ولم يتعقبه المصحح والمعلق على تفسير القمي بشيء ، وهذا يعني إقرارهم لما ذكره وموافقته، فهو عار يلف السابقين والمعاصرين من شيوخهم ، بل إن المعلق على البحار عقب على النص المذكور بالدفاع عن شيخهم القمي لا الدفاع عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، وأم المؤمنين لا تحتاج إلى شهادة أحد بعد شهادة الله لها، ولكن نذكر ذلك لبيان عظيم جرمهم.

ورووا -زورا وبهتانا- تفسير الخيانة بالفاحشة عن الإمام محمد بن علي الباقر للآية الكريمة ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا ﴾[2]، وأنه قال في الآية : "ما يعني بذلك إلا الفاحشة"[3].

ويقول شيخهم مقبول أحمد في (ترجمة لمعاني القرآن بالأردية (ص: ٨٤٠)، سورة الأحزاب) ما ترجمته بالعربية : إن قائدة جيوش البصرة في وقعة الجمل عائشة قد ارتكبت الفاحشة مبينة حسب هذه الآية .

وينفي البياضي في تفسيره تبرئة الله عز وجل لأم المؤمنين عائشة في قول الله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ﴾[4] يقول: "قلنا ذلك تنزيها لنبيه عن الزنا لا لها كما أجمع المفسرون"[1].

---

(١) بحار الأنوار : (٢٢/٢٤١).

(٢) سورة التحريم: (١٠).

(٣) الكافي للكليني: ٢/٤٠٢).

(٤) سورة النور: (٢٦).

وما مراد هؤلاء الشيعة الرافضة بهذا التفسير –أعني الفاحشة- ليس إلا أن الوقوع في عرض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عموما، وعلى وجه الخصوص أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها بأنها وقعت في جريمة الزنا –والعياذ بالله-.

وبالرغم من كثرة هذه النصوصِ، ووضوحها في كتب علمائهم ، يحاول بعضُ الشيعة الرافضةِ إنكار ما ننقله من كتبهم تقيةً ، ولكن هذه التقية يظهرها اللهُ على لسان بعضهم ، وخاصةً ممن طمس اللهُ على قلبهِ ، وخرج من نورِ مذهبِ أهلِ السنةِ والجماعةِ إلى ظلماتِ الرفضِ ، ولم يكن قد تعلم التقيةَ ممن يسمونهم الرافضة: مستبصرين فيفصحُ عما في قلوبِ القوم من بغضٍ وحنقٍ على الصحابةِ ، فيشتمُ ويلعنُ الصحابةَ رضي الله عنهم في مجامعهم من غير تقيةٍ لأنه لا يعرف التقيةَ ، ولم يتقنها كما أتقنها القومُ ، عليهم من الله ما يستحقون.

وهذا التفسير الذي أورده الشيعة في كتبهم المعتمدة -وإن أنكره بعضهم تقية- مخالف لما عليه جمهور المسلمين، فالخيانة التي حصلت لامرأتي نوح ولوط عليهما السلام هي في الكفر وليس في الفاحشة (الزنا) لأمور:

١-إجماع المفسرين على ذلك، قال الإمام القرطبي -رحمه الله تعالى-: وهذا إجماع من المفسرين فيما ذكر القشيري[٢]، إنما كانت خيانتهما في الدين وكانتا مشركتين[٣].

وقال الشنقيطي -رحمه الله-: "أجمع المفسرون هنا على أن الخيانة ليست زوجية"[١].

(١) الصراط المستقيم للبياضي ١٦١/٣

(٢) هو الشيخ الامام المفسر العلامة أبو نصر عبدالرحيم القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري، النحوي المتكلم، اعتنى به أبوه، وكان أحد الاذكياء، لازم إمام الحرمين، مات أبو نصر في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وخمس مئة في عشر الثمانين. انظر: سير أعلام النبلاء : (١٩/ ٤٢٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : (١٠٣/٢١).

٢-وأن هذا التفسير هو مروي عن سلف الأئمة -رحمة الله عليهم- من الصحابة والتابعين.

قال ابن عباس -رضي الله عنه -: "ما بغت امرأة نبي قط"(٢)، وسُئل -رضي الله عنه- وهو إلى جنب الكعبة عن قول الله ﴿ فَخَانَتَاهُما ﴾(٣) قال: "أما وإنه لم يكن بالزنا، ولكن كانت هذه تخبر الناس أنه مجنون"(٤).

وقال الضحاك(٥) في قوله : ﴿ فَخَانَتَاهُما ﴾(٦) قال: "كانتا كافرتين مخالفتين ولا ينبغي لامرأة تحت نبي أن تفجر"(٧).

وروى البيهقي(٨) بإسناده عن الضحاك في قول الله تعالى ﴿ فَخَانَتَاهُما ﴾(٩)، قال: إنما كانت خيانة المرأة نوح وامرأة لوط -عليهما السلام- النميمة(١٠).

---

(١) أضواء البيان للشنقيطي : (٨/٢٣٦).

(٢) الدر المنثور للسيوطي: (١٤/٥٩٦).

(٣) سورة التحريم: (١٠).

(٤) تقدم تخريجه: (٩٠).

(٥) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو محمد، وقيل أبو القاسم، صاحب التفسير، كان من أوعية العلم، وليس بالمجود لحديثه، وهو صدوق في نفسه، وثقه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وغيرهما، وحديثه في السنن لا في الصحيحين، وله باع كبير في التفسير والقصص، توفي الضحاك سنة اثنتين ومئة، وقيل غير ذلك. انظر: سير أعلام النبلاء : (٤/ ٥٩٨).

(٦) سورة التحريم: (١٠).

(٧) الدر المنثور للسيوطي: (١٤/٥٩٤).

(٨) هو الحافظ العلامة الثبت الفقيه شيخ الاسلام، أبو بكر، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، وبيهق: عدة قرى من أعمال نيسابور على يومين منها، ولد في سنة أربع وثمانين وثلاث مئة في شعبان، وبورك له في علمه، وصنف التصانيف النافعة ، وتوفي في العاشر من جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، بنيسابور، ونقل إلى بيهق، رحمه الله تعالى. انظر: سير أعلام النبلاء : (١٨/ ١٦٣) ، ووفيات الأعيان (١/ ٧٦).

(٩) سورة التحريم: (١٠).

(١٠) الجامع شعب الإيمان للإمام البيهقي : (١٣/٤٥١).

وقال عكرمة[1] -رضي الله عنه-: ﴿ فَخَانَتَاهُما ﴾[2] قال: "في الدين"[3].

٣-ولأن نساء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومات عن الوقوع في الفاحشة، ولا يجوز أن يقع الزنا في بيت نبي يوحى إليه ولا ينبهه الله تعالى عليه، فهذا محال؛ لأن الله تعالى غيور يبغض الفاحشة لعوام الناس، فكيف يرضاها في بيت رسول يختاره لتلقي وحيه ودعوة الناس إلى توحيده وإقامة دينه؟

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله: ﴿ فَخَانَتَاهُما ﴾[4] "ما زنتا، أما امرأة نوح —عليه السلام-فكانت تقول للناس : إنه مجنون، وأما امرأة لوط — عليه السلام- فكانت تدل على الضيف، فذلك خيانتهما"[5].

وقال رضي الله عنه فيما أخرجه ابن أبي حاتم: "إن نساء الأنبياء لا يزنين"[6].

وقال -رضي الله عنه- : "نساء الأنبياء معصومات، ولكنها خيانة دينية بعدم إسلامهن وإخبار أقوامهن بمن يؤمن مع أزواجهن" [7].

وقال ابن كثير -رحمه الله-:"فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء" [1].

---

(١) هو الحافظ المفسر أبو عبد الله القرشي، مولاهم المدني البربري الاصل و كان لحصين بن أبي أبي الحر العنبري، فوهبه لابن عباس رضي الله عنهما، قال الثوري: خذوا التفسير عن أربعة: عن سعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك، وتوفي عكرمة في سنة سبع ومائة، والله أعلم. انظر: سير أعلام النبلاء : (٥/ ١٢) ، ووفيات الأعيان : (٣/٢٦٥-٢٦٦).

(٢) سورة التحريم: (١٠).

(٣) الدر المنثور للسيوطي: (١٤/٥٩٤).

(٤) سورة التحريم: (١٠).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك : (٢/٥٣٨) عن ابن عباس، حديث رقم : (٣٨٣٣/٩٧٠). (٣٨٣٣/٩٧٠).

(٦) تفسير ابن أبي حاتم: (٦/٢٠٤٠)، وانظر: الدر المنثور للسيوطي : (٨/٧٧).

(٧) أضواء البيان للشنقيطي : (٨/٢٣٦).

٤-لو كان المقصود بالخيانة في الآية الفاحشة أو الزنا، لما قرن الله تعالى ذلك بامرأة لوط عليه السلام، مع أن خيانة امرأة لوط عليه السلام هي أنها كانت تدل قومها على الأضياف، لأن قوم لوط عليه السلام كانوا يأتون الذكران، ولم تكن معصيتهم الفاحشة أو الزنا بالنساء، وهي -امرأة لوط عليه السلام- لم تكن أتت الفاحشة، بل كانت تعينهم على المعصية وترضى عملهم، وهذه خيانتها.

قال ابن تيمية -رحمه الله-: "وخيانة امرأة لوط عليه السلام أيضا كانت في الدين فإنها كانت تدل قومها على الأضياف وقومها كانوا يأتون الذكران لم تكن معصيتهم الزنا بالنساء حتى يظن أنها أتت فاحشة بل كانت تعينهم على المعصية وترضى عملهم" [(٢)].

٥-إن من الشروط التي يجب عقلا توافرها في الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام الفطنة والذكاء، والذي يقع الزنا في أهله وهو لا يشعر بذلك، يكون بالغ النهاية في الغفلة والبلاهة، ولا يجوز أن يكون أحد من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام مغفلا ، إذ الغفلة مذمومة لعموم الصالحين، فكيف بأنبياء الله تعالى ورسله الذين اصطفاهم.

٦-إن كفر المرأة لا يلحق زوجها عار بسببه، لأنه ينشأ من عناد في الرأي أو اعتداد به أو تقليد للآباء والأجداد، ولكن زناها عار يشينها ويشين أهلها، لأنه ينشأ عن اغتلام الشهوة ودناءة الهمة وسوء التربية، ولهذا لما جاءت هند[(٣)]

---

(١) تفسير القرآن العظيم : (١٧١/٨).

(٢) منهاج السنة النبوية : (١٩١/٤).

(٣) هي هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، العبشمية القرشية، أم معاوية بن أبي سفيان من النسوة اللائي بايعن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أسلمت يوم فتح مكة، وشهدت اليرموك، وقدمت على ابنها معاوية في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتوفيت في خلافة عمر بن الخطاب في اليوم الذي مات فيه أبو قحافة والد أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد : (٨/ ٢٣٥)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب : (٤/ ١٩٢٣)، تاريخ دمشق : (١٦٦/٧٠).

زوجة أبي سفيان لتدخل الإسلام، وعرض عليها النبي صلى الله عليه وسلم منها ولا تزني، قالت : أو تزني الحرة ؟[1]، فمن ثم جاز أن تكون زوج النبي كافرة، ولم يجز أبدا بحال أن تكون زانية.

قال ابن تيمية –رحمه الله– :

"وأما البغايا فليس في الأنبياء ولا الصالحين من تزوج بغيا لأن البغاء يفسد فراشه، ولهذا أبيح للمسلم أن يتزوج الكتابية اليهودية والنصرانية إذا كان محصنا غير مسافح ولا متخذ خدن، فعلم أن تزوج الكافرة قد يجوز وتزوج البغي لا يجوز ؛ لأن ضرر دينها لا يتعدى إليه، وأما ضرر بغائها فيتعدى إليه، والله أعلم" [2].

٧-لو ثبت عليهما (امرأة نوح ولوط عليهما السلام) فاحشة الزنا، لأسرع قومهما إلى تعييرهما به والتشنيع عليهما، ولكنهم لم يعرجوا على ذلك بحال، لأن الزنا نقيصة عند كل أحد.

قال الزمخشري في تفسيره:

"ولا يجوز أن يراد بالخيانة الفجور لأنه سمج في الطباع نقيصة عند كل أحد"[3].

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده : (١٩٤/٨) حديث رقم (٤٧٥٤) ، وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد : (٤٢/٦) حديث رقم (٩٨٦٢) وقال : رواه أبو يعلى، وفيه من لم أعرفهن، ويشهد له حديث أميمة بنت رقيقة عند الترمذي في السنن، كتاب السير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في بيعة النساء، حديث رقم (١٥٩٧) وقال : هذا حديث صحيح لا نعرفه إلا من حديث محمد بن المنكدر، والنسائي في كتاب البيعة، باب بيعة النساء، حديث رقم (٤١٨١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة : (٦٤/٢) حديث رقم (٥٢٩).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية : (٣٢/ ١٤٦).

(٣) الكشاف للزمخشري : (١٦٤/٦).

٨-قال الشيخ الأمين في الأضواء: "وقد يستأنس لقول ابن عباس -رضي الله عنه- هذا بتحريم التزويج من نساء النبي صلى الله عليه وسلم بعده، والتعليل له بأن ذلك يؤذيه، كما في قول الله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾[١]، فإذا كان تساؤلهن بدون حجاب يؤذيه، والزواج بهن من بعده عند الله عظيم ، فكيف إذا كان غير التساؤل وبغير الزواج؟ إن مكان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أعظم من ذلك"[٢].

وقد جاء تشديد علماء أهل السنة النكير على هؤلاء الذين قالوا بهذه المقولة، ولا سيما ما يتعلق بأمنا أم المؤمنين عائشة الصديقة -رضي الله عنها وعن أبيها-، لأن هؤلاء الرافضة ما يريدون بهذه المقولة الباطلة إلا الوقوع في عرض أم المؤمنين -عائشة وحفصة رضي الله عنهما- وعن أبيهما أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ومن ثم الوقوع في عرض رسول الهدى صلى الله عليه وسلم.

فقد جاء عن الإمام أبي حنيفة -رحمه الله-قوله: "وعائشة -بعد خديجة الكبرى- رضي الله عنهما- أفضل نساء العالمين وهي أم المؤمنين بريئة من الذنب طاهرة من الزنا، فمن شهد عليها بالزنا فهو ولد الزنا" [٣].

وقال الإمام مالك - رحمه الله-: "من سب عائشة قُتِل، قيل له: لِمَ يُقتل في عائشة؟ قال : لأن الله تعالى يقول في عائشة ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٤]، فمن رماها فقد خالف القرآن، ومن خالف القرآن قتل"[٥].

---

(١) سورة الأحزاب: (٥٣).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي: (٨/٢٣٦).

(٣) رسالة في الرد على الرافضة لأبي حامد محمد المقدسي: (ص:٣١٣).

(٤) سورة النور: (١٧).

(٥) المحلى بالآثار لابن حزم الأندلسي: (١٢/٤٤٠).

وقال أبو بكر الدمياطي الشافعي[1] -رحمه الله-: "قاذف عائشة كافر، فلا تقبل شهادته لأنه كذب الله تعالى في أنها محصنة"[2].

قال ابن تيمية -رحمه الله-: "ومن رمى عائشة رضي الله عنها بما برأها الله تعالى منه فقد مرق من الدين"[3].

وقال ابن حجر الهيتمي[4] بعد ما ذكر حديث الإفك:

"علم من حديث الإفك المشار إليه أن من نسب عائشة إلى الزنا كان كافرا وهو ما صرح به أئمتنا وغيرهم لأن في ذلك تكذيب النصوص القرآنية ومكذبها كافر بإجماع المسلمين وبه يعلم القطع بكفر كثيرين من غلاة الروافض لأنهم ينسبونها إلى ذلك قاتلهم الله أنى يؤفكون"[5].

وقال الشيخ محمد بن سليمان التميمي[6] -رحمه الله- عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-: "والحاصل أن قذفها كيفما كان يوجب تكذيب الله تعالى في إخباره عن تبرأتها عما يقول القاذف فيها.

---

(١) هو عثمان تبن محمد شطا الدمياط الشافعي أبو بكر البكري، فقيه متصوف مصري استقر بمكة، وولد بكة سنة ١٢٦٦هـ، له كتب، منها: إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين في فقه الشافعية، والدرر البهية فما يلزم المكلف من العلوم الشرعية، والقول المبرم في المواريث، وغير ذلك كثير، توفي سنة ١٣٠٢هـ، انظر: الأعلام : (٤/ ٢١٤).

(٢) إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين، لأبي بكر الدمياطي المكي الشافعي : (٤/٢٩٠).

(٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم، لابن تيمية : (١/٥٦٨).

(٤) هو أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الاسلام، أبو العباس: فقيه باحث مصري، مولده في محلة أبي الهيتم (من إقليم الغربية بمصر) وإليها نسبته، والسعدي نسبة إلى بني سعد من عرب الشرقية (بمصر) تلقى العلم في الأزهر، ومات بمكة سنة ٩٧٤هـ، له تصانيف كثيرة،. انظر: شذرات الذهب للعكري : (٨/٣٧٠).

(٥) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة : (١/١٩٣).

(٦) هو محمد بن عبد الوهاب سليمان بن علي بن محمد بن احمد بن راشد بن بريد بن محمد بن =

-ثم نقل قول بعض أهل البيت في ذلك- : وأما قذفها الآن فهو كفر وارتداد ولا يكتفى فيه بالجلد لأنه تكذيب لسبع عشرة آية من كتاب الله كما مر فيقتل ردة... ومن يقذف الطاهرة الطيبة أم المؤمنين زوجة رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة كما صح ذلك عنه فهو من ضرب عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين"[1].

قال أبو السائب القاضي[2] -رحمه الله-:

"كنت يوما بحضرة الحسن بن زيد الداعي بطبرستان وكان يلبس الصوف ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويوجه في كل سنة بعشرين ألف دينار إلى مدينة السلام يفرق على سائر ولد الصحابة وكان بحضرته رجل ذكر عائشة بذكر قبيح من الفاحشة فقال: "يا غلام اضرب عنقه" فقال له: العلويون: هذا رجل من شيعتنا فقال: "معاذ الله هذا رجل طعن على النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[3] فإن كانت عائشة خبيثة فالنبي خبيث فهو كافر فاضربوا عنقه" فضربوا عنقه وأنا حاضر رواه اللالكائي"[4].

محمد بن مشرف بن عمر بن معضاد بن ريس التميمي، ظهر في أثناء القرن الثاني عشر بنجد فدعا إلى توحيد الله بالعمل والعبادة، ولد-رحمه الله- في بلد العيينة من بلدان العارض بنجد سنة خمس عشرة ومائة، وتوفي في ست ومائتين وألف من الهجرة، انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم: (١/ ٩)، وعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لصالح عبود : (ص:١٤٦).

(١) رسالة في الرد على الرافضة للشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي : (ص: ٢٤-٢٥).

(٢) هو عتبة بن عبيد الله بن موسى بن عبيد الله الهمذاني الشافعي، قاضي القضاة، أبو السائب، ولي القضاء، ثم قدم بغداد، وتوصل، وازدادت عظمته، وقلد قضاء العراق في سنة ثمان وثلاثين، فهو أول شافعي ولي قضاء بغداد، عاش ستا وثمانين سنة، مات في ربيع الآخر سنة إحدى وخمسين وثلاث مئة. انظر: سير أعلام النبلاء : (١٦/ ٤٧).

(٣) سورة النور : (٢٦).

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة: (١٣٤٥/٧)، =

وغير ذلك من كلام أهل العلم، في التشديد على من رمى أمهات المؤمنين بالفاحشة.

وانظر: الصارم المسلول على شاتم الرسول : (١/٥٦٦).

الفصل الثاني : أبناء نوح عليه السلام

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : أبناء نوح عليه السلام قبل الطوفان.

المبحث الثاني : أبناء نوح عليه السلام بعد الطوفان ووصيته لأبنائه.

المبحث الثالث : علاقة أبناء نوح عليه السلام بأصل البشرية.

المبحث الرابع : ما ذكر من لعن نوح عليه السلام لبعض أبنائه وأثر ذلك.

المبحث الأول : أبناء نوح عليه السلام قبل الطوفان.

المطلب الأول : حادثة الطوفان والرد على منكريها.

إن الطوفان الذي حدث في زمن نوح عليه السلام حدث هائل ، أغرق قوم نوح عليه السلام بأسرهم ولم ينج سوى نوح عليه السلام وبعض أهله وقلة ومن آمن به وأزواج من الحيوانات، وهذا الطوفان هو أول وأعظم حدث في حياة البشرية، وكان أمرا قضاه رب العالمين عقابا منه للأشرار وجزاء منه للأخيار، فبذلك الطوفان المرهب أغرق الله قوم نوح عليه السلام الذين كفروا بنوح عليه السلام ورسالته ونجى الله من آمن به واتبعه عليه السلام.

وقد أخبرنا الله عز وجل عن قصة طوفان نوح عليه السلام في مواضع عدة من القرآن الكريم مفصلة وموجزة.

فمما جاء مفصلا ما ذكره الله عز وجل في سورة هود حيث قال تبارك وتعالى ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ۞وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ

مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1].

وأما ما جاء ذكره موجزا ففي قول الله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾[4] وغيرها من الآيات.

ويستأنس بما جاء في التوراة في قصة الطوفان، ومن ذلك : "**فقال الله لنوح : نهاية كل البشر قد أتت أمامي لأن الأرض امتلأت ظلما منهم فها أنا مهلكهم مع الأرض، اصنع لنفسك فلكا من خشب جفر تجعل الفلك مساكن وتطليه من**

---

(١) سورة هود، : (٣٧-٤٩).

(٢) سورة الأعراف : (٦٤).

(٣) سورة يونس : (٧٣).

(٤) سورة المؤمنون : (٢٧-٣٠).

داخل ومن خارج بالقار...فها أنا آت بطوفان الماء على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء كل ما في الأرض يموت"[١]...إلى آخر القصة التي وردت في التوراة.

إلا إنا نجد في التوراة تفصيلات لهذه القصة لا نجدها في القرآن، وهذه التفاصيل قد تخالف حقيقة هذه القصة وواقعها، إلا أن الشاهد هو أن التوراة قد أثبتت أصل قصة وقوع الطوفان الذي حصل زمن نوح عليه السلام.

وقد أنكر بعض الطوائف هذه القصة مع شهرتها وعدم خفاء آثارها وانتشار خبرها بين الأمم كالفرس[٢] والمجوس[٣] وأهل الهند، وقالوا أنهم لا يزالون يتوارثون الملك كابرا عن كابر من لدن كيومرث –يعنون به آدم عليه السلام– إلى زماننا هذا.

قال أبو الريحان البيروني[٤]: "والفرس والمجوس تنكر الطوفان، وأقرّ به بعض الفرس لكنهم قالوا: كان بالشام والمغرب منه شيء في زمان طمهورث [٥] ولكنه لم يعمّ العمران كله، ولم يتجاوز عقبة حلوان، ولم يبل ممالك الشرق، وأن أهل المغرب لما أنذر به حكماؤهم

(١) سفر التكوين، الإصحاح السادس، العدد : ١٣-٢٢، والإصحاح السابع ، العدد : ١-٢٢.

(٢) يطلق لفظ الفرس على من سكن بلاد فارس، وهي إيران حاليا، ويتكلمون باللغة الفارسية.

(٣) المجوس كلمة فارسية تطلق على أتباع الديانة المجوسية، وهم القائلون بأن الله تعالى خالق الخير وهو النور، وخرجت الظلمة من النور، ويعبدون النار، ويسجدون للشمس إذا طلعت، انظر: الملل والنحل للشهرستاني : (١/٢٣٢).

(٤) هو محمد بن أحمد، أبو الريحان البيروني الخوارزمي: فيلسوف رياضي مؤرخ، من أهل خوارزم، أقام في الهند بضع سنين، ومات في بلده، وصنف كتبا كثيرة جدا منها الآثار الباقية عن القرون الخالية، توفي سنة ٤٤٠هـ . انظر: الأعلام للزركلي : (٥/ ٣١٤).

(٥) وهو كان من أحد ملوك الفرس في الطبقة الأولى، ويقال لهم الفيشداذية، لأنه كان يقال لكل واحد منهم فيشداذ، ومعنى هذه اللفظة أول سيرة العدل، وعدد الفيشداذية تسعة وهم : أو شهنج وطمهورث وجمشيذ وبيوراسف وهو الضحاك – وأفريذون بن أثقيان ومنوجهر وفراسياب وزو وكرشاسف، انظر: تاريخ أبي الفداء: (١/ ٥٠).

بنوا أبنية كالهرمين بمصر ليدخلوها عند الآفة، وإن آثار دماء الطوفان وتأثيرات الأمواج كانت بينة على أنصاف الهرمين لم تتجاوزهما، انتهى" [١].

وقال القلقشندي[٢]: "وأن الطوفان عم جميع الأرض ولا عبرة بما يذهب إليه الفرس من إنكار الطوفان"[٣] .

وقال ابن كثير –رحمه الله– : "وقد أنكرت طائفة من جهلة الفرس وأهل الهند وقوع الطوفان واعترف به آخرون منهم وقالوا إنما كان بأرض بابل ولم يصل إلينا"[٤] .

والرد على هؤلاء الذين ينكرون طوفان نوح عليه السلام من وجوه، منها :

١-أن الطوفان الذي حصل زمن نوح عليه السلام من التي لا يجهلها أحد لشهرته، وقد ذكر القرآن الكريم حدوثه وقصته في غير موضع كما سبق ذكره.

٢-إجماع أهل الأديان على حصول الطوفان زمن نوح عليه السلام.

كما نقل ذلك ابن كثير –رحمه الله– في البداية والنهاية حيث قال : "وقد أجمع أهل الأديان الناقلون عن رسل الرحمن مع ما تواتر عند الناس في سائر الأزمان على وقوع الطوفان وأنه عم جميع البلاد ولم يبق الله أحدا من كفرة العباد استجابة لدعوة نبيه المؤيد المعصوم وتنفيذا لما سبق في القدر المحتوم"[٥].

---

(١) المواعظ والاعتبار للمقريزي: (١/٣٣٤).

(٢) هو أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري، المؤرخ الأديب البحاثة، ولد في قلقشندة، ونشأ وناب في الحكم وتوفي في القاهرة سنة ٨٢١هـ ، وهو من دار علم. انظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (٣/ ٦٣)، السلوك لمعرفة دول الملوك : (٣/٨٦).

(٣) نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب : (ص: ٢٤).

(٤) البداية والنهاية : (١/ ٢٧٥).

(٥) البداية والنهاية : (١/ ٢٧٥).

.(٢٧٥

٣-ذكر الطوفان في التوراة -رغم ما وقع في القصة من التحريف والتبديل- ، إلا أن أصل القصة ثابت فيها.

٤-أن هذا الإنكار الذي حصل عن جملة المجوس عباد النيران وأتباع الشيطان هو تكذيب للمحسوسات، قال ابن كثير -رحمه الله- : "وهذا قاله من قاله من زنادقة المجوس عباد النيران وأتباع الشيطان، وهذه سفسطة منهم وكفر فظيع وجهل بليغ ومكابرة للمحسوسات وتكذيب لرب الارض والسموات"[١].

٥-فإن الله عز وجل ترك لهذه الحادثة العظيمة آثارا حتى يتعظ بها من جاء بعدهم كي لا يقعوا في مثل ما وقع فيه قوم نوح عليه السلام، قال الله تعالى ﴿ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[٢] ، ومن تلك الآثار البينة الظاهرة سفينة نوح عليه السلام التي نجى بسببها نوح عليه السلام ومن آمن معه.

قال قتادة: "قد أبقى الله سفينة نوح عليه السلام على الجودي من أرض الجزيرة عبرة وآية حتى رآها أوائل هذه الأمة، وكم من سفينة قد كانت بعدها فهلكت، وصارت رمادا"[٣].

إلا أن العلماء رحمهم الله اختلفوا في قضية عمومية الطوفان، هل الطوفان عم جميع الأرض أم هو خاص بقوم نوح عليه السلام؟

وذهب كثير من العلماء إلى أن طوفان زمن نوح عليه السلام عم جميع الأرض، ولم ينج من البشر ولا من الحيوانات إلا من حمله نوح عليه السلام معه في السفينة، كما يدل عليه صريح القرآن الكريم، و أن الأرض إنما عمرت بعد ذلك من نسل ذرية نوح عليه السلام فقط، وأن حادث الطوفان ما كان إلا عن مثل زلازل تفجرت بها مياه

---

(١) البداية والنهاية : (١/ ٢٧٥).

(٢) سورة القمر: (١٥).

(٣) رواه البخاري معلقا في كتاب التفسير، مع الفتح: ٦٥٦/١٠)، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٣٢٣/٤-٣٢٤)، والدر المنثور للسيوطي: (٧٧/١٤).

الأرض وأمطار جمة تلتقي سيولها مع مياه العيون فتختلط وتجتمع وتصب في الماء الذي كان قبلها حتى عم الماء جميع الأرض التي أراد الله إغراق أهلها [1].

قال الله تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ [2].

وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [3].

وقال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ [4].

وقال ابن كثير –رحمه الله في قول الله تعالى ﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ ﴾ [5] أي: "السفينة سائرة بهم على وجه الماء، الذي قد طبق جميع الأرض، حتى طفت على رؤوس الجبال" [6].

وقال في موضع آخر : "وعم جميع الارض طولها والعرض، سهلها وحزنها، وجبالها وقفارها ورمالها، ولم يبق على وجه الارض ممن كان بها من الاحياء عين تطرف، ولا صغير ولا كبير" [7].

وقال ابن حجر –رحمه الله–:

---

(١) التحرير والتنوير : (١٢/٧٥).

(٢) سورة الشعراء : (١١٩- ١٢٠).

(٣) سورة هود : (٤٠).

(٤) سورة يونس : (٧٣).

(٥) سورة هود :(٤٢).

(٦) تفسير ابن كثير : (٤/٣٢٣) ، وانظر: نهاية الأرب : (ص:٢٤).

(٧) قصص الأنبياء : (١/ ١٠٢).

.(١٠٢

"فلم يبق بعد الطوفان إلا ذرية نوح وهو من نسل شيث، قال الله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾[1]، وكان معه في السفينة ثمانون نفسا وهم المشار إليهم بقوله تعالى ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[2]، ومع ذلك فما بقي إلا نسل نوح فتوالدوا حتى ملؤا الأرض"[3].

وقال ابن عاشور [4] -رحمه الله-:

"وعموم الطوفان هو مقتضى ظواهر الكتاب والسنة، ومن قالوا إن الطوفان لم يعم الأرض فإنما أقدموا على إنكاره من جهة قصر المدة التي حددت بها كتب الإسرائيليين، وليس يلزم الاطمئنان لها في ضبط عمر الأرض وأحداثها وذلك ليس من القواطع، ويكون القصر إضافيا أي لم يبق من قومه الذين أرسل إليهم.

وقد يقال: نسلم أن الطوفان لم يعم الأرض ولكنه عم البشر لأنهم كانوا منحصرين في البلاد التي أصابها الطوفان ولئن كانت أدلة عموم الطوفان غير قطعية فإن مستندات الذين أنكروه غير ناهضة فلا تُترك ظواهر الأخبار لأجلها"[5].

وهذا قد يتفق مع ما جاء في التوراة وإن كانت لا يعتمد عليها، كما جاء في سفر التكوين : "**وتعاظمت المياه كثيرة جدا على الأرض، فتغطت جميع الجبال الشامخة**

---

(١) سورة الصفات: (٧٧).

(٢) سورة هود : (٤٠).

(٣) فتح الباري: (١٢/ ١٩٣)

١٩٣)

(٤) هو محمد الطاهر بن عاشور رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه عاشور رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، مولده ووفاته ودراسته بها، عين (عام ١٩٣٢) شيخا للإسلام مالكيا، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، له مصنفات مطبوعة، من أشهرها التحرير والتنوير في تفسير القرآن، وغير ذلك، توفي سنة ١٣٩٣هـ . انظر: الأعلام للزركلي : (٦/ ١٧٤).

(٥) التحرير والتنوير : (٢٣/ ١٣١-١٣٢).

٢٣/ ١٣١-١٣٢).

التي تحت كل سماء، خمس عشر ذراعا في الارتفاع تعاظمت المياه، فتغطت الجبال. فمات كل ذي جسد كان يدب على الأرض وجميع الناس. كل ما في أنفه نسمة روح حياة من كل ما في اليابسة مات. فمحا الله كل قائم كان على وجه الأرض : الناس والبهائم والدبابات وطيور السماء. فانمحت من الأرض. وتبقى نوح والذين معه في الفلك فقط"[1].

(١) سفر التكوين، الإصحاح السابع ، العدد : ١٩-٢٣.

المطلب الثاني : ابن نوح عليه السلام و الطوفان.

إن نبي الله تعالى نوحا عليه السلام كان له ابن لم يؤمن به، ولذلك لم يركب معه السفينة التي صنعها لينجي الله فيها المؤمنين، ولكن لم يتعرض القرآن الكريم لشخصية هذا الابن ولا ذكر اسمه ولا اسم أمه ولا أي شيء يتعلق به إلا وصف البنوة، إلا أن المفسرين تعرضوا لذكر اسمه، منهم من قال إن اسمه يام، ومنهم من قال إن اسمه كنعان.

قال ابن عاشور –رحمه الله-:

"وابن نوح هذا هو ابن رابع في أبنائه من زوج ثانية لنوح كان اسمها "واعلة" غرقت، وأنها المذكورة في آخر سورة التحريم، قيل كان اسم ابنه "ياما" وقيل اسمه: "كنعان" وهو غير كنعان بن حام جد الكنعانيين. وقد أهملت التوراة الموجودة الآن ذكر هذا الابن وقضية غرقه وهل كان ذا زوجة أو كان عزبا[1]، وليس هناك طريق صحيح عن معصوم يثبت أحدهما دون الآخر، والخلاف في اسمه لا يزيد ولا ينقص شيئا من القصة.

ثم اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في ابن نوح عليه السلام، هل هو ابنه حقيقة أم لا؟

وجمهور المفسرين رحمهم الله وعلى رأسهم ابن عباس رضي الله عنه، وقتادة، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك، وتبعهم ابن جرير والرازي وابن كثير وغيرهم قالوا: إنه ابنه حقيقة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "هو ابنه غير أنه خالفه في النية والعمل"[2].

وقيل لسعيد بن جبير، يقول نوح : ﴿ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي ﴾[1] أكان من أهله ؟ أكان ابنه؟ فسبح الله طويلا ثم قال: "لا اله إلا الله! يحدث الله محمدا صلى الله عليه وسلم أنه

---

(١) التحرير والتنوير : (٧٥/١٢).

(٢) جامع البيان للطبري : (٣٤٣/١٥)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي: (٨/ ٦٨) ، وانظر: تفسير القرآن العظيم : (٣٢٦/٤)، قصص الأنبياء (١/ ١٠٢)، وانظر: إمتاع الأسماع للمقريزي: (٥/ ٣٩٩).

ابنه ، وتقول إنه ليس ابنه! نعم كان ابنه ؛ ولكن كان مخالفا في النية والعمل والدين ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ ﴾"[2][3].

وقال عكرمة: "أشهد أنه ابنه، قال الله تعالى ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ ﴾"[4] [5].

وسأل رجل الضحاك عن ابن نوح عليه السلام ، فقال: "ألا تعجبون إلى هذا الأحمق! يسألني عن ابن نوح عليه السلام، وهو ابن نوح عليه السلام كما قال الله ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ ﴾[6]، وقال : هو والله ابنه لصُلْبه"[7].

وقال ابن جرير الطبري: "وكان ابنه لأن الله تعالى ذكره قد أخبر نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم أنه ابنه فقال: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ ﴾[8]، وغير جائز أن يخبر أنه ابنه فيكون بخلاف ما أخبر"[9].

ويستفاد من هذه الروايات أن الابن المضاف في الآية هو ابن الحقيقي لنوح عليه السلام، ولا يمكن غير ذلك، لأن أعراض الأنبياء محفوظة ومعصومة بحفظ الله تعال لهم لمقامهم النبوة الشريفة، ومما يستأنس به حديث البخاري –رحمه الله– في خبر هرقل الطويل لما قال هرقل يسأل أبا سفيان : كيف نسبه فيكم؟ قال: هو فينا ذو نسب،

---

(١) سورة هود : (٤٥).

(٢) سورة هود : (٤٦).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : (١٣٥/١١)، وانظر: جامع البيان للطبري : (١٥/ ٣٤٣)، وانظر: تفسير القرآن العظيم : (٣٢٧/٤)، والذي سأله هو عمار الدهني، قاله ابن عيينة.

(٤) سورة هود : (٤٢).

(٥) جامع البيان للطبري : (١٥/ ٣٤٤).

(٦) سورة هود : (٤٢).

(٧) جامع البيان للطبري : (١٥/ ٣٤٥).

(٨) سورة هود : (٤٣).

(٩) جامع البيان للطبري : (١٥/ ٣٤٦) ، وانظر: مفاتيح الغيب للرازي : (٢٤٠/١٧).

قال : فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها[1]، فيستفاد من هذا أن نسب الأنبياء محفوظ شريف لا يدنس.

وهذا الابن كان ممن سبق عليه القول، كما سبق ذكره، وأعرض عن أبيه، ويظهر هذا الإعراض من ابن نوح عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعۡصِمُنِى مِنَ ٱلۡمَآءِ ﴾[2]، ويعني بذلك أنه لن يركب مع أبيه والمؤمنين في السفينة، وسيصير إلى جبل يتحصن به ويحفظه بارتفاعه من الماء، وحينئذ يكون الجبل مانعا له من الغرق، اعتقد بجهله أن الطوفان لا يبلغ إلى رءوس الجبال، وأنه لو تعلق في رأس جبل لنجاه ذلك من الغرق[3].

وقال الرازي[4]: "وهذا يدل على أن الابن كان متماديا في الكفر مصرا عليه مكذبا لأبيه فيما أخبر عنه فعند هذا قال نوح عليه السلام : ﴿ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾"[5][6].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام والنبوة، حديث رقم : (٢٩٤١) ، مع فتح الباري : (٢٠٦/٧).

(٢) سورة هود : (٤٣).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم : (٣٢٣/٤).
العظيم : (٣٢٣/٤).

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري الطبرستاني بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري الطبرستاني الأصل الرازي المولد، الملقب فخر الدين، المعروف بابن الخطيب، الفقيه الشافعي، فريد عصره ونسيج وحده، وكانت ولادة فخر الدين في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة أربع وأربعين بالري، وتوفي يوم الاثنين، سنة ست وستمائة بمدينة هراة. انظر: وفيات الأعيان: (٤/ ٢٤٨-٢٥٢).

(٥) سورة هود : (٤٢).

(٦) مفاتيح الغيب للرازي : (١٧/ ٢٤١).
(١٧/ ٢٤١).

فكان ابن نوح عليه السلام ممن أهلكه الله تعالى بالغرق من قوم نوح عليه السلام، وكان كافرا عمل عملا غير صالح، فخالف أباه في دينه ومذهبه، فهلك مع من هلك[1] وكان من المغرقين.

(١) انظر: قصص الأنبياء: (١/ ١٠٥).

المطلب الثالث : إنكار إغراق ابن نوح عليه السلام.

المسألة الأولى : إنكار اليهود إغراق ابن نوح عليه السلام.

لم تذكر التوراة مجاهدة ومحاولة نوح عليه السلام لأحد أبنائه ليؤمن بالله وبرسالته وليدخل معه السفينة وما جرى له من الأحداث، ولكنها تذكر بدلا منها رواية أخرى وهي ذكر أحد أبنائه حام وما حصل لأبناء حام من اللعنة بسبب ما فعله حام – بزعمهم- كما سيأتي ذكره في مبحث مستقل، بل لم تذكر أصلا أن لنوح عليه السلام- ابنا لم يؤمن به وبرسالته وأنه من ضمن هؤلاء الكفرة الذين أغرقهم الله جميعا، وذكرت له عليه السلام ثلاثة أبناء.

جاء في التوراة : "**وكان نوح ابن خمس مائة سنة، وولد نوح ساما وحاما ويافث**"[١]

وفيها : "**وولد نوح ثلاثة بنين، ساما وحاما ويافث**"[٢]

وكل هؤلاء الثلاثة هم الذين كانوا مع نوح عليه السلام حتى بعد حدوث الطوفان، ولم يكن منهم ممن أغرقهم الله تعالى في الطوفان كما ذكره القرآن الكريم، وقد أهملت التوراة الموجودة الآن ذكر هذا الابن وقضية غرقه وهل كان ذا زوجة أو كان عزبا[٣].

وقال بعض من كتب عن التوراة: "ولا تشير التوراة إلى هؤلاء (الذين آمنوا بنوح)من بين ركاب السفينة...على حسب الرواية الكهنوتية : نوح وأسرته دون أي استثناء وزوج من كل نوع"[٤].

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح الخامس، العدد : ٣٢.

(٢) سفر التكوين، الإصحاح السادس، العدد : ١٠.

(٣) انظر: التحرير والتنوير : (٧٥/١٢).

(٤) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم : (ص:٢٤٧).

المسألة الثانية : إنكار الشيعة إغراق ابن نوح عليه السلام.

الرافضة من ضمن الفرق التي خالفت أهل السنة والجماعة في كثير من المسائل، ومن ذلك مسألة ابن نوح عليه السلام، فإن الله تعالى أخبر في كتابه العزيز أن ابن نوح عليه السلام كان كافرا، ولم يكن معه في الإيمان وكان من المغرقين وإن كان أبوه نبيا، لأن مجرد النسب لا يجدي عند الله شيئا، وأنه لا رابطة بين أحدٍ كائناً من كان إلا رابطة الإيمان والتوحيد، ولأن الكفر قطعَ الموالاة بين المؤمنين والكافرين، والذين خالفوا هذا الظاهر إنما خالفوه لأنهم استبعدوا أن يكون ولد الرسول المعصوم كافرا ، وهذا بعيد ، فإنه ثبت أن والد رسولنا صلى اللَّه عليه وسلم كان كافرا ، ووالد إبراهيم عليه السلام كان كافرا بنص القرآن كما سيأتي ذكره.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى– ذلك فقال:

"ومن جهل الرافضة أنهم يعظمون أنساب الأنبياء اباءهم وأبناءهم...فلا يكون في مجرد النسب فضيلة وهذا مما يدفعون به أن ابن نوح كان كافرا لكونه ابن نبي فلا يجعلونه كافرا مع كونه ابنه"[1].

والرافضة يفسرون قول الله تعالى ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ ﴾[2] بأنه ليس ابن نوح عليه السلام ولكنه ابن غيره، وقد أورد الشيخ إحسان إلهي ظهير في كتابه الشيعة والقرآن من تفاسير هؤلاء الشيعة الرافضة، فذكر —رحمه الله– :

عن بكر بن محمد وغيره رفعوه إلى أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ ﴾[3] ابنها وهي لغة طي يعني ابن امرأته.

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية : (٤/ ١٩٢).

(٢) سورة هود : (٤٣).

(٣) سورة هود : (٤٣).

و عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ ﴾[1] "إنما هو ابنه من زوجته على لغة طي، يقولون لابن المرأة ابنه".

وقال العياشي: عن موسى عن العلا بن سبابة في قول الله تعالى: ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ ﴾[2] قال: "ليس بابنه إنما هو ابن امرأته وهو لغة طي يقولون لابن المرأة ابنه".

وقال الطبرسي: وروي عن علي بن أبي طالب وأبي جعفر محمد بن علي وجعفر بن محمد عليهم السلام وعروة بن الزبير ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ ﴾[3].

وقال العياشي عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام وقال: ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ ﴾[4] قال: "إنما في لغة طي ابنه بنصب الألف يعني ابن امرأته".

وقال الحميري في (قرب الإسناد) عن أحمد بن إسحاق بن سعد عن بكر بن محمد الأزدي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: "﴿ وَنَادَى نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ ﴾[5] أي ابنها وهي لغة طي".

وقال السياري: عن محمد بن علي عن عبد الرحمن بن أبي حماد عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي عبد الله عليه السلام: "﴿ وَنَادَى نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ ﴾[6] وكان ابن امرأته بلغة طي".

هذا والعجب ما في (الكاشف) حيث قال: وقرأ علي عليه السلام ابنها، والضمير لامرأته، وقرأ محمد بن علي عليهما السلام وعروة بن الزبير: ابنه، بفتح الهاء والضمير لامرأته، وقرأ محمد بن علي عليهما السلام وعروة بن الزبير: ابنه، بفتح الهاء يريد أن

---

(١) سورة هود : (٤٣).
(٢) سورة هود : (٤٣).
(٣) سورة هود : (٤٣).
(٤) سورة هود : (٤٣).
(٥) سورة هود : (٤٣).
(٦) سورة هود : (٤٣).

ابنها فاكتفيا بالفتحة عن الألف، وبه ينصر مذهب الحسن، قال قتادة: سألته فقال والله ما كان ابنه، فقلت: إن الله تعالى حكى عنه إن ابني من أهلي وأنت تقول لم يكن ابنه، وأهل الكتاب لا يختلفون في أنه كان ابنه، فقال: ومن يأخذ دينه من أهل الكتاب؟" [1].

وأما أهل السنة فعندهم أنه ما بغت امرأة نبي قط[2] وأن ابن نوح عليه السلام كان ابنه، كما قال تعالى وهو أصدق القائلين ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ ﴾[3]، وكما قال نوح عليه السلام ﴿ يَـٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا ﴾[4]، وقال عليه السلام ﴿ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى ﴾[5]، فالله ورسوله يقولان إنه ابنه وهؤلاء الكذابون المفترون المؤذون للأنبياء يقولون إنه ليس ابنه [6].

وما يجرهم أن يقولوا هذه المقالة إلا لأنهم يعظمون بعض قرابات الأنبياء من تلقاء أنفسهم مجرد عن الدليل ويُهينون الآخر عن شهوة وشبهة، فإذا كان الأمر كذلك فلا قيمة لديهم كلام الله تعالى وهو كذلك، وأن الله تعالى أخبر أن ابن نوح عليه السلام هو ابنه حقيقة الذي غرق، وأنهم يقولون سوى ذلك، فهذا يدل على أنهم ينكرون اغراق ابن نوح عليه السلام.

---

(١) الشيعة والقرآن : (ص:٢١١-٢١٢).

(٢) وقد سبق تخريجه

(٣) سورة هود: (٤٢).

(٤) سورة هود: (٤٢).

(٥) سورة هود: (٤٥).

(٦) منهاج السنة النبوية لابن تيمية : (٤/ ١٩٠).

لابن تيمية : (٤/ ١٩٠).

المطلب الرابع : شبهة من قال : كيف سأل نوح عليه السلام مالا يجوز طلبه وهو انقاذ ابنه مع أن الله قال له ﴿ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴾[1].

أورد هذه الشبهة بعض الفرق من أوباش المعطلة الضالين[2] وأراذل اليهود[3] والنصارى[4] ومقلدة المؤرخين والقصاص المجازفين الجاهلين بحقيقة النبوة وما يجوز على أنبياء الله تعالى وما يستحيل وما يجب على الكافة من تعزيرهم وتوقيرهم وتدقيق النظر في استخراج مناقبهم على أتم الكمال[5]، وأنهم قالوا كيف يصح لنوح عليه السلام أن يقول لابنه ﴿ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[6] مع أن القرائن من أحوال ولده وأقواله فإنها تدل على كفره بتكذيبه إياه، وكيف يسوغ له عليه السلام أن يقول بعد ذلك ﴿ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾[7] وقد قيل قيل له قبل ذلك ﴿ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴾[8][9] ؟

---

(١) سورة هود: (٣٧).

(٢) المعطلة هم الذين نفوا عن الله تعالى ما وصف به نفسه، أو وصفه رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء الحسنى والصفات العلى، وهم يزعمون أن إثبات الصفات يقتضي التشبيه والتجسيم، فمنهم التعطيل الكلي كالجهمية، ومنهم التعطيل الجزئي كالمعتزلة ومن وافقهم من الأشاعرة وغيرهم، انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية : (١٧/١٤٨).

(٣) اليهود هم الذين يزعمون أنهم أتباع موسى عليه السلام، وأن كلمة اليهود لم يذكروا بها إلا في موطن الذم، انظر: دراسات في الأديان : (ص:٤٥-٤٦)، والموسوعة الميسرة : (١/٤٩٥).

(٤) والنصارى هم الذين يزعمون أنهم يتبعون المسيح عيسى عليه السلام وكتابهم الإنجيل، انظر: يزعمون أنهم يتبعون المسيح عيسى عليه السلام وكتابهم الإنجيل، انظر: دراسات في الأديان : (ص:١٦٥)، والموسوعة الميسرة : (٢/٥٦٤).

(٥) تنزيه الأنبياء لابن حمير : (ص: ٢٤).

: (ص: ٢٤).

(٦) سورة هود: (٤٢).

(٧) سورة هود: (٤٥).

(٨) سورة هود: (٣٧).

(٩) تنزيه الأنبياء لابن حمير : (ص: ٧٨).

=

ومن الأجوبة على هذه الشبهة :

١-إن نوحا عليه السلام كان يظن أن ابنه ليس كافرا، وأنه مِن جملة من وعده الله بنجاتهم، ولذلك دعاه أن يركب معه السفينة.

قال ابن حزم –رحمه اله تعالى-:

"وهذا لا حجة لهم فيه لأن نوحا عليه السلام تأول وعد الله تعالى أن يخلصه وأهله، فظن أن ابنه من أهله على ظاهر القرابة، وهذا لو فعله أحد لكان مأجورا، ولم يسأل نوح تخليص من أيقن أنه ليس من أهله فتفرع على ذلك نهي عن أن يكون من الجاهلين، فتندم عليه السلام من ذلك ونزع، وليس ها هنا عمد للمعصية البتة، وبالله تعالى التوفيق"[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- :

"هو (نوح عليه السلام) هنا لا يدعو ابنه للإسلام وإنما ظنه مسلما فأمره أن يركب معهم لينجو من الغرق، و الدليل على ظن نوح عليه السلام أن ابنه كان مسلما غير كافر قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾[2]، فماذا كان جواب الله له؟ أخبره الله بما في قلب ابنه من الكفر الذي لم يعلمه نوح عليه السلام ولكن الله يعلم ما تخفي الصدور، فقال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[3]، فقال نوح عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ

: (ص: ٧٨).

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل : (٤/ ٥).

(٢) سورة هود: (٤٥).

(٣) سورة هود: (٤٦).

﴿ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[1]، فهنا استغفر نوح عن هذا السؤال لأنه كان يدعو لكافر وهو لا يعلم فلو علم نوح أن ابنه كافر لما دعاه لسفينة النجاة أصلا"[2].

٢-إن ابن نوح عليه السلام ممن سبق عليه القول، ولم يكن من أهل نوح في الحقيقة، وخفي هذا الأمر لنوح عليه السلام، قال الله عز وجل لنوح عليه السلام ﴿ ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾[4] قال يا نوح ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ ﴾[5]، فأخرجه بالشرك عن أن يكون من أهل نوح عليه السلام.

قال الشافعي -رحمه الله تعالى- :

"الذي نذهب إليه في معنى هذه الآية أن قول الله تبارك وتعالى ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ ﴾[6] يعني الذين أمرنا بحملهم معك لأنه قال: ﴿ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ ﴾[7] منهم، فأعلمهم أنه أمره بأن يحمل من أهله من لم يسبق عليه عليه القول من أهل معصيته، ثم بين له فقال: ﴿ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ ﴾[8][9]،

---

(١) سورة هود: (٤٧).

(٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية :(٤/ ١٩٠).

(٣) سورة هود: (٤٠).

(٤) سورة هود: (٤٥).

(٥) سورة هود: (٤٦).

(٦) سورة هود: (٤٦).

(٧) سورة هود: (٤٠).

(٨) سورة هود: (٤٦).

(٩) سنن الكبرى للبيهقي : (٢/ ٢١٧).

: (٢/ ٢١٧).

ولهذا قال من قال من العلماء إنه ليس من أهلك الذين وعدت بإنجائهم وهو وإن كان من الأهل نسبا فليس هو منهم دينا، والكفر قطع الموالاة بين المؤمنين والكافرين كما نقول إن أبا لهب ليس من ال محمد ولا من أهل بيته وإن كان من أقاربه"[(١)].

٣-أن ابن نوح عليه السلام كان قد نافق أباه عليه السلام، وهذا الذي اشتبه على نوح عليه السلام ووقع له الوهم في المجمل، حتى كشف له الحقيقة، وأن الوجه في اشتباه ذلك على نوح أن ابنه كان منافقا وكان علم نفاقه من علم الغيب الذي يختص الله به، ولو كان عدم صلاحه بأمر بين لم يخف ذلك عليه [(٢)].

وقال الحسن[(٣)] -رحمه الله-:

"كان منافقا، يسر الكفر ويظهر الإيمان، ولذلك استعجل نوح عليه السلام أن يناديه"[(٤)].

وقال الرازي: "أنه كان ينافق أباه فظن نوح أنه مؤمن فلذلك ناداه ولولا ذلك لما أحب نجاته"[(١)].

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية : (٤/ ١٩٠).
لابن تيمية : (٤/ ١٩٠).

(٢) انظر: إيثار الحق على الخلق لابن الوزير : (ص: ١٩٢).
الخلق لابن الوزير : (ص: ١٩٢).

(٣) هو الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت الانصاري، ويقال مولى أبي الحسن يسار، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت الانصاري، ويقال مولى أبي اليسر كعب بن عمرو السلمي، كان من سادات التابعين وكبرائهم، وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وربما غابت في حاجة فيبكي فتعطيه أم سلمة، رضي الله عنها، ثديها تعلله به إلى أن تجيء أمه، فدر عليه ثديها فشربه، فيرون أن تلك الحكمة والفصاحة من بركة ذلك، مات الحسن في رجب سنة عشر ومئة. انظر: سير أعلام النبلاء : (٤/ ٥٦٣)، ووفيات الأعيان : (٢/٦٩).

(٤) تفسير القرطبي : (١١٣/١١)، وانظر: النكت والعيون للماوردي : (٤٧٦/٢).
(١١٣/١١)، وانظر: النكت والعيون للماوردي : (٤٧٦/٢).

٤-أن نوحا عليه السلام كان يعلم أن ابنه ليس مؤمنا، ولكنه عليه السلام يحاول أن يُقنع ابنه حينما شهد الطوفان العظيم، لعله أن يرجع من كفره إلى الإيمان ويكون معه في السفينة مع هؤلاء المؤمنين.

قال الرازي: "أنه عليه السلام كان يعلم أنه كافرا ، لكنه ظن أنه لما شاهد الغرق والأهوال العظيمة فإنه يقبل الإيمان فصار قوله ﴿ يَـٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا ﴾ [٢] كالدلالة على أنه طلب منه الإيمان، وتأكد هذا بقوله: ﴿ وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [٣] أي: تابعهم في الكفر واركب معنا"[٤].

٥-أن نوحا –عليه السلام– لم يكن رأى ابنه يغرق، وأَنه عليه السلام ربما ظن أن ابنه نجا باللجوءِ إلى جبل [٥].

٦-إن هذا السؤال من نوح عليه السلام حملته عليه شفقة الأبوة، وتعطف الرحم والقرابة لشدة تعلقه بابنه واهتمامه به، ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي ﴾[٦]، إعلام بأن نوحاً حملته شفقة الأبوة ، وتعطف الرحم والقرابة، على طلب نجاته ؛ لشدة تعلقه به ، واهتمامه بأمره، وقد راعى مع ذلك أدب الحضرة وحسن السؤال فقال : ﴿ وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ ﴾ [٧]، ولم يقل: لا تخلف وعدك بإنجاء أهلي، وإنما قال: ذلك ففهمه من الأهل ذوي القرابة الصورية، والرحم النسبية، وغفل لفرط التأسف على ابنه عن استثنائه تعالى بقوله: ﴿ إِلَّا

(١) مفاتيح الغيب للرازي : (٢٤٠/١٧).

(٢) سورة هود: (٤٢).

(٣) سورة هود: (٤٢).

(٤) مفاتيح الغيب للرازي : (٢٤٠/١٧).

(٥) التفسير الوسيط : (٢٠١/٤).

(٦) سورة هود: (٤٥).

(٧) سورة هود: (٤٥).

مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ ﴾[1]، ولم يتحقق أن ابنه هو الذي سبق عليه القول، فاستعطف ربه بالاسترحام ، وعرض بقوله: ﴿ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾[2] إلى أن العالم العادل والحكيم لا يخلف وعده[3].

٧-ثم لو تنازلنا أن هذا حصل لنبي الله نوح عليه السلام، فإن الله قد أعلن توبته واستغفاره عليه السلام، قال الله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[4]، ولا يقدح في في ذلك مع جواز وقوع الصغائر للأنبياء عليهم الصلاة والسلام دون الكبائر، وهذا ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة، خلافا للرافضة والمعتزلة[5] والخوارج[6]، والخوارج[6]، وقال أهل السنة: جائز وقوع الصغائر من الأنبياء ، واحتجوا بقوله

---

(١) سورة هود: (٤٠).

(٢) سورة هود: (٤٥).

(٣) انظر: محاسن التأويل للقاسمي : (٦/١٠١-١٠٢)، وانظر: مفاتيح الغيب للرازي : للقاسمي : (٦/١٠١-١٠٢)، وانظر: مفاتيح الغيب للرازي : (١٧/٢٤٠).

(٤) سورة هود: (٤٧).

(٥) المعتزلة فرقة فارقوا أهل السنة والجماعة في مسائل الاعتقاد، وسموا بذلك لاعتزال واصل بن بن عطا من مجلس الحسن البصري وخالفه في القدر وفى المنزلة بين المنزلتين، وقال : "أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا ولا كافر مطلقا بل هو في منزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر"، ثم قام واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد يقرر ما أجاب على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن : اعتزل عنا واصل، وانضم إليه عمرو بن عبيد بن باب في بدعته فطردهما الحسن عن مجلسه، فاعتزلا عن سارية من سواري مسجد البصرة فقيل لهما ولاتباعهما معتزلة لاعتزالهم قول الأمة في دعواها ان الفاسق من أمة الإسلام لا مؤمن ولا كافر ، الفرق بين الفرق للبغدادي : (ص: ١٥)، الملل والنحل للشهرستاني : (١/ ٤٥).

(٦) الخوارج كما قال الشهرستاني في الملل والنحل : (١/ ١١٣) : "كل من خرج عن الإمام الحق الشهرستاني في الملل والنحل : (١/ ١١٣) : "كل من خرج عن الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان، وأن السبب الأول في تسميتهم الخوارج هو خروجهم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه"، وقال الأشعري في مقالات الإسلاميين =

تعالى مخاطبًا لرسوله: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [1] فأضاف إليه الذنب، وقد ذكر الله في كتابه ذنوب الأنبياء فقال تعالى: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ [2]، وقال نوح لربه: ﴿ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى ﴾ [3]، فسأله أن ينجيه ، وقد كان تقدم إليه تعالى فقال: ﴿ وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ [4][5].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى :

"فإن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف حتى إنه قول أكثر أهل الكلام كما ذكر أبو الحسن الآمدي، أن هذا قول أكثر الأشعرية ، وهو أيضا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول، ولم ينقل عنهم ما يوافق القول، وإنما نقل ذلك القول في العصر المتقدم عن الرافضة ثم عن بعض المعتزلة ثم وافقهم عليه طائفة من المتأخرين، وعامة ما ينقل عن جمهور العلماء أنهم غير معصومين عن الوقوع في الصغائر ولا يقرون عليها ولا يقولون إنها لا تقع بحال"[6].

وقد أفاد وأجاد ابن خمير –رحمه الله تعالى– في الجواب عن هذه الشبهة في قوله:

: (ص: ١٢٧) : "والسبب الذى له سموا خوارج خروجهم على علي بن أبي طالب"، ومن عقيدتهم إنكار الحاكم، وتكفير أصحاب الكبيرة ، والقول بالخروج على أئمة الجور وأن أصحاب الكبائر مخلدون في النار وأن الإمامة جائزة في غير قريش، انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم : (٢/ ٩٠).

(١) سورة الفتح : (٢).

(٢) سورة طه : (١٢١).

(٣) سورة هود: (٤٥).

(٤) سورة هود: (٣٧).

(٥) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال : (١٠/ ٤٤٠).

(٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية : (٤/ ٣١٩-٣٢٠).

"أن نوحا عليه السلام حين ركب السفينة وأدخل فيها المؤمنين وأهله كما أمر رأى ولده في جهة من خارج السفينة وبمقربة منها حيث يسمع النداء ولم ير امرأته، فيئس من سلامتها وظن أنها هي المستثناة وحدها، وأنها هي التي سبق عليها القول من الله تعالى بختم الكفر والعذاب فقط، وطمع في إيمان ولده الذي كان عهد منه قبل ذلك، وكان ولده يظهر له الإيمان ويبطن الكفر، والأنبياء عليهم السلام إنما عنوا بالظواهر والله يتولى السرائر، فلما لم ير امرأته يئس من سلامتها ولما رأى ولده بمقربة من السفينة حيث يسمع النداء طمع في سلامته وحسن الظن أنه مؤمن فقال ﴿ يَـٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا ﴾[1] يعني في السفينة ﴿ وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَـٰفِرِينَ ﴾[2] أي: لا تبق في الأرض فتهلك مع الكفرة... فلما حال بينهما الموج لم يدر ما صنع الله به، وبقي مستريبا في إيمانه... فأطلعه الله على ذلك ﴿ قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ ﴾[3]، يعني: في الدين لا في النسب ﴿ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَـٰلِحٍ ﴾[4]، يعني: أن عمله غير صالح، فأعلمه الله تعالى بحاله ومآله، ثم أدبه تعالى ووعظه وعلمه فقال له ﴿ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ ﴾[5] نهاه ربه أن يسأله تحصيل علم ما لم يكلف علمه، إذ ليس يجب على المكلف أن يسأل علم ما لم يكلف العلم به"[6].

---

(١) سورة هود: (٤٢).

(٢) سورة هود: (٤٢).

(٣) سورة هود: (٤٦).

(٤) سورة هود: (٤٦).

(٥) سورة هود: (٤٦).

(٦) تنزيه الأنبياء لابن حمير : (ص: ٧٩-٨١).

: (ص: ٧٩-٨١).

المطلب الخامس : عدل الله عز وجل.

إن العقيدة هي التي تمثل أعلى خصائص الإنسان، ويظهر ما حصل لنوح عليه السلام مع ابنه، وأن البنوة من أقوى وجوه القرابة، ولكن لما انتفى الدين والعقيدة، نفى الله كل القرابة وإن كانت من أقوى وجوه القرابة، والإسلام أعطى لصلة النسب حظا كبيرا من الرعاية والعناية، والخلق مجبولون على مراعاتها والقيام بواجباتها، ولكنها مشروطة بقرابة الدين واتحاد العقيدة.

فلله تعالى حكمة بالغة في كل أقواله وأفعاله، وحكمه عدل بين عباده ومخلوقاته، ولا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، ويفعل ما يشاء لمن يريد لعدل يعلمه ولحكمة، وكذا ما حصل لابن نوح عليه السلام من الكفر، وقد بين ابن بطة العكبري(١) -رحمه الله تعالى- ذلك فقال :

"ففي كل هذه الآيات يعلم الله عز وجل عباده المؤمنين أنه هو الهادي المضل وأن الرسل لا يهتدي بها إلا من هداه الله ولا يأبى الهداية إلا من أضله الله ولو كان من اهتدى بالرسل والأنبياء مهتديا بغير هدايته لكان كل من جاءهم المرسلون مهتدين لأن الرسل بعثوا رحمة للعالمين ونصيحة لمن أطاعهم من الخليقة أجمعين فلو كانت الهداية إليهم لما ضل أحد جاءوه.

أما سمعت ما أخبرنا مولانا الكريم من نصيحة نبينا صلى الله عليه وسلم وحرصه على إيماننا حين يقول: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢)، وبالذي أخبرنا به عن خطاب نوح عليه السلام لقومه: ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ

---

(١) هو الإمام القدوة العابد الفقيه المحدث شيخ العراق، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي، ابن بطة، قال عن نفسه: ولدت سنة أربع وثلاث مئة، وكان لأبي ببغداد شركاء، قال العتيقي: توفي ابن بطة - وكان مستجاب الدعوة - في المحرم سنة سبع وثمانين وثلاث مئة. انظر: سير أعلام النبلاء : (١٦/ ٥٢٩).

(٢) سورة التوبة : (١٢٨).

هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[1]، هذا من أحكام الله وعدله الذي لا يجوز لأحد أن يتفكر فيه، ولا يظن فيه بربه غير العدل وأن يحمل ما جهله من ذلك على نفسه، ولا يقول كيف بعث الله عز وجل نوحا عليه السلام إلى قومه وأمره بنصيحتهم ودلالتهم على عبادته والإيمان به وبطاعته، والله يغويهم ويحول بينهم وبين قبول ما جاء به نوح عليه السلام إليهم عن ربه حتى كذبوه وردوا ما جاء به، ولقد حرص نوح عليه السلام في هداية الضال من ولده ودعا الله أن ينجيه مع أهله ، فما أجيب وعاتبه الله في ذلك بأغلظ العتاب حين قال نوح ﴿ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى ﴾[2]، فقال الله عز وجل: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[3].

وذلك أن ابن نوح عليه السلام كان ممن سبقت له من الله الشقوة وكتب في ديوان الضلال الأشقياء؛ فما أغنت عنه نبوة أبيه ولا شفاعته فيه، فنحمد ربنا أن خصنا بعنايته وابتدأنا بهدايته من غير شفاعة شافع ولا دعوة داع، وإياه نسأل أن يتم ما به ابتدأنا وأن يمسكنا بعرى الدين الذي إليه هدانا ولا ينزع منا صالحا أعطانا"[4].

وقال ابن القيم –رحمه الله–:

"وكل هذا قد سبق علمه عند الله لحكمة يريدها سبحانه وتعالى، والعاقل يسير بصيرته بين أقطار العالم فيشاهده وينظر مواقع عدل الله وحكمته، ويشهد أن القدر ما أصابه إلا لحكمة اقتضاها اسم الحكيم جل جلاله وصفته الحكمة، وأن القدر قد أصاب مواقعه وحل في المحل الذي ينبغي له أن ينزل به وأن ذلك أوجبه عدل الله وحكمته وعزته وعلمه وملكه العادل، فهو موجب أسمائه الحسنى وصفاته العلى، فله عليه أكمل حمد وأتمه كما له الحمد على جميع أفعاله وأوامره وإن كان حظ العبد من هذا القدر

---

(١) سورة هود: (٣٤).

(٢) سورة هود: (٤٥).

(٣) سورة هود: (٤٦).

(٤) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة لابن بطة : (١/ ٢٦٤).

الذم، فحق الرب تعالى منه الحمد والمدح لأنه موجب كماله وأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وهو موجب نقص العبد وجهله وظلمه وتفريطه، فاقتسم الرب والعبد الحظين في هذا القدر وكان للرب سبحانه فيه الحمد والنعمة والفضل والثناء الحسن والعبد حظه الذم واللوم والإساءة واستحقاق العقوبة"[١].

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين :(ص: ٦٩).

المبحث الثاني : أبناء نوح عليه السلام بعد الطوفان ووصيته لأبنائه.

المطلب الأول : أبناء نوح عليه السلام بعد الطوفان.

قد نجى الله تعالى نوحا عليه السلام ومن معه في الفلك، ويدل صريح القرآن الكريم على أن جميع من على الأرض أغرقوا بالطوفان، ولم ينج من البشر ولا من الحيوان إلا من حمله نوح عليه السلام معه في تلك السفينة، قال الله تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ۝١١٩ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[2]، وقال تعالى ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَـٰهُمْ خَلَـٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾[3].

ومن هؤلاء الذين نجاهم الله تعالى أبناء نوح عليه السلام الذين جعل الله تعالى بشرا من نسلهم، أما غيرهم ممن كان معهم لم يكن لهم نسل ولا ذرية، وذلك كما جاء النص في القرآن الكريم على أن الأرض إنما عمرت بعد ذلك من نسل وذرية نوح عليه السلام فقط، قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ۝٧٧ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝٧٨ سَلَـٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٧٩ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٨٠ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٨١ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴾[4].

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "لم تبق إلا ذرية نوح عليه السلام".

---

(١) سورة الشعراء، : (١١٩-١٢٠).

(٢) سورة هود : (٤٠).

(٣) سورة يونس : (٧٣).

(٤) سورة الصافات : (٧٧-٨٢).

وعن قتادة في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ [1] قال: "الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام"[2].

وقد تطرق العلماء رحمهم الله تعالى لذكر اسماء أبناء نوح عليه السلام الذين منهم تناسل الناس، وكل من سواهم لم يكن لهم نسل ولا ذرية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-:

"وأولئك جميعهم (الذين كانوا في السفينة) لم يكن لهم نسل، وإنما النسل لنوح وجميع الناس من أولاده وهم ثلاثة : سام وحام ويافث كما قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ [3]،فلم يجعل باقيا إلا ذريته وكما روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم : أن أولاده ثلاثة ،رواه أحمد وغيره"[4].

واستدلوا كذلك بحديث سمرة: عن النبي صلى الله عليه و سلم في قول الله ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ [5] قال: (حام وسام ويافث)[6].

قال ابن حجر –رحمه الله-: "فلم يبق بعد الطوفان إلا ذرية نوح وهو من نسل شيث، قال الله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾[7]، وكان معه في السفينة ثمانون نفسا، وهم

---

(١) سورة الصافات : (٧٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم : (٧/ ٢٢).

(٣) سورة الصافات : (٧٧).

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية : (٧/ ٩٣).

(٥) سورة الصافات : (٧٧).

(٦) رواه أحمد في مسنده : (٣٠٣/٣٣) حديث رقم : (٢٠١١٤)، ورواه الترمذي في السنن، في السنن، في كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ومن سورة الصافات، حديث رقم : (٣٢٣٠)، وقال أبو عيسى : يقال يافت ويافث بالتاء والثاء ويقال يفث، وقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث سعيد بن بشير، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة : (٨/ ١٥٩).

(٧) سورة الصافات: (٧٧).

المشار إليهم بقوله تعالى ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[1]، ومع ذلك فما بقي إلا نسل نوح فتوالدوا حتى ملؤا الأرض[2].

(١) سورة هود: (٤٠).

(٢) فتح الباري: (١٦/١٥).

المطلب الثاني : وصية نوح عليه السلام لأبنائه.

إن نوحا عليه السلام أحد أولى العزم، والرسل عليهم الصلاة والسلام دينهم واحد، وكلهم يدعون إلى توحيد الله وحده لا شريك له ووصوا به، قال الله تعالى ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴾[1].

وقال أبو العالية[2]: في هذه الآية وصَّاهم بالإخلاص لله، عز وجل، وعبادته لا شريك له[3].

ومن ذلك وصية نوح عليه السلام لأبنائه حين حضرته الوفاة، فمن تمام معاملته ومعاشرته ونصيحته لأبنائه أن وصاهم بتوحيد الله تعالى حين جاءته المنية، فقد روى الإمام أحمد –رحمه الله– بإسناده عن عبد الله بن عمرو قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه و سلم فجاء رجل من أهل البادية عليه جبة سِيْجَانٍ[4] مَزْرُورَةٌ بالديباج فقال: ألا إن صاحبكم هذا قد وضع كل فارس بن فارس قال: يريد أن يضع كل فارس بن فارس ويرفع كل راع بن راع قال: فأخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم بمجامع جبته وقال:

(ألا أرى عليك لباس من لا يعقل ثم قال: إن نبي الله نوحا صلى الله عليه و سلم لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاص عليك الوصية:

---

(١) سورة الشورى: (١٣).

(٢) هو رفيع بن مهران، الامام المقرئ الحافظ المفسر، أبو العالية الرياحي البصري، أحد الاعلام، أدرك زمان النبي صلى الله عليه وسلم وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق، ودخل عليه، وحفظ القرآن وقرأه على أبي بن كعب، وتصدر لإفادة العلم، مات أبو العالية في شوال سنة تسعين. انظر: سير أعلام النبلاء : (٤/ ٢٠٧).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال : (١/ ٢٨).

(٤) والسيجان جمع ساج وهو الطيلسان الأخضر، انظر: تاج العروس: (٦/٥٠).

آمرك باثنتين وأنهاك عن اثنتين :

آمرك بلا إله إلا الله فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إله الا الله في كفة رجحت بهن لا إله الا الله ولو أن السماوات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة قصمتهن[1] لا إله الا الله وسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق الخلق

وأنهاك عن الشرك والكبر

قال: قلت أو قيل: يا رسول الله هذا الشرك قد عرفناه فما الكبر ؟

قال: أن يكون لأحدنا نعلان حسنتان لهما شراكان حسنان؟

قال: "لا"

قال: هو أن يكون لأحدنا حلة يلبسها؟

قال: "لا"

قال: الكبر هو أن يكون لأحدنا دابة يركبها؟

قال: "لا"

قال: أ فهو أن يكون لأحدنا أصحاب يجلسون إليه؟

قال: "لا"

قيل: يا رسول الله، فما الكبر ؟

قال: سفه الحق[2] وغمص الناس)[1] [2].

---

(١) أي : لكسرتهن

(٢) سفه الحق : أي جهله والاستخفاف به، وفي رواية لمسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، حديث رقم (٢٦٥) بطر الحق، والمعنى واحد.

وفي رواية عنه قال:

أتى النبي صلى الله عليه و سلم أعرابي عليه جبة من طيالسة مكفوفة بديباج أو مزرورة بديباج ، فذكر نحوه إلا أنه قال : ثم رجع رسول الله صلى الله عليه و سلم فجلس فقال:

(إن نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه فقال: إني قاصر عليكما الوصية ، آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين أنهاكما عن الشرك والكبر وآمركما بلا إله إلا الله فإن السماوات والأرض وما فيهما لو وضعت في كفة الميزان ووضعت لا إله الا الله في الكفة الأخرى كانت أرجح، ولو أن السماوات والأرض كانتا حلقة فوضعت لا إله الا الله عليهما لفصمتها أو لقصمتها وآمركما بسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء)[3].

---

(١) وغمص الناس : أي احتقارهم والطعن فيهم والاستخفاف بهم، وفي الحديث الآخر (غمط الناس) والمعنى واحد.

(٢) رواه أحمد في مسنده : (١٥٠/١١)، حديث رقم (٦٥٨٣)، عن طريق سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن الصَّقعب بن زهير عن زيد بن أسلم، وأخرجه البخاري في أدب المفرد : (٢٨١/١)، حديث رقم (٥٤٨) عن سليمان بن حرب شيخ البخاري، عن حماد بن زيد، وقال حماد: لا أعلمه إلا عن عطاء بن يسار، ومن طريق آخر عن وهب بن جرير عن أبيه عن الصَّقعب بن زهير عن زيد بن أسلم، وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد : (٣٩٧/٤) حديث رقم (٧١٢٣)، وقال : رواه كله أحمد، ورواه الطبراني بنحوه، وزاد في رواية (وأوصيك بالتسبيح فإنها عبادة الخلق وبالتكبير)، ورواه البزار من حديث ابن عمر...ورجال أحمد ثقات، وأخرجه ابن كثير في تاريخه : (٢٨٠/١) وقال: هذا إسناد صحيح، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة : (٢٥٩/١) حديث قم (١٣٤) : وهذا سند صحيح.

(٣) رواه أحمد في مسنده : (٦٧٠/١١) حديث رقم : (٧١٠١)، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات : (٢٥٢/١) حديث رقم (١٨٦)، وصححه الألباني.

المبحث الثالث : علاقة أبناء نوح عليه السلام بأصل البشرية.

فإن الله عز وجل بعد أن نجى نوحا عليه السلام وأبناءه المؤمنين ومن آمن معه في السفينة، لم يجعل لهم نسلا وذرية سوى من أبناء نوح عليه السلام.

قال ابن كثير –رحمه الله– في قول الله تعالى ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[1]:

"فان الله لم يجعل لأحد ممن كان معه من المؤمنين نسلا ولا عقبا سوى نوح عليه السلام قال تعالى ﴿ وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ﴾[2]، فكل من على وجه الارض اليوم من سائر أجناس بني آدم ينسبون إلى أولاد نوح الثلاثة وهم سام وحام ويافث"[3].

وقال العلامة الطاهر بن عاشور –رحمه الله– :

"وضمير الفصل في قوله: ﴿ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ﴾[4] للحصر، أي لم يبق أحد من الناس إلا من نجاه الله مع نوح في السفينة من ذريته، ثم من تناسل منهم فلم يبق من أبناء آدم غير ذرية نوح فجميع الأمم من ذرية أولاد نوح الثلاثة، وظاهر هذا أن من آمن مع نوح غير أبنائه لم يكن لهم نسل.

قال ابن عباس: لما خرج نوح عليه السلام من السفينة مات من معه من الرجال والنساء إلا ولده ونساءه، وبذلك يندفع التعارض بين هذه الآية وبين قوله في سورة هود: ﴿ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ

---

(١) سورة هود : (٤٨).

(٢) سورة الصافات : (٧٧).

(٣) البداية والنهاية: (١/ ١٣٠).

(٤) سورة الصافات : (٧٧).

مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[1]، وهذا جار على أن الطوفان قد عم الأرض كلها واستأصل جميع البشر إلا من حملهم نوح في السفينة"[2].

وأما قوله تعالى ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾[3]، وقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾[4] فلا يدل على استمرار نسل المؤمنين الذين حملهم نوح عليه السلام معه، بل المقصود أبناء نوح عليه السلام الذين استمر نسلهم دون باقي المؤمنين.

قال العلامة الشنقيطي –رحمه الله– في قول الله تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾[5]: "وبين أن ذرية من حُمل مع نوح عليه السلام لم يبق منها إلا ذرية نوح عليه السلام في قوله ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾"[6][7].

قد وقع الاتفاق بين النسابين والمؤرخين أن جميع الأمم الموجودة بعد نوح عليه السلام جميعهم من ذرية بنيه دون من كان معه في السفينة، وعليه يحمل قوله تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾[8]، وأما من عدى بنيه ممن كان معه معه في السفينة هلكوا عن آخرهم ولم يعقبوا ثم اتفقوا على أن جميع النسل من بنيه الثلاثة، قال الله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾[9]، يافث وهو أكبرهم، وسام وهو

---

(١) سورة هود : (٤٠).

(٢) التحرير والتنوير: (٢٣/ ٤٧).

(٣) سورة الإسراء : (٣).

(٤) سورة مريم : (٥٨).

(٥) سورة الإسراء : (٣).

(٦) سورة الصافات : (٧٧).

(٧) أضواء البيان للشنقيطي : (٣/ ٣٠١).

(٨) سورة الإسراء : (٣).

(٩) سورة الصافات : (٧٧).

أوسطهم، وحام وهو أصغرهم ، فكل أمة من الأمم ترجع إلى واحد من أبناء نوح الثلاثة على كثرة الخلاف في ذلك[١].

وفي الحديث عن سمرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم)[٢].

وقال ابن كثير –رحمه الله-:

"والمراد بالروم هنا الروم الأول، وهم اليونان المنتسبون إلى رومي بن لبطي بن يونان بن يافث بن نوح عليه السلام، ثم روى من حديث اسمعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه قال: " ولد نوح ثلاثة سام ويافث وحام، وولد كل واحد من هذه الثلاثة ثلاثة، فولد سام العرب وفارس والروم.

وولد يافث الترك والسقالبة ويأجوج ومأجوج وولد حام القبط والسودان" [٣].

---

(١) انظر: نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب : (ص: ٢٤-٢٥).

(٢) رواه أحمد في مسنده من حديث عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن الحسن : (٢٩٢/٣٣) (٢٩٢/٣٣) حديث رقم (٢٠٠٩٩)، وإسناده ضعيف، ورواه الترمذي عن بشر بن معاذ العقدي عن يزيد بن زريع عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن سمرة مرفوعا نحوه في كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ومن سورة الصافات، حديث رقم : (٣٢٣١)، وأخرجه الحاكم في المستدرك، وقال :هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه : (٥٩٥/٢) حديث رقم (١٥/٤٠٠٦)، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة : ضعيف : (١٥٩/٨) حديث رقم (٣٦٨٣).

(٣) تفسير القرآن العظيم : (٢٣/٧).

المبحث الرابع : ما ذكر من لعن نوح عليه السلام لبعض أبنائه وأثر ذلك.

ذكرت التوراة أن نوحا عليه السلام بعد حادثة الطوفان لعن بعض أبنائه، وذلك لسبب من الأسباب التي سيأتي ذكرها، وهذه اللعنة تتعدى إلى غيره من الأبناء والأحفاد والذرية، والذي جعل اليهود يخترعون هذه القصة هو حقدهم وحسدهم الكنعانيين.

وجاء في التوراة: "**وكان بنو نوح الذين خرجوا من الفلك ساما وحاما و يافث، وحام هو أبو كنعان، هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح، ومن هؤلاء تشعبت كل الأرض، وابتدأ نوح كون فلاحا وغرس كرما، وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه، فأبصر حاما أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجا، فأخذ ساما و يافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما، فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير، فقال ملعون كنعان عبد العبيد يكون لأخوته، وقال مبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبدا لهم، ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام وليكن كنعان عبدا لهم**". [1]

ولهذا النص التوراتي ملحوظات:

١- حصول التحريف، وهو أمر معلوم بخبر الله تعالى عن هؤلاء اليهود، قال الله تعالى في غير موضع من القرآن الكريم: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾[2].

٢- نلاحظ في هذا النص أنه ذكر حام أبو كنعان، وتكرار ذلك مرتين في هذا النص، وتذكر التوراة ساما و يافث دون أن ذكر كنيتهما، فلو ذكرت مثلا : ساما أبو لاوذ ، ويافث أبو ماذي ، لكان ذكر (حاما أبو كنعان) طبيعيا، فما الخصوصية التي اختص بها حام دون أخويه إلا إذا كانت يقصد إقحام اسم كنعان هنا تمهيدا للعنه فيما بعد، ومن هنا كان إرث العنصرية في البشر وأصبحت التوراة المحرفة مصدر التفرقة، ثم نجد أن التوراة تأخذ بني إسرائيل نسل

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح التاسع، العدد : ١٨-٢٧.

(٢) سورة النساء: (٤٦).

سام إلى ما يسمى بشعب الله المختار، كما جاء في بعض الأسفار : "**إياك يا إسرائيل قد اختارك الرب إلهك لتكون له شعبا خاصا من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض**"[1]، وفيها: "**ليس إله في كل الأرض إلا في إسرائيل**"[2]، وغير ذلك من الأسفار مما يدلنا على أن اليهود اخترعوا هذا النص تأييدا لما ذهبوا إليه.

٣-زعم التوراة المحرفة أن نوحا –عليه السلام- شرب الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه!!! إذ كيف أصبح نوح –عليه السلام- التقي النقي الذي تذكره التوراة نفسها بنعوت وصفات جليلة مثل: "**كان نوح رجلا بارا كاملا في أجياله**" و: "**سار نوح مع الله**"، إذ كيف نوح عليه السلام شرب الخمر بعد أن أنقذه الله من الطوفان، حتى يتعرى، ورأى حام عورته.

٤-عندما يستيقظ نوح –عليه السلام- من سكرته –حسب ما نص التوراة- ويعلم ما فعل حام، لماذا يلعن كعنان، ولا دخل له بهذه القضية، إذ الذي رأى عورته هو ابنه حام، أليس الله تعالى قد ذكر قواعد العامة: ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[3].

وجاء في التوراة أن لـ حام أكثر من أولاد، "**وبنو حام كوش ومصراد وفوط وكنعان**"[4]، ووجه التخصيص يحتاج إلى برهان، ولا برهان لهم.

قال صاحب التخجيل:

"إن هذه القصة من افتراءات بني إسرائيل على أنبياء الله تعالى واتهامهم بارتكاب الكبائر، وتفضح عنصرية اليهود البغيضة حيث قصدوا بهذه القصة اللعنة إلى الكنعانيين سكان فلسطين قبل اليهود، ونسبوا أنفسهم إلى سام

---

(١) سفر تثنية، الإصحاح السابع، العدد : ٦.

(٢) سفر ملوك، الإصحاح الخامس، العدد : ١٥.

(٣) سورة النجم: (٣٨).

(٤) سفر التكوين، الإصحاح العاشر، العدد : ٦.

وادعوا اختصاصهم بذلك ليتسنى لهم ادعاء حقّ السيطرة على الكنعانيين وأرضهم فلسطين"[1].

يقول الدكتور مصطفى محمود: "والغرض السياسي هنا واضح بالنسبة لليهود الذي كتب هذا الكلام، فهو يدعو على أبناء حام وهم الفلسطينيون والمصريون بأن يكون عبيدا للساميين اليهود وتحت حكمهم مدى الدهر"[2].

قال رحمت الله الهندي:

"والذي عوقب باللعنة ابنه كنعان، وأخذ الابن بذنب الأب خلاف العدل، قال حزقيال في الآية العشرين من الباب الثامن عشر من كتابه: (النفس التي تخطئ فهي تموت، والابن لا يحمل إثم الأب، والأب لا يحمل إثم الابن وعدل العادل يكون عليه، ونفاق المنافق يكون عليه[3].

٥- تهمة اليهود تجاه أنبيائهم بأشنع التهم، ومن ذلك قولهم في نبي الله نوح عليه السلام بأنه شرب الخمر حتى سكر، كما تقدم ذكر نصه، هكذا وصف اليهود نبيهم، مع أن نوح عليه السلام أول أنبياء الله إلى المشركين، والذي دعا قومه إلى دين الله تعالى ألف سنة إلا خمسين عاما، قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾[4]، ومما لا شك أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أكمل دينا وورعا وتقوى، وأن الله اصطفاهم من بين سائر الخلق، فكفى باختيار الله لهم شرفا.

٦- إن لعن كنعان الذي لم يرتكب ذنبا، وإغلاق باب التوبة عنه وحرمانه منها يخالف نصوص التوراة نفسها التي تقول : "**النفس التي تخطئ هي تموت، الابن لا يحمل من إثم الأب والأب لا يحمل إثم الابن، بر البار يكون عليه وشر**

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: (٣/ ٧٧).

(٢) التوراة: (ص:١٣).

(٣) إظهار الحق: (٤/ ١٢١٦).

(٤) سورة العنكبوت: (١٤).

الشرير يكون عليه، فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التي فعلها وحفظ كل فرائضي وفعل حقا وعدلا فحياة يحيى ولا يموت"[(١)].

٧- كنعان يُلعن رغم غيابه عن مسرح الأحداث التي يتحدث عنها نص التوراة، فيناله نصيب الأسد من الظلم المنسوب لنبي من أولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام، وسام يُبارك له ، أما يافث فليفتح الله له فيسكن في مساكن سام!!، لو سلمنا تجاوزا بأن حاما أخطأ مع نوح عليه السلام فاستحق ابنه اللعن، فلماذا التمييز بين سام و يافث ليُختص سام بالمبارك الإلهية ويُتفضل على يافث بأن يسكن في مساكن سام فقط، مع أنهما كلاهما قد سترا عورة أبيهما ؟ وكان من العدل أن يتساوى سام و يافث عند أبيهما بالمباركة.

٨- ثم لقد جاء في التوراة أن نوحا عليه السلام وبنيه قد بُورك فيهم : **"وبارك الله نوحا وبنيه وقال لهم اثمروا واكثروا واملأوا الأرض"**[(٢)]، وقد أخذ ميثاقه عليهم جميعا (نوح عليه السلام وبنيه) بنص التوراة نفسها: **"وكلم الله نوحا وبنيه معه قائلا: وها أنا مقيم ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم"**[(٣)]، فميثاق الله تعالى وبركاته شملت بنيه الثلاثة ولم يستثن حاما، فيكون نوح عليه السلام بلعنه كنعان قد خالف أمر الله أو نقض ميثاقه مع الله.

٩- إن التاريخ يثبت أن لعن كنعان ودعوة نوح –عليه السلام- عليه بأن يكون عبد العبيد لأعمامه (سام و يافث) لم تتحقق أبدا، ولم يصبح كنعان عبد العبيد لا لإخوته ولا لأعمامه، ونعني هنا بالكنعانيين الذين كانوا يسكنون في الجزيرة العربية.

١٠- إن هذا النص التوراتي يفترض أن نوحا عليه السلام بعد أن نُجي هو وذريته قام بزرع الكروم وصنع الخمر وانشغل بالسكر، أي باختصار إن هذا النص يفترض أن الذي أكرم بالنجاة من كل كارثة محتمة وكانت عليه مسئولية إعادة

---

(١) سفر حزقيال، الإصحاح ثمانية عشر ، العدد : ٢٠-٢١.

(٢) سفر التكوين، الإصحاح التاسع، العدد : ١.

(٣) سفر التكوين، الإصحاح التاسع ، العدد : ٨-٩.

بناء ما تم تدميره من أثر الطوفان ومواجهة تحديات الإصلاح ونشر الخير والفضيلة، فقد إحساسه بالعالم وانغمس في شهوته!! فكان تصرف نوح عليه السلام بعد انتهاء الطوفان مناقضا لإرادة الله تعالى الذي فرض قوانين جديدة أكثر تفصيلا وصرامة للبشرية من أجل تحصينها ضد الرذيلة ومنعها من السقوط مرة أخرى[1].

والمقصود الأساسي من هذا النص المحرف هو بغض اليهود لكنعانيين الذين هم الفلسطينيون، حتى يتجرؤوا عليهم ويغصب بلادهم.

(١) انظر للتوسع: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: (٣/٧٧)، وإظهار الحق: (٤/١٢١٦)، وطوفان نوح بين الحقيقة والأوهام : (ص: ٥٥-٥٨).

الباب الثاني

قرابة إبراهيم الخليل عليه السلام

وفيه تمهيد وثلاثة فصول:

التمهيد : لمحة عن نبوة ورسالة إبراهيم عليه السلام

الفصل الأول : والدا إبراهيم.

الفصل الثاني : زوجات إبراهيم عليه السلام.

الفصل الثالث : أبناء إبراهيم عليه السلام.

تمهــيد

لمحة عن نبوة ورسالة إبراهيم عليه السلام.

وقد جعل الله تعالى إبراهيم عليه الصلاة والسلام الأب الثالث، قال الله تعالى ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾(١)، وقد سمي إبراهيم عليه الصلاة والسلام بشيخ الأنبياء وأبي الأنبياء، لأنه كان رائد الدعوة النبوية في العالم الإنساني بأسره، ومنه تناسل الأنبياء وتتابعوا، فجميع أنبياء بني إسرائيل من نسله، لأنهم من أولاد يعقوب بن إسحاق، وإسحاق هو ابن إبراهيم، فمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام تتفرع شجرة النبوة حتى خاتم الرسل صلوات الله عليه وسلامه وهو من نسله لأنه من ولد إسماعيل، قال الله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ ﴾(٢).

قال ابن القيم –رحمه الله–:

"فإن إبراهيم بالسريانية معناه أب رحيم، والله سبحانه جعل إبراهيم الأب الثالث للعالم، فإن أبانا الأول آدم، والأب الثاني نوح...فالأب الثالث أبو الآباء، وعمود العالم، وإمام الحنفاء الذي اتخذه الله سبحانه وتعالى خليلا، وجعل النبوة والكتاب في ذريته، ذاك خليل الرحمن، وشيخ الأنبياء، كما سماه النبي بذلك، فإنه لما دخل الكعبة؛ وجد المشركين قد صوروا فيها صورته وصورة إسماعيل ابنه، وهما يستقسمان بالأزلام، فقال : قاتلهم الله لقد علموا أن شيخنا لم يكن يستقسم بالأزلام(٣)، ولم يأمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتبع ملة أحد من الأنبياء غيره، فقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(٤)، وأمر أمته

---

(١) سورة الحج : (٧٨).

(٢) سورة العنكبوت : (٢٧).

(٣) أشار إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه البخاري في صحيحه، في كتاب الحج، باب من كبر في نواحي الكعبة، حديث رقم : (١٦٠١) مع الفتح : (٥٢٩/٤)، وأحمد في مسنده : ٤٤٩/٣) عن ابن عباس رضي الله عنه، ولم يذكر فيه لفظ "شيخنا" كما أشار إليه المؤلف –رحمه الله–.

(٤) سورة النحل : (١٢٣).

بذلك، فقال تعالى ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾"[1][2].

وقد ذكره الله تعالى في القرآن في مواضع كثيرة، بل قد خص سبحانه سورة باسمه وهي سورة إبراهيم، وعني إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالدعوة إلى الإسلام، ووجه جل همه وأعظم عنايته إلى التوحيد وبيانه وإقامة الحجة عليه، فبدأ به وكرر الدعوة إليه مع اختلاف لهجته في ذلك، وذكر أنواعا من الأدلة على التوحيد، وسلك طرقا شتى في الاستدلال بها عليه اتماما لإقامة الحجة.

وقد ذكر الله تعالى رسالة إبراهيم عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم من مراحل دعوته وأصناف المدعوين وطريقة الاستدلال وكيفية الاستدلال والصبر على الايذاء والسخرية والبلاء وغير ذلك مما أخبر الله تعالى لنا من خلال آيات القرآن الكريم.

وسماه الله سبحانه إبراهيم عليه الصلاة والسلام إماما، قال الله تعالى ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[3]، وأن عهده بالإمامة لا يناله من أظلم من ذريته، والظلم هو الشرك، ومن أشرك بالله شيئا لا يناله هذه الإمامة.

وأنه عليه الصلاة والسلام كان أمة، وهو القدوة لخصال الخير، وكان قانتا، أي: مديما لطاعة ربه مخلصا له الدين، وكان حنيفا مقبلا على الله بالمحبة، والإنابة والعبودية معرضا عمن سواه، ولم يك من المشركين في قوله وعمله وجميع أحواله، لأنه إمام الموحدين الحنفاء، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا

---

(١) سورة الحج : (٧٨).

(٢) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام: (ص: ٢٦٧).

(٣) سورة البقرة : (١٢٤).

حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[(1)]، وقال الله تعالى ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[(2)].

وكان إبراهيم عليه الصلاة والسلام يحرص ويهتم على جناب التوحيد، ويحذر من الشرك ويقبحه على ذريته وقومه، وقد مر إبراهيم عليه الصلاة والسلام ببعض المراحل في دعوته تجاه أقربائه وقومه :

المرحلة الأولى : دعوة إبراهيم لأبيه.

وقد ذكر القرآن الكريم دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه وصوره بأبلغ التصوير في سورة مريم كما سيأتي في المبحث اللاحق[(3)].

المرحلة الثانية : دعوة إبراهيم لقومه.

وبعد أن دعا إبراهيم عليه الصلاة والسلام أباه توجه إلى دعوة قومه، فمنهم من يعبد الأصنام ومنهم من يعبد الكواكب، وبدأهم بالدعوة إلى توحيد الله تعالى بالعبادة وتقواه، ويحذرهم مما كانوا عليه من عبادة الأصنام والكواكب، قال الله تعالى: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[(4)]، وسلك إبراهيم في إقناع قومه مسلك المساءلة عن جدوى أصنامهم، قال الله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ

---

(١) سورة النحل : (١٢٠-١٢٢).

(٢) سورة آل عمران : (٦٧).

(٣) انظر: ص (١/١٨١) من هذه الرسالة.

(٤) سورة العنكبوت : (١٦-١٨).

وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[1].

حتى بدأ القوم يراوغون فيما عرضه عليهم إبراهيم، وما كان لإبراهيم عليه الصلاة والسلام إلا أن أعلن البراءة والنكير، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ

---

(١) سورة الشعراء: (٦٩ – ٨٩).

وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٦٨ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴾[1].

المرحلة الثالثة : دعوة إبراهيم للملك.

وقد حكى الله تعالى مناظرة الملك بإبراهيم عليه الصلاة والسلام، قال الله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2].

وهذا الملك اسمه نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح، ويقال: نمرود بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح[3]، وهو أول جبار تجبر في الأرض، وقد ادعى لنفسه الربوبية، وأنكر أن يكون ألها غيره، وذلك لطغيانه وكفره الغليظ ومعاندته الشديدة وطول مدته في الملك.

ولما دعا إبراهيم عليه السلام إلى عبادة الله وحده لا شريك له، حمله الجهل والضلال وطول الآمل على إنكار الله سبحانه، فحاج إبراهيم عليه السلام في ذلك ﴿ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ ﴾.

وقد ذكر عن قتادة ومحمد بن أسحاق والسدي في قوله تعالى: إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت، قال أنا أحيي وأميت"﴿ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ ﴾، أن نمرود دعا برجلين ففتل أحدهما واستحي الآخر، فقال: أنا أحيي هذا! أنا أستحيي من شئت، وأقتل من شئت! قال إبراهيم عند ذلك: قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ

---

(١) سورة الأنبياء: (٥١ – ٧٠).

(٢) سورة البقرة : (٢٥٨).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: (١/ ٦٨٦).

﴾[1]، وعجز نمرود، وبطل ادعائه الربوبية، ولا يقدر أن يكابر في هذا المقام، وقانت عليه الحجة بأن الله وحده لا شريك له في ربوبيته وألوهيته.

وكان إهلاكه لما قصد المحاربة مع الله تعالى بأن فتح الله تعالى عليه باباً من البعوض فستروا عين الشمس وأكلوا عسكره ولم يتركوا إلا العظام ، ودخلت واحدة منها في دماغه فأكلته حتى صارت مثل الفأرة ؛ فكان أعز الناس عنده بعد ذلك من يضرب دماغه بمطرقة عتيدة لذلك ، فبقي في البلاء أربعين يوما[2].

---

(١) سورة البقرة : (٢٥٨)، أنظر جامع البيان للطبري: (٥/ ٤٣٣)، وتفسير ابن كثير: (١/ ٦٨٦).

(٢) تفسير القرطبي: (٣/ ٢٨٤).

الفصل الأول : والدا إبراهيم عليه السلام

وفيه مبحثان:

المبحث الأول : أبو إبراهيم

المبحث الثاني : أم إبراهيم عليه السلام

المبحث الأول : أبو إبراهيم.

المطلب الأول : اسمه ونسبه ونشأته.

اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في اسم والد الخليل إبراهيم عليه السلام على قولين :

القول الأول :

إن آزر ليس والد إبراهيم عليه الصلاة السلام.

ثم اختلفوا في حقيقة آزر:

- منهم من قال : إن اسم والد إبراهيم عليه السلام هو تارح أو تارخ، وهو من صريح كلام ابن عباس، ومجاهد، والزجاج، وابن جريج[1] والسيوطي[2] وغيرهم، واستدل هؤلاء بأن هذا القول هو إجماع أهل النسب.

  قال الزجاج : "لا خلاف بين النسابين أن اسمه تارح"[3].

  وقال ابن كثير –رحمه الله-: "وجمهور أهل النسب منهم ابن عباس على أن اسم أبيه تارح"[4].

  وجاء في التوراة أن اسم والد إبراهيم هو تارح، قالت التوراة : "وهذه مواليد تارح، ولد تارح ابرام وناحور وهاران وولد هاران لوطا، ومات هاران قبل تارح أبيه في أرض ميلاده في أور الكلدانيين...وأخذ تارح أبرام ابنه ولوطا بن هاران ابن ابنه وساراي كنته امرأة أبرام ابنه فخرجوا معا من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان ...ومات تارح في حاران"[5].

- ومنهم من قال : إن آزر هو اسم صنم الذي يعبده والد إبراهيم عليه السلام وإنما سماه الله بهذا الاسم لأنه جعل نفسه مختصا بعبادته، أو أن يكون المراد

---

(١) الدر المنثور للسيوطي : (٦/١٠٣).

(٢) انظر: الحاوي للفتاوي للسيوطي : (٢/ ٢٠٢-٢٠٣).

(٣) مفاتيح الغيب للرازي: (١٣/ ٣١).

(٤) البداية والنهاية : (١/ ١٦٣).

(٥) سفر التكوين، الإصحاح الحادي عشر، العدد : ٢٧-٣٢.

عابد آزر، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، واستدلوا بما روي عن مجاهد والسدي في قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ ﴾[1] قال: آزر لم يكن بأبيه، إنما هو صنم[2].

- ومنهم من قال إن آزر هو عم إبراهيم عليه الصلاة والسلام وليس بأبيه، وأن والد إبراهيم عليه السلام كان تارح وآزر كان عما له ، والعم قد يطلق عليه اسم الأب ، كما حكى اللَّه تعالى عن أولاد يعقوب أنهم قالوا: ﴿ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ﴾[3]، ومعلوم أن إسماعيل كان عما ليعقوب، وقد أطلقوا عليه لفظ الأب، فكذا في هذه الآية أطلق على آزر لفظ الأب وهو عمه.
- وكذلك فإن إبراهيم عليه الصلاة والسلام شافه آزر بالغلظة والجفاء، ومشافهة الأب بالجفاء لا تجوز ، وهذا يدل على أن آزر ما كان والد إبراهيم ، وذلك في قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾[4]، ونداء الأب بالاسم الأصلي -كما صرح به القرآن- من أعظم أنواع الجفاء، وقوله تعالى: ﴿ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[5]، وهذا من أعظم أنواع الجفاء والإيذاء، فثبت أنه عليه الصلاة والسلام شافه آزر بالجفاء ، و مشافهة الأب بالجفاء لا تجوز مسلما كان أو كافرا، فكيف إذا حصل ذلك من خليل الله تعالى مع أن الله تعالى قد وصفه بالحلم، فثبت بهذه الوجوه أن آزر ما كان والد إبراهيم عليه السلام بل كان عما له ، فأما والده فهو تارح[6].

---

(١) سورة الأنعام: (٧٤).

(٢) جامع البيان للطبري : (١١/ ٤٦٦).

(٣) سورة البقرة : (١٣٣).

(٤) سورة الأنعام : (٧٤).

(٥) سورة الأنعام : (٧٤).

(٦) انظر: مفاتيح الغيب : (١٣/ ٣٣).

- ومنهم من قال: إن آزر كان والد أم إبراهيم عليه السلام وهذا قد يقال له الأب، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِى ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [1]، فجعل عيسى من ذرية إبراهيم مع أن إبراهيم عليه السلام كان جدا لعيسى من قبل الأم.
- ومنهم من قال : إن كلمة آزر هو سبٌّ وعيب بكلامهم، ومعناه: معوَجٌّ، كأنه تأوّل أنه عابه بزَيْغه واعوجاجه عن الحق[2].

وهذا القول الذي جعل الملحدة يطعنون في القرآن الكريم، لأنهم رأوا التعارض بين القرآن وكتب التاريخ والسير والنسابين وأهل الكتاب، وقالوا أن القرآن قد أخطأ في هذا النسب، كما قال الرازي –رحمه الله–:

"ومن الملحدة من جعل هذا طعنا في القرآن، وقال هذا النسب خطأ وليس بصواب"[3]، ولكن سيأتي الجواب عنه، وأن القرآن رقيب على غيره من الكتب، وليس شيء منها رقيبا عليه، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَـٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَـٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ ﴾ [4]، وهولا تحكمه كتب التاريخ والسير والنسابين وأهل الكتاب، بل القرآن هو حاكما بين كتب أخرى، وأنه ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَـٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [5].

القول الثاني :

إن اسم والد إبراهيم عليه السلام هو آزر، كما يدل ذلك صريح القرآن الكريم والسنة النبوية.

---

(١) سورة الأنعام : (٨٤–٨٥).

(٢) جامع البيان للطبري : (١١/ ٤٦٧).

(٣) مفاتيح الغيب : (١٣/ ٣١).

(٤) سورة المائدة : (٤٨).

(٥) سورة فصلت : (٤٢).

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾ [1].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ ﴾ [2].

وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾ [3].

وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾ [4].

وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴾ [5].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ [6]

وقال تعالى: ﴿ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾ [7].

فهذه الآيات بينات وغيرها من الآيات التي وردت في القرآن تُوضح بمنتهى الجلاء أن آزر هو أبو إبراهيم عليه الصلاة والسلام، لأن هذه الآيات تحدثنا عن ما قاله إبراهيم عليه الصلاة السلام لأبيه، وليس لعمه أو خاله أو الصنم أو غير ذلك من التأويلات أو التكاليف التي تخالف صريح القرآن والسنة.

وفي الحديث عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة ، وعلى وجه آزر قترة وغبرة...) الحديث [8].

فهذا النص يدل على أنه اسم العلم وهو لا يحتمل التأويل ولا التحريف، وأن هذا النبي الذي جاءنا بالقرآن من عند الله عز وجل فصدقناه وآمنا أنه لا ينطق عن الهوى،

---

(١) سورة الأنعام: (٧٤).

(٢) سورة التوبة : (١١٤).

(٣) سورة مريم : (٤٢).

(٤) سورة الأنبياء : (٥٢).

(٥) سورة الصافات : (٨٥).

(٦) سورة الزخرف : (٢٦).

(٧) سورة الممتحنة : (٤).

(٨) رواه البخاري، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥] ، حديث رقم : (٣٣٥٠)، مع الفتح : (٦٤٠/٧).

وهو الذي أخبر أن آزر أبو إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وذكره باسمه العلم في الحديث الصحيح، وهو المبين لكتاب الله بسننه، فما خالفها من التأويل أو التفسير باطل[١].

وهذا القول هو ما رجحه إمام المغازي والسير محمد بن إسحاق[٢] بقوله: "آزر أبو أبو إبراهيم، وكان فيما ذكر لنا والله أعلم، رجلا من أهل كُوثَى[٣]، من قرية بالسواد، سواد الكوفة" [٤].

واختاره الإمام الطبري –رحمه الله– بقوله : "فأولى القولين بالصواب منهما عندي قولُ من قال: هو اسم أبيه، لأن الله تعالى ذكره، أخبر أنه أبوه، وهو القول المحفوظ من قول أهل العلم، دون القول الآخر الذي زعم قائلُه أنه نعتٌ"[٥].

واختاره الشافعي في الأم[٦] وابن كثير[٧] وابن حجر في الفتح[٨] وابن عاشور[٩] واختيار واختيار اللجنة الدائمة[١٠] وغيرهم كثير.

---

(١) انظر: كلمة الحق لأحمد شاكر : (ص:٢٧٢).

(٢) هو محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، العلامة الحافظ الإخباري أبو بكر، وقيل: أبو عبد أبو عبد الله القرشي المطلبي مولاهم المدني، صاحب السيرة النبوية، ولد ابن إسحاق سنة ثمانين، وهو أول من دون العلم بالمدينة، وذلك قبل مالك وذويه، مات ابن إسحاق سنة خمسين ومئة، انظر: سير أعلام النبلاء: (٧/ ٣٣)، ووفيات الأعيان : (٤/٢٧٦-٢٧٧).

(٣) وكوثى بالضم ثم السكون والثاء مثلثة وألف مقصورة تكتب بالياء: مواضع بسواد العراق في في أرض بابل، سمي نهر كوثى بالعراق بكوثى من بني أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام وهو الذي كراه فنسب إليه وهو جد إبراهيم عليه السلام، انظر: معجم البلدان: (٤/ ٤٨٧).

(٤) جامع البيان للطبري: (١١/ ٤٦٦).

(٥) جامع البيان للطبري: (١١/ ٤٦٧).

(٦) الأم للإمام الشافعي : (٥/١٦٠).

(٧) البداية والنهاية لابن كثير: (١/ ١٦٣)، وتفسير القرآن العظيم : (٣/٢٨٨).

(٨) فتح الباري : (١٠/٤٦٢).

(٩) التحرير والتنوير : (٦/١٦٩)

(١٠) فتاوى اللجنة الدائمة : (٤/٢١٦-٢١٧).

وأما القول الأول مع شهرته إلا أنه لا دليل عليه من القرآن أو السنة، ولعل عمدة من قاله من أهل العلم أحاديث أهل الكتاب وأقوال النسابين.

وأما الجواب على القائلين بالقول الأول :

١-أما قول من قال إن اسم والد إبراهيم عليه الصلاة والسلام تارح، فهو من قول النسابين وأهل الكتاب، وقول النسابين وأهل الكتاب ينبغي أن لا نُعول عليه، لأن الأنساب القديمة لا سبيل إلى التثبت فيها، ويكثر فيها الاختلاف والاضطراب.

قال الرازي –رحمه الله-:

"وأما قولهم: أجمع النسابون على أن اسمه كان تارح، فنقول: هذا ضعيف، لأن ذلك الإجماع إنما حصل لأن بعضهم يقلد بعضا ، وبالآخرة يرجع ذلك الإجماع إلى قول الواحد والاثنين مثل قول وهب وكعب وغيرهما ، وربما تعلقوا بما يجدونه من أخبار اليهود والنصارى ، ولا عبرة بذلك في مقابلة صريح القرآن"[(١)].

وقال أحمد شاكر –رحمه الله-: "وقد أخطأ الزجاج في هذا خطأ شنيعا، فإن العلماء بالنسب لم يجمعوا على ذلك"[(٢)].

٢-إن ما أورده الطبري وابن أبي حاتم[(٣)] [(٤)] وغيرهما من قول مجاهد بأن آزر اسم صنم فهو ضعيف.

قال ابن حجر –رحمه الله- : "وحكى الطبري من طريق ضعيفة عن مجاهد أن آزر اسم الصنم وهو شاذ"[(١)]، فهذا من جهة الإسناد، وكذلك من جهة المتن، لأنه شيء لا يصدر لنبي من الأنبياء في خطاب أبيه.

---

(١) مفاتيح الغيب : (١٣/ ٣١).

(٢) كلمة الحق : (ص:٢٦٤).

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم ابن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، أبو محمد، محمد، حافظ للحديث، من كبارهم، كان منزله في درب حنظلة بالري، وإليهما نسبته. له تصانيف، منها :الجرح والتعديل، وغيرهن ولد سنة ٢٤٠هـ، وتوفي سنة ٣٢٧هـ، انظر: سير أعلام النبلاء : (١٣/٢٤٧).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم: (٥/١٣٢٥).

وأما من جهة اللغة فقد قال الطبري –رحمه الله-: "فأما الذي ذكر عن السديّ من حكايته أن آزر اسم صنم، وإنما نصبَه بمعنى: أتتخذ آزر أصنامًا آلهة، فقولٌ من الصواب من جهة العربية بعيدٌ، وذلك أن العرب لا تنصب اسمًا بفعلٍ بعد حرف الاستفهام، لا تقول: أخاك أكلمت؟ وهي تريد: أكلمت أخاك"[2]، يعني لأن الاستفهام له الصدارة دائما[3].

٣-أما تأويل الأب بالعم، فإنه صرف لفظ عن ظاهره، وعدول عن الحقيقة إلى المجاز من غير قرينة تدل على ذلك، ولو ذهبنا بتأويل النصوص الصريحة بمثل هذا، لبطلت دلالة الألفاظ على المعاني، بل القرائن كلها تشير إلى أن المراد من اللفظ حقيقته لا مجازه، ومن ذلك الآيات التي سبقت، ففي هذه المواطن كلها كان التصريح بأن دعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام كانت لأبيه.

ثم إنّ الله عزّ وجل عرّفنا أن إبراهيم له ابنان إسماعيل وإسحق عليهم الصلاة والسلام، وأنّ يعقوب هو ابن إسحق عليهما السلام، وعندما أراد أن يبيّن لنا أنهم على ملّةٍ واحدة لم يكن من البلاغة في الكلام أن يقول: ملّة أبيك وعمك وجدّك إسحق وإسماعيل وإبراهيم –عليهم السلام-، بل اختصر على ملّة آبائك بالجمع، ثم إن القرآن العظيم لم يذكر آزر إلا بوصفه أباً لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، ونحن لا نعرف شيئاً عن آزر من قبل ، فلا يمكن أن نزعم أن هذا اللفظ كان على المجاز إلا بدليل ، ولا يُعقل أن يكون آزر هو عمّ إبراهيم عليه الصلاة والسلام ولا ينبّه القرآن على ذلك أبداً؛ بل يذكره دائماً بصفة الأبوّة ويخاطبه إبراهيم عليه الصلاة والسلام دائماً فيقول له: يا أبت ...! [4].

٤-وأما كتب أهل الكتاب فلا يصح الاعتماد عليها والقطع بما جاء فيها، فكيف إذا خالفت دليلا من القرآن والسنة؟

---

(١) فتح الباري لابن حجر : (١٠/٤٦٣).

(٢) جامع البيان :(١١/ ٤٦٧).

(٣) كلمة الحق لأحمد شاكر : (٢٦٨).

(٤) انظر: موسوعة الرد على الصوفية : (٢٢٤/ ٢).

٥-وأما خطاب أبيه بالغلظة فهو ليس غلظة، وإنما ذلك حسن للمصلحة والمنفعة كمن شد في تربية الأولاد أحيانا.

قال أبو تمام[1] :

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما   فليقس أحيانا على من يرحم[2].

وقال أبو العلاء المعري[3] :

اضرب وليدك وأدلله على رشد   ولا تقل هو طفل غير محتلم

فرب شق برأس جر منفعة   وقس على شق رأس السهم والقلم[4].

وقال ابن خفاجة الأندلسي[5] :

نبه وليدك من صباه بزجره   فلربما أغفى هناك ذكاؤه

وانهره حتى تستهل دموعه   في وجنتيه وتلتظي أحشاؤه

فالسيف لا يذكو بكفك ناره   حتى يسيل بصفحتيه ماؤه[6].

---

(١) هو أبو تمام، حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس الطائي، من حوران، من قرية جاسم، له تصانيف منها فحول الشعراء و ديوان الحماسة ، ولد سنة ١٨٨هـ، ومات في جمادى الاولى سنة إحدى وثلاثين ومئتين، انظر: سير أعلام النبلاء: (١١/ ٦٣)، ووفيات الأعيان (١١/٢).

(٢) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة: (١/ ٦٢).

(٣) هو أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة التنوخي المعري للغوي الشاعر؛ كان متضلعاً من فنون الأدب، وكانت ولادته يوم الجمعة ٣٦٣هـ بالمعرة، وتوفي يوم الجمعة ثالث شهر ربيع الأول، سنة٤٤٩هـ، انظر: سير أعلام النبلاء : (١٨/ ٢٣)، وفيات الأعيان : (١/ ١١٣-١١٤).

(٤) انظر: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص: (١/ ١٤٢).

(٥) هو أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الاندلسي، شاعر وقته، وله ديوان مشهور، وكان مقيما بشرق الأندلس، ولم يتعرض لمدح ملوك الأندلس، توفي سنة ثلاث وثلاثين وخمس مئة وله ثلاث وثمانون سنة. انظر: سير أعلام النبلاء : (٢٠/ ٥١)، ووفيات الأعيان : (٥٦/١).

(٦) انظر: روح المعانى: (٤/ ١٨٥)، وبيان المعاني:(٣/ ٣٦٦).

وكون الرفق أكثر تأثيرا غير مسلم على الإطلاق فإن المقامات متفاوتة كما ينبئ عن ذلك قوله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام تارة : ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[1]، وأخرى ﴿ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ ﴾[2].

وهذا النداء من إبراهيم ليه الصلاة والسلام لأبيه باسمه آزر هو إخبار القرآن وحكايته عما حصل بين إبراهيم وأبيه في الحوار.

ثم لو سلمنا أن هذا الخطاب فيه نوع من الغلظة، فذلك لأجل إصرار أبيه على الكفر، فاستحق ذلك التغليظ[3].

٦-وأما قولهم إنما هو سب لأبيه أو عيب، فهو بعيد، لأن ذلك لا يصدر من نبي نحو أبيه، وبخاصة من إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذي يرد على أبيه بعد أن هدَّده بقوله: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴾[4]، فيقول إبراهيم عليه الصلاة السلام: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴾[5]، فلا يعقل من هذا أدبه مع أبيه في حدة الجدل والمناظرة أن يبدأ بدعوة أبيه بالسب والشتم.

ثم إن الله تعالى قد أثنى على إبراهيم عليه الصلاة والسلام بما هو أهله بأنه حليم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ﴾[7]، ومن وُصف بهذا الوصف، لا يصدر منه مثل هذا الكلام الكلام لعامة الناس، فكيف بأقرب الناس إليه؟

---

(١) سورة النحل : (١٢٥).

(٢) سورة التوبة : (٧٣)، وسورة التحريم : (٩).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب : (١٣/ ٣٣)، وروح المعاني للآلوسي : (٤/١٨٥).

(٤) سورة مريم : (٤٦).

(٥) سورة مريم : (٤٧).

(٦) سورة التوبة : (١١٤).

(٧) سورة هود : (٧٥).

وقد جمع الطبري –رحمه الله– بين هذين الاسمين بقوله : "فإن قال قائل: فإن أهل الأنساب إنما ينسبون إبراهيم إلى تارح، فكيف يكون آزر اسمًا له، والمعروف به من الاسم تارح؟ قيل له: غير محال أن يكون له اسمان، كما لكثير من الناس في دهرنا هذا، وكان ذلك فيما مضى لكثير منهم، وجائز أن يكون لقبًا يلقّب به"[1].

وهذه الإجابة من الإمام الطبري – رحمه الله- ليست تسليما بصحة الاسم الآخر، وإنما احتاط، فأجاب على فرض صحته، كما هو واضح من كلامه[2].

والخلاف في هذه المسألة سيؤدي إلى مسألة أخرى، وهي ما يتعلق بملة والد إبراهيم كما سيأتي، لأنه إذا كان آزر ليس والد إبراهيم عليه السلام، بل هو عمه أو غير ذلك من المقالات، فسيقول القائلون بها بأن والد إبراهيم ليس كافرا، بل هو مؤمن.

ووالد إبراهيم عليه الصلاة السلام من نسل سام بن نوح عليه السلام، وهو آزر واسمه تَارحْ بن ناحُور بن شارُوخ بن راغوء بن فَالَخ بن عبير (ويقال عابر) بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام، لا يختلف جمهور أهل النسب ولا أهل الكتاب في ذلك إلا في النطق ببعض هذه الأسماء[3].

وكان آزر رجلا من أهل كوثى، من قرية بالسواد سواد الكوفة، وكان إذ ذاك ملك المشرق لنمرود الخاطئ، وكان يقال له الهاصر، وكان ملكه قد أحاط بمشارق الأرض ومغاربها، وكان ببابل، وهو من أحد المقربين إلى ذاك الملك ومستشاره، لأنه من رؤساء قومه وعظمائه وخياره[4].

ونشأ والد إبراهيم عليه السلام في بلاد بعيد من نور الهداية، وهم يعبدون الأصنام والكواكب، وكان آزر والد إبراهيم عليه السلام ممن يصنع أصنام قومه التي يعبدون من دون الله.

---

(١) جامع البيان: (١١/ ٤٦٨-٤٦٩).

(٢) انظر: كلمة الحق لأحمد شاكر : (ص: ٢٧١).

(٣) فتح الباري لابن حجر : (٧/ ٦٤٤)، وانظر: السيرة النبوية لابن إسحاق : (١/١٧)، وانظر: السيرة النبوية لابن هشام : (١/٣٩)، تاريخ الرسل والملوك للطبري : (١/٢٣٣)، وتاريخ مدينة دمشق : (٣/٥٦) و (٦/١٦٤).

(٤) انظر: تاريخ مدينة دمشق : (٦/١٦٨).

المطلب الثاني : ملة أبي إبراهيم عليه السلام.

ومن مذهب أهل السنة والجماعة أن والد إبراهيم عليه الصلاة والسلام ليس مؤمنا، بل كافرا ومات على كفره، وكان على دين قومه يعبدون الأصنام، وكان آزر ممن ينحت الأصنام لفرط حبه لها، فإذا كثرت عليه يبيعها وكان يعطيها لأولاده ويبيعوها، وإبراهيم عليه الصلاة والسلام تبرأ من أبيه لما علم أنه من عدو لله تعالى، وهذه البراءة لا يكون إلا لكفره وإصراره عليه، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [1].

وفي الحديث ما يدل على كفره قول النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : (فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون فأي خزى أخزى من أبي الأبعد، فيقول الله تعالى : إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال : يا إبراهيم ما تحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بذيخ ملتطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار) [2].

ووالد إبراهيم عليه الصلاة السلام مات مشركا، ولذلك مسخه الله يوم القيامة في أذل الصورة دليلا وتأكيدا على كفره، وأنه من عدو الله حتى لا سبيل لشافع أن يشفع له، كما حصل هذه الشفاعة من ابنه إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وسيأتي بيان ذلك في موضعه [3].

قال ابن حجر –رحمه الله– :

"الحكمة في مسخة لتنفر نفس إبراهيم –عليه الصلاة والسلام– منه، و لئلا يبقى في النار على صورته فيكون فيه غضاضة على إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

وقيل الحكمة في مسخه ضبعا أن الضبع من أحمق الحيوان، وآزر كان من أحمق البشر لأنه بعد أن ظهر له من ولده من الآيات البينات أصر على الكفر حتى مات، واقتصر

---

(١) سورة التوبة : (١١٤).

(٢) رواه البخاري، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٥] ، حديث رقم : (٣٣٥٠)، مع الفتح : (٧/٦٤٠).

(٣) انظر: ص (١/١٨١) من هذه الرسالة.

في مسخه على هذا الحيوان لأنه وسط في التشويه بالنسبة إلى ما دونه كالكلب والخنزير وإلى ما فوقه كالأسد مثلا ، ولأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالغ في الخضوع له وخفض الجناح، فأبى واستكبر وأصر على الكفر فعومل بصفة الذل يوم القيامة، ولأن للضبع عوجا فأشير إلى أن آزر لم يستقم فيؤمن بل استمر على عوجه في الدين"[1].

وذكر ابن تيمية –رحمه الله– أن والد إبراهيم عليه الصلاة والسلام والذين معه في ذاك الوقت كانوا يعبدون الكواكب، قال رحمه الله :

"وكان أبوه في ملك النمروذ، وكان قد استولى على العراق وغيرها وكانوا صابئة فلاسفة يعبدون الكواكب"[2].

أي لم يكن مع إبراهيم عليه الصلاة والسلام في الديانة، بل إبراهيم عليه الصلاة والسلام بُعث لهؤلاء الذين يعبدون من دون الله من الأصنام والكواكب، واستمر الحال على ذلك حتى لقي آزر خالقه، وأنه من الكافرين.

وأما الشيعة الرافضة والصوفية فإنهم قالوا أن والد إبراهيم عليه السلام كان مؤمنا.

وقد ذكر ابن تيمية –رحمه الله– عن مذهبهم الفاسدة بقوله :

"فيقولون أو من يقول منهم –يعني الشيعة– إن آزر أبا إبراهيم –عليه الصلاة والسلام– كان مؤمنا"[3].

وقال في موضع آخر من كتابه :

"والرافضة لهم في هذا الباب قول فارقوا به الكتاب والسنة وإجماع السلف ودلائل العقول، والتزموا لأجل ذلك ما يعلم بطلانه بالضرورة كدعواهم إيمان آزر ..."[4].

وكذا الصوفية، فإنهم قالوا أن والد إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان مؤمنا وليس كافرا، كقول علي الجفري الداعية الصوفي: أنّ آزر ليس والد إبراهيم عليه الصلاة والسلام، بل

---

(١) فتح الباري لابن حجر : (١٠/٤٦٤).

(٢) بغية المرتاد : (ص: ٣٧٠).

(٣) منهاج السنة النبوية : (٤/ ١٩١).

(٤) المصدر نفسه : (٨/ ٢٠٤).

هو عمّه لأنه كافر، ووالد إبراهيم اسمه تارح ، وقد مات مبكراً فتربى إبراهيم عند عمّه آزر[1].

وقد ذهب السيوطي بإيمان والد إبراهيم عليه الصلاة والسلام، كما سيأتي في مبحث مستقل.

وهؤلاء الشيعة والصوفية وغيرهما ممن سلك مسلكهما استدلوا بأدلة، منها ما يلي:

١-إن آباء الأنبياء ما كانوا كفارا، ويدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴾[2]، فمعناه إنه كان ينقل روحه من ساجد إلى ساجد، وبهذا التقدير فالآية دالة على أن جميع آباء محمد عليه الصلاة والسلام كانوا مسلمين، وحينئذ يجب القطع بأن والد إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان مسلما.

٢-إذا كان أبوه كافرا أمكن أن يكون ابنه كافرا؟

٣-واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾[3]، وقوله عليه الصلاة والسلام: "لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات"[4]، وذلك يوجب أن يقال : إن أحدا من أجداده ما كان من المشركين، وإذا ثبت هذا فمعناه أن والد إبراهيم عليه الصلاة والسلام ما كان مشركا .

٤-إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام دعا لأبيه في آخر عمره واستغفر له، وذلك في قول الله تعالى: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿ وَٱغْفِرْ

(١) انظر: روح المعاني للألوسي: (٧/ ٢٢٩).

(٢) سورة الشعراء : (٢١٨-٢١٩).

(٣) سورة التوبة : (٢٨).

(٤) سيأتي تخريجه: (ص:٥٥٣).

(٥) سورة إبراهيم : (٤١).

(٦) سورة مريم : (٤٧).

لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾[1]، وذلك دليل على أن والده كان مؤمنا، لأنه إذا كان كافرا، فلا يجور استغفار للكافرين.

ويجاب عن ذلك ما يلي :

١-وقد جاء عن بعض المفسرين كابن أبي حاتم وغيره، قال -رحمه لله- بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنه في قول الله: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[2]، قال : "من نبي إلى نبي حتى أخرجك نبيا"[3].

وروي أيضا عنه في قول الله عز وجل ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[4]، قال: "ما زال النبي صلى الله عليه وسلم يتقلب في أصلاب الأنبياء حتى ولدته أمه"[5].

فهذان الأثران يدلان على أن النبي صلى الله عليه وسلم من سلالة الأنبياء، فهو من نسل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ومن قبلهما ومن بعدهما، دون أن يلزم منه أن يكون جميع آباءه أنبياء وحتى مسلمين، وكذا والد إبراهيم، لا يلزم منه أن يكون هو مؤمن، لأنه إذا قلنا بذلك للزم أن نقول أن آباء النبي صلى الله عليه وسلم أنبياء، وليسوا فقط مؤمنين[6].

وجاء غير ذلك من مراد الآية، وإذا كان مقصود الآية يحتمل كل الوجوه، وجب حمل الآية على الكل بالضرورة، لأنه لا منافاة ولا رجحان، وسيأتي زيادة بيان هذه المسألة في والدي النبي صلى الله عليه وسلم[7].

---

(١) سورة الشعراء : (٨٦).

(٢) سورة الشعراء : (٢١٩).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير : (١٧١/٦).

(٤) سورة الشعراء : (٢١٩).

(٥) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٢٨)

(٦) انظر: نقض مسالك السيوطي في والدي المصطفى صلى الله عليه وسلم، للدكتور أحمد الزهراني : (ص:١٩٥).

(٧) انظر: ص: (٥٨٠/٢-٥٨٥).

٢-إن كون الرجل أباه أو ابنه كافرا لا ينقصه ذلك عند الله شيئا، فإن الله يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحى، ومن المعلوم أن الصحابة أفضل من آبائهم وكان آباؤهم كفارا... فلو كان المؤمن لا يلد إلا مؤمنا لكان بنو ادم كلهم مؤمنين وقد قال تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[١] إلى آخر القصة، وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن ادم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– :

"فإن كان الرجل لا يضره كفر أبيه أو فسقه لم يضر نبينا ولا إبراهيم ولا عليا كفر آبائهم"[٣].

٣-وأما الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ ﴾[٤]، فالنجاسة هنا هي النجاسة المعنوية الحاصلة من كفرهم، وليست النجاسة الحسية، لذا جاز لنا أن نتزوج المحصنات من الكتابيات ومس أبدانهم بالمصافحة ولبس لباثهم وغير ذلك من أنواع المعاملة الحسية.

وأما الحديث فلا يدل على أن والد الأنبياء كانوا مؤمنين، وقد يُخرج الله تعالى من أصلاب المشركين والكفار من هو خاصته وأولياؤه، كما جاء من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: ...فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

---

(١) سورة المائدة : (٢٧).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، حديث رقم : (٣٣٣٥و٦٨٦٧و٧٣٢١)، مع الفتح: (٧/٦٠٥) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ورواه مسلم، في كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب بيان إثم من سن القتل، حديث رقم : (٤٣٧٩).

(٣) منهاج السنة النبوية (٤/ ٢١٢)

(٤) سورة التوبة : (٢٨).

(بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا)[1]، وقد تحقق دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الطائف.

٤- إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام استغفر لأبيه لأنه كان يرجو منه الإيمان، فلما أيِس من ذلك ترك الاستغفار، ويدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾[2]، ولعل إبراهيم عليه الصلاة والسلام لم يجد في شرعه ما يدل على القطع بعذاب الله تعالى لكافر، فلا جرم استغفر لأبيه[3].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب بدأ الخلق، باب إذا قال أحدكم : "آمين"، والملائكة في السماء، فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، حديث رقم : (٣٢٣١) مع الفتح : (٥٢٦/٧)، ورواه مسلم في صحيحه، في كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين، حديث رقم : (٤٦٥٣).

(٢) سورة التوبة : (١١٤).

(٣) عصمة الأنبياء للرازي: (ص: ٦٦-٦٧).

المطلب الثالث : دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه وشفاعته له.

كان بداية دعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام دعوة أقرب الناس إليه، وهو أبوه، وكان أبوه أول المكذبين بدعوته، والمعرضين عنها، والمعارضين لها، وقد بذل إبراهيم عليه السلام جهده في دعوة أبيه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وتخليصه من عبادة غير الله تعالى، واتسمت دعوته لأبيه بالأدب الجم والتواضع العظيم، مع بلاغة في الحجة، وقوة في البرهان، وقد قص الله تعالى ذلك في كتابه الكريم فقال سبحانه: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴾(1).

يعرض القرآن الكريم هذا الحوار بين إبراهيم عليه الصلاة والسلام وأبيه أبلغ العرض وأحسنه، وقد تجلت فيه حكمة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وأدبه مع أبيه، وحرصه على هدايته إلى الصراط المستقيم، وما قابله به أبوه من التكذيب والتهديد والوعيد الذي لم يزد إبراهيم إلا أدباً إلى أدبه وحرصاً وصبراً على دعوة أبيه ووعده بأن يستغفر الله تعالى له، وقد وفّى بوعده عليه السلام، حتى نهاه الله تعالى عن ذلك فانتهى.

ولم يقتصر حرصه على هداية أبيه في الدنيا بل سيكون ذلك حتى يوم القيامة وهو طلب الشفاعة لأبيه، فقد أخرج البخاري رحمه الله عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة ، وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له إبراهيم ألم أقل لك لا تعصني فيقول أبوه فاليوم لا أعصيك فيقول

(1) سورة مريم : (٤١-٤٨).

إبراهيم يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون فأي خزى أخزى من أبي الأبعد فيقول الله تعالى إني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال يا إبراهيم ما تحت رجليك فينظر فإذا هو بذيخ ملتطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار[1].

وحين رأى إبراهيم عليه السلام إصرار أبيه على الكفر، وإعراضه وعداءه للحق، وعدم استجابته لدعوته، عند ذلك أعلن البراءة منه، كما بينت ذلك الآية التي سبق ذكرها، وكما جاء في قوله تعالى في براءته عليه السلام مما كان عليه أبوه وقومه: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[2].

والحديث الذي جاء بشفاعة إبراهيم عليه السلام لأبيه يوم القيامة استشكله بعض العلماء –رحمهم الله–، كما قال ذكر ابن حجر –رحمه الله– بقوله: "وقد استشكل الإسماعيلي هذا الحديث من أصله وطعن في صحته فقال بعد أن أخرجه: هذا خبر في صحته نظر، من جهة أن إبراهيم علم أن الله لا يخلف الميعاد؛ فكيف يجعل ما صار لأبيه خزيا مع علمه بذلك، وقال غيره: هذا الحديث مخالف لظاهر قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾[3][4].

وللعلماء –رحمهم الله توجيهات لهذا الاستشكال:

١–من جهة صحة الحديث، فقد استشكل الإسماعيلي[5] هذا الحديث من أصله وطعن في صحته[1]، لكن لا يلتفت إلى طعنه في هذا الحديث، فإن أهل العلم

(١) تقدم تخريجه: (١٦٦).

(٢) سورة الزخرف : (٢٦–٢٨).

(٣) سورة التوبة : (١١٤).

(٤) فتح الباري: (١٠/٤٦٤).

(٥) هو الامام الحافظ الحجة الفقيه شيخ الاسلام أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الجرجاني الإسماعيلي الشافعي صاحب " الصحيح "، وشيخ الشافعية، وكان مولده في سنة سبع وسبعين ومئتين، ومات في غرة رجب سنة إحدى وسبعين وثلاث مئة، عن أربع وتسعين =

بالحديث حكموا بصحته، وكفى برواية البخاري إياه في صحيحه تصحيحا[2]، وهو من أهل الذكر في هذا الفن، وعنه يُؤخذ، وبه يُقتدى في التوثق في صحة الحديث.

٢-إن هذه الشفاعة إنما هي من قبيل ما جُبل عليه من الشفقة والرحمة ورقة القلب، لأن الله عز وجل قد وصف إبراهيم عليه الصلاة والسلام بقوله: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾[3]، والأواه : الرحيم بلسان الحبشة، قاله أبو مسيرة[4]، وهو في هذا الأمر ليس بدعا من الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، فقد حصل ذلك من نوح عليه السلام مع ولده المشرك -كما تقدم بيانه-، وكما حصل لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم مع أمه -كما سيأتي بيانه-، وهذا أمر جبلي معهود بنوازع الرحم والدم.

سنة. انظر: طبقات الشافعية الكبرى : (٣/٧)، وسير أعلام النبلاء : (١٦/ ٢٩٢).

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر : (١٠/٤٦٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كما تقدم ذكره، وأخرجه في التاريخ الأوسط : (١/٢٧٧) حديث رقم : (٣٥)، والنسائي في السنن الكبرى : (١٠/٢٠٦) حديث رقم : (١١٣١١)، والبزار في مسنده : (١٧/٢١٣) حديث رقم : (٩٨٦٤)، والحاكم في المستدرك : (٢/٢٦٠) حديث رقم : (٢٩٣٦) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، قلت: وقد أخرج البخاري في صحيحه كما تقدم، والبغوي في شرح السنة : (١٥/١١٨) حديث رقم : (٤٣١٠) وقال : هذا حديث صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير : (ص:١٣٥٥) حديث رقم :(٨١٥٨)، وانظر: مشكاة المصابيح : (١٥٣٥) حديث رقم : (٥٥٣٨).

(٣) سورة التوبة : (١١٤).

(٤) فتح الباري لابن حجر : (٧/٦٤٠)، وانظر: جامع البيان للطبري: (١٤/٥٢٤)، وأبو ميسرة هو عمرو بن شرحبيل الهمداني الكوفي، حدث عن عمر، وعلي، وابن مسعود، وغيرهم، وكان إمام مسجد بني وادعة، من العباد الاولياء، ومات في ولاية عبيد الله بن زياد، انظر: تهذيب التهذيب: (٨/٤٢)، وسير أعلام النبلاء: (٤/ ١٣٥).

وقد بوّب البخاري –رحمه الله تعالى– باب قول الله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلاً ﴾[1]، وقوله ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ ﴾[2]، وقوله ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾[3]، ثم أورد فيه حديث شفاعة إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأبيه يوم القيامة، فيه إشارة إلى ثناء الله تعالى على إبراهيم عليه الصلاة والسلام بهذا الوصف، وهذا الوصف الذي جعل إبراهيم يشفق ويرحم ويرق قلبه لأقرب الناس إليه وهو أبوه في ذلك المشهد العظيم.

٣–وأما قول من قال إن هذا الحديث مخالف لظاهر قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾[4].

فالجواب له: أن العلماء –رحمهم الله– اختلفوا في الوقت الذي تبرأ فيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام من أبيه، فقيل كان ذلك في الحياة الدنيا لما مات آزر مشركا، وهذا أخرجه الطبري من طريق حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وإسناده صحيح، وفي رواية : فلما مات لم يستغفر له[5].

وقيل إنما تبرأ منه يوم القيامة، لما يئس منه حين مسخ، على ما صرح به في رواية ابن المنذر: فإذا رآه كذا تبرأ منه، قال: لست أبي.

ويمكن الجمع بين القولين: بأنه تبرأ منه لما مات مشركا فترك الاستغفار له، لكن لما رآه يوم القيامة أدركته الرأفة والرقة فسأل فيه فلما رآه مسخ يئس منه حينئذ فتبرأ منه تبرأ أبديا.

---

(١) سورة النساء : (١٢٥).

(٢) سورة النحل : (١٢٠).

(٣) سورة التوبة : (١١٤).

(٤) سورة التوبة : (١١٤).

(٥) جامع البيان للطبري : (٥١٩/١٤).

وقيل إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لم يتيقن موت أبيه على الكفر، بجواز أن يكون آمن في نفسه، ولم يطلع إبراهيم على ذلك، ويكون تبرؤه حينئذ بعد الحال التي وقعت في هذا الحديث.

قال الكرماني-رحمه الله-[1] في الجواب على ما استدل به الإسماعيلي:

فإن قلت: إذا أدخل الله أباه النار فقد أخزاه لقوله ﴿ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ﴾[2]، وخزى الوالد خزي الولد، فيلزم الخلف في الوعد وهو محال، ولو لم يدخل النار لزم الخلف في الوعيد، وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم "إن الله حرم الجنة على الكافرين "

والجواب: أنه إذا مسخ في صورة ضبع وألقى في النار لم تبق الصورة التي هي سبب الخزي، فهو عمل بالوعد والوعيد.

وجواب آخر: أن الوعد كان مشروطا بالإيمان، وإنما استغفر له وفاء بما وعده ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾[3]، والله أعلم[4].

---

(١) هو شيخ الحنفية، مفتي خراسان، أبو الفضل، عبدالرحمن بن محمد ابن أميرويه بن محمد الكرماني، تفقه بمرو على محمد بن الحسين القاضي، وبرع، وأخذ عنه الاصحاب، وانتشرت تلامذته، وبعد صيته، ولد سنة سبع وخمسين وأربع مئة، ومات في ذي القعدة سنة ٥٤٣، انظر: سير أعلام النبلاء : (٢٠/ ٢٠٦).

(٢) سورة آل عمران : (١٩٢).

(٣) سورة التوبة : (١١٤).

(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر : (١٠/٤٦٥).

المطلب الرابع : محنة إبراهيم عليه السلام مع أبيه.

إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام من الأنبياء الذين لقوا الأذى والابتلاء والمحن من قِبل قومهم وحتى من قراباتهم في سبيل تبليغ رسالة النبوة، ومن ذلك ما حصل لإبراهيم مع أبيه، وأن أباه ممن تصدى في دعوة إبراهيم عليه السلام بمختلف الأساليب، فمن ذلك:

١-إنه توعَّده بالرجم، كما ذكر الله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾ [١]، والرجم إما بالحجارة كما قاله الحسن، وإما بالذم باللسان والعيب بالقول، كما قاله الضحاك ، والسدي ، وابن جريج [٢].

والرجم عادة قديمة من قِبل أعداء الرسل —صلوات الله عليهم وسلامه-، كما حكاها القرآن عن قوم نوح عليه السلام ﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾ [٣] وقوم شعيب عليه السلام إذ قال له قومه: ﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ﴾ [٤]، وقول الله تعالى: ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ ﴾ [٥].

٢-هجره لابنه إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وذلك في قول الله تعالى: ﴿ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾ [٦]، أي الهجر بالقول وهو طرده من معاشرته ومكالمته أو بالمفارقة في الدار والبلد لمدة مديدة وطويلة من الزمن[٧].

٣-إنه وافق قومه في إحراق إبراهيم عليه السلام بالنار، قال الله تعالى: ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴾ [٨].

---

(١) سورة مريم : (٤٦).

(٢) النكت والعيون للماوردي : (٣/ ٣٧٤).

(٣) سورة الشعراء : (١١٦).

(٤) سورة هود : (٩١).

(٥) سورة يس : (١٨).

(٦) سورة مريم : (٤٦).

(٧) انظر: مفاتيح الغيب : (٢١/ ٥٤٦)، و التحرير والتنوير : (١٦/ ١٢٠).

(٨) سورة الأنبياء : (٦٨).

ويشهد لذلك ما أورده ابن كثير –رحمه الله تعالى– بقوله: "وقال أبو زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة أنه قال: أحسن كلمة قالها أبو إبراهيم، إذ قال لما رأى ولده على تلك الحال: نعم الرب ربك يا إبراهيم[1].

وروى ابن عساكر[2] عن عكرمة، أن أم إبراهيم –عليه الصلاة والسلام– نظرت إلى ابنها عليه السلام فنادته: يا بنى إني أريد أن أجئ إليك، فادع الله أن ينجيني من حر النار حولك، فقال: نعم، فأقبلت إليه لا يمسها شيء من حر النار، فلما وصلت إليه اعتنقته وقبلته ثم عادت [3].

وفيه دليل أن والد إبراهيم عليه الصلاة والسلام شاهد إحراق ابنه ولم يمنعه، مع أنه من المقربين لملك ذاك الزمان، إذ لو لم يكن معه، لمنعه أو حاول في منعه، لأنه ابنه، ولا أحد يطيق أن ير ابنه يُحرق بين يديه.

وكل هذه المحن والابتلاء من والد إبراهيم عليه الصلاة عكس ما جاء في التوراة: فقد ذكر التوراة : "وأخذ تارح أبرام ابنه، ولوطا بن هاران –ابن ابنه– وساراي كنته امرأة ابنه ابرام، فخرج بهم من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان، فجاءوا إلى حاران، وأقاموا هناك...وكان عمر تارح مائتين وخمس سنين، ومات تارح بحاران"[4].

وزعم أخبار اليهود أن والد أبراهيم عليه الصلاة والسلام هو الذي أخذ أسرته وهاجر بهم من مدينة أور إلى أرض كنعان، وجاء في حاران في طريقة إلى أرض كنعان، وبقي في حاران إلى أن توفي، وظاهر هذا الكلام أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان متفقا مع أبيه ويتحرك بأمره، ولما توفي أبوه في حاران تابع إبراهيم سيره إلى أرض كنعان.

---

(١) تفسير ابن كثير: (٥/ ٣٥٢).

(٢) هو الامام العلامة الحافظ الكبير المجود، محدث الشام، ثقة الدين، أبو القاسم الدمشقي الشافعي، صاحب " تاريخ دمشق "، ولد في المحرم في أول الشهر سنة تسع وتسعين وأربع مئة، وكان كثرة العبادات، توفي في رجب سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ليلة الاثنين حادي عشر الشهر، وصلى عليه القطب النيسابوري وحضره السلطان صلاح الدين، ودفن عند أبيه بمقبرة باب الصغير، انظر: سير أعلام النبلاء : (٢٠/ ٥٥٤).

(٣) قصص الأنبياء : (١/ ١٨٤).

(٤) سفر التكوين : الإصحاح الحادي عشر: العدد: ٢٧-٣٢.

ولكن هذا النص يتعارض مع القرآن، لأن القرآن ذكر أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام دعا والده آزر إلى الإيمان بالله وحده، وأن والده رد عليه بغلظة وشدة، وكان إبراهيم يطمع في إيمان أبيه، ولذلك استغفر له، ولكن والده أصر على الكفر، ففاصله إبراهيم وتبرأ منه، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ (1)، وفاصل قومه الكافرين بمن فيهم والده، وأعلن هو وأتباعه المؤمنين البراءة من الكافرين، قال الله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (2).

والقرآن يجزم بعدم خروج والد إبراهيم مع إبراهيم ولوط وسارة عليهم السلام إلى أرض حاران، لأن العداء استحكم بين إبراهيم عليه الصلاة والسلام ووالده، حتى إن والده أمر ابنه إبراهيم بهجره وعدم الدخول عليه وتهدده بالرجم، وانتهى الأمر بإبراهيم إلى التبرؤ من أبيه عند ما تبين له أنه عدو لله، والقرآن يُبيّن أن هجرة إبراهيم عليه الصلاة والسلام كانت بعد إلقاء قومه له في النار، فإبراهيم عليه الصلاة والسلام لم يخرج من قومه من أرضه إلى ذلك الوقت، فلا معنى لما زعمته التوراة من أن والد إبراهيم هاجر بابنه إلى حاران.

وهذا الزعم يصور أن علاقة إبراهيم بأبيه كانت علاقة حسنة وجيدة، وأنهما كانا متفاهمين متعاونين، لكن الأمر على خلاف ذلك، والله أعلم.

---

(1) سورة التوبة : (114).

(2) سورة الممتحنة : (4).

المبحث الثاني : أم إبراهيم عليه السلام.

المطلب الأول : اسمها ونسبها ونشأتها.

حكى الحافظ ابن عساكر في ترجمة ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام من تاريخه عن اسحاق بن بشر الكاهلي[1] أن اسم أم ابراهيم عليه الصلاة والسلام أميلة، ثم أورد عنه في خبر ولادتها له حكاية طويلة.

وقيل أن اسمها "يونا بنت كرينا بن كوثى" من بني أرفخشذ بن سام بن نوح.

وقيل: اسمها "ايبونا" من ولد افرايم بن أرغو بن فالع بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام[2].

و عن ابن عباس أن أمه اسمها "مثاني" ... [3].

وفي رواية عنه رضي الله : إن اسمها مثلى[4].

وقال الطبري – رحمه الله- :

"أم إبراهيم –عليه الصلاة والسلام- اسمها توتا بنت كرينا بن كوثى من بني أرفخشد بن سام بن نوح.

وحدثني الحارث قال حدثنا محمد بن سعد قال حدثنا محمد بن عمر الأسلمي عن غير واحد من أهل العلم قال: اسمها أنموتا من ولد أفراهم بن أرغوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح.

وكان بعضهم يقول اسمها انمتلي بنت يكفور"[5].

---

(١) هو أبو حذيفة الشيخ العالم القصاص: الضعيف التالف، أبو حذيفة إسحاق بن بشر بن محمد بن عبد الله بن سالم الهاشمي، مولاهم البخاري، مصنف كتاب " المبتدأ، وكان متروك الحديث، مات أبو حذيفة ببخارى في رجب سنة ست ومئتين، قاله غنجار. انظر: سير أعلام النبلاء: (٩/ ٤٧٩).

(٢) انظر: البداية والنهاية : (١/ ١٦٠)، وقصص الانبياء : (١٦٧/١)، وتاريخ مدينة دمشق: (١٧١/٦).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : (٣/ ٢٨٨).

(٤) انظر: الدر المنثور للسيوطي : (١٠٢/٦).

(٥) تاريخ الرسل والملوك : (٣١٠/١).

وكانت أم إبراهيم عليه الصلاة والسلام تعيش زمن نمرود الذي حصل فيه قتل لكل من ولد لهن غلام لسبب أهل النجوم الذين يأتون إليه وأخبروه بأن غلاما وُلد في قريته، يفرق دينه ويكسر أصنامه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما :

"لما حملت أم إبراهيم –عليه الصلاة والسلام–، قال الكهان لنمرود: إن الغلام الذي أخبرناك به قد حملته أمه الليلة، فأمر نمرود بذبح الغلمان، فلما دنت ولادة أم إبراهيم عليه السلام وأخذها المخاض خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها، فوضعته في نهر يابس ثم لفته في خرقة ووضعته في حلفاء، فرجعت فأخبرت زوجها بأنها ولدت، وأن الولد في موضع كذا وكذا، فانطلق أبوه فأخذه من ذلك المكان وحفر له سربا عند نهر، فواراه فيه وسد عليه بابه بصخرة مخافة السباع، وكانت أمه تختلف إليه فترضعه" [(١)].

وهذا هو دأب الملوك الطغاة، الذين بذلوا كل الوسائل في قيام ملكهم وإن أدى ذلك إلى قتل النفوس كما حصل زمن أم إبراهيم عليه الصلاة والسلام التي عانت هذه المحنة إلا أن الله تعالى حفظها وحفظ ولدها الذي يكون بعد ذلك نبيا ورسولا.

---

(١) معالم التنزيل للبغوي : (٣/ ١٦٠).

المطلب الثاني : ملة أم إبراهيم عليه السلام.

إن الله عز وجل قد ذكر في القرآن دعاء خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام بقوله ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾[(1)]، ثم بين في آية أخرى أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام تبرأ من أبيه خاصة دون أمه، وذلك في قول الله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾[(2)]، ومن هذه الآية استنبط العلماء -رحمهم الله- أن أم إبراهيم عليه الصلاة والسلام ليست مثل أبيه في الديانة، وإنما كانت مؤمنة بالله تعالى، والله تعالى أعلم.

قال الرازي —رحمه الله-:

"وقال بعضهم : كانت أمه مؤمنة ، ولهذا السبب خص أباه بالذكر في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾[(3)]، والله أعلم"[(4)].

وقال القشيري —رحمه الله- عن هذه الآية :

"ولا يبعد أن تكون أمه مسلمة لأن الله ذكر عذره في استغفاره لأبيه دون أمه.

وعلق عليه القرطبي —رحمه الله- بقوله : قلت : وعلى هذا قراءة سعيد بن جبير، ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ ﴾[(5)] يعني: أباه"[(6)].

وقال الحسن -رحمه الله تعالى-: إنّ أمّه كانت مؤمنة فلا يحتاج الاستغفار لها إلى عذر، وأكد الآلوسي —رحمه الله- ما روي عن الحسن: " وكانت أمه على ما روي عن الحسن مؤمنة فلا إشكال في الاستغفار لها"[(7)].

---

(١) سورة إبراهيم : (٤١).

(٢) سورة التوبة : (١١٤).

(٣) سورة التوبة : (١١٤).

(٤) مفاتيح الغيب : (١٩/ ١٠٧).

(٥) سورة إبراهيم : (٤١).

(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : (٩/ ٣٧٥).

(٧) روح المعاني : (٧/ ٢٢٩).

وأما ما ذكره بعض المفسرين أن المراد بوالديه آدم وحواء، فهو تفسير بعيد، وقد نبَّه على ذلك الحسن –رحمه الله– بقوله: "وكون المراد بوالديه آدم ، وحوّاء في غاية البعد فإنه النسب الواسع"[1].

ويستأنس بكلام السيوطي –رحمه الله– فقال:

"ونص بعض المفسرين على إيمان أم نوح، وأم إبراهيم -عليهم السلام-، ورجحه أبو حيان في تفسيره[2]، وقد تقدم عن ابن عباس أنه لم يكن بين نوح وآدم والد كافر، ولهذا قال ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا ﴾[3]، وقال إبراهيم –عليه الصلاة والسلام- ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾[4]، ولم يعتذر يعتذر عن استغفار إبراهيم –عليه الصلاة والسلام– في القرآن إلا لأبيه خاصة دون أمه، فدل على أنها كانت مؤمنة[5].

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى: (٥/ ٢٧٣).

(٢) وهو ما صرح به في تفسيره بقوله : وكانت أمه مؤمنة، انظر: البحر المحيط : (٦/ ٤٥٠)، وانظر: فتح القدير للشوكاني : (١٣٦/٣).

(٣) سورة نوح : (٢٨).

(٤) سورة إبراهيم : (٤١).

(٥) الحاوي للفتاوي : (٢/ ٢١١).

الفصل الثاني : زوجات إبراهيم عليه السلام

وفيه مبحثان:

المبحث الأول : سارة عليها السلام.

المبحث الثاني : هاجر عليها السلام.

المبحث الأول : سارة عليها السلام[1].

المطلب الأول : اسمها ونسبها وصفاها.

لم يُذكر اسمها عليها السلام في القرآن الكريم، وإنما جاءت الإشارة إليها بعد الحديث عن نبينا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام على أنها امرأة إبراهيم، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُواْ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[3].

وامرأة إبراهيم عليهما السلام التي أشارت إليها الآيات هي سارة، وهي زوجة خليل الله تعالى إبراهيم عليه الصلاة والسلام، واختلف العلماء –رحمهم الله تعالى– في نسبها

---

(١) اختلف العلماء –رحمهم الله تعالى– في السلام على غير الأنبياء، فأجازه الحنابلة، وكرهه الشافعية، قال ابن حجر –رحمه الله– في فتح الباري (١١/ ١٧٠) : اختلف في السلام على غير الأنبياء بعد الاتفاق على مشروعيته في تحية الحي، فقيل: يشرع مطلقا، وقيل: بل تبعا ولا يفرد لواحد لكونه صار شعارا للرافضة، ونقله النووي عن الشيخ أبي محمد الجويني، والذي يترجح والله أعلم أنه يجوز السلام على غير الأنبياء، فإنه يشرع السلام على كل مسلم حي وميت حاضر وغائب، وهو تحية أهل السلام بخلاف الصلاة.

(٢) سورة هود : (٦٩-٧١).

(٣) سورة الذاريات : (٢٤-٣٠).

فمنهم من قال : "إنها سارة بنت هاران بن ناحور بن شاروع بن أرغوا بن فالغ وهي ابنة عم إبراهيم عليه السلام".

ومنهم من قال : "إنها سارة ابنة بتويل بن ناحور بن ساروع بن أرغوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح"[(١)].

ومنهم من قال : "إنها هاران بنت تارح"، وغير ذلك مما ذكره العلماء.

وذكر بعض العلماء أن اسمها الأصلي يسارة، ثم غُيِّر إلى سارة، كما أخرَجه ابن عساكر عن الضحاك رضي الله عنه قال : كان اسم سارة يسارة، فلما قال لها جبريل عليه السلام : يا سارة ، قالت : إن اسمي يسارة، فكيف تسميني سارة؟

قال الضحاك : يسارة العاقر التي لا تلد وسارة الطالق الرحم التي تلد.

فقال لها جبريل عليه السلام : كنت يسارة لا تحملين، فصرت سارة تحملين الولد وترضعينه ، فقالت سارة رضي الله عنها : يا جبريل نقصت اسمي قال جبريل : إن الله قد وعدك بأن يجعل هذا الحرف في اسم ولد من ولدك في آخر الزمان، وذلك أن اسمه عند الله حي فسماه يحيى[(٢)].

وكانت سارة بنت ملك حرّان، وذلك أنّ إبراهيم ولوطا –عليهما السلام– انطلقا قبل الشام فلقي إبراهيم سارة وهي ابنة ملك حرّان وقد طعنت على قومها في دينهم ، فتزّوجها إبراهيم على أن يغيّرها، كما ذكره السدي[(٣)].

ومن صفاتها التي تتميز بها عن غيرها :

- أنها كانت من أجمل النساء.

قال النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: ...فقيل: دخل إبراهيم بامرأة هي من أحسن النساء"[(٤)].

---

(١) تاريخ الرسل والملوك : (١/ ٣١١).

(٢) انظر: تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر : (٦٩/١٨١)، وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي : (٨/ ١٠٠) وانظر: تفسير القرطبي : (٤/ ٧٥).

(٣) انظر: تاريخ الرسل والملوك (١/ ٣١٠)، وانظر: جامع البيان للطبري : (١٥/٣٨٩)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن : (٦/ ٢٨٣).

(٤) سيأتي تخريجه: (ص:١٩٢).

ومن حديث أنس رضي الله عنه قال: أعطى يوسف وأمه شطر الحسن يعني سارة[1].

وأخرج ابن عبد الحكم في فتوح مصر من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان حسن سارة رضي الله عنها حسن حواء عليها السلام.

وأخرج ابن عبد الحكم في فتوح مصر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن سارة بنت ملك من الملوك وكانت قد أوتيت حسنا[2].

- إن سارة عليها السلام كانت من نساء صديقات.

قال ابن كثير –رحمه الله–:

"وقد ذهب بعض العلماء إلى نبوة ثلاث نسوة سارة وأم موسى ومريم عليهن السلام، والذي عليه الجمهور أنهن صديقات رضي الله عنهن وأرضاهن"[3].

---

(١) المستدرك للحاكم : (٦٢٢/٢) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه، ومصنف أبي شيبة : (٣٤٧/٦)، وانظر: فتح الباري الابن حجر : (٦٤٩/٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير : (٢٨٥/٤).

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي: (٨/ ١٠٠) وانظر: تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر : (١٨٣/٦٩).

(٣) البداية والنهاية : (١/ ١٧٥).

المطلب الثاني : هجرتها مع زوجها طاعة لأمر الله تعالى.

بعد أن قام إبراهيم زوج سارة عليهما السلام بدعوة قومه بشتى الطرق والوسائل، فلم يجد منهم إلا الإعراض، قرر أن يهاجر من بلدته إلى مكان آخر لينشر دين الله تعالى وليدعو قوما آخرين لعبادة الله تعالى، إلا أنه لا يدعو على قومه بعد أن أعرضوا عن دعوته، وأما ورد من أن الله تعالى عذبهم وبعث عليهم البعوض وغير ذلك فإنه لم يثبت بنص ثابت في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ لو كان ذلك ثابت فكان سيذكر في القرآن أو في السنة كما ذكر باقي العذاب الذي وقع على باقي الأمم المكذوبة برسلها، والله أعلم، وذلك لأن إبراهيم عليه السلام من أرحم الخلق وأحلمهم

قال العلامة السعدي[1] –رحمه الله-:

"ولكن لعل من أسرار ذلك، أن الخليل عليه السلام من أرحم الخلق وأفضلهم وأحلمهم وأجلهم، فلم يدع على قومه كما دعا غيره، ولم يكن الله ليجري بسببه عذابا عاما، ومما يدل على ذلك، أنه راجع الملائكة في إهلاك قوم لوط، وجادلهم، ودافع عنهم، وهم ليسوا قومه، والله أعلم بالحال"[2].

وقال الله تعالى حاكيا عن هجرته عليه الصلاة والسلام ﴿ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[3]، وهاجر هو وزوجته سارة عليهما السلام من أرض بابل بالعراق إلى بلاد الشام الأرض المباركة التي باركها الله، بأَن جعلها مهبط كثير من الأنبياء، ومهد معظم الرسالات، كما أكرمها بكثرة خيراتها وزيادة ثمارها وتدفق المياه في أَرجائها، وامتلاء أَرضها بالأَشجار، ووفرة الأَرزاق فيها، ثم ما لبث أن تركها وهاجر إلى مصر.

---

(١) هو العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي الناصري التميمي الحنبلي، ولد في مدينة عنيزة بالقصيم سنة ألف وثلاثمائة وسبع من الهجرة، وله مؤلفات كثيرة، منها تفسير القرآن المسمى تيسير كلام المنان في تفسير القرآن، وتوفي –رحمه الله– قبل فجر يوم الخميس الموافق ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٦هـ، انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم : (٣/ ٥٠-٥٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي : (ص: ٦٢٩).

(٣) سورة العنكبوت : (٢٦).

قال القرطبي –رحمه الله- عن قول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ ﴾[1]:

"هذه الآية أصل في الهجرة والعزلة، وأول من فعل ذلك إبراهيم عليه السلام ، وذلك حين خلصه الله من النار،

قال مقاتل –رحمه الله-:

"هو أول من هاجر من الخلق مع لوط وسارة ، إلى الأرض المقدسة وهي أرض الشام"[2].

و عن ابن إسحاق قال: "خرج إبراهيم –عليه الصلاة والسلام- مهاجرا إلى ربه، وخرج معه لوط مهاجرا، وتزوج سارة ابنة عمه، فخرج بها معه يلتمس الفرار بدينه، والأمان على عبادة ربه، حتى نزل حرّان، فمكث فيها ما شاء الله أن يمكث، ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر، ثم خرج من مصر إلى الشام، فنزل السبع من أرض فلسطين، وهي برّية الشام، ونزل لوط بالمؤتفكة، وهي من السبع على مسيرة يوم وليلة، أو أقرب من ذلك، فبعثه الله نبيا صلى الله عليه وسلم"[3].

وهذه هي سارة عليها السلام، تكون مع زوجها مهاجرة إلى أرض المباركة وتفارق أهلها وبلادها طاعة لأمر ربها ومرافقة زوجها.

---

(١) سورة العنكبوت : (٢٦).

(٢) تفسير القرطبي : (١٥/ ٩٧).

(٣) جامع البيان للطبري: (١٨/ ٤٦٩).

المطلب الثالث : إيمانها وصبرها على الابتلاءات.

إن سارة كانت ممن آمنت بدعوة زوجها من بدايتها، ولم تكن عندها أي اعتراض بهذه الدعوة، كما ذكر إبراهيم عليه الصلاة والسلام عن إيمانها: (والله إن على الأرض مؤمن غيري وغيرك...)[1]، ولم يكن يؤمن بالله تعالى إلا هو وهي في ذاك الوقت، والمراد بقول إبراهيم عليه الصلاة والسلام "على الأرض" أي في الأرض التي وقعت فيها الحادثة، ولم يرد بذلك الحصر، لأن لوطا عليه السلام قد آمن معه، ذكره ابن حجر – رحمه الله– وغيره[2].

وقد ابتلى الله تعالى سارة عليها السلام بأنواع من الابتلاءات، منها :

١-ابتلاها الله تعالى وزوجها بالهجرة من بلادها إلى أرض المباركة وهي الشام كما تقدم.

٢-ابتلاها الله تعالى بالملك الظالم في مصر حين خرجت مع زوجها، ويريد ذاك الملك أن ينتهك عرضها، حتى قامت فتوضأت وصلَّت حتى توسَّلت سارة عليها السلام بإيمانها بربها ورسولها وبعفتها، كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم حكاية عن قولها: اللهم إن كنت آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط علي الكافر[3]، حتى نصرها الله تعالى وأيدها بتأييده فكفَّ الله عنها كيد الكافر، وسلمت حتى رجعت إلى زوجها وقد أخدمها هاجر.

٣-ابتلاها الله تعالى بتأخر إنجاب الولد حتى إنها آثرت جاريتها على نفسها وأعطتها لزوجها إبراهيم عليه الصلاة والسلام لعل الله يرزق منها الولد، وقد ذكر الله تعالى حالها وزوجها إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ قَالَتْ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ

---

(١) رواه البخاري في كتاب البيوع، باب شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه، حديث رقم : (٢٢١٨)، مع الفتح : (٥/٦٩٤)، ورواه مسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم، حديث رقم : (٦١٤٥).

(٢) انظر: فتح الباري : (٧/٦٥٠).

(٣) سيأتي تخريجه: (ص:١٩٢).

وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعۡلِى شَيۡخًا ﴾ [1]، أي قد بلغ الكبر منهما ما بلغ، ولكنها صبرت حتى رزقها الله الولد.

٤-ابتلاها الله تعالى بحصول السخرية والتهمة من الكنعانيين حين حصل لها الولد في كبرها، كما سيأتي بيانه في مطلب مستقل[2].

وصبرت سارة عليها السلام كلها على هذه الابتلاءات حتى فرّج الله عنها كربتها، وتكون هي امرأة مثالية يقتدى بها نساء العالمين.

(١) سورة هود : (٧٢).

(٢) انظر: ص (٣١١/١) من هذه الرسالة.

المطلب الرابع : كرامات سارة عليها السلام.

تفضل الله عز وجل على سارة بعدد من الفضائل والكرامات لقوة إيمانها بربها وصبرها وتقواها، من ذلك:

١-حفظها وسلامتها من مكر وكيد ملك الطاغية ولم تمسها أذى:

وقد أورد البخاري -رحمه الله - في صحيحه هذه الكرامة التي حصلت لسارة عليها السلام من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم: (هاجر إبراهيم - عليه الصلاة السلام - بسارة، فدخل بها قرية فيها ملك من الملوك ، أو جبار من الجبابرة، فقيل دخل إبراهيم بامرأة هي من أحسن النساء، فأرسل إليه أن يا إبراهيم: من هذه التي معك؟ قال: أختي، ثم رجع إليها فقال : لا تكذبي حديثي، فإني أخبرتهم أنك أختي، والله إن على الأرض مؤمن غيري وغيرك، فأرسل بها إليه فقام إليها، فقامت توضأ وتصلي فقالت: اللهم إن كنت آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط علي الكافر، فغط حتى ركض برجله قال: الأعرج، قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: إن أبا هريرة قال : قالت: اللهم إن يمت يقال هي قتلته، فأرسل ثم قام إليها فقامت توضأ تصلي وتقول: اللهم إن كنت آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط علي هذا الكافر، فغط حتى ركض برجله، قال عبد الرحمن: قال أبو سلمة: قال أبو هريرة: فقالت: اللهم إن يمت فيقال هي قتلته، فأرسل في الثانية ، أو في الثالثة فقال: والله ما أرسلتم إلي إلا شيطانا، ارجعوها إلى إبراهيم وأعطوها آجر فرجعت إلى إبراهيم - عليه الصلاة السلام - فقالت أشعرت أن الله كبت الكافر وأخدم وليدة[1].

وأصل هذا القصة موجود وموافق لما جاء في التوراة[2].

---

(١) رواه البخاري في كتاب البيوع، باب شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه، حديث رقم : (٢٢١٨)، مع الفتح : (٥/٦٩٤)، ورواه مسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم، حديث رقم : (٦١٤٥).

(٢) ذكرت التوراة هذه القصة : ثم ارتحل أبرام ارتحالا متواليا نحو الجنوب. وحدث جوع في الأرض فانحدر إبرام إلى مصر ليتغرب هناك لأن الجوع في الأرض كان شديدا. وحدث لما قرب أن =

وعلق ابن كثير –رحمه الله– على هذه الواقعة بقوله:
"ورأيت في بعض الآثار أن الله عز وجل كشف الحجاب فيما بين إبراهيم عليه الصلاة والسلام وبينها، فلم يزل يراها منذ خرجت من عنده إلى أن رجعت إليه، وكان مشاهدا لها وهي عند الملك، وكيف عصمها الله تعالى منه ليكون ذلك أطيب لقلبه وأقر لعينه وأشد لطمأنينته، فإنه كان يحبها حبا شديدا لدينها وقرابتها منه وحسنها الباهر"[1].

٢- بشارتها عليها السلام بإسحاق النبي مع كبر سنها:

إن الكبر مع العقم هما سببان لعدم حصول الولد إلا ما حصل لإبراهيم وسارة عليهما السلام، حتى قال محمد بن إسحاق واصفا لحالهما : كانت سارة بنت تسعين سنة وكان إبراهيم ابن مائة وعشرين سنة[2]، ولذلك لما خاطب الله تعالى إبراهيم وسارة عليهما السلام قالت تعجبا: ﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ

يدخل مصر أنه قال لساراي امرأته أني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر . فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته فيقتلونني ويستبقونك. قولي إنك أختي ليكون لي خيرا بسببك وتحيا نفسي من أجلك . فحدث لما دخل إبرام إلى مصر أن المصريين رأو امرأة أنها حسنة جدا. ورأها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فأخذت امرأة إلى بيت فرعون. فصنع إلى إبرام بسببهاوصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال. فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة إبرام. فدعا فرعون إبرام وقال ما هذا الذي صنعت بي لماذا لم تخبرني أنها امرأتك. لماذا قلت هي أختي حتى أخذتها لي لتكون زوجتي والآن هو ذا امرأتك خذها واذهب. فأوصى عليه فرعون رجالا فشيعوه وامرأته وكل ما كان له. انظر: : سفر التكوين ، الإصحاح الثاني عشر، العدد: ٩-٢٠.

(١) البداية والنهاية : (١/ ١٧٥)، وذكر ابن حجر في الفتح : إن الله كشف لإبراهيم حتى رأى حال الملك مع سارة معاينة، وأنه لم يصل منها إلى شيء، ذكر ذلك في "التيجان: ولفظه: فأمر بإدخال إبراهيم وسارة عليه، ثم نحى إبراهيم إلى خارج القصر، وقام إلى سارة، فجعل الله القصر لإبراهيم كالقارورة الصافية، فصار يراهما ويسمع كلامهما. انظر: فتح الباري : (٦٥٢/٧-٦٥٣).

(٢) النكت والعيون للماوردي : (٢/ ٤٨٦).

وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾[1]، وذلك من فضل الله عز وجل عليهما وكرامته لهما.

قال ابن تيمية –رحمه الله–:

"أن البشارة بإسحاق –عليه السلام– كانت معجزة ؛ لأن العجوز عقيم ؛ ولهذا قال الخليل عليه السلام: ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾[2] ، وقالت امرأته: ﴿ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ﴾[3]، وقد سبق أن البشارة بإسحاق عليه السلام في حال الكبر وكانت البشارة مشتركة بين إبراهيم عليه السلام وامرأته"[4].

٣- كلام الملائكة لها وادخالهم سرور عليها، قال الله تعالى: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ۝٧١ قَالَتْ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾[5].

إلا أن التوراة زعمت أن الذي كلم سارة ليس الملائكة، بل الله تعالى الذي كلمها، قالت التوراة : وكانت سارة سامعة في باب الخيمة وهو وراءه...فضحكت سارة في باطنها قائلة ابعد فنائي يكون لي تنعم وسيدي قد شاخ. فقال الرب لإبراهيم لماذا ضحكت سارة قائلة أفبالحقيقة ألد وانا قد شخت. هل يستحيل على الرب شيء في الميعاد ارجع إليك نحو زمان الحياة

---

(١) سورة هود : (٧٢).

(٢) سورة الحجر : (٥٤).

(٣) سورة هود : (٧٢).

(٤) مجموع الفتاوى : (٤/ ٣٣٤)، وقال ابن كثير –رحمه الله–: لما هجر قومه في الله، وهاجر من بين أظهرهم، وكانت امرأته عاقرا لا يولد لها، ولم يكن له من الولد أحد، بل معه ابن أخيه لوط بن هاران بن آزر، وهبه الله تعالى بعد ذلك الاولاد الصالحين، وجعل في ذريته النبوة والكتاب. وانظر: قصص الأنبياء لابن كثير :(١/ ١٩١).

(٥) سورة هود : (٧١-٧٢).

ويكون لسارة ابن. فأنكرت سارة قائلة لم أضحك بأنها خافت فقال: لا، بل ضحكت[1].

قال ابن حزم –رحمه الله تعالى– معلقا على هذا النص :

"عاد الخبر بين سارة وإبراهيم وبين الله عز و جل وعاد الحديث الماضي، ثم في هذا زيادة أن الله تعالى قال: إن سارة ضحكت، وقالت سارة: لم أضحك، فقال الله: بل قد ضحكت، فهذه مراجعة الخصوم وتعارض الأكفاء، وحاشى لسارة الفاضلة المنباة من الله عز وجل بالبشارة من أن تكذب الله عز و جل فيما يقول، وتكذب هي في ذلك فتجحد ما فعلت، فتجمع بين سوءتين: إحداهما كبيرة من الكبائر قد نزه الله عز و جل الصالحين عنها، فكيف الأنبياء والأخرى أدهى وأمر، وهي التي لا يفعلها مؤمن ولو أنه أفسق أهل الأرض، لأنها كفر ونعوذ بالله من الضلال"[2].

٤- حصول الرحمة والبركة من الله تعالى:

أخرج ابن أبي حاتم عن ضمرة بن حبيب ، أن سارة لما بشرها الرسل بإسحاق –عليه السلام– قال : بينا هي تمشي وتحدثهم حين أتت بالحيضة فحاضت قبل أن تحمل بإسحاق فكان من قولها للرسل حين بشروها : قد كنت شابة وكان إبراهيم شابا فلم أحبل، فحين كبرت وكبر أألد؟ قالوا : أتعجبين من ذلك يا سارة؟ فإن الله قد صنع بكم ما هو أعظم من ذلك، إن الله قد جعل رحمته وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد[3]، قال الله تعالى في كتابه: ﴿ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ ﴾[4].

٥- ومن الأمر الذي اختص الله تعالى به سارة عليها السلام وزوجها أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنها كانت من أصحاب الجنة، وهي التي تكفل أولاد

---

(١) سفر التكوين ، الإصحاح الثامن عشر ، العدد : ١٠-١٥.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل : (١/ ١٠٤).

(٣) الدر المنثور للسيوطي : (٨/ ١٠١).

(٤) سورة هود : (٧٣).

المؤمنين ورعايتهم في الآخرة في جبل في الجنة مع زوجها إبراهيم عليه الصلاة والسلام، كما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : (أطفال المسلمين في جبل في الجنة يكفلهم إبراهيم و سارة حتى يردهم إلى آبائهم يوم القيامة)(١)، وهذه من أعظم النعم والكرامة من الله تعالى حيث بشَّرها وزوجها عليهما السلام بأنهما من أهل الجنة.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك : (٥٤١/١) حديث رقم: (١٤١٨) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه، والبيهقي في كتابه البعث والنشور : (ص:١٣٦) حديث رقم: (٢٣١)، وأبو نعيم في كتاب تاريخ أصبهان: (٢٣٣/٢) حديث رقم :(١٥٤٤)، وابن لأبي شيبة في مصنفه: (٤٦٥/٧-٤٦٦) حديث رقم: (١٢١٧٧)، وذكره موقوفا، وانظر: تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر : (١٨٩/٦٩).

المطلب الخامس : بيان مدى صحة ما ورد في سنة الخفاض والقرط للنساء.

ومن فطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها فطرة الختان، وقد ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال : (الفطرة خمس: الختان والاستحداد ونتف الإبط وقص الشارب وتقليم الأظفار، وفي رواية : خمس من الفطرة)[1].

قال ابن القيم –رحمه الله– في جعل الختان من الفطرة:

"فجعل الختان رأس خصال الفطرة، وإنما كانت هذه الخصال من الفطرة لأن الفطرة هي الحنيفية ملة إبراهيم –عليه الصلاة والسلام–، وهذه الخصال أمر بها إبراهيم عليه السلام، وهي من الكلمات التي ابتلاه ربه بهن"[2].

والختان اسم لفعل الخاتن وهو مصدر كالنزال والقتال، ويسمى به موضع الختن أيضا، ويسمى في حق الأنثى خفضا، كما يقال: ختنت الغلام ختنا وخفضت الجارية خفضا، وخفض المرأة هي جلدة كعرف الديك فوق الفرج[3].

قال الطرطوشي[4] –رحمه الله–:

"خفض المرأة : قطع الناتيء أعلا فرجها كأنه عرف الديك"[5].

وقال الطحطاوي الحنفي –رحمه الله–:

---

(١) رواه البخاري في كتاب الاستئذان، باب الختان بعد الكبر ونتف الإبط، حديث رقم : (٦٢٩٧) مع الفتح : (٢٦٥/١٤)، ورواه مسلم في كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، حديث رقم : (٥٩٧).

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود :(ص: ١٦٠).

(٣) انظر: تحفة المودود بأحكام المولود : (ص: ١٥٢).

(٤) هو الامام العلامة القدوة الزاهد شيخ المالكية، أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري الاندلسي الطرطوشي الفقيه، عالم الاسكندرية، وطرطوشة هي آخر حد المسلمين من شمالي الاندلس، وكان مولده في سنة إحدى وخمسين وأربع مئة، وتوفي بالاسكندرية في جمادى الأولى سنة عشرين وخمس مئة رحمه الله. انظر: سير أعلام النبلاء : (١٩/ ٤٩٠)، ووفيات الأعيان (٤/ ٢٦٢).

(٥) الذخيرة للقرافي :(١٣/ ٢٨١).

"ومن المرأة موضع قطع جلدة كعرف الديك فوق مدخل الذكر، وهو مخرج الولد والمني والحيض وتحت مخرج البول، ويقال له أيضا خفاض"[١].

وأول من اختتن من النساء ولبس القرط هاجر أم إسماعيل -عليهما السلام-.

قال السهيلي —رحمه الله- :

"فكانت (هاجر عليها السلام) أول من اختنن من النساء، وأول من ثقبت أذنها منهن وأول من طولت ذيلها[٢]،

وذلك أن سارة عليها السلام غضبت عليها، فحلفت أن تقطع ثلاثة أعضاء من أعضائها، فأمرها إبراهيم عليه الصلاة والسلام تبر قسمها بثقب أذنيها وخفاضها، فصارت سنة في النساء"[٣].

وروي عن علي (وهو علي بن أبي طالب رضي الله عنه) قال: كانت آجر لسارة — عليها السلام-، فأعطت إبراهيم —عليه الصلاة والسلام-، فاستبق إسماعيل وإسحاق —عليهما السلام- فسبقه إسماعيل، فجلس في حجر إبراهيم، قالت سارة: أظنه والله لأُغيرنَّ منها ثلاثة أشراف، فخشي إبراهيم أن تجدعها أو تخرِم أذنيها، فقال لها: هل لك أن تفعلي شيئا وتبري يمينك؟ تثقبين أذنيها أوتخفضيها، فكان أول الخفاض هذا[٤].

وهذا الذي ذكره علي بن أبي طالب رضي الله عنه من سبب ورود سنة الخفاض والقرط للنساء، وقد ذكر غير واحد من العلماء رحمهم الله تعالى سبب ورود هذه السنة.

قال ابن أبي زيد القيرواني[٥] —رحمه الله- :

---

(١) حاشية على مراقي الفلاح للطحطاوي : (ص: ٦٤).

(٢) البداية والنهاية : (١/ ١٧٨) تاريخ مدينة دمشق : (١٨٧/٦٩)، عمدة القاري للعيني : (٢٥٥/١٥).

(٣) انظر: الروض الأنف في شرح غريب السير : (١/ ٤٧)، وانظر: تحفة المودود بأحكام المولود (ص: ١٩٠)

(٤) شعب الإيمان للبيهقي: (١١/ ١٢٥)، وانظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: (٢١/ ٥٩)، وفتوح مصر وأخبارها : (ص: ١٤)، وتاريخ الأمم والملوك للطبري: (١/ ١٥٣)، والدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي: (١/ ٥٩٨).

(٥) هو الامام العلامة القدوة الفقيه عالم أهل المغرب أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني =

"إن إبراهيم أمر سارة أم إسحاق –عليهم السلام– أن تفعله بهاجر أم إسماعيل –عليهما السلام–، وكانت أمة لها وهبتها لإبراهيم، ثم غارت بها فحلفت ليغيرن منها ثلاثة أشراف، فأمرها إبراهيم –عليه السلام أن تثقب أذنيها، وتخفضها"[1].

وذكره ابن عساكر[2] والطبري[3] والسيوطي[4] وابن الأثير[5] والشوكاني[6] وغيرهم من العلماء –رحمهم الله–.

وهذا هو أصل الخفاض والقرط للنساء، ثم كان بعد ذلك سنة من سنن الأنبياء الذين أُمرنا أن نقتدي بهم – عليهم الصلاة والسلام.

قال الخطابي[7] –رحمه الله– :

"قوله صلى الله عليه وسلم : عشر من الفطرة، فسر أكثر العلماء الفطرة في هذا الحديث بالسنة، وتأويله أن هذه الخصال من سنن الأنبياء الذين أمرنا أن نقتدي بهم لقوله سبحانه ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾[8]، وأول من أُمر بها إبراهيم صلوات الله عليه، وذلك قوله تعالى ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾[9].

المالكي، ويقال له: مالك الصغير، وكان أحد من برز في العلم والعمل، وحاز رئاسة الدين والدنيا، وكان رحمه الله على طريقة السلف في الأصول، لا يدري الكلام ولا يتأول، وله عدة تصانيف. انظر: سير أعلام النبلاء : (١٧/ ١٠).

(١) النوادر والزيادات على ما في المدونة لأبي زيد القيرواني : (٤/ ٣٣٨)

(٢) تاريخ مدينة دمشق : (١٨٧/٦٩).

(٣) تاريخ الرسل والملوك : (١/ ١٥٣).

(٤) الدر المنثور : (٨/ ٥٥٧).

(٥) الكامل في التاريخ : (٩٢/١).

(٦) فتح القدير للشوكاني : (١٣٧/٣).

(٧) هو الامام العلامة الحافظ اللغوي أبو سليمان، حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي، صاحب التصانيف، ولد سنة بضع عشرة وثلاث مئة، توفي الخطابي ببست في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وثلاث مئة، انظر: سير أعلام النبلاء: (١٧/ ٢٣)، وفيات الأعيان : (٢/ ٢١٥)، اللباب في تهذيب الأنساب: (١/ ٤٥٢).

(٨) سورة الأنعام : (٩٠).

(٩) سورة البقرة : (١٢٤).

وقال ابن عباس رضي الله عنه : أمره بعشر خصال ثم عددهن فلما فعلهن قال إني جاعلك للناس إماما أي ليقتدي بك ويستن بسنتك، وقد أمرت هذه الأمة بمتابعته خصوصا، وبيان ذلك في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [(١)]، ويقال إنها كانت عليه فرضاً وهن لنا سنة"[(٢)].

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم وجرى عليه سلف الأمة في خفض الجارية، ومن ذلك:

١- حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- في خمس من الفطرة الذي تقدم ذكره[(٣)].

وفيه دليل على مشروعية الختان مطلقا للذكر والأنثى، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أطلق الختان وهو أمر مشترك بين الذكر والأنثى.

٢- وعن عائشة -رضي الله عنها- زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل، فعلته أنا ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- فاغتسلنا[(٤)].

وفي رواية عن عبد الله بن الأسود قال: كان أبي يبعثني إلى عائشة -رضي الله عنها- قبل أن أحتلم، فلما احتلمت جئت فناديت فقلت: ما يوجب الغسل ؟ فقالت: إذا التقت المواسي[(٥)].

قال بدر الدين العيني[(٦)] -رحمه الله- :

---

(١) سورة النحل : (١٢٣).

(٢) معالم السنن للخطابي : (١/ ٣١).

(٣) انظر: ص (١/٢٠٨) من هذه الرسالة.

(٤) رواه ابن ماجة في السنن، في كتاب الطهارة وسننها، باب ما جاء في وجوب الغسل إذا التقى الختانان، حديث رقم : (٦٠٨)، من طريق عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي عن الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعي عن عبد الرحمن بن القاسم عن القاسم بن محمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع : (ص:١٣٠).

(٥) شرح معاني الآثار للطحاوي : (١/ ٦٠).

(٦) هو أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بدر الدين العينى الحنفي، مؤرخ علامة من من كبار المحدثين، أصله من حلب ومولده في عينتاب سنة ٧٦٢هـ، وإليها نسبته، وعكف على التدريس والتصنيف إلى أن توفي سنة ٨٥٥هـ، انظر: السير: (٧١/١)، والأعلام: =

"قولها –رضي الله عنها- إذا التقت المواسي ، كناية عن التقاء الختانين، لأن الختان يكون بالموسى، فذكرت المواسي وأرادت بها المواضع التي تختن بها، وهذا من أحسن الكلمات حيث صدرت من امرأة عظيمة الشأن لشاب أول ما احتلم؛ وكلاهما بصدد الحياء والخجل، فخاطبته بما يفهمه من غير ذكر ما يستحيي منه"[1].

وعائشة رضي الله عنها لم تذكر موسى واحدة، وإنما قالت المواسى، لأن المواسي استخدمت في موضع القطع من ختان الذكر والأنثى معا، وهذا دليل على مشروعية ختان الذكر والأنثى بلا استثناء.

٣-عن أم علقمة مولاة عائشة –رضي الله عنها- قالت: (أن بنات أخي عائشة رضى الله عنها خُفِضنَ فأَلِمنَ ذلك، فقيل لعائشة : يا أم المؤمنين، ألا ندعو لهن من يُلَهِّيهِن؟ قالت : بلى، قالت: فأُرسِل إلى فلان المغنى فأتاهم، فمرت به عائشة رضى الله عنها في البيت، فرأته يتغنى ويحرك رأسه طَرَبًا، وكان ذا شعر كثير، فقالت عائشة رضى الله عنها: أُفّ، شيطان أخرجوه أخرجوه فأخرجوه)[2].

٤-وسئل زيد بن أسلم –رحمه الله-[3] عن خفض الجارية إلى متى يؤخر ؟ قال: إلى ثمان سنين[4]، وفيه أن الجارية لا تؤخر في الخفاض ما فوق ثمان سنين، لأجل تأكيد مشروعيتها للجارية.

٥-وقال الإمام مالك –رحمه الله-: "من الفطرة ختان الرجل والنساء"[1].

(١٦٣/٧).

(١) نخب الأفكار للعيني : (٥٠٦/١).

(٢) السنن الكبرى للبيهقي : (١٠/ ٣٧٨).

(٣) هو زيد بن أسلم العدوى أبو أسامة، ويقال: أبو عبد الله المدني الفقيه مولى عمر، وكان له حلقة للعلم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثقة من أهل الفقه والعلم ، وكان عالما بتفسير القرآن، مات سنة ست وثلاثين ومئة، انظر: تهذيب التهذيب : (٣/ ٣٤١)، و تهذيب الكمال: (١٠/ ١٧)، و سير أعلام النبلاء : (٥/ ٣١٦).

(٤) شرح السنة للبغوي : (١٢/ ١١١).

٦-وقال ابن رجب[٢] — رحمه الله- :

"وختان المرأة مشروع بغير خلاف"[٣].

والمقصود هو أن ما جاء في هذه الأحاديث والآثار كلها متفقة على ذكر ختانين للرجل والمرأة وإقرار النبي صلى الله عليه وسلم لذلك، وهو ما جرى على عمل المسلمين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الختان لأولادهم ذكورا وإناثا.

والعلماء رحمهم الله تعالى اختلفوا في سنية الخفاض للنساء، هل هو سنة واجبة أو سنة مندوبة؟

أما الحنفية والمالكية قالوا أن ختان المرأة سنة غير واجبة.

قال فخر الدين الزيلعي[٤] من الحنفية —رحمه الله- :

"وختان المرأة ليس بسنة، وإنما هو مكرمة للرجال، لأنه ألذ في الجماع، وقيل: سنة"[٥].

وقال أبو الوليد الباجي[٦] —رحمه الله- :

---

(١) التمهيد لابن عبد البر : (٢١/ ٦١)، و المنتقى شرح الموطأ (٤/ ٣٢١)، وانظر: النوادر والزيادات لأبي زيد القيرواني : (٤/ ٣٣٦)

(٢) هو الإمام العلامة أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي ثم الدمشقي، زين الدين حافظ للحديث، من العلماء، ولد في بغداد سنة ٧٣٦هـ، ونشأ فيها، وتوفي في دمشق سنة ٧٩٥هـ، انظر: شذرات الذهب : (٦/٢٣٠)، ومعجم المؤلفين : (٥/ ١١٨)، طبقات الحفاظ : (١/٥٤٠).

(٣) فتح الباري لابن رجب : (١/ ٣٧٢).

(٤) هو عثمان بن علي بن محجن، فخر الدين الزيلعي؛ فقيه حنفي، وقدم القاهرة سنة ٧٠٥ هـ فأفتى ودرس، وتوفي فيها سنة ٧٤٣هـ، . له تبيين الحقائق في شرح كنز الدقائق، وتركة الكلام على أحاديث الاحكام، وشرح الجامع الكبير ، انظر: الأعلام : (٤/ ٢١٠).

(٥) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق : (٦/ ٢٢٧)، قال السرخسي في المبسوط (١٠/٧٥١) : لأن الختان سنة وهو من جملة الفطرة في حق الرجال لا يمكن تركه وهو مكرمة في حق النساءو، وانظر: البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم : (٨/ ٥٥٤)، والدر المختار شرح تنوير الأبصار لعلي الحصكفي : (٦/ ٧٥١) حاشية على مراقي الفلاح للطحطاوي : (ص: ٦٤).

(٦) هو الامام العلامة الحافظ، ذو الفنون القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي الاندلسي القرطبي الباجي الذهبي، صاحب التصانيف، ولد أبو الوليد في =

"ويستحب له من خفاض إناثهم ما يستحب له من خفاض إناث ولده ؛ لأن الخفاض في النساء مكرمة ، وليس بسنة واجبة"[١].

وأما الشافعية والحنابلة فإنهم قالوا بوجوب ختان النساء.

قال الإمام الشافعي –رحمه الله- :

"ولو كان رجل أغلف أو امرأة لم تخفض ، فأمر السلطان فعزرا فماتا ، لم يضمن السلطان : لأنه كان عليهما أن يفعلا، إلا أن يعزرهما في حر شديد أو برد مفرط ، الأغلب أنه لا يسلم من عزر في مثله ، فيضمن عاقلته الدية"[٢].

وقال الماوردي –رحمه الله-[٣]: "أما الختان ففرض واجب في الرجال والنساء"[٤].

وقال النووي –رحمه الله- :

"الختان واجب على الرجال والنساء عندنا، وبه قال كثيرون من السلف"[٥].

ولكن للحنابلة روايتان، والأظهر أنهم قالوا بوجوب الخفض للنساء.

قال ابن الجوزي –رحمه الله-:

"الختان واجب في حق الرجل والمرأة"[٦].

سنة ثلاث وأربع مئة، وتوفي بالمرية في تاسع عشر رجب، سنة أربع وسبعين وأربع مئة، فعمره إحدى وسبعون سنة سوى أشهر، انظر: سير أعلام النبلاء : (١٨/ ٥٣٥)، وفيات الأعيان : (٢/ ٤٠٨)، وشذرات الذهب : (٣/٣٤٤).

(١) البيان والتحصيل للقرطبي : (٢/ ١٦٣)، وانظر: النوادر والزيادات لأبي زيد القيرواني :(٤/ ٣٣٦) ومتن رسالة القيرواني: (ص: ٨٣)، والتلقين في الفقه المالكي للبغدادي : (١/١٠٥)، والمنتقى شرح الموطأ (٤/ ٣٢١)

(٢) الحاوي الكبير للماوردي : (١٣/ ٤٣٠).

(٣) هو الامام العلامة، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، الماوردي، الشافعي، صاحب التصانيف، وولي القضاء ببلدان شتى، ثم سكن بغداد، وتوفي يوم الثلاثاء سلخ شهر ربيع الأول سنة خمسين وأربعمائة، ودفن من الغد في مقبرة باب حرب ببغداد، انظر: سير أعلام النبلاء : (١٨/ ٦٤)، ووفيات الأعيان : (٣/ ٢٨٤).

(٤) الحاوي الكبير للماوردي : (١٣/ ٤٣٠).

(٥) المجموع شرح المهذب : (١/ ٣٠٠).

(٦) أحكام النساء : (ص: ٤٤)، وانظر: الإفصاح عن معاني الصحاح للوزير محمد بن هبيرة =

والذي يبدو في هذه المسألة والله أعلم هو أن خفاض المرأة واجب، وذلك للأدلة التي سبق ذكرها.

قال العيني –رحمه الله-:

"الختان واجب على ظاهر الأقوال على الرجال والنساء"[(١)].

وأما الحديث : (الختان سنة للرجال مكرمة للنساء فهو حديث ضعيف، وقد صرح العلماء بتضعيفه)[(٢)].

ثم إذا رأينا إلى أثر ترك خفض النساء، سيؤدي إلى شيوع الفاحشة وتعذر العفاف الذي يؤدي إلى تضييع العرض، ودفع أشد المفسدتين وارتكاب أخف الضررين واجب إجماعا، فكان الخفاض في حق النساء واجبا، وإذن النبي صلى الله عليه وسلم في الفعل يدل على ترجيح الوجوب على غيره.

قال ابن عثيمين –رحمه الله-:

"وأما في حَقِّ المرأة فغاية فائدته أنه يُقلِّل من غُلمتِها، أي: شهوتها، وهذا طلب كمال، وليس من باب إزالة الأذى"[(٣)].

ثم إن النساء شقائق الرجال، فإنهن يأخذن أحكام التكليف إلا ما ورد الدليل باختصاصهن، والأدلة العامة فإنهن يستوين مع الرجال في الحكم، لأنهن شقائق الرجال[(٤)].

الحنبلي : (١/٣١٤)، وشرح عمدة الفقه لابن تيمية : (١/ ٢٤٣).

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري : (٢٢/٢٧٢).

(٢) روي هذا الحديث من طريق أسامة الهذلي والد أبي المليح وشداد بن أوس وعبد الله بن عباس، قال البيهقي في السنن الكبرى : (٨/٥٦٣) : هذا إسناد ضعيف، والمحفوظ موقوف، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة : (٤/٤٠٧) حديث رقم : (١٩٣٥).

(٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع : (١/ ١٦٥).

(٤) انظر: الحديث رواه أبو داود في سننه في كتاب الطهارة، باب في الرجل يجد البلة في منامه، حديث رقم : (٢٣٦)، والترمذي في سننه في كتاب الطهارة، باب فيمن يستيقظ فيرى بللا ولا يذكر احتلاما، حديث رقم : (١١٣)، والبيهقي في السنن الكبرى، باب المرأة ترى في =

أما القرط للنساء فهو أمر معلوم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أحد ينكره، ومن ذلك حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى يوم العيد ركعتين لم يصل قبلها ، ولا بعدها ثم أتى النساء ومعه بلال فأمرهن بالصدقة فجعلت المرأة تُلقِي قُرْطَها)[1].

ووجه الدلالة من هذا الحديث أن القرط هو المعلق في شحمة الأذن، وكان يفعل قبل الإسلام وبعده، ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم عليهن.

وحديث عائشة رضي الله عنها عن حديث أم زرع حين قالت عن أبي زرع –رضي الله عنهما: ...(أناس من حلي أذني وملأ من شحم عضدي...ثم قالت عائشة رضي الله عنها : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت لك كأبي زرع لأم زرع)[2].

ووجه الدلالة من هذا الحديث هو أن أبا زرع قد حلاّ أذن أم زرع رضي الله عنهما، ورسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم أشار إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنه لها كأبي زرع لأم زرع[3].

منامها ما يرى الرجل، حديث رقم : (٧٩٦)، وأحمد في مسنده، وصححه الألباني في صحيح الجامع : (ص:٣٩٩) حديث رقم : (١٩٨٣).

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب اللباس، باب القرط للنساء، حديث رقم : (٥٨٨٣) مع الفتح : (٣٧٩/١٣)، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة العيدين، حديث رقم : (٢٠٤٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب النكاح، باب حسن المعاشرة مع الأهل، حديث رقم : (٥١٨٩) مع الفتح : (٥٥٩/١١-٥٦٠)، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر حديث أم زرع، حديث رقم : (٦٣٠٥).

(٣) والذي اختلف فيه العلماء هو تثقيب الأذن، وليس القرط، فإن علماء الحنفية والحنابلة قالوا بالجواز، انظر: حاشية ابن عابدين : (٢٤٩/٥)، والبحر الرائق : (٢٣٢/٨)، والإنصاف : (١٢٥/١)، وشرح المنتهى : (٤١/١)، واختاره ابن القيم في تحفة المودود : (٢٠٩/١)، وأما علماء الشافعية قالوا بتحريم ثقب الأذن دون تعليق القرط، انظر: مغني المحتاج للشربيني: (٢٩٦/٤)، وإحياء علوم الدين للغزالي : (٣٤١/٢) وشدد فيه حيث قال : ولا أرى رخصة في تثقيب أذن الصبية لأجل تعليق حلق الذهب فيها، فإن هذا جرح مؤلم ، ومثله موجب للقصاص، فلا يجوز إلا لحاجة مهمة كالفصد والحجامة والختان ، والتزين بالحلق غير مهم بل في التقريط بتعليقه على الأذن، وفي المخانق والأسورة كفاية عنه، فهذا وإن كان معتادا فهو =

وكل هذا يدل على أن القرط للنساء هو ما جرى في عهد الصحابة، ولم ينكره النبي صلى الله عليه وسلم، ومن المعلوم أن ما حصل زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكره فهو يعتبر شيئا جائزا، لأن زمن النبي صلى الله عليه وسلم هو زمن التشريع، حتى ولو لم يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم، فإن الله يعلمه، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾[1]، والله أعلم.

إلا أن في التوراة لم نجد لا نصا ولا مجرد الإشارة إلى خفض البنات، وكل ما في التوراة يشير إلى ختان الأطفال الذكور دون الإناث.

جاء في التوراة : "فأخذ إبراهيم إسماعيل ابنه وجميع ولدان بيته وجميع المبتاعين بفضته كل الذكر من أهل بيت إبراهيم وختن لحم غرلتهم في ذلك اليوم عينه كما كلمه الله. وكان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن في لحم غرلته. وكان إسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين ختن في لحم غرلته. في ذلك اليوم عينه ختن إبراهيم إسماعيل ابنه. وكل رجال بيته ولدان البيت والمبتاعين بالفضة من ابن الغريب ختنوا معه"[2].

وفيها : "وختن إبراهيم إسحاق ابنه وهو ابن ثمانية أيام كما أمر الله"[3].

وفيها : "وفي اليوم الثامن يختن لحم غزلته"[4].

وفيها : "وإذا نزل عندك نزيل وصنع فصحا للرب، فليختن منه كل ذكر ثم ليتقدم ليصنعه فيكون كمولود الأرض وأما كل أغلف فلا يأكل منه"[5].

حرام، والمنع منه واجب، والاستئجار عليه غير صحيح، والأجرة المأخوذة عليه حرام إلا أن يثبت من جهة النقل فيه رخصة، ولم يبلغنا إلى الآن فيه رخصة، انتهى كلامه، ورجحه ابن حجر في فتح الباري : (١٣/٣٧٩-٣٤٠).

(١) سورة النساء : (١٠٨).

(٢) سفر التكوين ، الإصحاح السابع عشر، العدد : ٢٣-٢٧.

(٣) سفر التكوين ، الإصحاح الحادي والعشرون: العدد : ٤ .

(٤) سفر اللاويين، الإصحاح الثاني عشر، العدد: ٣.

(٥) سفر الخروج، الإصحاح الثاني عشر، العدد: ٤٨.

بل قد حرمت الخفض للبنات، كما جاء في كتابهم الاحتفالات والعادات اليهودية : ليس هناك ختان للبنت، وإنما تنتقل البنت مع أمها بعد انتهاء مدة نفاسها، بما يقرب من شهر إلى المعبد، ويقوم المرتل بقراءة بعض الآيات ثم تدعى البنت بالاسم الذي يختاره لها أهلها[1].

وكذلك بالنسبة للمسيحيين فيما يختص بخفض البنات، لم يرد فيها شيء عنه.

تقول الأستادة ماري أسعد : "إن ختان البنت لم يرد في المسيحية ولا في اليهودية كأديان"[2].

---

(١) انظر: كتاب الختان لأبي بكر عبد الرزاق : (ص:٤٤).

(٢) المصدر نفسه.

المطلب السادس : وفاة سارة عليها السلام.

قضت سارة عليها السلام حياتها في طاعة الله وعبادته مع زوجها الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ثم إنها لما كان عمرها مائة وسبع وعشرون سنة توفاها الله عز وجل بالشام، كما ذكر ذلك أهل العلم.

قال ابن الأثير –رحمه الله–[1]:

"لا يدفع أحد من أهل العلم أن سارة توفيّت بالشام ولها مائة وسبع وعشرون سنة، وقيل: إنها كانت بقرية الجبابرة من أرض كنعان، وقيل: عاشت هاجر بعد سارة مدّة، والصحيح أن هاجر توفيّت قبل سارة، كما ذكرنا في مسير إبراهيم الى مكّة، وهو الصحيح إن شاء الله تعالى"[2].

فدفنت في مزرعة اشتراها إبراهيم عليه السلام، كما ذكره الطبري[3].

وقال القضاعي –رحمه الله–[4]:

"وماتت سارة ولها من العمر مائة وسبع وعشرون سنة، وكانت وفاتها قبل وفاة إبراهيم –عليه الصلاة والسلام–، بعد مضي سبع وثلاثين سنة من عمر ابنها إسحاق –عليه السلام–، ودفنا في مزرعة من مزارع حبرون من أرض الشام"[5].

وقد ذكرت التوراة عن هذه القضية ففيها :

---

(١) هو الشيخ الامام العلامة المحدث الاديب النسابة عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري الشيباني، ابن الشيخ الاثير أبي الكرم، مصنف التاريخ الكبير الملقب بـ " الكامل "، مولده بجزيرة ابن عمر في سنة خمس وخمسين ، وكان إماما، علامة، أخباريا، أديبا، متفننا، رئيسا، محتشما، كان منزله مأوى طلبة العلم، توفي في شعبان سنة وثلاثين وست مئة، انظر: سير أعلام النبلاء : (٢٢/ ٣٥٣)

(٢) الكامل في التاريخ : (١/ ١١٠)، وانظر: تاريخ الرسل والملوك للطبري : (١/ ٣٠٨).

(٣) تاريخ الرسل والملوك (١/ ٣٠٨).

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون بن إبراهيم بن محمد بن مسلم القضاعي الفقيه الشافعي، وتوفي بمصر ليلة الخميس السادس عشر من ذي القعدة سنة أربع وخمسين وأربعمائة، وصلي عليه يوم الجمعة بعد العصر في مصلى النجار، انظر: سير أعلام النبلاء : (١٨/ ٩٢)، و وفيات الأعيان : (٤/ ٢١٢).

(٥) تاريخ القضاعي : (ص:٩٢).

"وكانت حياة سارة مائة وسبعا وعشرين سنة سني حياة سارة. وماتت سارة في قرية أربع التي هي حبرون في أرض كنعان، فأتى إبراهيم ليندب سارة ويبكي عليها . وقام إبراهيم من أمام ميته وكلم بني حث قائلا. انا غريب ونزيل عندكم، أعطوني ملك قبر معكم لأدفن ميتي من أمامي. فأجاب بنو حث إبراهيم قائلين له. اسمعنا يا سيدي، أنت رئيس من الله بيننا في أفضل قبورنا ادفن ميتك لا يمنع أحد منا قبره عنك حتى لا تدفن ميتك... وبعد ذلك دفن إبراهيم سارة امرأته في مغارة حقل المكفيلة أمام ممرا التي هي حبرون في أرض كنعان. فوجب الحقل والمغارة التي فيه لإبراهيم ملك قبر من عند بني حث"[١].

(١) انظر: سفر التكوين ، الإصحاح الثالث والعشرون، العدد: ١-٢٠.

المبحث الثاني : هاجر عليها السلام.

المطلب الأول : اسمها ونسبها وصفاتها.

وهي هاجر عليها السلام جارية سارة التي وهبها لها ملك مصر فرعون، أم بني إسرائيل وبنت للملك، وكان هذا الملك من ذُرِّيَّة سام بن نوح عليه الصلاة والسلام(١).
ويقال لها هاجر وآجر، فيبدلون الألف من الهاء كما قالوا هراق الماء وأراق الماء وغيره، كما نقله ابن حجر من رواية مسلم: "فأخرجها من أرضي وأعطها آجر"(٢)، وهي عليها السلام من أهل مصر(٣).

ومن الصفات التي تميزت بها هاجر عليها السلام :

١- إنها عليها السلام أول من اتخذ المنطق(٤) من النساء، كما في الحديث الذي روى البخاري في صحيحه(٥)، ومعناه أنها تزيت بزي الخدم إشعارا بأنها خادمها، يعني خادم سارة —عليها السلام- لتستميل خاطرها وتجبر قلبها(٦).

٢- شدة توكلها وحسن ظنها بالله وصبرها وتسليمها لأمر الله تعالى، وذلك لما ترك إبراهيم عليه الصلاة والسلام هاجر وابنها إسماعيل عليهما السلام في واد غير ذي زرع عند بيت الله المحرم.

كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : لما كان بين إبراهيم وبين أهله ما كان، خرج بإسماعيل وأم إسماعيل —عليهما السلام- ومعهم شنة فيها ماء، فجعلت أم إسماعيل تشرب من الشنة فيدر لبنها على صبيها حتى قدم

---

(١) فيض الباري على صحيح البخاري للكشميري: (٣/ ٤٨٨).

(٢) انظر: فتح الباري : (٦٥١/٧).

(٣) السيرة النبوية لابن هشام: (١/ ١١١).

(٤) والمنطق هو كلُّ ما شددتَ به وسطك ، انظر: الصحاح في اللغة للجوهري : (١٥٥٩/٤).

(٥) كما سيأتي تخريجه: (ص:٢٢٥).

(٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري : (٢٥٥/١٥)، وكان السبب في ذلك أن سارة كانت وهبت هاجر لإبراهيم فحملت منه بإسماعيل، فلما ولدته غارت منها فحلفت لتقطعن منها ثلاثة أعضاء فاتخذت هاجر منطقا فشدت به وسطها وهربت وجرت ذيلها لتخفي أثرها على سارة عليها السلام، انظر: فتح الباري : (٦٦١/٧).

مكة فوضعها تحت دوحة، ثم رجع إبراهيم إلى أهله فاتبعته أم إسماعيل حتى لما بلغوا كداء نادته من ورائه، يا إبراهيم: إلى من تتركنا؟

قال: إلى الله

قالت: رضيت بالله[1].

وفي لفظ آخر:

فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء

فقالت له ذلك مرارا، وجعل لا يلتفت إليها

فقالت له: آلله الذي أمرك بهذا؟

قال: نعم

قالت: إذا لا يضيعنا، ثم رجعت[2].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : "فناداها جبريل فقال لها: من أنت؟ فقالت: أنا هاجر، أم ولد إبراهيم، قال: إلى من وكلكما؟ قالت: وكلنا إلى الله، قال: وكلكما إلى كاف"[3].

وكل هذه الأحاديث يبين لنا شدة توكل هاجر عليها السلام في ذلك الموقف الذي لا يكاد الإنسان أن يصبر فيه، وهذا التوكل يثمر الخيرات لها ولمن جاء بعدها، كما سيتضح ذلك في هذا الفصل.

٣- أن هاجر عليها السلام وصف بأنها أم بني ماء السماء، كما أخبر بذلك أبو هريرة رضي الله عنه بقوله : "تلك أمكم يا بني ماء السماء"[4].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء، باب يزفون : النسلان في المشي، حديث رقم : (٣٣٦٤) مع الفتح : (٧/٦٥٥).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) جامع البيان للطبري : (٣/ ٦٩).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٥]، حديث رقم : (٣٣٥٨) مع الفتح : (٧/٦٤٢)، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، =

٤- إن هاجر عليها السلام تحب الأنس، وهي ضد الوحشة[١].

حديث رقم : (٦١٤٥)، إلا أن العلماء رحمهم الله تعالى اختلفوا في معنى "يا بني ماء السماء"، وقد بسط ابن حجر –رحمه الله- الكلام في هذا، انظر: فتح الباري : (٦٥٢/٧)، وكذلك النووي في شرحه لصحيح مسلم : (١٢٥/١٥) وغيرهما من العلماء –رحمهم الله-.

(١) سيأتي تخريجه: (ص:٢٢٥)، وانظر: فتح الباري لابن حجر : (٦٦٥/٧).

المطلب الثاني : هاجر عليها السلام زوجة إبراهيم عليه السلام أم جاريته؟

كانت هاجر عليها السلام خادمة لسارة عليها السلام بنص الحديث، وهذا أمر معروف كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال :

لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات – ثم ذكر قصة إبراهيم وسارة عليهما السلام مع الجبابرة–، وقال : وأخدم هاجر[1].

وفي رواية لمسلم بعد أن سرد القصة، قال : وأعطاها هاجر، قال : فأقبلت تمشي، فلما رآها إبراهيم عليه السلام انصرف فقال لها : ميهم، قالت: خيرا، كف الله يد الفاجر وأخدم خادما[2].

ولكن هل هي زوجة إبراهيم عليه الصلاة والسلام التي تزوجها أم جاريته؟، وهذا هو محل الخلاف بين العلماء –رحمهم الله تعالى–.

والذي يبدو – والله أعلم– أن هاجر عليها السلام كانت جارية لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، ولم يتزوجها، بل ملكتها سارة عليها السلام لزوجها إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما حُرم منها الولد حينئذ، ولم أقف – على حسب اطلاعي– على من قال تزوجها إبراهيم عليه السلام، وإذا كان كذلك فإنها تبقى على أصلها أنها عليه السلام كانت جارية لسارة وزوجها إبراهيم عليهما السلام[3].

قال ابن الأثير –رحمه الله–:

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٥]، حديث رقم : (٣٣٥٨) مع الفتح : (٦٤٢/٧).

(٢) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم، حديث رقم : (٦١٤٥).

(٣) والقرطبي –رحمه الله– قد أشار بأنها زوجة إبراهيم عليه الصلاة والسلام بقوله في قول الله تعالى ﴿ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ وذلك قبل أن يتزوج هاجر وقبل أن يولد له إسماعيل، الجامع لأحكام القرآن : (١٠١/١٥)، ومن المعلوم أن هذا القول خالية من الدليل، بل القرطبي –رحمه الله– قد خالف هذا القول في مكان آخر من كتابه الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام : (ص: ٤٦٧) بقوله : وأن هذا النبي سيرفضه اليهود لأنه من غير جنسهم، أنه من نسل المصرية هاجر جارية إبراهيم عليه السلام ونسلها لا قيمة له في نظر اليهود، والله اعلم.

"وأمه هاجر –عليها السلام– جارية لإبراهيم –عليه الصلاة والسلام–"[1].

وقال ابن حزم –رحمه الله– :

قال أبو محمد رضي الله عنه : "ولم يذكر له –أي إبراهيم عليه الصلاة والسلام– زوجة في حياة سارة ولا أمة لها ولد إلا هاجر أم إسماعيل عليه السلام"[2].

ومعنى هذا الكلام أنه ثبت عنده أن هاجر عليها السلام لم تكن زوجة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، بل أنها أمة له عليهما السلام.

وكذا قد عبَّر به العلامة أبو بكر جابر الجزائري[3] في تفسيره :

"وقد أخذ سارة ما يأخذ النساء من الغيرة لما رأت جارية إبراهيم أنجبت له إسماعيل –عليهم السلام–"[4].

والجدير بالذكر أن هاجر عليها السلام لم تكن أمة في بدايتها، بل كانت من أعزاء قومها، وكان لأبيها عليها السلام مكانة ورفعة في الأنساب، ولم يكن من سلالة الأرقاء.

قال مقاتل : كانت من ولد هود –عليه السلام–.

وقال الضحاك : كانت بنت ملك مصر، وكان ساكنا بمنف، فغلبه ملك آخر، فقتله وسبى ابنته، فاسترقها ووهبها لسارة –عليها السلام–،ثم وهبتها سارة لإبراهيم –عليه الصلاة والسلام–، فواقعها فولدت إسماعيل –عليه السلام–[5].

وقال ابن خلدون[6] –رحمه الله–:

---

(١) جامع الأصول في أحاديث الرسول : (١٢/ ١١٣).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٠٧)

(٣) وهو من أحد علماء المدينة النبوية، وأصله من بلاد الجزائر، ويدرس في المسجد النبوي الشريف حاليا، حفظه الله تعالى.

(٤) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير : (٤/٤١٩).

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري : (١٢/٢١١) و (١٣/١٦٩)، وانظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري : (٥/٣٤٩).

(٦) هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم الحضرمي الأشبيلي المالكي المعروف بابن خلدون، ولد =

"أن عمرو بن العاص –رضي الله عنه– لما ملك مصر أخبرهم بوصية النبي صلى الله عليه وسلم بهم، فقال هذا نسب لا يحفظ حقه إلا نبي، لأنه نسب بعيد، وذكروا له أن هاجر –عليها السلام– كانت امرأة لملك من ملوكنا، ووقعت بيننا وبين أهل عين شمس حروب كانت لهم في بعضها دولة، فقتلوا الملك وسبوها، ومن هنا لك تسيرت إلى أبيكم ابراهيم –عليه الصلاة والسلام–"[1].

ومن هذا الكلام يتضح لنا جليا أصل أمنا هاجر عليها السلام، وأنها لم تكن أمة، بل ملكة قومها، وأنها تصل إلى أبينا إبراهيم عليهما السلام بعد ما سبى الملك هاجر وعائلتها.

وقال الكشميري[2] –رحمه الله– :

"واعلم أن التحقيق أن هَاجَرَ عليها السلام لم تَكُنْ أَمَةً، بل كانت بنتًا للملك، وكان هذا الملك من ذُرِّيَّة سام بن نوح عليه الصلاة والسلام، وأمَّا أهلُ مصره فكانوا من ذُرِّيَّة حام، فكان يُحِبُّ أن يُزَوِّجَ ابنته رجلا من أسرته، حتى إذا مرَّ به إبراهيمُ عليه الصلاة والسلام مع زوجته سارة، – وكان من سام – فأَسَرَهَا، وأراد بها ما أراد، فلمَّا رَدَّ اللهُ كَيْدَه في نحره، تفطَّن أن زوجَها مقرَّبٌ من المقرَّبين، فأراد أن يُنْكِحَهُ ابنته، ومن دَأْبِ الناس أنهم إذا أرادوا أن يُنْكِحُوا بناتهم أحدًا يقولون مثل هذه الكلمات، هَضْمًا لأنفسهم، فيقولون: نُعْطِيكَ وليدةً"[3].

يوم الأربعاء أول شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة بمدينة تونس ونشأ بها وطلب العلم، ثم توجه إلى مصر وولي القضاء فيها، وتوفي فجأة في القاهرة سنة ٨٠٨هـ، انظر: شذرات الذهب : (٧/ ٧٦)، ورحلة ابن خلدون : (ص: ٢٧).

(١) تاريخ ابن خلدون : (٢/ ٧٧).

(٢) هو محمد أنور بن معظم ابن الشاه عبد الكبير ابن الشاه عبد الخالق بن محمد أكبر بن محمد عارف البزوري الكشميري، ولد صبيحة السبت لسبع وعشرين من شوال عام ١٢٩٢هـ، بقرية ودوان في كشمير، تعلم على والده ثم سافر لطالب العلم، وكان له مجموعة من المؤلفات، وتوفي في ديوبند في ثلث الليل الأخير ليلة الاثنين، ثلاث صفر عام ١٣٥٢هـ، كتب هذه الترجمة محمد يوسف بن محمد زكريا بن مزمل شاه بن مير أحمد شاه البنوري ضمن ما جمعه محمد بدر عالم الميرتهي في فيض الباري : (١/١٣-٢٧).

(٣) فيض الباري على صحيح البخاري: (٣/ ٤٨٨).

وإنَّما نقول بهذا القول لأن هاجر عليها السلام من جَدَّاتِ نبيِّنا صلى الله عليه وسلم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم خيرَهم نَسَبًا وحسبًا.

قال محمد صديق خان[(١)] -رحمه الله-:

"اليهود كانوا يتفاخرون على العرب لما ورد في متى من سفر الخروج، لأنهم من أولاد إسحاق وهو ابن سارة، ومحمد صلى الله عليه وسلم من أولاد إسماعيل وهو ابن هاجر جارية سارة"[(٢)].

وما أورده المؤرخون في قصة زيد بن علي[(٣)] رضي الله عنه مع هشام بن عبد الملك[(٤)] أحد الحكام الأمويين من أقوى الأدلة في الرد على ما قاله اليهود في العرب عموما، وفي أم إسماعيل -عليهما السلام خصوصا، ومفاد القصة أن زيد بن علي يدخل على هشام، فدخل عليه يوما بالرصافة، فلما مثل بين يديه لم ير موضعا يجلس فيه، فجلس حيث انتهى به مجلسه.

فقال له: يا أمير المؤمنين، ليس أحد يكبر عن تقوى الله.

---

(١) هو أبو الطيب صديق بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني القنوجي البخاري، المخاطب بالنواب عالي الجاه أمير الملك خان بهادر، ولد في شهر جمادى الأولى في التاسع عشر منه يوم الأحد في سنة ثمان وأربعين ومائتين وألف هجرية ببلدة قنوج المحمية، وتوفي في ليلة التاسع والعشرين من جمادي الآخرة سنة سبعة وثلاثمائة وألف، انظر: جلاء العينين في محاكمة : (ص: ٦٢)، وحلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (١/ ٧٣٩).

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن : (٥/ ٤٥).

(٣) هو زيد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسين الهاشمي العلوي المدني، وكان ذا علم وجلالة وصلاح هفا وخرج فاستشهد، وكان نسب إليه الزيدية، وسميت الرافضة بهذا الاسم لرفضهم زيد، قال أحمد بن حنبل: ثقة ثبت، توفي سنة اثنتين وعشرين ومئة، انظر: الجرح والتعديل : (٣/ ٥٦٨)، وسير أعلام النبلاء: (٥/ ٣٨٩).

(٤) هو هشام بن عبدالملك ابن مروان الخليفة، أبو الوليد القرشي الاموي الدمشقي، ولد بعد السبعين، واستخلف بعهد معقود له من أخيه يزيد، ثم من بعده لولد يزيد، وهو الوليد، استخلف في شعبان سنة خمس ومئة إلى أن مات في ربيع الآخر، وله أربع وخمسون سنة، وكان حريصا جماعا للمال، عاقلا حازما سائسا، فيه ظلم مع عدل، انظر: سير أعلام النبلاء : (٥/ ٣٥١).

فقال له هشام: أسكت لا أم لك، أنت الذي تنازعك نفسك في الخلافة وأنت ابن أمة!

فقال: يا أمير المؤمنين، إن لك جوابا، إن أحببت أجبتك به، وإن أحببت أمسكت عنك، قال: لا، بل أجب؟، قال : إن الأمهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات، وقد كانت أم إسماعيل أمة لأم إسحاق صلى الله عليهما، فلم يمنعه ذلك إلى أن ابتعثه الله نبيا، وجعله للعرب أبا، وأخرج من صلبه خير البشر محمدا صلى الله عليه وسلم، أفتقول لي كذا وأنا ابن فاطمة وابن علي؟...[1].

ومعلوم أن هاجر عليها السلام جارية لسارة وزوجها عليهم السلام بعد أن أخدمها الملك، ولكن الله تعالى أخرج من بطنها خير البشر ليكون رحمة للعلمين محمد صلى الله عليه وسلم، ثم هؤلاء اليهود غيَّروا وبدَّلوا وحرَّفوا ومالوا عن ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، إذ لا فخر لهم بمجرد انتساب إليه، لأن الفخر هو بتقوى الله تعالى، واتباع ملة نبيه سبحانه.

---

(١) شذرات الذهب لمحمد العكري : (١/ ١٦٤)، وانظر: هذه القصة في تفسير الماتريدي : (١/١١٥)، وفرق معاصرة للشيخ غالب عواجي : (١/٣٣٨).

المطلب الثالث: هجرتها بابنها إسماعيل إلى جبال فاران.

إن الله عز وجل أمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام أن يأخذ هاجر وابنه إسماعيل عليهما السلام إلى بلد الله الحرام تمهيدا لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ليكون رسولا بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا.

قال ابن حزم –رحمه الله– [(١)]:

"وفاران بلا شك هي مكة موضع مبعث محمد صلى الله عليه و سلم بيان ذلك أن إبراهيم عليه السلام أسكن إسماعيل فاران، ولا خلاف بين أحد في أنه إنما أسكنه مكة، فهذا نص على مبعث النبي صلى الله عليه و سلم"[(٢)].

وقد جاء في التوراة تسمية مكان هجرة هاجر وابنه إسماعيل عليهما السلام بقولها:

"فسمع الله صوت الغلام ونادى ملك الله هاجر من السماء وقال لها: ما لك يا هاجر؟ لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو. قومي احملي الغلام وشدي يدك به لأني سأجعله أمة عظيمة. وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام. وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في البرية وكان ينمو رامي قوس. وسكن في برية فاران"[(٣)].

وفيها: "وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته. فقال: جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم"[(٤)].

وجبال فاران هو جبل مكة التي سكنها هاجر وابنه إسماعيل عليهما السلام.

---

(١) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن معدان بن سفيان بن يزيد، مولى يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموي، ومولده بقرطبة من بلاد الأندلس يوم الأربعاء قبل طلوع الشمس سلخ شهر رمضان سنة أربع وثمانين وثلثمائة في الجانب الشرقي منها، وكان متفنناً في علوم جمة، توفي سنة ست وخمسين وأربع مئة، انظر: سير أعلام النبلاء : (١٨/ ١٨٤) ، و وفيات الأعيان : (٣/ ٣٢٥).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل : (١/ ٩٠).

(٣) سفر التكوين ، الإصحاح الحادي والعشرون، العدد: ٩-٢١.

(٤) سفر التثنية ، الإصحاح الثالث والثلاثون، العدد: ١-٢.

قال ابن تيمية –رحمه الله– :

"وجبال فاران هي جبال مكة.

قال: وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن فاران هي مكة، فإن ادعوا أنها غير مكة فليس ينكر ذلك من تحريفهم وإفكهم"(١).

وقال القس انسلم تورميدا –عبد الله الترجمان : "وجبال فاران يعني مكة وأرض الحجاز فإن فاران اسم رجل من ملوك العمالقة الذين اقتسموا الأرض فكان الحجاز وتخومه لفاران فسمي القطر كله باسمه"(٢).

وقد أنكر ابن القيم –رحمه الله– على من تأوَّل جبال فاران غير مكة بقوله:

"وأما جبال فاران فهم يحملونها على جبال الشأم، وهذا من بهتهم وتحريف التأويل، فإن جبال فاران هي جبال مكة، و فاران اسم من أسماء مكة، وقد دل على هذا نص التوراة: "أن إسماعيل لما فارق أباه سكن برية فاران وهي جبال مكة"، ولفظ التوراة: "أن إسماعيل أقام في برية فاران وأنكحته أمه امرأة من أرض مصر".

فثبت بنص التوراة أن جبال فاران مسكن لولد إسماعيل، وإذا كانت التوراة قد أشارت إلى نبوة تنزل على جبال فاران لزم أنها تنزل على ولد إسماعيل لأنهم سكانها، ومن المعلوم بالضرورة أنها لم تنزل على غير محمد صلى الله عليه وسلم من ولد إسماعيل عليه السلام"(٣).

وهذه كلها بشارة في الدلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه معلوم بالاتفاق أن هاجر وابنها إسماعيل عليهما السلام إنما سكنا مكة المكرمة التي لم ينزل فيها كتاب، ولا ظهر نبي بعد إسماعيل عليه السلام غير حفيده محمد صلى الله عليه وسلم، وأول شيء نزل من القرآن كان في غار حراء الذي هو في أعلى جبال فاران،

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : (٥/ ٢٠٠)، وانظر: إظهار الحق لرحمة الله الهندي: (ص: ١١٣٥).

(٢) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب: (ص: ٦٤)

(٣) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: (٢/ ٣٦٣).

وهذه البشارة موافقة لما في قول الله تعالى ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾[1] حيث أشار إلى بعثة الأنبياء الثلاثة.

قال ابن كثير –رحمه الله-:

"هذه محال ثلاثة، بعث الله في كل واحد منها نبيا مرسلا من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار، فالأول: محلة التين والزيتون، وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى ابن مريم عليهما السلام، والثاني: طور سينين، وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران عليهما السلام، والثالث: مكة، وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمنا، وهو الذي أرسل فيه محمدا صلى الله عليه وسلم"[2].

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم كما أخبر في حديثه الطويل، وفيه... "ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل، وهي ترضعه، حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد"[3]، حيث ذكر صلى الله عليه وسلم موضع هجرة هاجر وابنها إسماعيل عليهما السلام صراحة باسمه، وهو مكة.

إلا أن اليهود زعموا أن فاران هي أرض الشام، وليست أرض الحجاز.

قال ابن كمونة: "فالتوراة تنطق أن موسى وبني إسرائيل اجتازوا بفاران وأقاموا بها، وخوطب موسى هناك عدة مرات[4]، وأيضا فإن من قرأ ما قبل المستشهد به وما بعده علم أن الكلام كله مختص ببني إسرائيل، لا بما يشاركهم فيه غيرهم، ثم إن الألفاظ كلها مخبرة عن أمر ماض، مثل أقبل وأشرق وطلع، لا عن أمر متوقع، وإن حمل على المتوقع فهو مجاز وخروج عن الظاهر"[5].

---

(١) سورة التين : (١-٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم : (٨/ ٤٣٤)، وانظر: تفسير السعدي : (٩٢٩/١).

(٣) سيأتي تخريجه: (ص:٢٢٥).

(٤) يشير إلى ما جاء في سفر العدد ، الإصحاح الثاني عشر، العدد: ١٦ والإصحاح الثالثة عشر، العدد : ١-٣، و العدد: ٣٥ - ٣٦ وسفر التثنية ، الإصحاح الأول، العدد : ١، وغير ذلك.

(٥) تنقيح الأبحاث : (ص:٩٧)

وزعم النصارى أن فاران هي إيلات من أعمال الشام -كما في قاموس الكتاب المقدس؛ ومن ثم حملوا البشارة على بعض أحوال المسيح عليه السلام.

المطلب الرابع : هاجر عليها السلام وماء زمزم.

ماء زمزم ماء مبارك الذي أنزله الله لذرية إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وذلك لما ترك إبراهيم عليه الصلاة والسلام هاجر وابنه إسماعيل عليهما السلام عند بيت الله المحرم، ثم انطلق حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت رافعا يديه قائلا: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾[1]، فكان زمزم من أولى الثمرات التي أعطاها الله لإبراهيم وذريته، وكان لزمزم مزية وفضائل لا تحصى، ومنها :

١- ماء زمزم عين من عيون الجنة.

كما ثبت ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن زنجيا وقع في زمزم فمات ، قال : فأنزل إليه رجلا فأخرجه ، ثم قال: "انزفوا ما فيها من ماء ، ثم قال للذي في البئر : ضع دلوك من قبل العين التي تلي البيت ، أو الركن فإنها من عيون الجنة"[2].

هذا الأثر وإن كان موقوفا عن ابن عباس رضي الله عنهما إلا أنه لا يقال من قِبل الرأي والاجتهاد، ولا بد أن يكون مسموعا من الرسول صلى الله عليه وسلم.

٢- ظهور ماء زمزم كان بواسطة جبريل الأمين عليه السلام، وذلك بأمر الله تعالى، ولو شاء الله لأمر الماء أن يخرج بنفسه، ولكن لما أراد الله أن يبين شرف هذه الماء، أمر جبريل عليه السلام حتى ضرب الأرض بعقبه أو بجناحه.

٣- ماء زمزم ماء غسل به قلب المصطفى صلى الله عليه وسلم أكثر من مرة، ولقد خص الله تعالى بذلك ماء زمزم دون غيره من مياه الأرض.

---

(١) سورة إبراهيم : (٣٧).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة : (١/ ١٥٠)، باب في الفأرة والدجاجة وأشبههما تقع في البئر، حديث رقم : (١٧٣٤).

كما جاء من حديث أنس بن مالك –رضي الله عنه– قال: كان أبو ذر –رضي الله عنه– يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغه في صدري ثم أطبقه)[١].

٤–زمزم ماء بارك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بريقه الطاهر الشريف.

كما في حديث عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما أنه قال: جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى زمزم، فنزعنا له دلواً، فشرب، ثم مَجَّ فيها، ثم أفرغناها في زمزم، ثم قال: (لولا أن تُغْلَبوا عليها لنَزَعْت بيدي)[٢].

والمج هو : إرسال الماء من الفم مع نفخ[٣].

٥–ماء زمزم خير ماء على وجه الأرض، وأنه طعام طعم يقوم مقام الغذاء، وشفاء من السقم.

كما جاء من حديث عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم، فيه طعام من الطعم وشفاء من السقم)[٤].

وما رواه ابن عباس رضي الله عنهما في قصة هاجر وابنها إسماعيل عليهما السلام قال : فانبثق الماء فدهشت أم إسماعيل، فجعلت تحفز، قال: فقال

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، حديث رقم : (٣٤٩) مع الفتح : (٢/٥٠)، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السموات وفرض الصلوات، حديث رقم : (٤١٣).

(٢) أخرجه أحمد في مسند : (٣/ ٤٧٢)، و البزار في مسنده : (٧/ ٢٠٩)، والمعجم الكبير للطبراني : (١١/٩٧).

(٣) مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض : (١/ ٣٧٤).

(٤) المعجم الكبير للطبراني (١١/٩٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع : (ص:٦٢٧) حديث رقم : (٣٣٢٢).

أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: (لو تركته كان الماء ظاهرا، قال: فجعلت تشرب من الماء ويدر لبنها على صبيها)[1].

وهكذا جعل الله تعالى ماء زمزم غذاء لأم إسماعيل وابنها عليهما السلام.

وفي قصة أبي ذر رضي الله عنه قال: "فأتيت زمزم فغسلت عني الدماء، وشربت من مائها، ولقد لبثت يا ابن أخي ثلاثين، بين ليلة ويوم، ما كان لي طعام إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسرت عكن بطني، وما وجدت على كبدي سخفة جوع"[2].

وكونها شفاء جاء في حديث أبي جمرة الضبعي قال :كنت أجالس ابن عباس رضي الله عنهما بمكة، فأخذتني الحمى، فقال: أبردها عنك بماء زمزم، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء، أو قال بماء زمزم)[3].

قال ابن القيم –رحمه الله-:

"ماء زمزم سيد المياه وأشرفها وأجلها قدرا وأحبها إلى النفوس وأغلاها ثمنا وأنفسها عند الناس، وهو هزمة جبريل وسقيا الله إسماعيل –عليه السلام-"[4].

٦-ماء زمزم لا يتضلع منه منافق.

كما ثبت ذلك من حديث محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر، قال: كنت عند ابن عباس –رضي الله عنهما- جالسا، فجاءه رجل فقال: من أين جئت؟ قال: من زمزم ، قال: فشربت منها كما ينبغي ؟ قال: وكيف ؟ قال: إذا شربت منها فاستقبل القبلة، واذكر اسم الله، وتنفس ثلاثا، وتضلع منها، فإذا

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء، باب يزفون : النسلان في المشي، حديث رقم : (٣٣٦٥) مع الفتح : (٦٥٧/٧).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضل أبي ذر رضي الله عنه، حديث رقم : (٦٣٥٩).

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب بدأ الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، حديث رقم : (٣٢٦١) مع الفتح : (٥٥٢/٧).

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد : (٤/ ٣٥٦).

فرغت ، فاحمد الله عز وجل ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن آية ما بيننا وبين المنافقين، إنهم لا يتضلعون من زمزم)[1].

وغير ذلك من خصائص ومزايا ماء زمزم.

واختلف العلماء –رحمهم الله تعالى في تسمية ماء زمزم بزمزم، وجمع ابن حجر –رحمه الله– هذه الأقوال بقوله:

وسميت زمزم لكثرتها، يقال ماء زمزم أي كثير.

وقيل: لاجتماعها، نقل عن بن هشام، وقال أبو زيد: الزمزمة من الناس خمسون ونحوهم، وعن مجاهد: إنما سميت زمزم لأنها مشتقة من الهزمة، والهزمة الغمز بالعقب في الأرض أخرجه الفاكهي بإسناد صحيح عنه.

وقيل لحركتها، قاله الحربي.

وقيل لأنها زمت بالميزان لئلا تأخذ يمينا وشمالا[2].

وروى الإمام البخاري –رحمه الله– قصة نبع زمزم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطقا لتعفي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة[3] فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء.

ثم قفى إبراهيم منطلقا فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟

فقالت له ذلك مرارا، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله الذي أمرك بهذا؟

قال: نعم، قالت: إذا لا يضيعنا، ثم رجعت.

---

(١) رواه ابن ماجة في كتاب المناسك، باب الشرب من زمزم، حديث رقم : (٣٠٦١)، والحكم في المستدرك : (٦٤٥/١) حديث رقم : (١٧٣٨) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه إن كان عثمان بن الأسود سمع من ابن عباس.

(٢) فتح الباري : (٥٦٩/٤-٥٧٠).

(٣) الدوحة هي الشجرة الكبيرة، انظر: تهذيب الأسماء واللغة للنووي : (١٦٣/١)، وكشف المشكل لابن الجوزي : (٥٥٨/١).

فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات، ورفع يديه فقال: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ ﴾ حتى بلغ ﴿ يَشۡكُرُون ﴾[1].

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل، وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفد ما في السقاء، عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى، أو قال يتلبط – فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا، فهبطت من الصفا، حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود، حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة، فقامت عليها، ونظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا، ففعلت ذلك سبع مرات.

قال ابن عباس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: فذلك سعي الناس بينهما.

فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت: صه –تريد نفسها–، ثم تسمعت فسمعت أيضا، فقالت: قد أسمعت، إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم

وفي حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : فناداها جبريل فقال لها: من أنت؟ فقالت: أنا هاجر، أم ولد إبراهيم، قال: إلى من وكلكما؟ قالت: وكلنا إلى الله، قال: وكلكما إلى كاف[2].

فبحث بعقبه[3] ، أو قال: بجناحه – حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا، –وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف–

قال ابن عباس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم، أو قال: لو لم تغرف من الماء، لكانت زمزم عينا معينا.

---

(١) سورة إبراهيم : (٣٧).

(٢) جامع البيان للطبري : (٣/ ٦٩) .

(٣) قال السهيلي : وفي تفجيره إياها بالعقب دون أن يفجرها باليد أو غيره إشارة إلى أنها لعقبه وراثة وهو محمد صلى الله عليه وسلم وأمته، كما قال سبحانه ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴾ [سورة الزّخْرُفَ: ٤٣]، انظر: الروض الأنف في شرح غريب السير (١/ ٢٥٧)

قال: فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة، فإن هاهنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله.

وفي رواية عند الفاكهي: "لا تخافي على أهل هذا الوادي ظمأ؛ فإنها عين يشرب بها ضيفان الله"[1].

وكان البيت مرتفعا من الأرض كالرابية تأتيه السيول، فتأخذ عن يمينه وشماله، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم، أو أهل بيت من جرهم - مقبلين من طريق كداء، فنزلوا في أسفل مكة، فرأوا طائرا عائفا فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على ماء، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسلوا جريا أو جريين، فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا، قال: وأم إسماعيل عند الماء، فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ فقالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء، قالوا: نعم.

قال ابن عباس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الإنس، فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم ..." [2]

قال وهب بن منبه -رحمه الله-[3]:

"كان بطن مكة ليس فيه ماء، وليس لأحد فيه قرار، حتى أنبط الله تعالى لإسماعيل عليه السلام زمزم، فعمرت مكة يومئذ، وسكنها من أجل الماء قبيلة من اليمن يقال لهم جرهم"[4].

---

(١) أخبار مكة للفاكهي : (٢/ ٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب يزفون : النسلان في المشي، حديث رقم : (٣٣٦٤) مع الفتح : (٧/٦٥٥).

(٣) هو وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذي كبار، وهو الاسوار الامام، العلامة الاخباري القصصي، أبو عبد الله الا بناوي، اليماني الذماري الصنعاني، أخو همام بن منبه، ومعقل بن منبه، مولده في زمن عثمان سنة أربع وثلاثين، ورحل وحج، تابعي ثقة، مات في ذي الحجة سنة ثلاث عشرة، انظر: سير أعلام النبلاء : (٤/ ٥٤٤)، ووفيات الأعيان : (٦/٣٥) .

(٤) أخبار مكة للفاكهي : (٢/ ٩).

ونبع ماء زمزم كانت من هزمة جبريل عليه السلام لإسماعيل عليه السلام، أي أن جبريل ضرب الأرض بعقبه، وقيل بجنحه حتى نبع الماء كما سبق ذكره، وأما نبع زمزم من قدمي إسماعيل عليه السلام لم يثبت فيه شيء، والله أعلم.

المطلب الخامس : معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لها: " رحم الله هاجر".

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم، أو قال لو لم تغرف من الماء - لكانت عينا معينا)[1].

وفي رواية عنه صلى الله عليه وسلم: (لو تركته كان الماء ظاهرا)[2].

أي ظاهرا جاريا على وجه الأرض، ولكن هاجر عليها السلام حجرته فاحتجر، وهذا دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لها عليها السلام بالرحمة، حيث لو أن هاجر عليها السلام لم تحجره لكان ماء زمزم أنهارا تجري، إذ لو أن هاجر عليها السلام تركت ماء زمزم ولم تحبسه، لكان الأمر إلى الله تعالى، فالله تعالى الذي سيدبر أمر هذه المياه كيف كانت، وهو سبحانه على كل شيء حسيبا[3].

قال ابن الجوزي -رحمه الله- [4]:

"وهذا لأن إجراء تلك العين كان إنعاما محضا، لم يشبه كسب البشرية، فلما دخل الحوض وقف الإنعام ووكلت إلى تدبيرها"[5].

ولذلك جاء من حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (عطشت هاجر -عليها السلام-، فنزل عليها جبريل، فقال لها، من أنت؟

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب يزفون النسلان في المشي، حديث رقم : (٣٣٦٤) مع الفتح : (٧/٦٥٦-٦٥٧).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) انظر: كشف المشكل لابن الجوزي : (١/٣١٣).

(٤) هو أبو الفرج ابن الجوزي الشيخ الامام العلامة الحافظ المفسر، شيخ الاسلام، مفخر العراق، جمال الدين، أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد بن علي ابن عبيد الله بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله ابن الفقيه عبد الرحمان ابن الفقيه القاسم بن محمد ابن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر الصديق، القرشي التيمي البكري البغدادي، الحنبلي، الواعظ، صاحب التصانيف، ولد سنة تسع أو عشر وخمس مئة، بمصر في صفر سنة ثمان وتسعين وخمس مئة، انظر: سير أعلام النبلاء : (٢١/ ٣٦٥)، ووفيات الأعيان : (٣/١٤٠).

(٥) كشف المشكل لابن الجوزي : (١/٥٥٨)، وانظر: فتح الباري لابن حجر : (٧/٦٦٣).

قالت: هذا ولد إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-، قال: أعطشانة أنت؟ قالت : نعم، فبحث الأرض بجناحه فأخرج الماء، فأكبت عليه هاجر تشربه، فلو لا ذلك لكانت أنهارا جارية)[1].

إلا أن حكمة الله تعالى اقتضت ذلك، إذ لو لم تحجره هاجر عليها السلام لصار أنهارا، لم يكن فيه مسجد يبنى.

قال ابن عثيمين -رحمه الله-:

"قال النبي صلى الله عليه وعلى أله وسلم: "يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم لكانت عيناً معيناً "، ونحن نقول: رحم الله أم إسماعيل ورحمنا أيضاً، لو كانت نهراً ما يكون مسجد، نهر يمشي في وسط المسجد صعب، لكن من نعمة الله أن هذه المرأة سخرها الله عز وجل فحجرته حتى بقي في مكانه، والعجب أن هذا البئر لا يمكن أن ينضب أبداً، ما نضب لا في قديم الزمان ولا في حديثه، ولما صارت البناية الأخيرة للمسجد في التعديل يقولون رأوا نهراً عظيماً يصب في البئر يأتي من قِبل الصفا، شيء عجيب من شدته، والله على كل شيء قدير"[2].

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر : (١٤٥/٧٠).

(٢) شرح كتاب الحج من صحيح البخاري لابن عثيمين : (ص: ٨٩).

المطلب السادس: معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: " إذا فتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا".

هذا الحديث من أعلام نبوة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أصحابه في أول الأمر، وكانوا في غاية القلة قبل فتح مكة؛ بما يحصل لهم بعد موته صلى الله عليه وسلم من القوة والشوكة وفتح البلاد، ومن ذلك فتح بلاد مصر، وهي أرض يسمى فيها قيراط[1]، ويتضمن فيه وصية النبي صلى الله عليه وسلم لأهل مصر، وأن يحسنوا إلى أهلها.

قال النووي –رحمه الله–:

"وفيه معجزات ظاهرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : منها إخباره بأن الأمة تكون لهم قوة وشوكة بعده بحيث يقهرون العجم والجبابرة، ومنها أنهم يفتحون مصر، ومنها تنازع الرجلين في موضع اللبنة، ووقع كل ذلك، ولله الحمد"[2].

وهذا الحديث رواه جمع من أهل العلم.

فقد أخرج الإمام مسلم وأحمد من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنكم ستفتحون أرضا يُذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرا، فإن لهم ذمة ورحما، فإذا رأيتم رجلين يقتتلان في موضع لبنة فأخرج منها، وفي رواية : ذمة وصهرا)[3].

وفي رواية عن ابن الكعب بن مالك، عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن دخلتم مصر فاستوصوا بقبط مصر خيرا، فإن لهم ذمة ورحما) [4].

وفي هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى بالإحسان إلى أهل مصر لأسباب، منها:

---

(١) قال النووي –رحمه الله– : قال العلماء : القيراط جزء من أجزاء الدينار والدرهم وغيرهما ، وكان أهل مصر يكثرون من استعماله والتكلم به، شرح النووي على مسلم: (٨/ ٣٢٥).

(٢) شرح النووي على مسلم : (١٦/٩٧).

(٣) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب وصية النبي صلى الله عليه وسلم بأهل مصر، حديث رقم : (٦٤٩٣)، وأحمد في مسنده

(٤) شرح مشكل الآثار : (٦/ ١٣٧).

١- الذمة.

ومعناه كما قال الطحاوي –رحمه الله- :

"أن الذمة التي أرادها صلى الله عليه وسلم في ذلك هي الحق لهم برحمهم، فكان ذلك ذماما لهم تجب رعايته لهم، كمثل ما قد قيل في قول الله عز وجل: ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلَا ذِمَّةً ﴾ [(١)]، قال: الذمة هاهنا هي التذمم . كما حدثنا ولاد النحوي قال: حدثنا المصادري، عن أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي في قول الله عز وجل: ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلَا ذِمَّةً ﴾ [(٢)]، قال: الذمة هاهنا من التذمم"[(٣)].

وهذه من ذمة الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل مصر، وقد اهتم الخلفاء من بعده، كقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند مرض موته:

"وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم أن يوفى لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من ورائهم ، وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم"[(٤)].

٢- الرحم.

وأرد النبي صلى الله عليه وسلم بالرحم هي هاجر عليها السلام، وذلك أن هاجر أم إسماعيل عليهما السلام كانت من القبط، وهي أم جميع العرب العدنانيين، فبين العرب العدنانيين وبين القبط رحم من جهة أم إسماعيل عليهما السلام[(٥)].

قال الزهري –رحمه الله-: "فالرحم أن أم إسماعيل –عليهما السلام- منهم"[(٦)].

---

(١) سورة التوبة : (١٠).

(٢) سورة التوبة : (١٠).

(٣) شرح مشكل الآثار : (٦/ ١٣٨).

(٤) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، حديث رقم : (١٣٩٢) مع الفتح : (١٩٣/٤)

(٥) انظر: اتحاف الجماعة لحمود التويجري : (٣٦٤/١).

(٦) المستدرك على الصحيحين للحاكم :(٢/ ٦٠٣)، وقال : هذا حديث صحيح على شرط شرط الشيخين و لم يخرجاه، وانظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري : (٢٤٧/١).

٣-الصهر.

وأرد النبي صلى الله عليه وسلم بالصهر مارية القبطية أم ولده صلى الله عليه وسلم إبراهيم رضي الله عنه.

قال المسعودي[١] -رحمه الله- :

وأراد بالصهر: مارية القبطية[٢] أم ولد النبي صلى الله عليه وسلم التي أهداها له المقوقس[٣][٤].

وقال النووي -رحمه الله- في شارح الحديث:

"وأما الذمة فهي الحرمة والحق ، وهي هنا بمعنى الذمام، وأما الرحم فلكون هاجر أم إسماعيل منهم[٥]، وهذا النسب الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم لا يحفظ حقه إلا نبي يوحى إليه، لأنه نسب بعيد، ولذلك أن عمرو بن العاص رضي الله عنه لما ملك مصر، أخبرهم بوصية النبي صلى الله عليه وسلم بهم، فقال: هذا نسب لا يحفظ حقه إلا نبي، لأنه نسب بعيد"[٦].

(١) هو أبو الحسن علي ابن الحسين بن علي بن ذرية ابن مسعود، عداده في البغاددة، ونزل مصر مدة، المسعودي صاحب مروج الذهب وغيره من التواريخ، وكان أخباريا، صاحب ملح وغرائب وعجائب وفنون، وكان معتزليا، أخذ عن أبي خليفة الجمحي، ونفطويه، وعدة، مات في جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين وثلاث مئة، انظر: سير أعلام النبلاء : (١٥/ ٥٦٩).

(٢) هي مارية القبطية أم ولد الرسول صلى الله عليه وسلم إبراهيم، أهداها الملك المقوقس حاكم مصر، واختلف العلماء رحمهم الله فيها، هل هي من أمهات المؤمنين أم لا، والذي يبدو والله أعلم أنها ليست من أمهات المؤمنين، قال الماوردي -رحمه الله- في الحاوي الكبير: (٩/٢١): "فأما من وطئها من إمائه النبي ، فإن كانت باقية على ملكه إلى حين وفاته مثل مارية أم ابنه إبراهيم حرم نكاحها على المسلمين ، وإن لم تصر كالزوجات أما للمؤمنين لنقصها بالرق".

(٣) والمقوقس هو عظيم القبط في مصر، وهو ليس اسما للرجل، وإنما هو لقب لكل من ملك مصر والإسكندرية قبل الإسلام وطائر مطوق طوقا سواده في بياض كالحمام، انظر: المعجم الوسيط : (٢/ ٧٦٧).

(٤) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : (١/٣٣).

(٥) شرح النووي على مسلم : (١٦/٩٧).

(٦) انظر: تاريخ ابن خلدون : (٢/ ٧٧).

وقال ابن القيم –رحمه الله–:

"أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى بالقبط خيرا، وقال إن لهم ذمة ورحما فإن سريتي الخليلين الكريمين إبراهيم ومحمد صلوات الله عليهما وسلامه كانتا منهم وهما: هاجر ومارية، فأما هاجر فهي أم إسماعيل أبي العرب، فهذا الرحم، وأما الذمة فما حصل من تسري النبي صلى الله عليه وسلم بمارية و إيلادها إبراهيم، وذلك ذمام يجب على المسلمين رعايته ما لم تضيعه القبط، والله اعلم.

وقد روى البخاري في صحيحه عن السدي قال: سالت أنس بن مالك –رضي الله عنه–، كم كان بلغ إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: كان قد ملأ مهده، ولو بقي لكان نبيا، ولكن لم يكن ليبقى لأن نبيكم آخر الأنبياء"[1][2].

ولكن هذا كله بشرط أن هؤلاء الأقباط لا يضيعون هذا الحق، كما ذكره ابن القيم –رحمه الله– آنفا.

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بالإحسان إليهم، ويعزم على فعله، كما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال: (لو عاش إبراهيم لاعتقت أخواله، ولوضعت الجزية عن كل قبطي)[3].

٤-إن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن أهل مصر يكونون أعوانا للمسلمين في قتال عدوهم.

كما روى عن موسى بن أيوب الغافقي عن رجل من آل زيد، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض فأغمي عليه، ثم أفاق، فقال: (استوصوا بالأدم الجعد خيرا، ثم أغمي عليه الثانية، ثم أفاق، فقال مثل ذلك، ثم أغمي عليه الثالثة، فقال مثل ذلك، فقال القوم: لو سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم،

---

(١) أشار –رحمه الله– إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب، باب من سمى بأسماء الأنبياء، حديث رقم : (٦١٩٤) مع الفتح : (٧١/١٤).

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود : (ص: ١١٠).

(٣) وانظر: في مغني المحتاج : (٨٥/٦) ، وانظر: ذخائر العقبى : (١٥٦/١).

من الأدم الجعد؟ فأفاق، فسألوه فقال: قبط مصر، فإنهم أخوال وأصهار، وهم أعوانكم على عدوكم وأعوانكم على دينكم، فقالوا: كيف يكونون أعوانا على ديننا يا رسول الله؟ فقال: يكفونكم أعمال الدنيا، وتتفرغون للعبادة، فالراضي بما يؤتى إليهم كالفاعل بهم، والكاره لما يؤتى إليهم من الظلم كالدافع عنهم)[1].

وفي رواية عم عمرو بن حريث وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إنكم ستقدمون على قوم جعد رؤوسهم، فاستوصوا بهم خيرا، فإنهم قوة لكم وبلاغ إلى عدوكم بإذن الله عز وجل، يعني: قبط مصر)[2].

وفي رواية عن أم سلمة رضي الله عنها قالت، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى عند وفاته فقال: (الله الله في قبط مصر، فإنكم ستظهرون عليهم، ويكون لكم عدة، وأعوانا في سبيل الله)[3].

وسبب ذلك ما روي عن عمر بن العاص قال: حدثني عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا فتح الله عليكم مصر بعدي فاتخذوا فيها جندا كثيفا، فذلك الجند خير أجناد الأرض، قال أبو بكر: ولم ذاك يا رسول الله؟ قال: إنهم في رباط إلى يوم القيامة[4].

وهذه من بعض وصايا النبي صلى الله عليه وسلم لأهل مصر لما لهم من القرابة للنبي صلى الله عليه وسلم، ولما لهم من الفضائل والمزية من غيرها، والله أعلم.

---

(١) فتوح مصر وأخبارها : (ص:٤).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المعجم الكبير للطبراني : (٢٣/ ٢٦٥)، وصححه الألباني في سلسلة الصحيحة : (٣٠٧/٧)، وقال : وهذا إسناد صحيح لا أعرف له علة؛ فإن رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين؛ غير شيخي الطبراني، لكن الأول منهما زكريا الساجي؛ فهو ثقة حافظ.

(٤) انظر: كشف الخفاء للعجلوني :(٢/ ٢١١).

المطلب السابع: كرامات هاجر عليها السلام.

ومن تلك الكرامات التي خصها الله تعالى أم إسماعيل عليهما السلام بها:

١-حفظ الله تعالى لها، لما ترك إبراهيم عليه الصلاة والسلام هاجر وابنها الرضيع عليهما السلام في الوادي الذي لا سكن فيه ولا داع ولا مجيب، إذ مكة يومئذ لا ماء فيها ولا تصلح للزراعة، وقد حكى الله تعالى ذلك في القرآن في قوله: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ﴾[1]، وهذا الذي فعله إبراهيم عليه الصلاة والسلام بترك أهله وابنه في هذا الوادي، كله بوحي من الله تعالى، ولذلك لا يجوز لأحد أن يتعلق بهذا في طرح ولده وعياله بأرض مضيعة اتكالا على العزيز الرحيم ، واقتداء بفعل إبراهيم الخليل، كما تقول غلاة الصوفية في حقيقة التوكل ، فإن إبراهيم فعل ذلك بأمر الله لقوله الحديث : آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم، قاله القرطبي –رحمه الله–[2].

٢-إرسال الله تعالى لهاجر وابنها عليهما السلام جبريل الأمين حتى ضرب جبريل عليه السلام الأرض بعقبه أو بجناحه، وذلك كما في الحديث المتقدم، فإن الله تعالى قادر على أن يرسل جندا من جنوده وخلقا من خلقه غير جبريل عليه السلام، ولكن إرسال الله تعالى جبريل لهاجر عليها السلام كرامة مخصوصة لقوة علاقتها بالله عز وجل.

قال ابن إسحاق: "إن ملكا من الملائكة أتى هاجر أم إسماعيل – حين أنزلهما إبراهيم مكة، قبل أن يرفع إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت"[3].

٣-تكليم جبريل عليه السلام لها، كما في حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه المتقدم[4].

قال العيني –رحمه الله–:

---

(١) سورة إبراهيم : (٣٧).

(٢) تفسير القرطبي : (٩/ ٣٧٠).

(٣) جامع البيان للطبري : (٣/ ٦٢).

(٤) انظر: ص (١/٢٢٤) من هذه الرسالة.

"وفيه أن الملك يتكلم مع غير الأنبياء عليهم السلام، ومن ذلك تكلم جبريل مع هاجر عليها السلام"[1].

٤-أن الله عز وجل جعل سعي المسلمين بين الصفا والمروة موافقا لما حصل لأم اسماعيل كيفية وعددا، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (فذلك سعي الناس بينهما)[2]، فسنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته السعي بينهما، وأمر به، وأخبر أن الله تعالى قد كتب السعي على هذه الأمة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : أنه كان رآهم يطوفون بين الصفا و المروة قال : هذا مما أورثتكم أم إسماعيل –عليهما السلام–[3].

قال ابن كثير –رحمه الله– :

"وقد تقدم في حديث ابن عباس أن أصل ذلك مأخوذ من تطواف هاجر وترددها بين الصفا والمروة في طلب الماء لولدها، لما نفد ماؤها وزادها، حين تركهما إبراهيم -عليه السلام –هنالك، ليس عندهما أحد من الناس، فلما خافت الضيعة على ولدها هنالك، ونفد ما عندها ؛ قامت تطلب الغوث من الله، عز وجل، فلم تزل تردد في هذه البقعة المشرفة بين الصفا والمروة متذللة خائفة وجلة مضطرة فقيرة إلى الله عز وجل، حتى كشف الله كربتها، وآنس غربتها، وفرج شدتها، وأنبع لها زمزم التي ماؤها طعام طعم، وشفاء سقم، فالساعي بينهما ينبغي له أن يستحضر فقره وذله وحاجته إلى الله في هداية قلبه وصلاح حاله وغفران ذنبه، وأن يلتجئ إلى الله عز وجل ليزيح ما هو به من النقائص والعيوب، وأن يهديه إلى الصراط المستقيم، وأن يثبته عليه إلى مماته، وأن يحوله من حاله الذي هو عليه من الذنوب والمعاصي، إلى حال الكمال والغفران والسداد والاستقامة، كما فعل بهاجر -عليها السلام-"[4].

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري : (١٥/٢٥٧).

(٢) تقدم تخريجه: (ص:٢٢٦).

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم : (٢/ ٢٩٧)، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

(٤) تفسير القرآن العظيم : (١/ ٤٧١).

٥-نبع ماء زمزم لها ولابنها عليهما السلام، وهو أفضل المياه على الإطلاق، فقد جعل الله تعالى ماء زمزم لهما غذاء يغنيهما عن الطعام والشراب، وقد تقدم ذكر زمزم[(١)].

٦-ومن أعظمها أن الله تعالى اختارها لتكون أُمّا لنبي كريم إسماعيل عليه السلام الذي يخرج من أصلابه نبي الأمة وخير عباد الله على وجه الأرض مطلقا، وهذا النسب الشريف اصطفاء من الله تعالى، وكونها جدة لسيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم من أعظم الكرامات التي تفضل الله لها عليها السلام، ولم يكن من ذرية إسماعيل عليه السلام نبي ظاهر ومعروف إلا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا يدل على شرف وعظيم نبوته ورسالته صلى الله عليه وسلم.

وغير ذلك مما خص الله تعالى به أم إسماعيل هاجر عليهما السلام من الكرامة والخصوصية نتيجة إيمانها وتوكلها وصبرها على ما قدر الله تعالى لها عليها السلام.

(١) انظر: ص (٢٣٥/١) من هذه الرسالة.

المطلب الثامن : هاجر عليها السلام في التوراة المحرفة.

ورد ذكر هاجر عليها السلام وقصتها في التوراة، إلا أنه وقع فيها شيء من التحريف جريا على عادة اليهود في تحريف الكلم عن مواضعه، ومن مزاعم اليهود في التوراة المتعلقة لها ما يلي :

١-زعمهم أن هاجر عليها السلام لما حملت بإسماعيل عليه السلام تكبرت على سيدتها سارة عليهما السلام، كما جاء ذلك في التورة : "فضاجع أبرام هاجر فحبلت، فلما رأت أنها حبلت صغُرت سيدتها في عينها! فقالت ساراي لأبرام: غضبي عليك، دفعت جاريتي إلى حضنك، فلما رأت أنها حبلت صغُرتُ في عينها، الرب يحكم بيني وبينك!

فقال لها: هذه جاريتك في يدك، فافعلي بها ما يحلو لك...فأخذت ساراي تُذلها حتى هبت من وجهها..." [1].

وهذا الزعم مردود، لأنه لا يتفق مع إيمان آل بيت النبوة، ولأن هاجر عليها السلام كانت مؤمنة صالحة، و إبراهيم عليه الصلاة والسلام لا يرضى بالظلم بحال من الأحوال، فلا يطلِق يد سارة عليها السلام في هاجر لتذلها، وإن سارة عليها السلام مؤمنة صالحة تقية لا تقبل بالظلم أبدا، فكيف تظلم هاجر وتهينها.

٢-زعمهم أن هاجر عليها السلام رأت الرب وكلَّمته.

قال التوراة حكاية عن قول هاجر عليها السلام: "هنا حقا رأيتُ الله الذي يراني"[2].

وقد علق الرهبان في ترجمتهم سفر التكوين على ما جاء في التوراة: "ووجد ملاك الرب هاجر على عين ماء في الصحراء"[3] بقولهم: "ليس ملاك الرب في

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح السادس عشرة، العدد : ٤-٦.

(٢) سفر التكوين، الإصحاح السادس عشرة، العدد : ١٥.

(٣) المصدر نفسه.

النصوص القديمة ملاكا مخلوقا يختلف عن الله، بل هو الله نفسه بالشكل المنظور الذي يظهر فيه للبشر"[١].

وهذا جريا عقيدة التجسيم التي يقول بها اليهود[٢].

وهذا كفر بالله عز وجل، فإن الله تعالى مُنزَّه عن صفات البشر، لأنه تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٣].

والقرآن الكريم يُكذِّب هذا الزعم، لأنه لا يمكن للإنسان أن يرى الله في الدنيا، قال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى ﴾[٤]، فإذا كان موسى النبي عليه الصلاة والسلام لا يرى الله في الدنيا، فكيف بغيره، وهو كليم الله؟

وقد جاء في التوراة نفسها ما يوافق ذلك، ففيها: "قال الله لموسى: لا تقدر أن ترى وجهي، لأن الإنسان لا يراني ويعيش"[٥].

٣-زعمت التوراة أن هاجر وابنها إسماعيل عليهما السلام طردتهما سارة حتى لا يرثا مع ابنها إسحاق عليهم السلام.

جاء في أسفارهم: "ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمزح. فقالت لإبراهيم: اطرد هذه الجارية وابنها، لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني

---

(١) العهد القديم : (٩٠)، حاشية رقم : ٣، وانظر: كتاب سفر التكوين في ميزان القرآن الكريم للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي : (ص:١١).

(٢) وقد أوردت التوراة المحرفة عن تجسيمهم لله عز وجل في أماكن كثيرة في كتبهم المحرفة، انظر: أخبار الأيام الثاني، ٦، العدد: ٤و ١٤-١٥، ومزامير، ١٣٨:٤، وإشعيا في غير موضع، في هوشع،٦، العدد: ٤-٥، و سفر الخروج ، ١٥، العدد: ٦-٨، و مزامير ، ١٣، العدد: ١-٢، و إرميا ، ٩، العدد: ١-٣، و إرميا ، ١٨، العدد: ١٧، ومزامير، ١١، العدد: ٤، و إرميا، ٢١، العدد: ٥، و سفر الخروج ، ٨، العدد: ١٩، وسفر الخروج، ٢٣، العدد: ٩-١١، ومزامير، ٩٩ : ٥، و إرميا ، ٣ : ٢٤، و إشعياء ، ٦٣ : ٣-٤.

(٣) سورة الشورى : (١١).

(٤) سورة الأعراف : (١٤٣).

(٥) سفر الخروج، الإصحاح الثلاثة والثلاثون، العدد : ٢٠.

إسحاق. فقبح الكلام جدا في عيني إبراهيم لسبب ابنه. فقال الله لإبراهيم: لا يقبح في عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك في كل ما تقول لك سارة، اسمع لقولها لأنه بإسحاق يدعى لك نسل. وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك. فبكر إبراهيم صباحا وأخذ خبزا وقربة ماء وأعطاهما لهاجر واضعا إياهما على كتفها والولد وصرفها ، فمضت وتاهت في رية بأر سبع. ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت إحدى الأشجار. ومضت وجلست مقابله بعيدا نحو رمية قوس لأنها قالت: لا أنظر موت الولد، جلست مقابله ورفعت صوتها وبكت. فسمع الله صوت الغلام ونادى ملك الله هاجر من السماء وقال لها: ما لك يا هاجر؟ لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو. قومي احملي الغلام وشدي يدك به لأني سأجعله أمة عظيمة. وفتح الله عينيها فأبصرت بأر ماء فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام. وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في البرية وكان ينمو رامي قوس. وسكن في برية فاران"(١).

٤-وزعم اليهود أن ابن هاجر عليهما السلام يكون وحشي الناس.

جاء في التوراة :

"وقال يا هاجر جارية ساراي من أين أتيت وإلى أين تذهبين، فقالت أنا هاربة من وجه مولاتي ساراي. فقال لها ملك الرب: ارجعي إلى مولاتك واخضعي تحت يديها. وقال لها ملاك الرب تكثيرا أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة. وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلى فتلدين ابنا وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك. وأنه يكون إنسانا وحشيا يده على كل واحد ويد كل واحد عليه وإمام جميع إخوته يسكن"(٢).

قال رحمة الله الهندي(٣) -رحمه الله-:

---

(١) سفر التكوين ، الإصحاح الحادي والعشرون، العدد: ٩-٢١.

(٢) سفر التكوين ، الإصحاح السادس عشر، العدد: ٨-١٢، وانظر: كلام ابن تيمية في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : (٥/ ٢٢٣)

(٣) هو رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي الحنفي، نزيل الحرمين، باحث، عالم بالدين والمناظرة، ولد في كيرانة في الهند سنة ١٨١٨هـ، وجاور بمكة وتوفي بها ليلة الجمعة ٢٢ من شهر رمضان =

"وبـني الوحشـة عبـارة عـن أولاد هـاجر –عليهـا السـلام–، لأنها كانـت بمنزلـة المطلقة المخرجة عن البيت ساكنة في البر، ولذلك وقع في حق إسماعيل –عليه السلام– في وعد الله هاجر (هذا سيكون إنساناً وحشياً) كما هو مصرح به في الباب السادس عشر من سفر التكوين"[1].

عام ١٣٠٨هـ، وله كتب منها التنبيهات في إثبات الاحتياج إلى البعثة والحشر والميقات و إظهار الحق، انظر: الأعلام : (٣/ ١٨).

(١) إظهار الحق : (٤/ ١١٦٠).

المطلب التاسع : وفاة هاجر عليها السلام وأين دفنت؟

ولما استقرت هاجر وابنها إسماعيل عليها السلام في مكة، جاءت قبيلة جرهم من أهل اليمن، يريدون السكنى بجوار هاجر عليها السلام بسبب وجود ماء زمزم المبارك، وشبّ إسماعيل عليه السلام عندهم واختلط بهم، ولما كان عمره عشرين سنة، توفيت أمه هاجر عليها السلام، ولها تسعون سنة[1].

وجاء في بعض الأثر أنه لما توفيت هاجر عليها السلام دفنها إسماعيل عليه السلام عند الحجر، من ذلك:

١-ما جاء عن محمد بن إسحاق قال: "لما أمر إبراهيم -خليل الله تعالى- أن يبني البيت الحرام أقبل من أرمينية على البراق معه السكينة لها وجه يتكلم، وهي بعد ريح هفافة، ومعه ملك يدله على موضع البيت حتى انتهى إلى مكة وبها إسماعيل وهو يومئذ ابن عشرين سنة وقد توفيت أمه قبل ذلك، ودفنت في موضع الحجر"[2].

٢-وأخرج ابن سعد عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة قال : "قبر أم إسماعيل تحت الميزاب بين الركن والبيت"[3].

٣-وذكر ابن خلدون وغيره من المؤرخين: "وماتت أمه هاجر فدفنها في الحجر — عليهما السلام-"[4].

وغير ذلك من الأثار والأخبار التي تبين أن هاجر عليها السلام توفيت ودفنت عند الحجر، إلا أن هذه الروايات لا تخلو من كونها ضعيفة، وسيأتي زيادة بيان لهذه المسألة[1].

---

(١) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر : (١٤٦/٧٠)، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي: (ص: ١٣٨).

(٢) أخبار مكة للأزرقي: (١/ ٤٠)، وانظر: فتوح مصر وأخبارها: (٥/١).

(٣) الدر المنثور للسيوطي : (١٠/ ٨٣).

(٤) قال ابن خلدون : (٤١/٢) : وماتت أمه هاجر فدفنها في الحجر، وانظر: المعارف لابن قتيبة : (ص:٣٤).، والسيرة النبوية لابن هشام :(١/ ١١١)، و تاريخ الرسل والملوك (١/ ٣١٤).

الفصل الثالث: أبناء إبراهيم عليه السلام

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : إسماعيل عليه السلام.

المبحث الثاني : إسحاق عليه السلام.

المبحث الثالث : بقية أبنائه عليه السلام.

---

(١) انظر: ص : (١/٢٨٤-٢٩٠) من هذه الرسالة.

المبحث الأول : إسماعيل عليه السلام.

المطلب الأول: ذكر إسماعيل عليه السلام في القرآن الكريم وصفاته.

ذكر الله تعالى نبينا إسماعيل عليه السلام في كثير من المواضع في القرآن الكريم، ووصفه بأوصاف متعددة، ومن تلك الأوصاف ما يلي:

١-وصفه بأنه عليه السلام كان صادق الوعد، لكمال شهرته به ببلوغه درجة من الوفاء لم تعهد من غيره، ووصفه بهذا الوصف وإن كان غيره من الأنبياء كذلك، تشريف له وتكريم لشأنه، ولأن هذا الوصف من الأوصاف التي اكتملت شهرتها فيه.

٢-وصفه عليه السلام بأنه كان رسولا نبيا، وهذا دليل على مزية إسماعيل عليه السلام وفضله على أخيه إسحاق عليه السلام، فقد جمع الله تعالى لإسماعيل عليه السلام بين النبوة والرسالة بمقتضى هذه الآية، بينما كان حظ أخيه إسحاق عليه السلام منحصرا في النبوة لا غير، مصداقا لقوله تعالى فيما سبق ﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلۡنَا نَبِيًّا ﴾ [(١)]، وفي الحديث عن واثلة بن الأسقع[(٢)] رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل -عليهما الصلاة والسلام-[(٣)].

---

(١) سورة مريم : (٤٩).

(٢) هو واثلة بن الاسقع ابن كعب بن عامر، وقيل: بن عبدالعزى بن عبد يا ليل بن ناشب الليثي، من أصحاب الصفة، أسلم سنة تسع، وشهد غزوة تبوك، وكان من فقراء المسلمين رضي الله عنه، وله عدة أحاديث، توفي في سنة ثلاث وثمانين، وهو ابن مئة وخمس سنين، وهو آخر من مات من الصحابة بدمشق. انظر: سير أعلام النبلاء : (٣/ ٣٨٣)، وتهذيب التهذيب : (٨٩/١١).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، في كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب في فضل النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم : (٣٦٠٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن أبي شيبه في مصنفه : (٣١٧/٦)، والدر المنثور للسيوطي : (٥٩/٥) و (٦٠٥/٧) و (٨٢/١٠) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة : (٦١٢/١) حديث =

٣-وصفه عليه السلام بأنه كان يأمر أهله بالصلاة والزكاة، أي كان مقيما لأمر الله على أهله، فيأمرهم بالصلاة المتضمنة للإخلاص للمعبود، وبالزكاة المتضمنة للإحسان إلى العبيد، فكمل نفسه، وكمل غيره، وخصوصا أخص الناس عنده وهم أهله، لأنهم أحق بدعوته من غيرهم.

قال ابن كثير —رحمه الله-:

"هذا أيضا من الثناء الجميل، والصفة الحميدة، والخلة السديدة، حيث كان مثابرا على طاعة ربه آمرا بها لأهله"(١).

٤-وصفه عليه السلام بأنه كان عند ربه مرضيا، أي كان إسماعيل عليه السلام عند ربه مرضي الخصال والفعال، وذلك بسبب امتثاله لمراضي ربه واجتهاده فيما يرضيه، ارتضاه الله وجعله من خواص عباده وأوليائه المقربين، فرضي الله عنه، ورضي هوعن ربه.

وهذه الأوصاف الأربعة مجتمعة في قول الله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥٤ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾(٢).

٥-ووصفه عليه السلام بالصبر، وذلك في قول الله تعالى: ﴿ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾(٤)، وتقرر ذلك بسكناه بواد غير ذي زرع امتثالا لأمر أبيه المتلقى من الله تعالى، وبأمر الذبيح الذي امتحن الله به إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

قال الشافعي رضي الله عنه:

رقم : (٣٠٢).

(١) تفسير القرآن العظيم : (٥/ ٢٤٠).

(٢) سورة مريم : (٥٤-٥٥).

(٣) سورة الأنبياء : (٨٥).

(٤) سورة الصفات : (١٠٢).

"التفويض هو الصبر، والتسليم هو الصبر، والانقياد هو ملاك الصبر، فجمع له الذبيح جمع ما ابتغاه بهذه اللفظة اليسيرة"[1].

٦-وصفه عليه السلام بالحلم، وذلك في قول الله تعالى: ﴿ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ [2]، أي: متسع الصدر، وحسن الصبر، والإغضاء في كل أمر، والحلم رأس الصلاح، وأصل الفضائل، ووُصف بذلك لأنه أسلم نفسه لله وحده، ولا أحلم ممن أسلم نفسه طاعة لربه سبحانه، وأيضا فإن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان موصوفا بالحلم ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [3]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ [4]، فبين أن ولده موصوف بالحلم ، وأنه قائم مقامه في صفات الشرف والفضيلة.

قال الحسن : "ما سمعت الله يحل عباده شيئاً أجل من الحلم"[5].

٧-وصفه الله تعالى بأنه من الأخيار، قال الله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴾ [6]، فإن كلا منهم من الأخيار الذين اختارهم الله من الخلق، واختار لهم أكمل الأحوال، من الأعمال، والأخلاق، والصفات الحميدة، والخصال السديدة.

٨-وصفه الله تعالى بأنه هو الأفضل، قال الله تعالى: ﴿ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلاًّ فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [7] أي: أن الله تعالى فضَّل كلَّ واحد من هؤلاءِ بالنبوة على سائر العالمين في عصره.

---

(١) انظر: الدر المنثور للسيوطي : (١٢/ ٤٤٣).

(٢) سورة الصافات: (١٠١).

(٣) سورة التوبة : (١١٤).

(٤) سورة هود : (٧٥).

(٥) النكت والعيون للماوردي : (٥/ ٦٠).

(٦) سورة ص : (٤٨).

(٧) سورة الأنعام : (٨٦).

٩-وهو عليه السلام أول من نطق بالعربية الفصيحة المبينة، كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أول من نطق بالعربية و وضع الكتاب على لفظه و منطقة ثم جعل كتابا واحدا مثل بسم الله الرحمن الرحيم الموصول حتى فرق بينه ولده إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما[١].

قال ابن حجر –رحمه الله– عن مقصود بأوليته عليه السلام:

"فتكون أوليته في ذلك بحسب الزيادة في البيان، لا الأولية المطلقة فيكون بعد تعلمه أصل العربية من جرهم ألهمه الله العربية الفصيحة المبينة فنطق بها"[٢].

وقال الديلمي[٣] –رحمه الله :

"أصل الفتق الشق أي: أنطق الله لسان إسماعيل –عليه السلام– حتى تكلم بها، وكان أول من نطق بها، كذلك وقال في المصباح : يقال: العرب العاربة هم الذين تكلموا بلسان يعرب بن قحطان، وهو اللسان القديم، والعرب المستعربة

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك : (٦٠٢/٢) حديث رقم : (٤٠٢٩) من طريق أبي يحيى بن أبي ميسرة عن إبراهيم بن المنذر الحزامي عن عبد العزيز بن عمران عن إسماعيل بن إبراهيم بن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس، وقال هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، وقال ابن حجر في الفتح : (٦٦٥/٧) وروى الزبير بن بكار في النسب من حديث علي بإسناد حسن، قال: أول من فتق الله لسانه بالعربية المبينة إسماعيل، انظر: صحيح الجامع للألباني حديث رقم : (٢٥٨١).

(٢) فتح الباري : (٦٦٥/٧)، وقال العيني : أول من تكلم بالعربية من أولاد إبراهيم إسماعيل عليهما الصلاة والسلام لأن إبراهيم وأهله كلهم لم يكونوا يتكلمون بالعربية فالأولية أمر نسبي فبالنسبة إليهم هو أول من تكلم بالعربية لا بالنسبة إلى جرهم. عمدة القاري شرح صحيح البخاري : (٢٥٨/١٥)، وهذا في نفسي شيء، لأن إبراهيم عليه السلام جاء مرارا إلى البقعة المباركة وهي مكة، وتحدث مع ابنه وتفاهم معه، وتحدث كذلك مع زوجة إسماعيل في غيابه كما في الحديث، إذ كيف يفهمها وتفهمه إذا لم يتكلم العربية؟، والله أعلم

(٣) هو شهردار بن شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسره، الامام العالم المحدث المفيد، أبو أبو منصور بن الحافظ المؤرخ أبي شجاع الديلمي الهمذاني، من ذرية الضحاك بن فيروز الديلمي رضي الله عنه، وكان حافظا عارفا بالحديث، وعارفا بالأدب، وتوفي في رجب سنة ثمان وخمسين وخمس مئة، انظر: سير أعلام النبلاء : (٢٠/ ٣٧٥).

هم الذين تكلموا بلسان إسماعيل بن إبراهيم، وهي لغة الحجاز وما والاها، انتهى"[١].

١٠- وإسماعيل عليه السلام كان راميا، وكان ذلك فخرا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ ينتسبون إليه دون غيره في الرمي، وذلك دلالة على مهارته بالرمي.

جاء عن سلمة بن الأكوع[٢] رضي الله عنه قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم على نفر من أسلم ينتضلون، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ارموا بني إسماعيل! فإن أباكم كان راميا!، ارموا وأنا مع بني فلان! قال: فأمسك أحد الفريقين بأيديهم

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما لكم لا ترمون؟ قالوا: كيف نرمي وأنت معهم؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: ارموا فأنا معكم كلكم)[٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم بنفر يَرْمُون، فقال: (رمياً بني إسماعيل، فإن أباكم كان رامياً) [٤].

١١- إن إسماعيل عليه السلام أول من ذللت له الخيل العراب وأول من ركب الخيل.

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير: (٣/ ١٢٠).

(٢) هو سلمة بن عمرو بن الاكوع، واسم الاكوع: سنان بن عبد الله، أبو عامر وأبو مسلم، قيل: شهد مؤتة، وهو من أهل بيعة الرضوان، روى عدة أحاديث، وكان قد كف بصره وخرج الى الربذة لما قتل عثمان، توفي سنة أربع وسبعين، كان من أبناء التسعين، وحديثه من عوالي صحيح البخاري. انظر: سير أعلام النبلاء : (٣/ ٣٢٦).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب الجهاد والسير، باب التحريض على الرمي، حديث رقم : (٢٨٩٩) مع الفتح : (١٧٧/٧).

(٤) رواه ابن ماجة في سننه، في كتاب الفرائض، باب الرمي في سبيل الله، حديث رقم : (٢٨١٥)، والحاكم في المستدرك، حديث رقم : (٢٤٦٤)، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه، و له شاهد صحيح على شرط مسلم أيضا، والبيهقي في شعب الإيمان : (١٤٨/٦) حديث رقم : (٣٩٩١)، وأحمد في المسند :(٤٤٧/٣) حديث رقم : (٣٤٤٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة : (٤٢٣/٣-٤٢٤) حديث رقم : (١٤٣٩).

جاء عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن أباكم إسماعيل عليه السلام أول من ذللت له الخيل العراب؛ فأعتقها وأورثكم حبا، وذلك أن إسماعيل عليه السلام خرج حتى أتى أجياد، فألهمه الله تعالى الدعابة بالخيل، فدعا، فلم يبق في بلاد العرب عليها فرس إلا أتاه، وذلله الله له وأمكنه من نواصيه)[1]، وذلك لأن الخيل كانت وحوشا لا تركب، فسخرها الله تعالى لإسماعيل عليه السلام[2].

---

(١) أخبار مكة للفاكهي : (٤/ ١٨٩).

(٢) انظر: نخبة عقد الأجياد في الصافنات الجياد : (ص:١).

المطلب الثاني : بيان البشارة به.

إن الله عز وجل أخبر في كتابه العزيز عن بشارته لإبراهيم عليه الصلاة والسلام بالغلام الحليم، قال الله تعالى: ﴿ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾[1]، وهذه البشارة جاءت بعد مسألة إبراهيم عليه الصلاة والسلام لله عز وجل أن يهبه ولدا من الصالحين، كما في قوله تعالى: ﴿ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[2]، وهذا الغلام هو أول ولد بشر به إبراهيم عليه الصلاة والسلام، إلا أن العلماء –رحمهم الله– اختلفوا في هذا الغلام المبشر في هذه الآية.

قال ابن كثير –رحمه الله تعالى–:

"وهذا الغلام هو إسماعيل عليه السلام، فإنه أول ولد بشر به إبراهيم عليه الصلاة السلام، وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب، بل في نص كتابهم أن إسماعيل ولد ولإبراهيم عليه الصلاة السلام ست وثمانون سنة، وولد إسحاق وعمر إبراهيم تسع وتسعون سنة"[3].

وهذه الآية صريحة في أَن المبشر به عيْن ما استوهبه إبراهيم عليه الصلاة والسلام من ربه، فالله سبحانه وتعالى استجاب دعاء خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام بهذه البشارة، وهذه البشارة لإبراهيم عليه الصلاة والسلام انطوت عليه خصال ثلاث:

قال الزجاج –رحمه الله–:

هذه البشارة تدل على أنه – عليه الصلاة والسلام– مبشر بابن ذكر، وأنه يبقى حتى ينتهي في السن، ويوصف في الحلم[4]،أي أنه يكون حليما في كبره، فكأنه بشر ببقاء ذلك الولد؛ لأن الصغير لا يوصف بذلك.

---

(١) سورة الصافات: (١٠١).

(٢) سورة الصافات : (١٠٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم : (٧/ ٢٧).

(٤) تفسير القرآن العظيم المنسوب للإمام الطبراني (ص: ٠)، وانظر: تفسير القرطبي: (١٥/ ٩٨).

المطلب الثالث: ذكر الخلاف في الذبيح وذكر الراجح في المسألة.

اختلف العلماء –رحمهم الله– في هذه المسألة على أقوال:

القول الأول:

أن الذبيح هو إسحاق عليه السلام.

وقد رُوي هذا القول عن عدد من الصحابة والتابعين، منهم عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، والعباس، وعبد الله بن العباس –في إحدى الروايتين عنه–، وعبد الله بن مسعود، وكعب الأحبار، وقتادة، وسعيد بن جبير، والقاسم بن أبي بزة وعطاء، وعبدالرحمن بن سابط، والزهري، والسدي، وعبدالله بن أبي الهذيل، ومالك بن أنس، واختاره غير واحد منهم النحاس والطبري[1].

وعليه أهل الكتابين اليهود والنصارى.

ومن أدلة التي استدلوا بها صاحب هذا القول منها ما يلي:

١–ما رواه الإمام أحمد –رحمه الله– في مسنده قال: حدثنا يونس، أخبرنا حماد، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: (إن جبريل ذهب بإبراهيم إلى جمرة العقبة، فعرض له الشيطان ،فرماه بسبع حصيات، فساخ، ثم أتى الجمرة الوسطى، فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات، فساخ، ثم أتى الجمرة القصوى فعرض له الشيطان، فرماه بسبع حصيات، فساخ، فلما أراد إبراهيم أن يذبح ابنه إسحاق قال لأبيه: يا أبت أوثقني لا اضطرب فينتضح عليك من دمي إذا ذبحتني، فشده، فلما أخذ الشفرة فأراد ان يذبحه، نودي من خلفه ﴿ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآ ﴾)[2][3].

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري : (٧٢/٢١) وتفسير القرآن العظيم : (٢٧/٧)، وقصص الأنبياء لابن كثير : (٢١٦/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي : (١٠٠/١٥)، وزاد المسير لابن الجوزي : (٣٠٣/٦)، وغيرهم.

(٢) سورة الصافات: (١٠٤–١٠٥).

(٣) رواه أحمد في مسنده : (٢٤٢/٣) حديث رقم : (٢٧٩٥).

٢-ما أورده ابن جرير –رحمه الله– في تفسيره قال: حدثنا أبو كُرَيب، قال: حدثنا زيد بن حباب، عن الحسن بن دينار، عن عليّ بن زيد بن جُدْعان، عن الحسن، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب، عن النبي صَلى الله عليه وسلم في حديث ذكره، قال: هو إسحاق[1].

٣-إن سياق الآية يقتضي أن يكون الذبيح هو إسحاق عليه السلام، وذلك لأن أول الآية وآخرها يدل على ذلك، أما أولها فإنه تعالى حكى عن إبراهيم عليه السلام قبل هذه الآية أنه قال: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾[2]، وأجمعوا على أن المراد منه مهاجرته إلى الشام ثم قال: ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾[3]، فوجب أن يكون هذا الغلام ليس إلا إسحاق، ثم قال بعده: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ ﴾[4]، وذلك يقتضي أن يكون المراد من هذا الغلام الذي بلغ معه السعي هو ذلك الغلام الذي حصل في الشام ، فثبت أن مقدمة هذه الآية تدل على أن الذبيح هو إسحاق ، وأما آخر الآية فهو أيضا يدل على ذلك لأنه تعالى لما تمم قصة الذبيح قال بعده: ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾[5]، ومعناه أنه بشره بكونه نبيا من الصالحين ، وذكر هذه البشارة عقيب حكاية تلك القصة يدل على أنه تعالى إنما بشره بهذه النبوة لأجل أنه تحمل هذه الشدائد في قصة الذبيح ، فثبت بما ذكرنا أن أول الآية وآخرها يدل على أن الذبيح هو إسحاق عليه السلام[6].

---

(١) جامع البيان للطبري : (٢١/ ٨٠).

(٢) سورة الصافات: (٩٩).

(٣) سورة الصافات: (١٠١).

(٤) سورة الصافات: (١٠٢).

(٥) سورة الصافات: (١١٢).

(٦) مفاتيح الغيب للرازي : (٢٦/ ٣٤٧).

٤- كتاب يعقوب إلى يوسف عليه السلام: من يعقوب، إسرائيل، نبي الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله[١].

٥- ما جاء في التوراة: "خذ ابنك وحيدك، الذي تحبه إسحاق، واذهب إلى أرض المريا، وأصعده، هناك محركة على أحد الجبال..." [٢].

٦- وجاء في الإنجيل: بالإيمان قدم إبراهيم إسحاق وهو مجرب، قدم الذي قبل المواعيد، وحيده، الذي قيل له: إنه بإسحاق يُدعى لك نسل، إذ حسب أن الله قادر على الإقامة من الأموات أيضا... [٣].

القول الثاني :

أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام.

ورُوي هذا القول عن عدد من الصحابة والتابعين، منهم: أبو بكر الصديق، ومعاوية بن أبي سفيان، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس -في أصح الروايتين عنه-، والشعبي، ومجاهد، وعطاء بن أبي رباح، وسعيد بن المسيب، ويوسف بن مهران، والربيع بن أنس، ومحمد بن كعب القرظي، والكلبي، وعلقمة، وأبو سعيد الضرير، والحسن البصري، وعمر بن عبد العزيز، وأحمد بن حنبل، وابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، والشنقيطي رضي الله تعالى عنهم[٤]، وغيرهم كثير.

ومن أدلة هؤلاء رضي الله عنهم ما يلي:

١- ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي الطفيل قال: قلت لابن عباس: ويزعُم قومك أن رسول الله صلى الله عليه و سلم سعى بين الصفا والمروة، وأن ذلك سنة، قال: صدقوا. إن إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- لما أُمر بالمناسك عرض له الشيطان عند المسعى فسابقه، فسبقه إبراهيم -عليه السلام-،ثم ذهب به

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي : (٢٦/ ٣٤٧).

(٢) سفر التكوين، الإصحاح ٢٢، العدد: ٢.

(٣) الرسالة إلى العبرانيين -١١: ١٧-١٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : (٧/٣٥)، وانظر: المستدرك للحاكم : (٢/٦٠٩).

جبريل إلى جمرة العقبة، فعرض له شيطان، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى، فرماه بسبع حصيات، قال قد تله للجبين ... وعلى إسماعيل قميص أبيض، وقال: يا أبت، إنه ليس لي ثوب تكفنني فيه غيره، فاخلعه حتى تكفنني فيه، فعالجه ليخلعه، فنودي من خلفه ﴿ أَن يَـٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآ ﴾[1]، فالتفت إبراهيم –عليه السلام–، فإذا هو بكبش أبيض أَقرَن أَعين، قال ابن عباس: لقد رأيتنا نبيع هذا الضرب من الكباش...[2].

٢-ما أخرجه الحاكم في المستدرك، وفيه: و زعم ابن عباس أن الذبيح إسماعيل[3].

ولابن جرير بإسناده عن عبد الله بن عباس أنه قال: المفْدِيّ إسماعيل، وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود[4].

وقال ابن أبي حاتم :سمعت أبي يقول: الصحيح أن الذبيح إسماعيل عليه السلام، قال: وروى عن علي، وابن عمر وابي هريرة، وابي الطفيل، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، والحسن، ومجاهد، والشعبي، ومحمد بن كعب القرظي، وابي جعفر محمد بن علي، وأبي صالح انهم قالوا: الذبيح اسماعيل[5].

٣-وكذلك أخرجه الحاكم عن محمد بن إسحاق قال: سمعت محمد بن كعب القرظي يقول: إن الذي أمر الله إبراهيم بذبحه من ابنيه إسماعيل، وإنا لنجد ذلك في كتاب الله في قصة الخبر عن إبراهيم –عليه السلام– و ما أمر به من ذبح ابنه أنه إسماعيل، و ذلك أن الله يقول حين فرغ من قصة المذبوح من ابني

---

(١) سورة الصافات: (١٠٤-١٠٥).

(٢) رواه أحمد في مسنده : (٣/٢٠٩) حديث رقم : (٢٧٠٧)، وجامع البيان للطبري : (٢١/٧٨).

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم : (٢/ ٤٦٨) حديث رقم : (٣٦١٢)، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه.

(٤) جامع البيان للطبري : (٢١/ ٨٣).

(٥) تفسير ابن أبي حاتم : (١٠/ ٣٢٢٣).

إبراهيم قال ﴿ وَبَشَّرْنَـٰهُ بِإِسْحَـٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾[1]، ثم يقول: ﴿ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴾[2]، يقول بابن و بابن ابن فلم يكن يأمر بذبح إسحاق و له فيه من الله موعود بما وعده، و ما الذي أمر بذبحه إلا إسماعيل[3].

٤-ذكر ابن جرير وابن كثير –رحمهما الله- في تفسيرهما عن محمد بن كعب القرظي أنه ذكر ذلك (أي الاختلاف في الذبيح، وأنه إسماعيل) لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة، إذ كان معه بالشام، فقال له عمر: إن هذا الشيء ما كنت أنظر فيه، وإني لأراه كما قلت: ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام، كان يهوديا فأسلم وحسن إسلامه، وكان يرى أنه من علمائهم، قال: فسأله عمر بن عبد العزيز: أيُّ ابني إبراهيم أمر بذبحه ؟ فقال: إسماعيل والله يا أمير المؤمنين، وإن اليهود لتعلم بذلك، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه والفضل الذى ذكره الله منه لصبره لما أمر به، فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحق، لان إسحق أبوهم[4].

٥-وأن قصة الذبيح بمكة، وإسماعيل –عليه السلام- كان بمكة، وأما إسحاق فهو في الشام، ومما يدل على ذلك ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن صفية بنت شيبة أم منصور قالت : أخبرتني امرأة من بنى سليم ولدت عامة أهل دارنا: أرسل رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى عثمان بن طلحة، وقال مرة: إنها سألت عثمان بن طلحة: لم دعاك النبي صلى الله عليه و سلم؟ قال: إني كنت رأيت قرني الكبش حين دخلت البيت، فنسيت أن أمرك أن تخمرهما، فخمّرهما،

---

(١) سورة الصافات: (١١٢).

(٢) سورة هود : (٧١).

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم : (٢/ ٦٠٥)، حديث رقم : (٤٠٣٩).

(٤) جامع البيان للطبري : (٨٥/٢١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير : (٣٥/٧). قصص الأنبياء : (١/ ٢١٧).

فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل المصلى، قال سفيان: لم تزل قرنا الكبش في البيت حتى احترق البيت فاحترقا[1].

قال ابن كثير –رحمه الله- :

"وهذا دليل مستقل على أنه إسماعيل عليه السلام، فإن قريشا توارثوا قرني الكبش الذي فدي به إبراهيم –عليه الصلاة والسلام- خلفا عن سلف وجيلا بعد جيل، إلى أن بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم"[2].

وهذا القول هو الذي رجحه كثير من أهل العلم كابن تيمية وتلميذه ابن القيم وابن كثير والشنقيطي وغيرهم –رحمهم الله تعالى عن الجميع.

ويُجاب على القائلين بأن الذبيح هو إسحاق عليه السلام ما يلي:

١-أما الرواية للإمام أحمد فإسناده ضعيف، لأن عطاء بن السائب اختلط، وحماد هو ابن سلمة روى عنه قبل الاختلاط وبعده عند غير واحد من أهل العلم، و المرجح هنا أن هذا الحديث مما رواه عنه بعد الاختلاط، فالصحيح الذي عليه أهل العلم أن الذبيح إسماعيل لا إسحاق[3].

بل قد رُوي عن ابن عباس –رضي الله عنهما- رواية صحيحة -كما تقدم ذكره في أدلة القائلين بأن الذبيح هو إسماعيل- ما يخالف هذا الحديث.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل (٤/ ٦٨)، حديث رقم : (١٦٦٨٨)، وقصص الأنبياء : (١/٢٣١).

(٢) تفسير القرآن العظيم : (٧/ ٣٢)، قال ابن جرير في جامع البيان : (٢١/٨٧) وأما اعتلال من اعتلّ بأن قرن الكبش كان معلقا في الكعبة فغير مستحيل أن يكون حُمل من الشام إلى الكعبة. وقد رُوي عن جماعة من أهل العلم أن إبراهيم إنما أمر بذبح ابنه إسحاق بالشام، وبها أراد ذبحه، ولكن أجاب عنه ابن كثير في تفسيره : (٧/٣٥) قائلا: وليس ما ذهب إليه بمذهب ولا لازم، بل هو بعيد جدا.

(٣) مسند أحمد بن حنبل (١/ ٣٠٦)، قال بذلك شعيب الأرنؤوط في تعليق حديث رقم : (٢٧٩٥).

٢-والحديث الذي رواه ابن جرير ففي إسناده ضعيفان، وهما الحسن بن دينار البصري، وهو متروك، وعلي بن زيد بن جدعان هو منكر الحدث[١].

٣-الاستنتاج من سياق الآيات أن الذبيح هو إسحاق غير سديد، بل السياق يدل على غير ذلك.

قال الرازي –رحمه الله-:

"حكى الله تعالى عنه أنه قال: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾[٢]، ثم طلب من الله تعالى ولدا يستأنس به في غربته فقال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [٣]، وهذا السؤال إنما يحسن قبل أن يحصل له الولد، لأنه لو حصل له ولد واحد لما طلب الولد الواحد ، لأن طلب الحاصل محال، وقوله ﴿ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[٤]، لا يفيد إلا طلب الولد الواحد ، وكلمة "من" للتبعيض وأقل درجات البعضية الواحد، فكأن قوله : ﴿ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾، لا يفيد إلا طلب الولد الواحد، فثبت أن هذا السؤال لا يحسن إلا عند عدم كل الأولاد، فثبت أن هذا السؤال وقع حال طلب الولد الأول ، وأجمع الناس على أن إسماعيل متقدم في الوجود على إسحاق ، فثبت أن المطلوب بهذا الدعاء وهو إسماعيل، ثم إن الله تعالى ذكر عقيبه قصة الذبيح فوجب أن يكون الذبيح هو إسماعيل"[٥].

أما كون إسماعيل عليه السلام في مكة مع أمه، فلا يدل ذلك أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لم يكن معه، بل يزوره بالبراق، والمعية في الآية لا يدل على أن إسماعيل يكون دائما مع أبيه.

---

(١) تفسير القرآن العظيم : (٧/ ٣٣)

(٢) سورة الصافات: (٩٩).

(٣) سورة الصافات: (١٠٠).

(٤) سورة الصافات: (١٠٠).

(٥) مفاتيح الغيب : (٢٦/ ٣٤٧).

ذكر ابن حجر –رحمه الله– أن في حديث أبي جهم: "كان إبراهيم – عليه الصلاة والسلام– يزور هاجر كل شهر على ا لبراق، يغدو غدوة فيأتي مكة، ثم يرجع فيقيل في منزله بالشام، وروى الفاكهي من حديث علي بإسناد حسن نحوه وأن إبراهيم كان يزور إسماعيل وأمه على البراق"(١).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال: "كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام يزور إسماعيل عليه السلام على البراق، وهي دابة جبريل، تضع حافرها حيث ينتهي طرفها، وهي الدابة التي ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به"(٢).

٤–وأما كتاب يعقوب إلى يوسف عليهما السلام لم يُرو لنا بالسند المتصل الصحيح، فلا يمكن الركون إليه، وبخاصة إذا قام لدينا دليل صحيح على خلاف ذلك.

٥–وأما ذكر وصف الوحيد فلا يمكن أن ينطبق هذا الوصف الذي جاء في التوراة على غير إسماعيل –عليه السلام– التي سبقت مولده من أخيه إسحاق بأربع عشرة سنة، وإسحاق عليه السلام لم يكن يوما ما وحيدا مع أبيه، وسيأتي كلام أبن تيمية وابن القيم في ذلك.

٦–واجهت علماء المسيحية مشكلة من نص كتابهم الذي ورد فيه: بإسحاق يدعى لك نسل، وهي كيف يُؤمر إبراهيم بذبح إسحاق وهو ابنه الموعود الذي يخرج منه الشعب المختار؟ ولو كان إسحاق كبر وتزوج وأنجب ثم أمر بذبحه لزالت المشكلة، ولكن كيف يموت وليس له ولد يحفظ نسله ويتحقق مع ذلك الوعد الذي أُعطي لإبراهيم؟

---

(١) فتح الباري : (٦٦٦/٧)، تفسير القرآن العظيم : (٢٧/٧).

(٢) انظر: أخبار مكة للأزرقي، ورسالة في قول الله تعالى ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ [النحل: ١٢٠] لشمس الدين الصالحي : (ص:٦٦)، وقصص الأنبياء لابن كثير : (٢١٦/١)، وللمزيد في الجواب انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير : (٣٣/٧–٣٥)، وأضواء البيان للشنقيطي : (٤٤٨/٦).

ثم عل فرض صحة النص: أن الله قادر على الإقامة من الأموات، إذ لو كان إبراهيم –عليه الصلاة والسلام– متيقن بهذا النص، وهذا يعني أنه يقلل كثيرا من قيمة تضحية إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ما دام على يقين من أن الله تعالى سوف يعيد الحياة إلى ولده بعد أن يذبحه.

وقال ابن القيم –رحمه الله–: "وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول هذا القول إنما هو متلقى عن أهل الكتاب مع أنه باطل بنص كتابهم"[1].

وقد ذكر ابن تيمية وتلميذه ابن القيم –رحمهما الله تعالى– جوابا للقائلين بأن الذبيح هو إسحاق عليه السلام بوجوه كثيرة، ومنها:

١–أن بكر إبراهيم ووحيده عليه الصلاة والسلام هو إسماعيل باتفاق أهل الملل، فالجمع بين كونه مأمورا بذبح بكره ووحيده ثم تعيين إسحق بالذبيح جمع بين النقيضين، وهو أمر بعيد.

٢– أن الله سبحانه وتعالى أمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام أن يأخذ هاجر وابنها إسماعيل عليهما السلام إلى مكة ويسكنهما فيها، لئلا تغير سارة عليها السلام، فكيف يأمر الله سبحانه وتعالى بعد هذا بذبح ابن سارة دون ابن هاجر عليهما السلام مع أن الأمر لأجل حفظ قلب سارة ودفع أذى الغيرة منها.

٣– إن قصة الذبيح كانت بمكة، والنبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة، كان قرنا الكبش في الكعبة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم للسادن من حديث عثمان بن طلحة : (إني كنت رأيت قرني الكبش حين دخلت البيت، فنسيت أن أمرك أن تخمرهما فخمرهما، فإنه لا ينبغي ان يكون في البيت شيء يشغل المصلى)[2]، ولهذا جعلت منى محلا للنسك من عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وهما اللذان بنيا البيت بنص القرآن، ولم ينقل أحد أن إسحاق ذهب إلى مكة لا من أهل الكتاب ولا غيرهم، لكن بعض المؤمنين من أهل الكتاب يزعمون أن قصة الذبح كانت بالشام فهذا افتراء، فإن هذا لو كان ببعض جبال الشام لعرف

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد : (١/ ٧٠).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٦٨)، حديث رقم : (١٦٦٨٨)، وابن أبي شيبة : (١/٣٩٩).

ذلك الجبل، وربما جعل منسكا كما جعل المسجد الذي بناه إبراهيم وما حوله من المشاعر.

٤- أن الله سبحانه بشر سارة أم إسحاق بإسحاق عليهم السلام، ومن وراء إسحاق يعقوب، فبشرها بهما جميعا، فكيف يأمر بعد ذلك بذبح إسحاق وقد بشر الله أبويه بولد ولده، وهو يعقوب، إذ لو كان الذبيح إسحاق عليه السلام لم يتحقق البشارة من الله تعالى، وهذا محال، لأن البشارة بيعقوب عليه السلام تقتضي أن إسحاق يعيش ويولد له يعقوب، ولا خلاف بين الناس أن قصة الذبيح كانت قبل ولادة يعقوب، بل يعقوب إنما ولد بعد موت إبراهيم عليه السلام، وقصة الذبيح كانت في حياة إبراهيم عليه الصلاة والسلام بلا ريب.

٥- أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر قصة الذبيح وتسليم إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام لأمر الله تعالى، وفرغ من قصة الذبيح، قال الله تعالى بعدها : ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[1]، فشكر الله تعالى لهما استسلامهما لأمره، وجعل من إثابته على ذلك أن آتاه الله إسحاق، فنجى إسماعيل من الذبح وزاده عليه إسحاق عليهم السلام.

٦- إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام سأل ربه الولد فأجاب الله دعاءه وبشره، فلما بلغ معه السعي أمره بذبحه، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝٩٩ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠٠ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾[2]، فهذا دليل على أن هذا الولد إنما بشر به بعد دعائه وسؤاله ربه أن يهب له ولدا، وهذا المبشر به هو المأمور بذبحه قطعا بنص القرآن، وأما إسحاق عليه السلام فإنما بشر به من غير دعوة منه بل على كبر السن وكون مثله لا يولد له، وإنما كانت البشارة به لامرأته سارة عليها السلام، ولهذا تعجبت من حصول الولد منها ومنه، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن

(١) سورة الصافات : (١١٢).

(٢) سورة الصافات : (٩٩-١٠١).

جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ٦٩ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ٧٠ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ٧٢ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴾ [1]، فكانت بشارة الأولى دون البشارة الثانية، والبشارة الأولى هي التي أمر به الذبح.

٧- أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لم يأخذ ولم يأت بإسحاق إلى مكة البتة، ولم يفرق بينه وبين أمه، وكيف يأمره الله تعالى أن يذهب بابن امرأته فيذبحه بموضع ضرتها في بلدها ويدع ابن ضرتها؟

٨- إن الله تعالى لما اتخذ ابراهيم خليلا والخلة عليه الصلاة والسلام تتضمن أن يكون قلبه كله متعلقا بربه ليس في شعبة لغيره، فلما سأل ربه الولد، وهبه بإسماعيل عليه السلام، فتعلق به شعبة من قلبه، فأراد الله سبحانه أن تكون تلك الشعبة له وحده، ليست لغيره من الخلق، فامتحنه بذبح ولده، فلما أقدم على الامتثال خلصت له تلك الخلة وتمحضت لله وحده، فنسخ الأمر بالذبح لحصول المقصود وهو العزم وتوطين النفس على الامتثال، ومن المعلوم أن هذا إنما يكون في أول الأولاد لا في آخرها، فلما حصل هذا المقصود من الولد الأول لم يحتج في الولد الآخر إلى مثله، فإنه لو زاحمت محبة الولد الآخر الخلة لأمر بذبحه كما أمر بذبح الأول، فلو كان المأمور بذبحه هو الولد الآخر لكان قد أقره في الأول على مزاحمة الخلة به مدة طويلة، ثم أمره بما يزيل المزاحم بعد ذلك، وهذا خلاف مقتضى الحكمة.

٩- إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام إنما رزق بإسحاق عليه السلام على الكبر، وإسماعيل عليه السلام رزقه الله في عنفوانه وقوته، والعادة أن القلب أعلق بأول

---

(١) سورة هود : (٦٩-٧٣).

الأولاد وهو إليه أميل وله أحب، بخلاف من يرزقه على الكبر ومحل الولد بعد الكبر كمحل الشهوة للمرأة.

١٠- إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفتخر بقوله : أنا ابن الذبيحين[١]، ومعلوم أن والد النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عبد المطلب الذي يلقب بالذبيح الثاني، وهو عليه الصلاة والسلام من ذرية إسماعيل عليه السلام، فكان هذا القول لأبيه عبد الله وجده إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام [٢].

١١- إن الله تعالى ذكر في الذبيح أنه غلام حليم، ولما ذكر البشارة بإسحاق ذكر البشارة بغلام عليم في غير هذا الموضع، والتخصيص لا بد له من حكمة، وهذا مما يقوي اقتران الوصفين، والحلم هو مناسب للصبر الذي هو خلق الذبيح، وإسماعيل وصف بالصبر في قوله تعالى: ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [٣]، وقال في الذبيح: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [٤]، وقد وصف الله إسماعيل أنه من الصابرين، ووصف الله تعالى إسماعيل أيضا بصدق الوعد في قوله تعالى ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ ﴾ [٥]، لأنه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به.

١٢- إن قصة الذبيح لم يرد في القرآن الكريم إلا في موضع من سورة الصافات، وفي سائر المواضع في القرآن يذكر البشارة بإسحاق عليه السلام خاصة، ولم يذكر في آيات البشارة بإسحاق عليه السلام بأنه هو الذبيح، ومعلوم أن إسحاق عليه السلام هو هبة الله تعالى لإبراهيم وزوجته سارة عليهما السلام في كبارهما.

---

(١) سيأتي تخريجه: (ص:٥٣٦).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية : (٤/ ٣٣١-٣٣٦)، وإغاثة اللهفان من مصائد الشيطان : (٢/ ٣٥٤-٣٥٧)، وانظر: زاد المعاد في هدي خير العباد : (١/ ٧٠).

(٣) سورة الأنبياء : (٨٥).

(٤) سورة الصافات: (١٠٢).

(٥) سورة مريم : (٥٤).

وهذا القول أمر ظاهر إن شاء الله تعالى، وهو الذي يبدو والله أعلم، لقوة ما استدل به قائله.

القول الثالث :

التوقف في المسألة.

كما نقل ذلك عن الزجاج –رحمه الله– فقال : "الله أعلم أيهما الذبيح"[1].

ومال إليه الإمام الشوكاني –رحمه الله– بقوله :

فالوقف هو الذي لا ينبغي مجاوزته ، وفيه السلامة من الترجيح ، بلا مرجح ، ومن الاستدلال بما هو محتمل[2].

---

(١) فتح القدير للشوكاني : (٤/٤٦٤).

(٢) المصدر نفسه : (٤/٤٦٨).

المطب الرابع: شبهة من قال إن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ليس من ذرية إسماعيل عليه السلام والرد عليه.

ينكر بعض ممن انتسب إلى الإسلام ومن بعض المستشرقين الذين أردوا الطعن في النبي صلى الله عليه وسلم، ومن ثَمّ الطعن في الإسلام انتساب النبي صلى الله عليه وسلم لجده إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام، ويشككون في زواج إسماعيل عليه السلام بامرأة جرهمية عربية، ويقولون بأن مكان هجرة هاجر وابنه إسماعيل عليهما السلام (فاران) ليس مكة، وإنما المقصود بها هو بلاد ما بين مصر وبلاد ثمود وغير ذلك.

قال بعضهم يدعى بـ طه حسين:

"والأمر لا يقف عند هذا الحد، فواضح جدا لكل من له إلمام بالبحث التاريخي ويدرس الأساطير والأقاصيص خاصة أن هذه النظرية متكلفة مصطنعة في عصور متأخرة دعت إليها حاجة دينية أو اقتصادية أو سياسية للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي، فضلا عن إثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة، ونشأة العرب المستعربة..." [١]

والجواب عن هذه الشبهة :

١-إن شخصية إبراهيم عليه الصلاة والسلام شخصية معروفة لدى جميع الأمم، وإنكار وجوده إنكار الديانة السماوية، فقد ثبت في القرآن والتوراة ذكر شخصية إبراهيم عليه الصلاة والسلام في عدد لا تحصى، قال الله تعالى في ذكر إبراهيم بكونه أمة ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [٢].

---

(١) انظر: الدعوة الى الله في سورة ابراهيم (ص:٤٨٣) ونقض كتاب في الشعر الجاهلي (ص:٨٠)

(٢) سورة النحل : (١٢٠)، وقد ذكر الله تعالى إبراهيم عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم أكثر من اثني وستين موضعا، وكذا ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم في أحاديثه، والعرب كانوا يعرفون إبراهيم عليه الصلاة والسلام، بل كانوا ينتسبون إليه في الديانة.

وذكر كذلك عليه السلام في التوراة في مواضع عدة [1].

٢-ومن المعلوم أن هاجر وابنها إسماعيل عليهما السلام سكنا مكة لمدة طويلة، وهذا ما أشار إليه القرآن والسنة وكتب التاريخ وحتى التوراة.

قال الله تعالى حكاية عن دعوة خليله إبراهم عليه الصلاة والسلام: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾[2].

قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: "أسكن إسماعيل وأمه مكة"[3].

وأما من السنة فقد جاء عن النبي صلى الله عليه من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : (أن إبراهيم جاء بإسماعيل عليهما السلام وهاجَرَ، فوضعهما بمكة في موضع زمزم...) [4]، وهذا واضح جلي أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام وضع هاجر وابنه إسماعيل عليهما السلام في مكة، ولا يحتمل التأويل على أنهما كانا في مكان آخر سوى مكة.

وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: وأول من طاف بين الصفا والمروة أم إسماعيل[5]، ومن المعلوم أن الصفا والمروة هما جبلان في مكة.

---

(١) انظر: الإصحاح الحادي عشر، العدد : ٢٧-٣٢، والإصحاح الثاني عشر، العدد : ١-٢٠، والإصحاح الثالث عشر، العدد : ١-١٨، وإصحاح الرابع، العدد : ١-٢٤، والإصحاح الخامس عشر، العدد : ١-٢٠، والإصحاح السادس عشر، العدد: ١-١٦، والإصحاح السابع عشر، الإصحاح السابع عشر، العدد: ١-٢٧، والإصحاح الثامن عشر، العدد: ١-٣٣، وكل هذه الإصحاح فيه ذكر إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

(٢) سورة إبراهيم : (٣٧).

(٣) جامع البيان للطبري : (١٧/ ٢٣).

(٤) مسند أحمد (٣/ ٤٨)، حديث رقم : (٢٢٨٥).

(٥) مصنف ابن أبي شيبة : (٢٤٩/٧)، باب أول من فعل ومن فعله، حديث رقم : (٣٦٩١٢).

وأما في كتب التاريخ فقد قال به غير واحد من المؤرخين بأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أسكن هاجر وابنه عليهما السلام في مكة، قاله ابن كثير[١] وابن الأثير [٢] وابن خلدون [٣] وغيرهم كثير.

وجاء في التوراة: "جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس"[٤].

ومقصود هذا أن مجيئ الرب من سيناء كناية عن إعطائه التوراة لموسى عليه الصلاة والسلام، وإشراقه من سعير كناية عن إعطائه الإنجيل لعيسى عليه الصلاة والسلام، وتلألؤه من فاران كناية عن إنزاله القرآن لمحمد صلى الله عليه وسلم، لأن فاران جبل من جبال مكة، كما تقدم ذكره، فهي المرادة بقول التوراة : وسكن إسماعيل في برية فاران[٥]، وذكر في هذه التوراة على الترتيب الزماني، لأنه في مقام الخبر عنها، فيقدم الأسبق فالأسبق.

قال ابن قتيبة[٦] –رحمه الله-:

"وليس بهذا غموض، لأن تجلي الله من سينا، إنزاله التوراة على موسى- عليه السّلام- بطور سيناء، ويجب أن يكون إشراقه من «ساعير» إنزاله على عيسى الإنجيل، وكان المسيح يسكن من ساعير أرض الخليل، بقرية تدعى ناصرة، وباسمها سمى من اتبعه نصارى، فكما وجب أن يكون إشراقه من ساعير إنزاله على المسيح الإنجيل فكذلك يجب أن يكون استعلانه من جبال فاران بإنزاله

---

(١) قصص الأنبياء : (١/ ٢٠٣)، والبداية والنهاية : (١/١٧٨).

(٢) الكامل في التاريخ : (١/٩٢).

(٣) تاريخ ابن خلدون : (١/٤٣٦).

(٤) سفر التثنية ، الإصحاح الثالث والثلاثون، العدد: ١-٢.

(٥) انظر: سفر التكوين ، الإصحاح الحادي والعشرون، العدد: ٩-٢١.

(٦) هو العلامة الكبير، ذو الفنون، أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل: المروزي، الكاتب صاحب التصانيف، وكانت ولادته سنة ثلاث عشرة ومائتين، ونزل بغداد، وصنف وجمع وبعد صيته، وكان ثقة دينا فاضلا، ومات فجأة، وذلك في شهر رجب، سنة ست وسبعين ومئتين. انظر: سير أعلام النبلاء : (١٣/ ٢٩٦)، وفيات الأعيان (٣/ ٤٣).

القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم، وهى جبال مكة، وليس بين المسلمين وأهل الكتاب في ذلك اختلاف في أن فاران هي مكة"[1].

٣-إن إسماعيل عليه السلام له علاقة قوية بالعرب الجرهمي، لأنه تزوج منهم، وقد صح ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : (وشب الغلام، وتعلم العربية منهم وأنفسهم، وأعجبهم حين شب، فلما أدرك زوجوه امرأة منهم)[2].

قال سيد المؤرخين الإمام الطبري –رحمه الله- :

"وتزوج إسماعيل –عليه السلام- امرأة من جرهم"[3].

ويقول جورج بوش :

"وعندما نعود بأصول الأمة العربية إلى مؤسسيها الأوائل، فإن سفر التكوين في العهد القديم يعد وثيقة لا تقدر بثمن، فهؤلاء الذين لا يترددون في قبول ما ورد في سفر التكوين وغيره من أسفار الكتاب المقدس باعتبارها مستندات جازمة لإقرار الحقائق التاريخية، لن يترددون في اعتبار العرب من نسل إسماعيل بن إبراهيم"[4].

وفي هذا دلالة واضحة على تزوج إسماعيل عليه السلام من قبيلة جرهم العربية، والتي كان من نسلها الجنس العربي العدناني.

ومن هذه كلها فلا داعي في تشكيك النبي صلى الله عليه وسلم على أنه من ذرية نبي الله إسماعيل عليه السلام، بل هو أمر واضح إلا عل من لم يمعن النظر فيه، والله أعلم.

---

(١) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٢/ ٥٥١)

(٢) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب يزفون : النسلان في المشي، حديث رقم : (٣٣٦٤) مع الفتح : (٦٥٥/٧).

(٣) تاريخ الرسل والملوك : (٣٠٨/١)، وجرهم قبيلة من اليمن، وهم أول من سكن بأرض مكة مع إسماعيل وأمه هاجر عليهما السلام.

(٤) محمد –صلى الله عليه وسلم- مؤسس الدين الإسلامي ومؤسس إمبراطورية المسلمين : (ص: (ص: ١٢٣).

المطلب الخامس: وفاة إسماعيل عليه السلام والروايات الواردة في دفنه وأمه داخل الحجر.

المسألة الأولى: وفاة إسماعيل عليه السلام.

إن إسماعيل عليه السلام بعد أن أرسل الله تعالى بوحي الرسالة إلى قبيلة جرهم العربي وبعض قبائل اليمن، وأكمل ما لديه من المسئولية أخده الله تعالى إلى جواره، بعد أن كمل عمره مائة وثلاثين سنة توفاه الله تعالى.

قال ابن اسحاق –رحمه الله-:

"وكان عمر اسماعيل فيما يذكرون مائة سنة وثلاثين سنة ثم مات رحمة الله وبركاته عليه ودفن في الحجر مع أمه هاجر رحمهم الله تعالى"[1].

وذكر الطبري وغيره –رحمهم الله : إن إسماعيل لما حضرته الوفاة أوصى إلى أخيه إسحاق وزوج ابنته من العيص بن إسحاق وعاش إسماعيل فيما ذكر مائة وسبعا وثلاثين سنة ودفن في الحجر عند قبر أمه هاجر.

وبالإسناد عن عمر بن عبدالعزيز[2] –رحمه الله- قال:

"شكا إسماعيل إلى ربه تبارك وتعالى حر مكة فأوحى الله تعالى إليه إني فاتح لك بابا من الجنة يجري عليك روحها إلى يوم القيامة وفي ذلك المكان تدفن"[3].

---

(١) انظر: تاريخ الرسل والملوك (١/ ٣١٤)، و السيرة النبوية لابن هشام : (١/ ١١١)، و الروض الأنف في شرح غريب السير : (١/ ٤٤).

(٢) هو عمر بن عبد العزيز ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، الامام الحافظ العلامة المجتهد الزاهد العابد السيد أمير المؤمنين حقا أبو حفص القرشي الأموي المدني ثم المصري، الخليفة الزاهد الراشد أشج بني أمية، أمه هي أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، ولد سنة ثلاث وستين، وهو عند أهل العلم من الخلفاء الراشدين، والعلماء العاملين، ومات سنة إحدى ومائة، انظر: سير أعلام النبلاء : (٥/ ١١٤).

(٣) سيأتي تخريجه: (ص:٢٧٤).

المسألة الثانية: الروايات الواردة في دفنه وأمه داخل الحجر.

وقد جاء بعض الروايات تدل على أن قبر إسماعيل عليه السلام وأمه في الحجر وهي كالتالي :

١-من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (إن قبر إسماعيل في الحجر)[١]، إلا أن هذا الحديث ضعيف، كما ذكر هـ المناوي –رحمه الله- في التيسير[٢]، والسخاوي في المقاصد[٣]، والألباني –رحمه الله تعالى- في ضعيف الجامع[٤].

٢-من رواية عبد الرزاق[٥] والفاكهي عن بن جريج قال: بلغني عن كعب أنه قال: "دفن إسماعيل –عليه السلام- بين زمزم والركن والمقام"[٦].

ومن حديث صالح قال: حدثني أبي قال حدثنا يحيى بن سليم عن عبد الله بن عثمان عن عبدالرحمن بن سابط عن عبدالله بن ضمرة السلولي قال: "ما بين

---

(١) أخرجه أحمد الحاكم في الأسامي والكنى : (٢٣٩/١) من طريق أبي عمران موسى بن العباس الجويني ،عن أبي بكر بن إسحاق الوزان ، عن علي بن الجعد ، عن أبي إسماعيل الكوفي عن ابن عطاء ، عَن أبيه، قال الإمام الألباني –رحمه الله تعالى- في السلسلة الضعيفة : (٦٤٨/١٢) حديث رقم : (٥٧٩٤) : أبو عطاء ضعيف كما في التقريب وغيره، وأبو إسماعيل الكوفي أورده الذهبي في الميزان : (٤٩١/٤) رقم : (٩٩٦٠) وقال : شيخ لعلي بن الجعد، لا يعرف، والخبر غريب.

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير : (٦٦١/١).

(٣) المقاصد الحسنة : (٤٨٤/١).

(٤) انظر: ضعيف الجامع الصغير وزيادته : (ص:٢٧٥) حديث رقم : (١٩٠٧).

(٥) عبد الرزاق بن همام بن نافع، الحافظ الكبير، عالم اليمن، أبو بكر الحميري مولاهم، قيل ما رحل الناس إلى أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما رحلوا إليه، وكانت ولادته في سنة ست وعشرين ومائة. وتوفي في شوال سنة إحدى عشرة ومائتين باليمن رحمه الله تعالى، انظر: تهذيب التهذيب : (٢٧٨/٦)، وسير أعلام النبلاء : (٩/ ٥٦٣) وما بعده، وفيات الأعيان (٣/ ٢١٦) .

(٦) مصنف عبد الرزاق : (٥/ ١١٩)، أخبار مكة للفاكهي : (٣٤/٢).

المقام إلى الركن إلى زمزم إلى الحجر قبر تسعة وتسعين نبيا جاءوا حاجين فقبروا هنالك"[١].

لكن في رواية عبد الرزاق إعضال، حيث إن ابن جريج قال: (بلغني عن كعب)، وابن جريج من أتباع التابعين، فالساقط أكثر من واحد، فلم يصح هذا إلى كعب الأحبار فلا ينسب إليه، ولو صح إليه لكان من الإسرائيليات، إذ كعب الأحبار مشتغل بذلك.

وأما رواية صالح عن أبيه فهو موقوف، لأن عبد الله بن ضمرة السلولي تابعي، فهو مقطوع، ويحيى بن سليم صدوق سيئ الحفظ؛ وإن كان من رجال الشيخين، فهو ضعيف الإسناد مع وقفه[٢].

٣-ما رُوي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال: "في المسجد الحرام قبران ليس فيه غيرهما، قبر إسماعيل وشعيب -عليهما السلام-، فقبر إسماعيل -عليه السلام- في الحجر ، وقبر شعيب -عليه السلام- مقابل الحجر الأسود"[٣]، وهذا الأثر فيه محمد بن السائب الكلبي وهو كذاب[٤]، وفيه أبو صالح باذام وهو ضعيف[٥]، فلم يصح هذا إلى ابن عباس رضي الله عنه، فلا ينسب إليه.

---

(١) مسائل الإمام أحمد رواية ابنه أبي الفضل صالح : (١/ ٤٠٨)، وذكر الدكتور عبد الوهاب ابو سليمان مقالا بعنوان (الأماكن التاريخية في مكة وعناية الملك عبد العزيز بها) (ص:٢٠) : وإن حول الكعبة قبر ثلاثمائة نبي ، وما بين الركن اليماني والركن الأسود قبر سبعين نبيا، قتلهم الجوع والقمل، وقبر إسماعيل وأمه هاجر في الحجر تحت الميزاب...، وأجاب عنه الشيخ عبد المحسن البدر حفظه الله تعالى في رسالته (كلمة حول الآثار غير مشروعة في مكة المكرمة).

(٢) انظر: السلسلة الضعيفة : (١٢/٦٤٨).

(٣) انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (٦/ ٤٨٢) والقرطبي والشوكاني وروح المعاني وأخبار مكة للفاكهي : (٢/١٢٤) من طريق محمد بن زنبور عن أبي بكر بن عياش عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح.

(٤) قال سفيان: قال الكلبي: قال لي أبو صالح: انظر: كل شيء رويت عنى عن ابن عباس فلا فلا تروه، وقال البخاري: أبو النضر الكلبي تركه يحيى وابن مهدى، وقال الجوزجانى وغيره: كذاب، وقال الدار قطني وجماعة: متروك. انظر: ميزان الاعتدال : (٣/ ٥٥٦-٥٥٩).

(٥) قال الذهبي : ضعفه البخاري، وقال النسائي: باذام ليس بثقة. انظر: ميزان الاعتدال : (١/ =

٤-و عن ابن إسحاق قال: "وكان عمر إسماعيل -عليه السلام- فيما يذكرون مائة سنة وثلاثين سنة، ثم مات رحمة الله وبركاته عليه ودفن في الحجر مع أمه هاجر رحمهم الله تعالى"[١]، إلا أن هذه الرواية غير مؤكدة، لأن فيه (فيما يذكرون)، وهذا اللفظ وغيره من الألفاظ غير مؤكدة لا يثبت بها شيء[٢].

٥-وعن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة أنه قال: "ما يعلم موضع قبر نبي من الأنبياء إلا ثلاثة : قبر إسماعيل؛ فإنه تحت الميزاب بين الركن والبيت، وقبر هود؛ فإنه في خصف تحت جبال اليمن، عليه شجرة نداء، وموضعه أشد الأرض حرا، وقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٣]، إلا أن فيه إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، وهو متروك[٤].

قال الزهري: "قاتلك الله يا ابن أبي فروة ما أجرأك على الله ألا تسند حديثك، تحدثنا بأحاديث، ليس لها خطام ولا أزمة"[٥].

وقال الإمام أحمد: "لا تحل عندي الرواية عن إسحاق بن أبي فروة"[٦].

وقال يحيى بن معين: "إسحاق بن أبي فروة ليس بشيء لا يكتب حديثه"[١].

(١/ ٢٩٦).

(١) السيرة النبوية لابن هشام : (١/ ١١١)، وتاريخ الإسلام للإمام الذهبي : (١/ ٢٠)، و تاريخ ابن خلدون : (٢/٤٤).

(٢) وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : عن أبي قلابة قال أبو مسعود لأبى عبد الله أو قال أبو عبد الله لأبى مسعود ما سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول في « زعموا ». قال سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول « بئس مطية الرجل زعموا. (رواه أبو داد، باب قول الرجل زعموا، حديث رقم : (٤٩٧٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة : (٥٢٢/٢) حديث رقم : (٨٦٦) وقال : وهذا إسناد صحيح، ورجاله ثقات رجال الشيخين.

(٣) المنتظم لابن الجوزي : (٣٠٥/١)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (٦/ ٤٥٣)

(٤) قال ابن حجر : إسحاق ابن عبدالله ابن أبي فروة الأموي مولاهم المدني متروك من الرابعة مات سنة ١٤٤هـ، انظر: تقريب التهذيب (١/ ١٠٢)

(٥) انظر: شرح السنة للبغوى : (١/ ٢٤٥)، و تهذيب الكمال للمزي : (٢/ ٤٤٩).

(٦) الكامل في ضعفاء الرجال (١/ ٥٣٠)

٦-و عن صفوان بن عبد الله بن صفوان الجمحي قال: حفر ابن الزبير –رضي الله عنه– الحجر، فوجد فيه سفطًا من حجارة خضر، فسأل قريشًا عنه فلم يجد عند أحد منهم فيه علمًا، قال: فأرسل إلى عبد الله بن صفوان فسأله فقال: "هذا قبر إسماعيل –عليه السلام– فلا تحركه"، قال: فتركه[٢].

وفي إسناده خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن سلمة المخزومي المكي، وهو متروك.

قال البخاري وأبو حاتم : "ذاهب الحديث، وزاد أبو حاتم : تركوا حديثه"[٣].

وعن يزيد مولى ابن الزبير قال: "شهدت ابن الزبير احتفر في الحجر، فأصاب أساس البيت حجارة حمر كأنها الخلايق، تحرك الحجر فيهتز له البيت، فأصاب في الحجر من البيت ستة أذرع وشبرًا، وأصاب فيه موضع قبر، فقال ابن الزبير: هذا قبر إسماعيل، فجمع قريشًا ثم قال لهم: اشهدوا ثم بنى"[٤].

وفي إسناده عبد الله بن مسلم بن هرمز، وهو ضعيف.

قال الإمام أحمد: "عبد الله بن مسلم بن هرمز ليس بشيء ضعيف الحديث".

وقال يحيى بن معين: "عبد الله بن مسلم بن هرمز ضعيف".

وقال النسائي: "عبد الله بن مسلم بن هرمز مكي ضعيف"[٥].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) أخبار مكة للأزرقي : (١/ ٢٤٨) من طريق أبي خالد عن جده عن خالد بن عبد الرحمن عن الحارث بن أبي بكر الزهري عن صفوان.

(٣) انظر: تهذيب الكمال للمزي: (٨/ ١٢٤).

(٤) أخبار مكة للأزرقي : (١/ ١٧٠) ، من طريق مهدي بن أبي مهدي عن عيسى بن يونس عن عبد الله بن مسلم بن هرمز عن يزيد.

(٥) انظر: العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد: (٢/ ٤٩١)، الجرح والتعديل للرازي : (٥/ ١٦٤)، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر : (١/ ٢٠)، الكامل في ضعفاء الرجال للجرجاني: (٥/ ٢٦٠)، تهذيب الكمال للمزي : (١٦/ ١٣٢).

وعن سعيد بن حرب قال: شهدت عبد الله بن الزبير –رضي الله عنه– وهو يقلع القواعد التي أسس إبراهيم صلى الله عليه وسلم لبناء البيت فأتوا تربة صفراء عند الحطيم، فقال ابن الزبير: "هذا قبر اسماعيل عليه السلام فواراه"[١].

٧-وعن عمر بن عبدالعزيز قال: "شكا إسماعيل –عليه السلام– إلى ربه تبارك وتعالى حر مكة، فأوحى الله تعالى إليه: إني فاتح لك بابا من الجنة؛ يجري عليك روحها إلى يوم القيامة، وفي ذلك المكان تدفن"[٢].

وقيل إن إسماعيل –عليه السلام–لما حضرت الوفاة أوصى إلى أخيه إسحاق، وزوج ابنته من العيص بن إسحاق، ودفن عند قبر أمّه هاجر بالحجر[٣].

وهذه الروايات يدلنا على وجود قبر إسماعيل عليه السلام داخل الحجر، إلا أنها لا تخلو من الأمور، ومنها:

١-إن أكثر هذه الروايات لا تخلو من الضعف.

قال الألباني –رحمه الله تعالى:

"أنه لم يثبت في حديث مرفوع أن إسماعيل عليه السلام أو غيره من الأنبياء الكرام دفنوا في المسجد الحرام، ولم يرد شيء من ذلك في كتاب من كتب السنة المعتمدة كالكتب السنة، ومسند أحمد، ومعاجم الطبراني الثلاثة وغيرها من الدواوين المعروفة، وذلك من أعظم علامات كون الحديث ضعيفا بل موضوعا عند بعض المحققين، وغاية ما وري في ذلك من آثار معضلات، بأسانيد

---

(١) السيرة النبوية لابن إسحاق (١٠٦/١)، انظر: الثقات لابن حبان : (٢٨٤/٤)، وتلخيص المتشابه في الرسم للخطيب البغدادي : (١٤٧/٢)، من طريق محمد بن الحسين القطان ، عن عبد الله بن جعفر ، عن يعقوب بن سفيان ، عن ابن عثمان – يعني عبدان المروزي – عن عبد الله – هو ابن المبارك – عن المنذر بن ثعلبة.

(٢) تاريخ الرسل والملوك : (١/ ٣١٤)، قصص الأنبياء : (١/ ٢٩٦) من طريق عبدة بن عبدالله الصفار عن خالد بن عبدالرحمن المخزومي عن مبارك بن حسان صاحب الأنماط.

(٣) تاريخ الرسل والملوك (١/ ٣١٤)، الكامل في التاريخ : (١١٢/١).

واهيات موقوفات أخرجها الأزرقي في « أخبار مكة »، فلا يلتفت إليها وإن ساقها بعض المبتدعة مساق المسلمات"[1].

٢-إن إسماعيل أعان أباه إبراهيم عليهما السلام في بناء الكعبة على قواعدها الأصلية، ومعناه أن موضع الحجر داخل في بناء الكعبة، ولا بمكن أن يدفن فيه إسماعيل عليه السلام والحجر بدء وجوده زمن قريش لما بنى الكعبة وقصرت عليهم النفقة عند بنائها، وتركوا المقدار الذي داخل الحجر خارجا عن بنائها، وجعلوا من ورائه الجدار علامة على ذلك.

وقد جاء ذلك مبينا في قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله، فقال: يا عائشة، لولا أن قومك حديثو عهد بشرك لهدمت الكعبة، فألزقتها بالأرض وجعلت لها بابين، بابا شرقيا وبابا غربيا وزدت فيها ستة أذرع من الحجر، فإن قريشا اقتصرتها حيث بنت الكعبة[2]، واللفظ لمسلم، وفي رواية للبخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت النبي صلى الله عليه وسلم، عن الجدر أمن البيت هو؟ قال: نعم، قلت: فما لهم لم يدخلوه في البيت؟ قال: إن قومك قصرت بهم النفقة[3].

٣-لو كان إسماعيل مدفونا عند الكعبة لوجدوا جثته كما هي، لأن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، ولتناقل الناس ذلك، والنبي صلى الله عليه وسلم لم ينبه بذلك، أو على الأقل يوجد فيه أثر، ولكن هذا كله فُقد.

قال ابن تيمية -رحمه الله تعالى- :

"ولهذا يقال إن اسماعيل و امه هاجر -عليهما السلام- مدفونان في حجر البيت، و يقال أن جماعة من الأنبياء مدفونون بمسجد الخيف، و آخرين مدفونون بين زمزم و المقام مع أن الصلاة هناك جائزة حسنة بالسنة المتواترة

---

(١) تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد : (ص: ١٠١).

(٢) رواه البخاري في كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها، حديث رقم : (١٥٨٦) مع الفتح : (٤/٤٨٣)، ورواه مسلم في كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، حديث رقم : (٣٢٤٤)

(٣) رواه البخاري في كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها، حديث رقم : (١٥٨٤) مع الفتح : (٤/٤٨٢)، ورواه مسلم في كتاب الحج، باب جدر الكعبة وبابها، حديث رقم : (٣٢٤٩).

والاجماع، لأنه لا يتوهم أن تلك الامكنة مقابر، و لا أن الصلاة عندها صلاة عند قبر، و لأن الصلاة عند القبور كرهت خشية أن تتخذ أوثانا تعبد، فاذا كان هناك تمثال أو علم يشعر بالمدفون كان كصورته المصورة إذا صلى عنده فيصير وثنا، إما إذا فقد هذا كله فلا عين و لا أثر، و ليس فيه ما يفضي إلى اتخاذ القبور وثنا حتى لو فرض خشية ذلك نهي عنه"[1].

قال الشيخ علي القاري :

"قال العلامة الشيخ محمد بن الجزري: لا يصح تعيين قبر نبي غير نبينا عليه الصلاة والسلام، نعم سيدنا إبراهيم عليه السلام في تلك القرية لا بخصوص تلك البقعة، انتهى"[2].

وقال ابن عثيمين –رحمه الله تعالى-:

"إسماعيل عليه السلام بنى الكعبة على قواعد أصلية ، وهذا مما أخرجه قريش ، حتى غالى بعضهم وقال : إن إسماعيل عليه السلام دُفن تحت الميزاب يعني أن قبره في هذا الحجر ، وهذا أكذب وأكذب وأشد خطراً على الأمة ؛ لأن العوام إذا اعتقدوا هذا وصاروا يصلون في هذا المكان اعتقدوا أنهم يصلون على القبر، وهذا خطير"[3].

---

(١) شرح العمدة : (٤/ ٤٦٣).

(٢) المصنوع في معرفة الحديث الموضوع : (١/٢٩٩).

(٣) شرح كتاب الحج من صحيح البخاري لابن عثيمين : (ص: ٦٢).

المسألة الثالثة: الأحكام المترتبة في هذه المسألة.

ومن هذه الروايات تترتب عليها مسائل منها:

أولا: ظن بعض العلماء بجواز الصلاة في قبور الأنبياء استدلالا بهذه الروايات.

قال الطحطاوي[1] –رحمه الله:

"قال صلى الله عليه وسلم: (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)[2]، وسواء كانت فوقه أو خلفه أو تحت ما هو واقف عليه، ويستثنى مقابر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فلا تكره الصلاة فيها مطلقا منبوشة أو لا بعد أن لا يكون القبر في جهة القبلة لأنهم أحياء في قبورهم، ألا ترى أن مرقد إسماعيل عليه السلام في الحجر تحت الميزاب وأن بين الحجر الأسود وزمزم قبر سبعين نبيا؟ ثم إن ذلك المسجد أفضل مكان يتحرى للصلاة بخلاف مقابر غيرهم"[3].

وهذا القول مخالف لأهل السنة والجماعة وما عليه سلف الأمة، و سيؤدي إلى مفسدة عظيمة، وهو الشرك بالله عز وجل، فهو ينافي أصل التوحيد الذي جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام، وقد أجاب العلماء –رحمهم الله- عن هذا القول بأجوبة، منها:

١-عموم أحاديث النهي عن الصلاة في و إلى القبور، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وحذر منه وشدد عليه، ومنها:

---

(١) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل الطهطاوي أو الطحطاوي، فقيه حنفي، ولد بطهطا بالقرب من أسيوط بمصر، وقيل طحطا، وتعلم بالأزهر، وتوفي بالقاهرة سنة ١٢١٣هـ، واشتهر بكتابه حاشية الدر المختار في فقه الحنفية وحاشية على شرح مراقي الفلاح وغيره من الكتب، انظر: الأعلام : (١/ ٢٤٥).

(٢) رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب الصلاة في البيعة، حديث رقم : (٤٣٥،٤٣٦) مع الفتح : (١٧٢/٢)، ورواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، حديث رقم : (١١٨٤).

(٣) حاشية على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح للطحطاوي : (ص: ٢٤١).

حديث عائشة –رضي الله عنها-: أن أم حبيبة وأم سلمة –رضي الله عنهما- ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير ، فذكرتا للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: (إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة)[1].

ومن حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهم قالا: لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا)[2].

وحديث جندب رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول: (إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا، ولو كنت متخذا من أمتي خليلا، لاتخذت أبا بكر خليلا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك)[3].

ومن حديث أبي مرثد الغنوي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها)[4].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد، حديث رقم : (٤٢٧) مع الفتح : (١٥٨/٢)، ورواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، حديث رقم : (١١٨١).

(٢) رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب الصلاة في البيعة، حديث رقم : (٤٣٥-٤٣٦) مع الفتح : (١٧٢/٢)، ورواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، حديث رقم : (١١٨٧).

(٣) رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، حديث رقم : (١١٨٨).

(٤) رواه مسلم في كتاب الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه، حديث رقم : =

وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي تبين على حرمة الصلاة إلى القبور واتخاذه مساجد.

٢-إن الروايات التي فيها أن إسماعيل وغيره من الأنبياء علهم الصلاة والسلام دفن في الحجر لا تخلو من الضعف، كما سبق ذلك.

٣-إجماع المسلمين على عدم جواز الصلاة إلى وفي القبور، وهو ما عُلم في الدين بالضرورة.

قال ابن تيمية –رحمه الله-:

"فإن المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أن الصلاة عند القبر – أي قبر كان – لا فضل فيها لذلك ، ولا للصلاة في تلك البقعة مزية خير أصلا ، بل مزية شر"[(١)].

٤-ثم هب أنها غير مندرسة، فذلك لا يدل على أن فضيلة الصلاة إنما هو من أجلها، ألا ترى أن مسجد النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة فيه بألف صلاة مما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام كما صح عنه صلى الله عليه وسلم[(٢)]؟ ومن المعلوم أنه قال ذلك قبل أن يدفن عليه السلام في الحجرة الشريفة وقبل أن تضم هذه إلى المسجد النبوي، فهل يلزم من وجود القبر الشريف الآن فيه أن يقال: إن فضيلة الصلاة فيه من أجل القبر الشريف؟ كلا، لا يقول ذلك إلا الجهال من العوام، فكذلك لا يلزم من فضيلة الصلاة عند قبر إسماعيل وغيره عليهم الصلاة والسلام أن ذلك من أجل القبور، وكيف يكون وقد نهى عليه

(٢٢٥٠).

(١) اقتضاء الصراط المستقيم : (٢/ ١٩٣).

(٢) وذلك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، رواه البخاري في كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، حديث رم : (١١٩٠) مع الفتح : (٣/٦٠٠)، ورواه مسلم في كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة، حديث رقم : (٣٣٧٤).

السلام عن اتخاذها مساجد ولعن من فعل ذلك؟ وهذا كله يقال على تسليم ثبوت تلك القبور في ذلك المكان وليس بثابت عند المحدثين[1].

ثانيا: قصد الصلاة العبادة والمجاورة بهذه الأرواح المباركة تبركا وإعظاما.

وقد نقل المباركفوري –رحمه الله– في شرحه لسنن الترمذي :

قال في مجمع البحار: وحديث: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)[2]، كانوا يجعلونها قبلة يسجدون إليها في الصلاة كالوثن، وأما من اتخذ مسجدا في جوار صالح أو صلى في مقبرة قاصدا به الاستظهار بروحه أو وصول أثر من آثار عبادته إليه لا التوجه نحوه والتعظيم له، فلا حرج فيه، ألا يرى أن مرقد إسماعيل –عليه السلام– في الحجر في المسجد الحرام والصلاة فيه أفضل[3]؟

والجواب عن هذا:

١– إن الروايات التي فيها أن إسماعيل وغيره من الأنبياء علهم الصلاة والسلام دفن في الحجر لا تخلو من الضعف، كما سبق ذلك.

٢– إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يتحرى المكان، ولا نبه عن علامات قبورهم، ولا تلبس بذلك سلف الأمة وأئمتها، ولا هو من فعل الأمة المحمدية.

قال المباركفوري –رحمه الله–:

"أن كون قبر إسماعيل عليه السلام وغيره من الأنبياء، سواء كانوا سبعين أو أقل أو أكثر ليس من فعل هذه الأمة المحمدية، ولا هو ولا هم عليهم الصلاة والسلام دُفنوا لهذا الغرض هناك، ولا نبه على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا علامات لقبورهم منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ولا تحرى نبينا عليه الصلاة والسلام قبرا من تلك القبور على قصد المجاورة بهذه الأرواح

---

(١) انظر: الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب للألباني : (١/ ٣٦٩)، وانظر: تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد للألباني : (ص: ١٠٠).

(٢) سبق تخريجه ص : (١/٢٩٢).

(٣) تحفة الأحوذي : (٢/ ٢٢٦).

المباركة، ولا أمر به أحدا، ولا تلبس بذلك أحد من سلف هذه الأمة وأئمتها، بل الذي أرشدنا إليه وحثنا عليه ألا نتخذ قبور الأنبياء مساجد، كما اتخذ اليهود والنصارى، وقد لعنهم على هذا الاتخاذ

فالحديث برهان قاطع لمواد النزاع وحجة نيرة على كون هذه الأفعال جالبة للعن واللعن أمارة الكبيرة المحرمة أشد التحريم، فمن اتخذ مسجدا بجوار نبي أو صالح رجاء بركته في العبادة ومجاورة روح ذلك الميت فقد شمله الحديث شمولا واضحا كشمس النهار، ومن توجه إليه واستمد منه؛ فلا شك أنه أشرك بالله وخالف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث وما ورد في معناه

ولم يشرع الزيارة في الملة الإسلام إلا للعبرة والزهد في الدنيا والدعاء بالمغفرة للموتى، وأما هذه الأغراض التي ذكرها بعض من يعزى إليه الفقه والرأي والقياس، فإنها ليست عليها أثارة من علم ولم يقل بها فيما علمت أحد من السلف، بل السلف أكثر الناس إنكارا على مثل هذه البدع الشركية، انتهى"[(١)].

٣-إن الصلاة في المقبرة واتخاذ المساجد في جوار الصالح هذا وسيلة إلى الشرك، والدين يسد كل طريق ووسيلة يوصل صاحبه إلى الشرك ولو بعد حين.

قال ابن القيم -رحمه الله-:

"إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بناء المساجد على القبور ولعن من فعل ذلك، ونهى عن تجصيص القبور وتشريفها واتخاذها مساجد، وعن الصلاة إليها وعندها، وعن إيقاد المصابيح عليها وأمر بتسويتها، ونهى عن اتخاذها عيدا، وعن شد الرحال اليها لئلا يكون ذلك ذريعة الى اتخاذها أوثانا والإشراك بها، وحرم ذلك على من قصده ومن لم يقصده بل قصد خلافه سدا للذريعة"[(٢)].

---

(١) تحفة الأحوذي : (٢/ ٢٢٧).

(٢) إعلام الموقعين : (٣/ ١٣٩).

وقد بوب الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد بقوله: "باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟ ثم ذكر الأحاديث ما يتعلق بذلك"[1].

٤- إن قصد الصلاة عند القبور يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها.

قال ابن قدامة[2] —رحمه الله-:

"ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر ما صنعوا)[3]، ولأن تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها والتقرب إليها، وقد رُوّينا أن ابتداء عبادة الأصنام تعظيم الأموات باتخاذ صورهم والتمسح بها والصلاة عندها"[4].

٥- إن الصلاة عند قبور الأنبياء والصالحين متبركا بهم فهو البدعة في الدين، وهو أقرب إلى الشرك.

قال ابن تيمية —رحمه الله-:

"فأما إذا قصد الرجل الصلاة عند بعض قبور الأنبياء والصالحين ، متبركا بالصلاة في تلك البقعة ، فهذا عين المحادة لله ورسوله ، والمخالفة لدينه، وابتداع دين لم يأذن به الله"[5].

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لسليمان : (٦٥١/١).

(٢) هو الامام القدوة العلامة المجتهد شيخ الإسلام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي صاحب المغني، مولده بجماعيل من عمل نابلس سنة إحدى وأربعين وخمس مئة في شعبان، وكان عالم أهل الشام في زمانه، وانتقل إلى رحمة الله يوم السبت يوم الفطر، ودفن من الغد سنة عشرين وست مئة، وكان الخلق لا يحصون. انظر: سير أعلام النبلاء :(٢٢/ ١٦٥)، ووفيات الوفيات (٢/ ١٥٨).

(٣) سبق تخريجه ص : (٢٩٢/١).

(٤) المغني لابن قدامة : (٣٧٩/٢).

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم : (٢/ ١٩٣) ، وانظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان : (١/ ١٨٥).

قال ابن القيم –رحمه الله–:

"إن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر، ولهذا نجد أهل الشرك كثيرا يتضرعون عندها ويخشعون ويخضعون ويعبدونهم بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله ولا وقت السحر، ومنهم من يسجد لها وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجونه في المساجد، فلأجل هذه المفسدة حسم النبي صلى الله تعالى عليه واله وسلم مادتها حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقا، وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته كما يقصد بصلاته بركة المساجد، كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس وغروبها، لأنها أوقات يقصد المشركون الصلاة فيها للشمس، فنهى أمته عن الصلاة حينئذ وإن لم يقصد المصلي ما قصده المشركون سدا للذريعة، وأما إذا قصد الرجل الصلاة عند القبور متبركا بالصلاة في تلك البقعة فهذا عين المحادة لله ولرسوله والمخالفة لدينه وابتداع دين لم يأذن به الله تعالى"(١).

ثالثا: استدل بها مجوزو بناء المساجد على القبور.

وذلك لما ورد في بعض الروايات عن ابن جريج قال : "فماتت أم إسماعيل –عليهما السلام– قبل أن يرفعه إبراهيم وإسماعيل –عليهما الصلاة والسلام– ودفنت في موضع الحجر"(٢).

وقالت الإمامية: "يجوز بناء القبور للأنبياء والأولياء، وتشييدها وحفظها، ويستدل الطباطبائي على ذلك بأن البناء على القبور من باب تعظيم شعائر الله؛ لأن المشاهد المتضمنة لأجساد النبيين، وأئمة المسلمين من معالم الدين الواجب حفظها، وصونها عن الاندراس، والمشاهد من البيوت التي أذن الله أن ترفع، ويذكر فيها اسمه، فإن المراد من

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان :(١/ ١٨٥).

(٢) أخبار مكة للأزرقي : (١/ ٣٣).

البيت هو بيت الطاعة، وكل محل أعد للعبادة، فيعم المساجد، والمشاهد لكونها من المعابد"[1].

والجواب عن هذا ما يلي:

١- إن الروايات التي فيها أن إسماعيل وغيره من الأنبياء علهم الصلاة والسلام دفن في الحجر لا تخلو من الضعف، كما سبق ذلك.

٢- إن هذا الفعل والاعتقاد مخالف لمنهج النبوة في النهي عن البناء في القبور وتجصيه وما سار عليه علماء الأمة، ومن ذلك:

حديث جابر رضي الله عنه قال: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه".

وفي رواية: "نُهي عن تقصيص القبور"[2].

وحديث أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ (أن لا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته)[3].

٣- ويترتب البناء على القبور مفاسد كثيرة تربو على الحصر.

قال الشوكاني[4] -رحمه الله-:

"وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام"[1].

---

(١) انظر: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد ين عبد الوهاب : (١/٣١٠).

(٢) رواه مسلم، في كتاب الجنائز، باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه، حديث رقم : (٢٢٤٥-٢٢٤٧).

(٣) رواه مسلم، في كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر ، حديث رقم : (٢٢٤٣).

(٤) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني؛ فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء، ولد بهجرة شوكان من بلاد خولان، باليمن سنة ١١٧٣هـ، ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها سنة ١٢٢٩هـ ومات حاكما بها سنة ١٢٥٠هـ، وكان يرى تحريم التقليد، وله مجموعة من المؤلفات، انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع : (١/ ٢١٤)، الأعلام للزركلي : (٦/ ٢٩٨) .

ومن تلك المفسدة:

ا- البناء على القبور مخالف لما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأمر بتسويتها، كما سبق ذكره.

ب- إن البناء على القبور ذريعة إلى الشرك، وذلك لما يعتقد العامة أن من بُني عليها المشاهد والقباب يملكون النفع والضر.

قال الصنعاني[٢] -رحمه الله-:

"فإن هذه القباب والمشاهد التي صارت أعظم ذريعة إلى الشرك والإلحاد وأكبر وسيلة إلى هدم الإسلام وخراب بنيانه، غالب، بل كل من يعمرها هم الملوك والسلاطين والرؤساء والولاة، إما على قريب لهم أو على من يحسنون الظن فيه من فاضل أو عالم أو صوفي أو فقير أو شيخ أو كبير، ويزوره الناس الذين يعرفونه زيارة الأموات من دون توسل به ولا هتف باسمه، بل يدعون له ويستغفرون، حتى ينقرض من يعرفه أو أكثرهم، فيأتي من بعدهم فيجدوا قبرا قد شيد عليه البناء وسرجت عليه الشموع وفرش بالفراش الفاخر وأرخيت عليه الستور وألقيت عليه الأوراد والزهور، فيعتقد أن ذلك لنفع أو لدفع ضر ويأتيه السدنة يكذبون على الميت بأنه فعل وفعل وأنزل بفلان الضرر وبفلان النفع، حتى يغرسوا في جبلته كل باطل، ولهذا الأمر ثبت في الأحاديث النبوية اللعن على من أسرج على القبور وكتب عليها وبنى عليها، وأحاديث ذلك واسعة معروفة، فإن ذلك في نفسه منها عنه، ثم هو ذريعة إلى مفسدة عظيمة"[٣].

ج- إن البناء على القبور من أسباب وقوع الفساد والفجور.

---

(١) نيل الأوطار : (٤/ ١٣١).

(٢) هو محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم عز الدين المعروف كأسلافه بالامير؛ مجتهد من بيت الإمامة في اليمن، ولد ليلة الجمعة نصف جمادى الآخرة سنة ١٠٩٩ هـ بكحلان ثم انتقل مع والده إلى مدينة صنعاء، وهو صاحب التصانف، توفي سنة ١١٨٢هـ، انظر: الأعلام للزركلي (٦/ ٣٨) والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع : (٢/ ١٣٣).

(٣) تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد : (٨٣/١).

قال النعمي[1] –رحمه الله-:

"وهذا كله بالنظر إلى نفس البناء على القبر، لا إلى ما ترتب عليه من الوثنية والشرك، وعلى إحياء هذه المشاهد من كلْم الإسلام وفقوء عين شريعة المختار عليه الصلاة والسلام، وما يقع في الزيارات من أنواع الشرك بدعاء المقبورين، والطواف بتلك الأنصاب، والعكوف عندها، والنذر والتقرب لها بأنواع القربات، وما ترتب على ذلك من المفاسد، والمنكرات كترك الصلاة المكتوبة، وما يقولون من أقاويلهم المفتراة المكذوبة، قد حملوا الولي أو حملها عنهم، واختلاط الرجال بالنساء وأرباب الملاهي، واتخاذ الزينات والمجاهرات والمخالفات لله التي لا طمع في حصرها في الرقاع..." [2].

د- إن البناء على القبور يسبب رعاية المشاهد وهجر المساجد.

قال ابن تيمية –رحمه الله- :

"وكثير من هؤلاء يخربون المساجد و يعمرون المشاهد، فتجد المسجد الذي بنى للصلوات الخمس معطلا مخربا ليس له كسوة إلا من الناس، و كأنه خان من الخانات، والمشهد الذي بني على الميت عليه الستور وزينة الذهب و الفضة والرخام و النذور تغدو و تروح إليه، فهل هذا إلا من استخفافهم بالله تعالى وآياته ورسوله و تعظيمهم للشرك؟"[3].

هـ- إن البناء على القبور من الإسراف والتبذير وإضاعة المال، والله تعالى نهى عن ذلك، قال النبي صلى الله عليه وسلم من حديث المغيرة بن شعبة: (إن الله

---

(١) هو حسين بن مهدي النعمي التهامي ثم الصنعاني، ولد في صبيا ورحل إلى صنعاء فتلقي علومه على العلامة محمد الأمير وغيره ثم استقر في صنعاء وعين إماماً للصلاة في مسجد القبة فكان يعقد فيها المجالس لقراءة كتب الحديث، وكان من المناصرين لمحمد بن الأمير توفي سنة ١١٨٧هـ، وله معارج الألباب في مناهج الحق والصواب، انظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص: ١٥٣)، والأعلام : (٢/٢٦٠).

(٢) انظر: معارج الألباب للنعمي : (١/٢٥٤).

(٣) الاستغاثة في الرد على البكري : (٢/٦٧٣)، وانظر: مجموع الفتاوى : (١٥/٤٩).

كره لكم ثلاثا قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال)[1]، إذا كان هذا في المباحات، فكيف بالمحرمات؟

٤-عامة الطوائف صرحوا بتحريم البناء على القبور[2].

قال ابن تيمية -رحمه الله-:

"فأما بناء المساجد على القبور فقد صرح عامة علماء الطوائف بالنهي عنه، متابعة للأحاديث ، وصرح أصحابنا وغيرهم ، من أصحاب مالك والشافعي وغيرهما بتحريمه"[3].

قال الإمام أبو حنيفة -رحمه الله- فيما نقله ابن عابدين:

"يكره أن يبنى عليه بناء من بيت أو قبة أو نحو ذلك لما روى جابر نهى رسول الله عن تجصيص القبور وأن يكتب عليها وأن يبنى عليها، رواه مسلم وغيره"[4].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، حديث رقم : (١٤٧٧) مع الفتح : (٣٢٤/٤)، ورواه مسلم في كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، والنهي عن منع وهات، وهو الامتناع من اداء حق لزمه او طلب ما لا يستحقه، حديث رقم : (٤٤٨١).

(٢) انظر: معارج الألباب للنعمي : (٤٦٠/٢).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم : (٢/ ١٨٤).

(٤) حاشية رد المختار على الدر المختار (٢/ ٢٣٧)، والجدير بالذكر هنا أن الكراهة إذا أطلقت عند المتقدمين، فإنهم يريدون بها كراهة التحريم، كما ذكره ابن القيم -رحمه الله- في كتابه إعلام الموقعين : (١/ ٣٩-٤٠) ما نصه : قلت : وقد غلط كثير من المتأخرين من أتباع الأئمة على أئمتهم بسبب ذلك؛ حيث تورع الأئمة عن إطلاق لفظ التحريم وأطلقوا لفظ الكراهة، فنفى المتأخرون التحريم عما أطلق عليه الأئمة الكراهة ثم سهل عليهم لفظ الكراهة وخفت مؤنته عليهم، فحمله بعضهم على التنزيه، وتجاوز به آخرون إلى كراهة ترك الأولى، وهذا كثير جدا في تصرفاتهم فحصل بسببه غلط عظيم على الشريعة وعلى الأئمة. ثم ذكر أمثلة كثيرة على الأئمة، وقالوا فيها بالكراهة، ومذهبهم فيها التحريم، وقال ابن نجيم الحنفي في البحر الرائق شرح كنز الدقائق : (٢/ ٢٠): ما كره تحريما وهو المحمل عند إطلاقهم الكراهة كما ذكره في فتح القدير من كتاب الزكاة، وقال ابن القيم في إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان : (١/ ٢١٧) : وما يقول فيه أبو حنيفة وأصحابه : "أكره كذا " هو عند محمد -يعني ابن الحسن- حرام، وعند أبي حنيفة وأبي يوسف هو إلى الحرام أقرب وجانب التحريم =

وقال الإمام مالك –رحمه الله-:

"أكره تجصيص القبور والبناء عليها وهذه الحجارة التي يبنى عليها"[١].

وقال الإمام الشافعي –رحمه الله-:

"وأحب أن لا يبنى ولا يجصص، فإن ذلك يشبه الزينة والخيلاء، وليس الموت موضع واحد منهما ولم أر قبور المهاجرين والأنصار مجصصة".

وقال في موضع آخر: "وقد رأيت من الولاة من يهدم بمكة ما يبنى فيها فلم أر الفقهاء يعيبون ذلك"[٢].

ونقل عنه النووي –رحمه الله- قوله:

"يكره ان يجصص القبر وان يكتب عليه اسم صاحبه أو غير ذلك وان يبني عليه"[٣].

وقال الإمام الحجاوي الحنبلي[٤] –رحمه الله-:

"ويستحب رفع القبر قدر شبر، ويكره فوقه وتسنيمه أفضل من تسطيحه إلا بدار حرب إذا تعذر نقله...ويكره البناء عليه؛ سواء لاصق البناء الأرض أو لا ولو في ملكه من قبة أو غيرها للنهي عن ذلك"[٥].

عليه أغلب.

(١) المدونة الكبرى (١/ ٢٦٣)، قال ابن القيم –رحمه الله- في إعلام الموقعين : (١/ ٤٢) : وقد قال مالك في كثير من أجوبته "أكره كذا"، وهو حرام.

(٢) الأم للشافعي : (١/ ٢٧٧).

(٣) انظر: المجموع للنووي : (٥/٢٩٨)، قال الغزالي في المستصفى :(١/ ١٣٠) : فكثيرا ما يقول الشافعي رحمه الله وأكره كذا وهو يريد التحريم.

(٤) هو شرف الدين أبو النجا موسى بن أحمد بن موسى بن سالم بن عيسى بن سالم الحجاوي المقدسي ثم الصالحي الحنبلي الإمام العلامة مفتي الحنابلة بدمشق وشيخ الإسلام بها، كان إماما بارعا أصوليا فقيها محدثا ورعا، وتوفي يوم الخميس الثاني والعشرين من ربيع الأول سنة ٩٦٨هـ، انظر: شذرات الذهب : (٨/ ٣٢٧).

(٥) الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل : (١/ ٢٣٣).

المبحث الثاني : إسحاق عليه السلام.

المطلب الأول : ذكر إسحاق عليه السلام في القرآن الكريم وصفاته.

ذكر الله تعالى نبيه إسحاق عليه السلام في كثير من المواضع في القرآن الكريم، و أوصفه بصفات متعددة، ومن تلك الصفات التي وصف الله تعالى نبيه إسحاق عليه السلام منها:

١-وصف الله تعالى له بأنه عليه السلام نبي، وهو وصف رباني الذي وصف الله تعالى به من يشاء من عباده، قال الله تعالى ﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَـٰقَ وَيَعۡقُوبَ ۖ وَكُلاًّ جَعَلۡنَا نَبِيًّا ﴾[1]، وقال تعالى ﴿ وَبَشَّرۡنَـٰهُ بِإِسۡحَـٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾[2].

٢-وصف الله تعالى له بالصلاح، قال الله تعالى: ﴿ وَبَشَّرۡنَـٰهُ بِإِسۡحَـٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَـٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلاًّ جَعَلۡنَا صَـٰلِحِينَ ﴾[4]، والصلاح هو منتهى الصفات الحميدة التي لا يشوب صاحبها فساد رأي أو اعتقاد، وقد مدح الله أنبياءه بهذه الصفة، وخص إسحاق بالذكر تأكيدا له وكان من الصالحين حيث جعله الله تعالى ورثة الأرض، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ ﴾[5]، وفي ذكر الصلاح بعد النبوّة تعظيم لشأنه عليه السلام، وإيماءٌ إلى أَنه الغاية للنبوة، وأَنه الثمرة المرجوة.

---

(١) سورة مريم : (٤٩).

(٢) سورة الصفات : (١١٢).

(٣) سورة الصفات : (١١٢).

(٤) سورة الأنبياء : (٧٢).

(٥) سورة الأنبياء : (١٠٥).

٣-وصف الله تعالى له بأنه عليم، قال تعالى: ﴿ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾[(٢)]، والعليم صفة للمبالغة، أي سيكون عليما ، وفيه تبشير بحياته عليه السلام حتى يكون من العلماء.

٤-وصف الله تعالى له بأولي الأيدي والأبصار، قال الله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾[(٣)]، ويعني بذلك القوة على عبادة الله تعالى و البصيرة في دين الله، فوصفه الله تعالى بالعلم النافع، والعمل الصالح الكثير.

قال مجاهد –رحمه الله– في معنى الآية : ﴿ أُوْلِي ٱلْأَيْدِي ﴾ يعني القوة في طاعة الله، ﴿ وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ يعني البصيرة في الحق[(٤)].

٥-وصف الله تعالى له بأنه من المصطفي ومن الأخيار، قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾[(٥)] أي الذين اصطفاهم الله تعالى من صفوة خلقه، والذين لهم كل خلق كريم، وعمل مستقيم، وهم الذين اختارهم الله تعالى لطاعته ورسالته إلى خلقه سبحانه وتعالى، وإسحاق عليه السلام من هؤلاء المصطفين الأخيار.

٦-وصف الله تعالى له بأنه من المهتدين، قال الله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ﴾[(٦)]، أي وفقه الله تعالى وأرشده في علمه وعمله، وهداه وهداه إلى صراط مستقيم وإنما ذلك كان جزاء على الإحسان الصادر منهم،

---

(١) سورة الحجر : (٥٣).

(٢) سورة الذاريات : (٢٨).

(٣) سورة ص : (٤٥).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : (٧/٧٦).

(٥) سورة ص : (٤٧).

(٦) سورة الأنعام : (٨٤).

لأنهم اجتهدوا في طلب الحق ، فالله تعالى جازاهم على حسن طلبهم بإيصالهم إلى الحق.

٧-وصف الله تعالى له بأنه قدوة يقتدى به في الأعمال الصالحة ويدعون الخلق إلى أمر الله تعالى ودينه، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وكان عبد الله الموحدين المطيعين، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ ﴾ [١] أي: خاشعين لا يستكبرون عن عبادة الله تعالى، ولا يتجهون بها إلى أَحد سوى الله، فقد قابلوا إحسان الله عليهم بإِخلاص العبودية له وحده لا شريك له.

٨-وصف الله تعالى له بحصول البركة، قال الله تعالى: ﴿ وَبَـٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَـٰقَ ﴾ [٢] أي: أنزل الله تعالى على إبراهيم وإسحاق عليهما السلام البركة، التي هي النمو والزيادة في علمهما وعملهما وذريتهما، فنشر الله من ذريتهما ثلاث أمم عظيمة: أمة العرب من ذرية إسماعيل، وأمة بني إسرائيل، وأمة الروم من ذرية إسحاق عليه السلام[٣].

٩-وصف الرسول صلى الله عليه وسلم لنبي الله تعالى إسحاق عليه السلام بالكرم، كما في حديث أبي هرير قال: سمع رسول الله – صلى الله عليه و سلم – رجلا يقول: أنا ابن أشياخ الكرام، فقال رسول الله – صلى الله عليه و سلم-: (إن الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم)[٤].

---

(١) سورة الأنبياء : (٧٣).

(٢) سورة الصفات : (١١٣).

(٣) انظر: تفسير السعدي : (ص: ٧٠٦).

(٤) انظر: مسند أبي يعلى : (١٠/ ٣٣٨)، وأخرجه الترمذي من طريق الحسين بن حريث عن عن الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ومن سورة يوسف، حديث رقم: (٣١١٦)، وأحمد في مسنده، حديث رقم (٥٧١٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، والبخاري في الأدب المفرد، باب من دعا في غيره من الدعاء : (٣١٣/١) من طريق محمد بن سلام عن عبدة، حديث رقم : (٦٠٥)، =

وفي رواية :

سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أكرم الناس؟ قال: (أتقاهم لله، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله)[1].

والحاكم في المستدرك : (٣٧٧/٢) من طريق أبي بكر أحمد بن سليمان عن الحسن بن مكرم عن يزيد بن هارون، حديث رقم : (٣٣٢٥)، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه بهذه السياقة، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة : (١٥٣/٤) حديث رقم : (١٦١٧).

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ ﴾ [يوسف: ٧]، حديث رقم : (٣٣٨٣) مع الفتح : (٦٨٨/٧)، ورواه مسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل يوسف عليه السلام، حديث رقم : (٦١٦١).

المطلب الثاني: بيان البشارة به عليه السلام.

إن لنبي الله إسحاق عليه السلام أمر عجيب في بشارته كما عبّرت به سارة عليها السلام بذلك، وذلك بعد أن رزق الله تعالى إبراهيم عليه الصلاة والسلام إسماعيل من هاجر عليهما السلام، وكان إبراهيم عليه الصلاة والسلام يدعو الله تعالى أن يرزقه بولد من زوجته سارة عليها السلام وإن بلغ منهما الكبر والعجز والعقم، فاستجاب الله تعالى له، وأرسل الله تعالى إليه بعض الملائكة على هيئات رجال ليبشروه بولد من زوجته سارة عليهما السلام، وأخبروه بذهابهم إلى قوم لوط عليه السلام للانتقام منهم.

ولما جاءت الملائكة إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام استقبلهم أحسن استقبال، وأجلسهم في المكان المخصص للضيافة، ثم أسرع لإعداد الطعام لهم، فقد كان إبراهيم عليه السلام رجلا كريما جوادا[1]، وفي لحظات جاء بعجل سمين وقرّبه إليهم، فلم يأكلوا أو يشربوا أي شيء، فخاف إبراهيم عليه السلام منهم وظهر الخوف على وجهه، فطمأنته الملائكة وأخبروه بأنهم ملائكة، وبشروه بغلام عليم، وسارة عليها السلام تتابع الموقف، فأقبلت إليهم وتعجبت من بشارتهم، فكيف تلد وهي امرأة عجوز عقيم، وزوجها رجل كبير، ولكن هذا أمر الله تعالى القادر على كل شيء.

وذكر الله تعالى هذه البشارة في قوله ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [2].

---

(١) كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، فقال رسول الله – صلى الله عليه و سلم – : إن الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم –عليهم الصلاة والسلام، وقد تقدم تخريجه: (٢٩٢).

(٢) سورة هود : (٦٩-٧٣).

وقال الله تعالى ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾[1].

وأشارت سورة العنكبوت إلى هذه الواقعة إشارة سريعة، قال الله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ [2].

وقال الله تعالى بعد أن ذكر قصة الذبيح وما وقع لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام من التسليم والتصديق والصبر لأمر الله تعالى وفداه الله بذبح عظيم، بشره بإسحاق نبيا من الصالحين ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾[3].

قال ابن القيم –رحمه الله– عن قول الله تعالى: ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [4]: "فهذه بشارة من الله تعالى له شكرا على صبره على ما أمر به"[5].

وجاء كذلك هذه البشارة في التوراة.

ففيها: "وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار. فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه، فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض. وقال يا سيد إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك. ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكاءوا تحت الشجرة. فأخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون لأنكم قد مررتم على عبدكم فقالوا: هكذا نفعل كما

---

(١) سورة الحجر : (٥١-٥٦).

(٢) سورة العنكبوت : (٣١).

(٣) سورة الصفات : (١١٢-١١٣).

(٤) سورة الصفات : (١١٢).

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد : (١/ ٧٠).

تكلمت. فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة وقال: اسرعي بثلاث كيلات دقيقا سميذا اعجني واصنعي خبز ملة. ثم ركض إبراهيم إلى البقر وأخذ عجلا رخصا وجيدا وأعطاه للغلام فأسرع ليعمله. ثم زبدا ولبنا والعجل الذي عمله ووضعها قدامهم وإذ كان هو واقفا لديهم تحت الشجرة أكلوا. وقالوا له أين سارة امرأتك، فقال : ها هي في الخيمة. فقال : إني أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة امرأتك ابن وكانت سارة سامعة في باب الخيمة وهو وراءه. وكان إبراهيم وسارة شيخين متقدمين ي الأيام وقد انقطع أن يكون لسارة عادة كالنساء. فضحكت سارة في باطنها قائلة: ابعد فنائي يكون لي تنعم وسيدي قد شاخ. فقال الرب لإبراهيم: لماذا ضحكت سارة قائلة أفبالحقيقة ألد وانا قد شخت؟. هل يستحيل على الرب شيء في الميعاد؟ ارجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة ابن. فأنكرت سارة قائلة : لم أضحك لأنها خافت، فقال: لا، بل ضحكت"[1].

وهذا الخبر الذي لا يزال مسطورا في التوراة خبر صحيح، ولا شك في صحته ووقوعه، كما ذكره القرآن الكريم.

(١) سفر التكوين، الإصحاح الثامن عشر، العدد: ١-١٥

المطلب الثالث: إسحاق عليه السلام شبيه أبيه عليهما السلام.

إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام قد لقي ما لقي من قومه أنواع الأذى، في دينه أو في أسرته أو في عرضه، ومن ذلك ما لقيه من بعض الكنعانيين في ابنه إسحاق عليه السلام، إذ إسحاق عليه السلام بشره الله تعالى لإبراهيم وسارة عليهما السلام في آخر عمرهما، إذ لا يتوقع لهما أن يولد هذا الولد المبارك بسبب ما عندهما من الكبر والعقم، ولكن اقتضت حكمة الله تعالى إذ بشرهما بإسحاق عليه السلام في كبارهما.

وقد أورد ابن قتيبة وابن عساكر –رحمهما الله تعالى– عن هذه القضية، أعني به إيذاء الكنعانيين لإبراهيم وزوجته سارة عليهما السلام، حتى شبه الله تعالى إسحاق عليه السلام بأبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام حتى زال الإشكال، ورفعت التهمة من إبراهيم وزوجته.

قال ابن عساكر –رحمه الله–:

"ولما ولدت سارة لإبراهيم إسحاق –عليهم السلام–، جعل الكنعانيون يقولون: ألا تعجبون لهذا الشيخ ولهذه العجوز، وجدوا صبياً سقيطاً فأخذاه يزعمان أنه ولدهما، وهل تلد مثلها من النساء؟! فكون الله صورة إسحاق على صورة إبراهيم حتى لا يراه أحد إلا قال: والله، إنه لمن الشيخ"(١).

وقال ابن قتيبة –رحمه الله–(٢):

"فصور الله عز وجل إسحاق على صورة إبراهيم، فلم يكن يفصل بينهما فوسم الله إبراهيم بالمشيب"(٣).

---

(١) تاريخ دمشق : (١٨٨/٦٩).

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل المروزي، النحوي اللغوي صاحب كتاب المعارف و أدب الكاتب وغيره، فمولده ببغداد، وقيل بالكوفة، وأقام بالدِّينورِ مدةً قاضياً فنسب إليها، وكانت ولادته سنة ثلاث عشرة ومائتين، وتوفي في منتصف رجب سنة ست وسبعين ومائتين، وكانت وفاته فجأة، صاح صيحة سمعت من بُعد ثم أغمي عليه ومات، وقيل غير ذلك، انظر: سير أعلام النبلاء : (٢٩٦/١٣)، وفيات الأعيان (٣/ ٤٢).

(٣) المعارف لابن قتيبة : (ص:٣١).

وهذا من بركة آل إبراهيم عليهم الصلاة والسلام حيث أن الله تعالى ينصرهم ويعينهم على ما هم عليه، لصدقهم بالله وصبرهم وما لهم من قوة الإيمان بالله عز وجل.

المطلب الرابع: معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم له: " سبقني أخي إسحاق إلى الدعوة".

هذا الأثر أخرجه الحاكم وغيره بإسناده عن ابن شهاب أن عمرو بن أبي سفيان بن أسيد بن جارية أخبره أن كعبا قال لأبي هريرة رضي الله عنه : "ألا أخبرك عن إسحاق بن إبراهيم النبي ؟ قال أبو هريرة رضي الله عنه : بلى، قال كعب : لما رأى إبراهيم أن يذبح إسحاق قال الشيطان : و الله لئن لم أفتن عندها آل إبراهيم لا أفتن أحدا منهم أبدا، فتمثل الشيطان لهم رجلا يعرفونه قال : فأقبل حتى إذا خرج إبراهيم بإسحاق ليذبحه، دخل على سارة امرأة إبراهيم، فقال لها : أين أصبح إبراهيم غاديا بإسحاق ؟

قالت سارة : غدا لبعض حاجته، قال الشيطان: لا والله، ما غدا لذلك، قالت سارة : فلم غدا به ؟ قال: غدا به ليذبحه، قالت سارة: و ليس في ذلك شيء لم يكن ليذبح ابنه، قال الشيطان : بلى والله، قالت سارة: و لم يذبحه ؟ قال : زعم أن ربه أمره بذلك، فقالت سارة: فقد أحسن أن يطيع ربه إن كان أمره بذلك.

فخرج الشيطان من عند سارة حتى إذا أدرك إسحاق، وهو يمشي على أثر أبيه فقال: أين أصبح أبوك غاديا ؟ قال: غدا بي لبعض حاجته، قال الشيطان: لا والله، ما غدا بك لبعض حاجته، ولكنه غدا بك ليذبحك، قال إسحاق: فما كان أبي ليذبحني، قال: بلى، قال: لم ؟ قال : زعم أن الله أمره بذلك، قال إسحاق : فو الله، إن أمره ليطيعنه، فتركه الشيطان.

وأسرع إلى إبراهيم فقال: أين أصبحت غاديا بابنك ؟ قال : غدوت لبعض حاجتي، قال: لا و الله، ما غدوت به إلا لتذبحه، قال : و لم أذبحه ؟ قال : زعمت أن الله أمرك بذلك، قال : فو الله لئن كان الله أمرني لأفعلن.

قال : فلما أخذ إبراهيم إسحاق ليذبحه وسلم إسحاق، عافاه الله و فداه بذبح عظيم، قال إبراهيم لإسحاق : قم يا بني! فإن الله قد أعفاك، وأوحى الله إلى إسحاق أني

أعطيتك دعوة أستجيب لك فيها، قال إسحاق : فإني أدعوك أن تستجيب لي أيما عبد لقيك من الأولين و الآخرين لا يشرك بك شيئا فأدخله الجنة"[١].

وعند السيوطي في تفسيره :

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه : أتاه جبريل –عليه السلام– فقال له: يا إسحاق، إنه لم يصبر أحد من الأولين

والآخرين مثل ما صبرت، وإن لك عند الله دعوة مستجابة، ادع بها!

فقال: اللهم أيما عبد لك من الأولين والآخرين يشهد أن لا إله إلا الله، فاغفر له، سبقني أخي إسحاق عليه السلام إلى الدعوة[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله خيرني بين أن يغفر لنصف أمتي، وبين أن أختبئ شفاعتي، فاختبأت شفاعتي، ورجوت أن تكفر الجم لأمتي، ولولا الذي سبقني إليه العبد الصالح لتعجلت فيها دعوتي، إن الله لما فرج عن إسحاق كرب الذبح قيل له: يا إسحاق، سل تعطه، فقال: أما والذي نفسي بيده لأتعجلنها قبل نزغات الشيطان، اللهم من مات لا يشرك بك شيئا فاغفر له وأدخله الجنة)[٣].

وهذا الأثر دليل على من ذهب بأن الذبيح هو إسحاق عليه السلام (وإن كان بخلاف ما يترجح عندنا من مسألة الذبيح) إلا أن الشاهد هو ما فيه من دعوة إسحاق عليه السلام بدخول الجنة من الأولين والآخرين لمن لا يشرك بالله تعالى شيئا، وهو ما قد أثبته النبي صلى الله عليه وسلم في كثير من أقواله، من ذلك :

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم : (٢/ ٦٠٨)، قال الحاكم : سياقة هذا الحديث من كلام كعب بن مانع الأحبار و لو ظهر فيه سند لحكمت بالصحة على شرط الشيخين فإن هذا إسناد صحيح لا غبار عليه، وانظر: جامع البيان للطبري : (٢١/ ٨١)، و الدر المنثور للسيوطي : (١٢/ ٤٣٩)، و تفسير القرآن العظيم: (٧/ ٢٩).

(٢) الدر المنثور: (١٢/ ٤٥٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم : (٧/ ٣٠)، وقال : هذا حديث غريب منكر، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف الحديث، وأخشى أن يكون في الحديث زيادة مدرجة، وهي قوله: "إن الله تعالى لما فرج عن إسحاق" إلى آخره، والله أعلم

ما ثبت من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: يا نبي الله جعلني الله فداءك، من تكلم في جانب الحرة؟ ما سمعت أحدا يرجع إليك شيئا، قال -صلى الله عليه وسلم-: (ذلك جبريل عليه السلام، عرض لي في جانب الحرة، قال: بشر أمتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة. قلت: يا جبريل، وإن سرق وإن زنى؟ قال نعم ، قال: قلت وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم، وإن شرب الخمر)[١].

وعند مسلم عن ابن نمير قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من مات يشرك بالله شيئا دخل النار، وقلت أنا: ومن مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة)[٢].

فهذا من حق العباد على الله الذي أوجبه الله لنفسه أن لا يعذب من لا يشرك بالله شيئا، وأن يدخله الجنة، فهو من استحقاق إنعام وفضل من الله تعالى للعبد، لأن الله تعالى هو الذي كتب على نفسه الرحمة، كما قال سبحانه: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[٣]، ولم يوجبه عليه سبحانه مخلوق، لا كما زعمه الفرق المنحرفون من المعتزلة والقدرية[٤]، لأن المعتزلة يدعون أنه واجب عليه بالقياس على الخلق، وأن العباد هم

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق، باب المكثرون هم المقلون، حديث رقم : (٦٤٤٣) مع الفتح : (١٤/٥٤٠).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات مشركا دخل النار، حديث رقم : (٢٦٨).

(٣) سورة الأنعام : (١٢) و (٥٤).

(٤) القدرية هي نسبة إلى القدر، وهم الذين قالوا إن الأمر أنف، حدثت في آخر أيام الصحابة هذه البدعة من معبد الجهني البصري وغيلان الدمشقي ويونس الأسواري في القول بالقدر، وإنكار إضافة الخير والشر إلى القدر ونسج على منوالهم واصل بن عطاء الغزال وعمرو بن عبيد وزاد عليه في مسائل القدر، وتبرأ منهم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ومن مقولتهم، كما في صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول في حقه، حديث رقم : (٩٣)، وانظر: الملل والنحل للشهرستاني : (١/ ٢٠).

الذين أطاعوه بدون أن يجعلهم مطيعين له، وأنهم يستحقون الجزاء بدون أن يكون هو الموجب، وهم قد غلطوا في ذلك، ذكره ابن تيمية –رحمه الله–[1].

وقول النبي صلى الله عليه وسلم هو دعاءه لأمته عليه الصلاة والسلام بأن يدخل الجنة من لا يشرك بالله شيئا، وإن سبق له بعض العذاب عل معصيته، وقد دعا به غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مثل ما دعا به إسحاق عليه السلام.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : (١/٢١٣-٢١٩).

المبحث الثالث: بقية أبنائه عليه السلام.

المطلب الأول: ذكر أبنائه الذين أوصاهم إبراهيم عليه السلام.

وقد ذكر العلماء رحمهم الله أن لإبراهيم عليه الصلاة والسلام أولادا سوى إسماعيل وإسحاق عليهما السلام، وذلك لما توفيت زوجته سارة عليه السلام تزوج بعدها بامرأة الكنعانيين اسمها قطورا ابنة يقطن، وولدت من هذه الزوجة ستة أولاد، وهم:

يقسان بن إبراهيم، وزمران بن إبراهيم، ومديان بن إبراهيم، ويسبق بن إبراهيم، وسوح بن إبراهيم، وبسر بن إبراهيم ، واختلف في هذه الأسماء.

قال ابن كثير –رحمه الله–:

زمران، ويقشان، ومادان، ومدين، وشياق، وشوح[1]

وقال المسعودي –رحمه الله–:

مرق، ونفس، ومدن، ومد ين، وسنان، وسرح[2].

وقيل: تزوج بعد قطورا امرأة اخرى اسمها حجون ابنة اهير، وقيل حجورا [3] ويكون أولاده غير ذلك، فولدت لحجون خمسة بنين، وهم : كيسان وشورخ وأميم ولوطان ونافس[4]، فالبربر من ولد نفشان، وأهل مدين قوم شعيب من ولد مديان[5]، فيكون أولاد إبراهيم عليه الصلاة والسلام ثلاثة عشر شخصا، ولا يمنع أن يكون هؤلاء كانوا من أولاد إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذين وصاهم بالإسلام، لأن القرآن قد ذكر وصية إبراهيم عليه الصلاة والسلام لبنيه، ولم يستثن منهم أحدا، فتشمل تلك الوصية للجميع، والله أعلم.

وقال مقاتل في قول الله تعالى ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ ﴾[6].

أي بنيه الأربعة، وهم : إسماعيل وإسحاق ومدين ومداين عليهم السلام

---

(١) قصص الأنبياء : (١/ ٢٥٠).

(٢) مروج الذهب : (١/٤٦).

(٣) المعارف لابن قتيبة : (ص: ٣٣).

(٤) تاريخ الرسل والملوك : (١/٣١١).

(٥) تاريخ الرسل والملوك (١/ ٣٠٩).

(٦) سورة البقرة : (١٣٢).

أما الوصية التي وصاهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام هي الإسلام بمعنى العام، كما سيأتي بيانه.

المطلب الثاني : وصيته لأبنائه بالتوحيد.

إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام قبل أن يوصي بنيه قد أعلن إسلامه لرب العالمين، كما قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1]، وقد أحب أن يكون أبناءه على نفس الطريق سائرين عليه، ثم وصى بنيه، واستمرت الوصية تنتقل فيهم حتى وصى بها يعقوب حفيد إبراهيم عليهما السلام بنيه كذلك، وهذا هو الميراث النافع والتراث الباقي الذي أمرنا الله تعالى أن نقتدي بهؤلاء، قال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾[2].

ثم ذكر الله تعالى وصية إبراهيم عليه الصلاة والسلام لبنيه ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[3].

ومن وصية إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأبنائه ألا وهو الإسلام، فإنه دين جميع أنبياء الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام، وأتباعهم من أولهم إلى آخرهم وأنه لم يكن لله قط ولا يكون له دين سواه، قال تعالى ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾[4]، وقال تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[5].

.[5]

ثم ذكر الله سبحانه وتعالى حكاية عن أول الرسل نوح عليه السلام ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[6].

---

(١) سورة البقرة : (١٣١).

(٢) سورة الأنعام : (٩٠).

(٣) سورة البقرة : (١٣٢-١٣٣).

(٤) سورة آل عمران : (١٩).

(٥) سورة آل عمران : (٨٥).

(٦) سورة يونس : (٧٢).

وقول إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1].

وقول يعقوب عليه السلام لبنيه عند حضرته الموت ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[2].

وقول موسى عليه الصلاة والسلام لقومه ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾[3].

وقال الله تعالى عن يوسف عليه السلام ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[4].

وقال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾[5].

وقال الله تعالى عن السحرة الذين آمنوا بموسى عليه السلام ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾[6].

وقال الله تعالى عن قصة سليمان عليه السلام ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُواْ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾[7]، وقال: ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ

---

(١) سورة البقرة : (١٢٨).

(٢) سورة البقرة : (١٣٣).

(٣) سورة يونس : (٨٤).

(٤) سورة يوسف : (١٠١).

(٥) سورة يونس : (٨٤).

(٦) سورة الأعراف : (١٢٦).

(٧) سورة النمل : (٣٠-٣١).

أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾[(١)]، وقال: ﴿ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾[(٢)].

وقال تعالى حكاية عن ملكة سبأ التي آمنت بسليمان عليه السلام: ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[(٣)].

وقال الله تعالى عن أنبياء بني إسرائيل: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ ﴾[(٤)].

وقال تعالى عن عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[(٥)].

وقال الله تعالى عن الحواريين أتباع عيسى عليه السلام: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾[(٦)].

وقول الله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[(٧)].

[(٧)].

فدين الإسلام هو دين الله تعالى الذي اصطفاه الله تعالى لعباده، وهو أعلم به من عباده بنفسه، وسماهم بذلك، قال تعالى: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن

---

(١) سورة النمل : (٣٨).

(٢) سورة النمل : (٤٢).

(٣) سورة النمل : (٤٤).

(٤) سورة المائدة : (٤٤).

(٥) سورة آل عمران : (٥٢).

(٦) سورة المائدة : (١١١).

(٧) سورة الأنعام : (١٦١-١٦٣).

قَبْلُ وَفِي هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [1]، ولا يقبل الله دينا سواه، لا من المتقدمين ولا من المتأخرين.

وقال الله تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلاً ﴾ [2].

وقال تعالى ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [3].

قال ابن القيم —رحمه الله– :

"فالإسلام دين أهل السموات ودين أهل التوحيد من أهل الأرض لا يقبل الله من أحد دينا سواه فأديان أهل الأرض ستة واحد للرحمن وخمسة للشيطان فدين الرحمن هو الإسلام والتي للشيطان اليهودية والنصرانية والمجوسية والصابئة ودين المشركين"[4][5].

والإسلام يشتمل على التوحيد ولأن الدين الذي هو نفس الإسلام عند الله هو شهادة أن لا إله إلا الله والقيام بحقها

ويتضمن وصية أبراهيم عليه السلام لبنيه أمران:

١-الاستسلام والانقياد، فلا يكون متكبرا، كما حصل لأمة اليهود، فإنه يغلب عليهم الكبر ويقل فيهم الشرك، وهؤلاء الذين غضب الله عليهم، وهذا هو الإسلام.

---

(١) سورة الحج : (٧٨).

(٢) سورة النساء : (١٢٥).

(٣) سورة البقرة : (١١١-١١٢).

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٤٧٦)

(٥) أشار إلى قول الله تعالى في سورة الحج : (١٧)، قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

٢-الإخلاص، فلا يكون مشركا، كما حصل لأمة النصارى، فإنه يغلب عليهم الشرك ويقل فيهم الكبر، وهؤلاء الضالون[١]، وهذا هو التوحيد.

والله أعلم.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية : (٦٢٤/٧)، و(١٧٤/٢٨)، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (فإن اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون، أخرجه الطيالسي في مسنده : (٣٧١/٢).

الباب الثالث

قرابة موسى عليه السلام

وفيه تمهيد وأربعة فصول:

تمهيد

لمحة عن نبوة ورسالة موسى عليه السلام.

موسى عليه السلام كان رسولا نبيا كما نطق به القرآن والسنة، قال الله تعالى: ﴿ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِي وَبِكَلَـٰمِي ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلۡطَـٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَـٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥١﴾ وَنَـٰدَيۡنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَـٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَـٰرُونَ نَبِيّٗا ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَـٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَـٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ﴾[6].

وجاء من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم... فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى، فقال له ورقة: "هذا الناموس الذي نزل الله على موسى"[7].

وفيه دلالة على تحقيق الرسالة لموسى عليه السلام حيث نزل الناموس وهو جبريل عليه السلام عليه بوحي النبوة والرسالة.

---

(١) سورة الأعراف : (١٤٤).

(٢) سورة هود : (٩٦-٩٧).

(٣) سورة مريم : (٥١-٥٣).

(٤) سورة الزخرف : (٤٦).

(٥) سورة الصف : (٥).

(٦) سورة المزمل : (١٥).

(٧) سيأتي تخريجه: (ص:٥٢٤).

وهو عليه السلام أشهر رسل بني إسرائيل وأعظمهم، وشريعته هي الأهم والأعم والأشمل من باقي الشرائع التي أتى بها أنبياء بني إسرائيل الآخرون، وكان يدعو على دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام، أنزل الله تعالى على موسى عليه السلام التوراة لهداية بني إسرائيل ولإخراجهم من الظلمات إلى النور، ومن الجهل والكفر إلى نور الإيمان بالله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (1)، وقال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴾ (2)، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (3)، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴾ (4).

ثم إن الله تعالى أيده بالآيات والمعجزات الظاهرة وأمده بأخيه هارون عليهما السلام، ومن تلك الآيات والمعجزات التي أيده الله موسى عليه السلام به :

- العصا التي تحولت إلى حية عظيمة هائجة لمواجهة فرعون وملائه، قال الله تعالى: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ (5)، وقال تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾ (6)، وقال تعالى: ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ (7).

(1) سورة البقرة : (٥٣).

(2) سورة الإسراء : (٢).

(3) سورة المؤمنون : (٤٩).

(4) سورة الفرقان : (٣٥-٣٦).

(5) سورة الأعراف : (١٠٧).

(6) سورة طه : (١٧-٢١).

(7) سورة الشعراء : (٤٥).

- اليد البيضاء التي خرجت من جيبه، قال الله تعالى: ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴾[2].
- معجزة الرجز مع أنواعها من رجز السنين، وهي سنوات القحط، ورجز نقص الثمرات ورجز الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَـٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٍ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمًا مُّجۡرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴾[3].
- انفلاق البحر، ونجى الله تعالى موسى وقومه من فرعون وجنوده، قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴾[4].

---

(١) سورة الأعراف : (١٠٨).

(٢) سورة طه : (٢٢).

(٣) سورة الأعراف : (١٣٠-١٣٥).

(٤) سورة الشعراء : (٦١-٦٦).

وجعل لموسى وأخيه هارون عليهما السلام من البيوت قبلة يؤدون الصلاة فيها، ثم أمر الله تعالى موسى وأخاه هارون عليهما السلام بتبليغ الرسالة، وأن يذهبا إلى فرعون بالذات، لأنه هو الذي طغى وسعى في الأرض فسادا، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَـٰرُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَـٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴾ [1]، وقال تعالى ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ [2]، وقال تعالى: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَاْ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴾ [3]، وأوصاهما الله تعالى أن يتلطفا له بالقول، لعل ذلك يلين من طبيعته الطاغية، ويصلا إلى قلبه بحسن الكلام فيخشى الله تعالى، قال تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [4].

وأمر الله تعالى موسى وأخاه أن يقولا لفرعون إنهما رسولان من عند الله، وأنه عبد من عبيده، وليس إلها كما يدعي، فلا يحق له أن يأسر بني إسرائيل ويسلب حريتهم، فقد ذكر الله تعالى ادعاء فرعون الألوهية لنفسه بقوله: ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ [5]، وقال تعالى: ﴿ فَقَالَ أَنَاْ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [6]، وكيف كان فرعون عذّب بني إسرائيل واستعبدهم، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم

(١) سورة المؤمنون : (٤٥-٤٨).

(٢) سورة طه : (٤٢-٤٣).

(٣) سورة النازعات : (١٧-٢٦).

(٤) سورة طه : (٤٤).

(٥) سورة الزخرف : (٥١-٥٢).

(٦) سورة النازعات : (٢٤).

مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ﴾[3].

وقد مكن الله تعالى لموسى وأخيه هارون عليهما السلام في مواجهة فرعون الطاغية، وآمنت معهما سحرة فرعون، قال تعالى ﴿ وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾[4].

قال ابن عباس وعبيد بن عمير وقتادة، وابن جريج: "كانوا في أول النهار سحرة، وفي آخره شهدا"[5].

فعاقبهم فرعون بقطع الأرجل والأيدى على خلاف، وصلبهم، وهو أول من فعل هذا، كما قله ابن عباس رضي الله عنهما[6].

---

(١) سورة الأعراف : (١٠٣-١٠٥).

(٢) سورة طه : (٤٧-٤٨).

(٣) سورة القصص : (٣-٦).

(٤) سورة الأعراف : (١٢٠-١٢٢).

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : (٣/ ٤٥٩).

(٦) المصدر نفسه.

وأخذ موسى قومه للخروج من أرض مصر، فلحقهم فرعون وكل جنوده لأمر أراده الله تعالى، وذلك لما انتهى موسى وقومه إلى ساحل البحر، فأوحى الله لموسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق، فكان كل فرق كالطود العظيم، حتى جازت بنو إسرائيل البحر، فلما خرج آخرهم منه، انتهى فرعون وجنوده إلى حافته من الناحية الأخرى فلحق بموسى، فلما استوسقوا فيه وتكاملوا، وهم أولهم بالخروج منه، أمر الله القدير البحر أن يرتطم عليهم، فارتطم عليهم، فلم ينج منهم أحد، وجعلت الأمواج ترفعهم وتخفضهم، وتراكمت الأمواج فوق فرعون، وغشيته سكرات الموت حتى أهلك الله تعالى فرعون وجنوده وأغرقهم في البحر، ولما رأى الهلاك لا محالة، حينها آمنت برب هارون وموسى عليهما السلام، ويندم يوم لا ينفع الندم، وقد حصل مشاهدة الموت، فلا ينفع الإيمان، قال تعالى: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾[1].

فهذه هي نهاية عدو الله فرعون الطاغية الذين يتكبرون ويسعون في الأرض فسادا، وأخلد الله تعالى ذكره وجسده لبني إسرائيل ومن جاء بعدهم إلى يومنا هذا عظة وموعظة[2].

---

(١) سورة يونس : (٩٠-٩٢).

(٢) انظر: هذه القصة في تفسير ابن كثير : (٢٩٢/٤).

الفصل الأول

والدا موسى عليه السلام

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول : اسمهما ونسبهما ونشأتهما.

المبحث الثاني : أمر الله تعالى أم موسى بإلقائه في اليم واستجابتها لأمر الله.

المبحث الثالث : تثبيت قلب أم موسى عليه السلام على إثر فراق ولدها.

المبحث الرابع : توكل أم موسى على الله عز وجل

المبحث الخامس : نوع الوحي في قول الله تعالى ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى** ﴾ (**القصص :٧**).

المبحث السادس : أم موسى عليه السلام في التوراة المحرفة .

المبحث الأول: اسمهما ونسبهما ونشأتهما.

لم يذكر الله تعالى في القرآن اسم والد موسى عليه السلام، ولكن جاء ذكره في السنة النبوية من حديث عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مررت ليلة أسري بي على موسى بن عمران عليه السلام...الحديث) [1]، فذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن اسم والد موسى عليه السلام هو عمران.

ثم ذكر أهل العلم نسب عمران هذا، قال ابن كثير –رحمه الله– أنه: "عمران بن قاهث بن عازر بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام"[2].

وقال ابن الأثير –رحمه الله– أنه: "عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم –عليهم الصلاة والسلام–، وولد لاوي ليعقوب وهو ابن تسع وثمانين سنة، وولد قاهث للاوي وهو ابن ست وأربعين سنة، وولد لقاهث يصهر، وولد عمران ليصهر وله ستون سنة، وكان عمره جميعه مائة وسبعاً وأربعين سنة وولد موسى ولعمران سبعون سنة وكان عمر عمران جميعه مائة وسبعاً وثلاثين سنة[3].

وأما أم موسى عليها السلام كذلك لم يأت اسمها في القرآن، ولكنها ذكرت في القرآن باسم "أم موسى" في موضعين، قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ [4]، وقال تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴾ [5].

وذكرت في القرآن بلفظ "أمك" في موضعين، قال تعالى: ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴾ [1]، وقال: ﴿ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ [2]، والمخاطب موسى عليه السلام.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السموات، وفرض الصلوات، حديث رقم : (٤١٩)، ص: (١٣١).

(٢) قصص الأنبياء :(٢/ ٣)، وانظر: تاريخ ابن خلدون : (٢/ ٨١).

(٣) الكامل في التاريخ (١/١٥٠)، وانظر: تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر : (١٥/٦١).

(٤) سورة القصص : (٧).

(٥) سورة القصص : (١٠).

وتارة بلفظ "أمه" في موضع واحد، قال الله تعالى: ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾[3]، والضمير يعود إلى موسى عليه السلام.

وجاء في القرآن بذكر "ابن أم" أي : ابن أمي في موضعين، قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ﴾[5]، والمتكلم هو هارون أخو موسى عليهما السلام، وأمهما واحد، وإنما قال هارون عليه السلام بذلك ليكون أرق وأنجع عند أخيه، وإلا فهو شقيقه لأبيه وأمه.

وكل هذه الآيات المراد فيها أم موسى عليه السلام، ولم يذكر اسمها صراحة، إلا أن أهل العلم ذكروا أقوالا في اسمها :

- فمنهم من قال: إن اسمها يوخابد، أو يوخانذ بنت لاوي عمة عمران.
- ومنهم من قال : إن اسمها باختة.
- ومنهم من قال : إن اسمها يحيب ابنة شمويل بن بركيا بن يقسان بن إبراهيم عليه الصلاة والسلام[6].
- ومنهم من قال : إن اسمها يوكابد[7].
- ومنهم من قال : إن اسمها يحانذ، قاله ابن جريج[1].

---

(١) سورة طه : (٣٨).

(٢) سورة طه : (٤٠).

(٣) سورة القصص : (١٣).

(٤) سورة الأعراف : (١٥٠).

(٥) سورة طه : (٩٤).

(٦) انظر: تاريخ الرسل والملوك : (١/ ٣٨٥-٣٨٦)، و تاريخ ابن خلدون : (٢/ ٨١).

(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سلمان : (٢/٤٨٩)، والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم : (١/١٢٩)، لوامع الأنوار البهية للسفاريني : (٢/ ٢٦٦)، وهذا الذي ذكرته التوراة في سفر الخروج، الإصحاح السادس، العدد : ٢٠ : و أخذ عمرام يوكابد عمته زوجة له فولدت له هرون و موسى، وكذا في سفر الخروج ، الإصحاح السادس والعشرون، العدد : ٥٩ : و اسم امراة عمرام يوكابد بنت لاوي التي ولدت للاوي في مصر فولدت لعمرام هرون و موسى و مريم اختهما.

- وقال السهيلي : إن اسم أم موسى عليها السلام " أيارخا "، أو " أياذخت "[2].

وغير ذلك من الأقوال.

ونشأ والدا موسى عليه السلام في زمن فرعون الطاغية الذي لم يكن يعرف أمر يوسف عليه السلام، حيث غدر ببني إسرائيل وأساء معاملتهم وجعلهم عبيدا، وذلك بعد زوال سندهم لدى فرعون بعد وفاة يوسف عليه السلام وزوال المصلحة والمنفعة التي تأتي من علم يوسف عليه السلام وحكمته في الإدارة والاقتصاد وغيره من أمور الدولة، وقد حكى الله تعالى أحوال بني إسرائيل آنذاك في كتابه العزيز ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾[5]، ففي هذه الفترة القاسية المظلمة لدى بني إسرائيل نشأ والدا موسى عليه السلام.

وقد ذكر التوراة هذه النشأة القاسية :

"فاستعبد المصريون بني إسرائيل بعنف. ومرروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللبن وفي كل عمل في الحقل، كل عملهم الذي عملوه بواسطتهم عنفا"[6].

---

(١) الدر المنثور للسيوطي : (١١/ ٤٣٣)، وانظر: تاريخ ابن خلدون : (٢/ ٨١).

(٢) انظر: قصص الأنبياء لابن كثير : (٢/٧).

(٣) سورة القصص : (٤).

(٤) سورة البقرة : (٤٩).

(٥) سورة الدخان : (٣٠).

(٦) سفر الخروج، الإصحاح الأول، العدد : ١٤-١٥.

المبحث الثاني: أمر الله تعالى أم موسى بإلقائه في اليم واستجابتها لأمر الله.

ولد نبي الله موسى عليه السلام زمن فرعون الطاغية الذي عُذّب فيه بنو إسرائيل ذكورا وإناثا، ويتعالى الفراعنة عليهم بقتل كل مولود الذكر، واستحياء الإناث، ولشدة هذه المحنة لبني إسرائيل، وعظم طغيان فرعون وظلمه لقد وصفه ابن كثير –رحمه الله- بقوله :

"يا أيهذا الملك الجبار، المغرور بكثرة جنوده وسلطة بأسه واتساع سلطانه، قد حكم العظيم الذي لا يغالب ولا يمانع، ولا تخالف أقداره، إن هذا المولود الذي تحترز منه، وقد قتلت بسببه من النفوس ما لا يعد ولا يحصى، لا يكون مرباه إلا في دارك وعلى فراشك، ولا يغذى إلا بطعامك وشرابك في منزلك، وأنت الذي تتبناه وتربية وتتفداه، ولا تطلع على سر معناه، ثم يكون هلاكك في دنياك وأخراك على يديه، لمخالفتك ما جاءك به من الحق المبين، وتكذيبك ما أوحى إليه، لتعلم أنت وسائر الخلق، أن رب السموات والارض هو الفعال لما يريد، وأنه هو القوي الشديد، ذو البأس العظيم، والحول والقوة، والمشيئة التي لا مرد لها" [(١)].

فقتل زمن فرعون كل مولود ذكر بسبب الرؤيا التي رأها فرعون، وذلك أنه رأى في منامه أن نارا أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر، فأحرقت القبط وتركت بني إسرائيل، وأخربت بيوت مصر، فدعا السحرة والكهنة والعافة والقافة والحازة، فسألهم عن رؤياه فقالوا له: يخرج من هذا البلد الذي جاء بنو إسرائيل منه –يعنون بيت المقدس- رجل يكون على وجهه هلاك مصر، فمن وقتئذ أمر ببني إسرائيل أن لا يولد لهم غلام إلا ذبحوه، فجعل لا يولد لبني إسرائيل مولود إلا ذبح، فلا يكبر الصغير، وقذف الله في مشيخة بني إسرائيل الموت، فأسرع فيهم، فدخل رءوس القبط على فرعون، فكلموه، فقالوا: إن هؤلاء قد وقع فيهم الموت، فيوشك أن يقع العمل على غلماننا! بذبح أبنائهم، فلا تبلغ الصغار وتفنى الكبار! فلو أنك كنت تبقي من أولادهم! فأمر أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة، فلما كان في السنة التي لا يذبحون فيها ولد

---

(١) قصص الأنبياء : (٢/ ٦).

هارون عليه السلام، فترك; فلما كان في السنة التي يذبحون فيها حملت بموسى عليه السلام[1].

وأما أم موسى عليه السلام احترزت من أول ما حبلت بموسى عليه السلام، ولم يكن يظهر عليهم مخايل الحبل، فلما وضعت موسى عليه السلام ألهمها الله أن تلقيه في التابوت، ثم تلقي التابوت في اليم وهو النهر، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ﴾[2]، وقال تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[3].

وهذا النص القرآني يبين لنا بوضوح أن ام موسى عليهما السلام هي التي وضعت ابنها في التابوت بعد إلهام من الله تعالى، فألقته فيه، ثم ألقته في النهر، فأمر الله النهر أن يلقيه في حديقة فرعون، فأخذه أعوان فرعون إلى الملكة زوجة فرعون.

إلا أن التوراة تقول بخلاف ذلك، حيث قالت أن أخته التي وضعته في الحلفاء، وأن التي أخذته بعد إرساله في اليم هي ابنة فرعون، وليس زوجة فرعون أو أعوانه[4]، والله تعالى أعلم.

وأما أم موسى عليها السلام فقد استودعت ابنها لله تبارك وتعالى لما لها من الثقة بالله تعالى موقنة أن الله تعالى هو الذي سيتولى أمر ابنها، ولن يضيعه، ولأن الله لا تضيع ودائعه في السموات ولا في الأرض، وأن الله سيرده إليها، ووعد الله حق وهو أحكم الحاكمين.

---

(١) انظر: هذا الكلام في جامع البيان للطبري : (٢/ ٤٤) ، وقصص الأنبياء : (٢/ ٧).

(٢) سورة طه : (٣٧-٣٩).

(٣) سورة القصص : (٧).

(٤) انظر: سفر الخروج، الإصحاح الثاني، العدد : ٢-٧.

المبحث الثالث: تثبيت قلب أم موسى عليه السلام على إثر فراق ولدها.

إن أم موسى عليهما السلام بعد أن قذفت ابنها في التابوت، وقذفته في اليم ممتثلة لأمر ربها اللطيف الخبير، موقنة بوعده لها بحفظه ونجاته من الهلاك، بلغها الخبر أن آل فرعون التقطوا ابنها، فطار عقلها وأصبح فؤادها خاليا من ذكر كل شيء في الدنيا إلا ابنها موسى عليهما السلام، قال الله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١).

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِغًا ﴾: "فارغا من كل شيء غير ذكر موسى عليه السلام" (٢).

وهذا كثيرا ما يعرض لمن أصابه أمر من الأمور؛ إما حب وإما خوف وإما رجاء، يبقى قلبه منصرفا عن كل شيء إلا عما قد أحبه أو خافه أو طلبه بحيث يكون عند استغراقه في ذلك لا يشعر بغيره، ولا يكون معنى هذا أن أم موسى عليها السلام لم تثق بوعد الله برد ابنها لها، ولكن لشدة الموقف الذي حل بها ولحبها لابنها، وأن ذلك الخوف من لوازم البشرية كما أن موسى عليه السلام كان يخاف فرعون مع أن اللَّه تعالى كان يأمره بالذهاب إليه مرارا، وأن الله معه.

ومن الممكن أن تبدي وتصرح أم موسى عليها السلام علنا بأمر ابنها بسبب ما لديها من مشقة التحمل بفراق ولدها إلا أن الله تعالى أيدها وثبتها وقوى قلبها لتكون من المؤمنين المصدقين الموقنين بوعد الله تعالى لها.

ثم إن العلماء –رحمهم الله – ذكروا عدة معاني لكون قلب أم موسى فارغا في الآية، منها:

أولها: أنه فارغ من كل هم إلا من هم موسى عليه السلام، قاله الحسن –رحمه الله–.

ثانيها: أنه فراغ الفؤاد وهو الخوف والإشفاق، كقوله: ﴿ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾ (١)، قاله أبو مسلم.

---

(١) سورة القصص : (١٠).

(٢) المستدرك للحاكم : (٢/ ٤٤١)، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، و حسان هو ابن عباد قد احتجا جميعا به.

ثالثها: فارِغاً صفرا من العقل، والمعنى: أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدهش، قاله صاحب الكشاف"[٢].

رابعها: فارغا من الوحي الذي أوحينا إليها أن ألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك، فجاءها الشيطان فقال لها: كرهت أن يقتل فرعون ولدك فيكون لك أجر فتوليت إهلاكه ، ولما أتاها خبر موسى عليه السلام أنه وقع في يد فرعون فأنساها عظم البلاء ما كان من عهد الله إليها، كما قاله الحسن ومحمد بن إسحاق.

خامسها: فارغا من الحزن لعلمها بأنه لا يقتل اعتمادا على تكفل الله بمصلحته، قاله أبو عبيدة[٣].

---

(١) سورة إبراهيم : (٤٣).

(٢) تفسير الكشاف : (٣/ ٣٩٥).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب للرازي : (٢٤/ ٥٨١).

المبحث الرابع: توكل أم موسى على الله عز وجل.

كانت أم موسى عليها السلام نموذجا للأم الصابرة المؤمنة الثابتة المتوكلة الطائعة لأمر الله تعالى، وذلك لما أوحى الله عز وجل إلى أم موسى عليهما السلام، وقذف في قلبها أن تتخذ له تابوتا ثم تقذف التابوت في النيل، فامتثلت لأمر ربها، فذهبت إلى نجار من أهل مصر فاشترت منه تابوتا، وانطلقت وألقته في النيل، ثم أقبل النيل بتابوت تضربه الأمواج حتى وصل إلى أعوان فرعون، فأعطوه آسية بنت مزاحم وفتحته، فإذا هي بصبي صغير في المهد، وإذا نور بين عينيه فألقى اللَّه محبته في قلوب القوم، وذلك قول الله تعالى: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾[1]، وإن فرعون هم بقتله حين حذره بعض الغواة من قومه، فاستوهبته امرأة فرعون آسية وتبنته فترك قتله.

ثم واجهت امرأة فرعون مشكلة، فالطفل لا يقبل أي ثدي جاءه، وكان ذلك عن قضاء الله وقدره تعالى: ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ ﴾[2]، فأخذوا يبحثون له عن مرضعة خارج القصر، عند ذلك أمكن لأخته أن تتدخل، وتعرض على الباحثين أمه لترضعه وتكفله ﴿ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾[3]، وتحقق وعد الله لأم موسى عليها السلام، فقد أعاد الله موسى لحضن أمه فقرت عينها وذهبت حزنها وعلمت أن وعد الله حق ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾[5].

ونتج من هذه التصرفات اللإلهية حكم كثيرة، حيث أن موسى عليه السلام لم يتطرق إليها خوف قتل مولودها، لأنه يعيش تحت رعاية امرأة فرعون، وكانت أمه عليها

---

(١) سورة طه : (٣٩).

(٢) سورة القصص : (١٢).

(٣) سورة القصص : (١٢).

(٤) سورة القصص : (١٣).

(٥) سورة طه : (٤٠).

السلام ترضعه بأمان وطمأنينة وراحة بال مع أجرة الرضاعة من قبل امرأة فرعون، وقد مثّل النبي صلى الله عليه وسلم أمر أم موسى عليهما السلام بمن يغزو في سبيل الله ويأخذ معه الجعل يتقوون به، حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم من حديث عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه: (مثل الذين يغزون من أمتي ويأخذون الجعل يتقوون على عدوهم مثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها)[1].

وهذه منة من الله تعالى حيث جعل أم موسى عليها السلام امرأة متوكلة بتثبيت قلبها كي تتحمل مسئولية كبيرة تجاه فرعون ومن معه الذين يريدون قتل كل مولود ذكور من بني إسرائيل.

وذكر التوراة أن أخت موسى انطلقت إلى بنت فرعون وعرضت عليها أن تأتيها بامرأة ترضعه وتقوم عليه، كما جاء فيها : "ووقفت أخته من بعيد لتعرف ماذا يفعل به. فنزلت ابنة فرعون إلى النهر لتغتسل وكانت جواريها ماشيات على جانب النهر، فرات السفط بين الحلفاء فأرسلت أمتها وأخذته. ولما فتحته رأت الولد وإذا هو صبي يبكي، فرقت له وقالت هذا من أولاد العبرانيين. فقالت أخته لابنة فرعون هل أذهب وأدعو لك امرأة مرضعة من العبرانيات لترضع لك الولد. فقالت لها ابنة فرعون اذهبي، فذهب الفتاة ودعت أم الولد. فقالت لها ابنة فرعون اذهبي بهذا الولد وارضعيه لي وانا أعطي أجرتك، فأخذت المرأة الولد وأرضعته"[2].

ولو كان هذا صحيحا لآثار الشك عند آل فرعون، والذي ذكره القرآن وهو غير موجود في التوراة من أن أمه أمرت ابنتها بمتابعة خبره، فذهبت تتقصى خبره، وأظهرت نفسها غير عابئة به حتى لا تثير الشكوك حولها، وسيأتي بيان جهود أخت موسى عليهما السلام في مبحث مستقل.

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي : (٩/ ٢٧)، باب ما جاء في كراهية أخذ الجعائل وما جاء في الرخصة فيه من السلطان، حديث رقم : (١٨٢٩٦).

(٢) سفر الخروج، الإصحاح الثاني، العدد: ٥-١٠.

المبحث الخامس : نوع الوحي في قول الله تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ ﴾[1].

معنى الوحي :

الوحي في اللغة هو : الإعلام السريع الخفي.

قال ابن فارس –رحمه الله تعالى-:

الواو والحاء والحرف المعتلّ: أصلٌ يدلُّ على إلقاء عِلْمٍ في إخفاء أو غيره إلى غيرك، فالوَحْيُ: الإشارة، والوَحْي: الكتابُ والرِّسالة، وكلُّ ما ألقيتَه إلى غيرك حتَّى علِمَهُ فهو وَحيٌ كيف كان[2].

وقال أبو البقاء[3] –رحمه الله- :

"الوحي: كل ما ألقيته إلى غيرك فهو وحي، والكتابة والإشارة والرسالة والإفهام كلها وحي بالمعنى المصدري، والوحي كما ورد في حق الأنبياء ورد أيضاً في حق الأولياء، ولسائر الناس بمعنى الإلهام، وفي الحيوانات بمعنى خاص"[4].

ومن هذا المعنى يعلم أن الوحي لا يختص بالأنبياء فقط، بل قد يكون لغيرهم، ويتناول الوحي بمعناه اللغوي على عدة معاني :

- الإلهام الفطري للإنسان رجالا كانوا أو نساء، وهذا كالوحي الذي حصل لأم موسى عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾[5]، والوحي للحواريين، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾[6].

---

(١) سورة القصص : (٧).

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: (٦/ ٩٣).

(٣) هو أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء، صاحب الكليات، كان من قضاة الاحناف. عاش وولي القضاء في كفه بتركيا، وبالقدس، وببغداد، وعاد إلى استانبول فتوفي بها سنة ١٠٩٤هـ، ودفن في تربة خالد، انظر: الأعلام : (٢/٣٨).

(٤) كتاب الكليات لأبى البقاء الكفوى : (ص: ١٤٨٠).

(٥) سورة القصص : (٧).

(٦) سورة المائدة : (١١١).

- الإلهام الغريزي للحيوان، وهذا كالوحي إلى النحل في قول الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [1]، وكذلك الإلهام إلى الجمادات، كوحي الله تعالى إلى الأرض في قوله: ﴿ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝ وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ [2].
- ويكون بمعنى الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء، كإيحاء زكريا عليه السلام لقومه، قال الله تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [3].
- الإلهام والإعلام من الشيطان وتزيين الشر في نفوس أوليائه، وهذا يشمل شيطان الجن والإنس، قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ﴾ [4]، وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [5]، إلا أن الوحي من الشيطان لا يسمى إلهاما، وإنما وسوسة.
قال أبو البقاء : "وأما ما يلقيه الشيطان فإنه يسمى بالوسوسة"[6].
- الوحي الذي يلقيه الله تعالى إلى ملائكته من أمر ليفعلوه، قال تعالى: ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [7].

---

(١) سورة النحل : (٦٨).
(٢) سورة الزلزلة : (٢-٥).
(٣) سورة مريم : (١١).
(٤) سورة الأنعام (١٢١).
(٥) سورة الأنعام : (١١٢).
(٦) كتاب الكليات : (ص: ١٠٩٥).
(٧) سورة الأنفال : (١٢).

ومن هذا البيان يُعلم أن الوحي الذي أوحى الله تعالى إلى أم موسى عليهما السلام فهو مجرد الإلهام فقط، لا وحي النبوة، كما ذكره ابن تيميه بقوله : واحتج شهاب الدين السهروردي على الإلهام بقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ وبقوله: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ فهذا الوحي هو مجرد الإلهام[1].

وقال ابن عساكر —رحمه الله-:

"وإنما كان هذا الوحي إلهاماً من الله"[2].

وأما الوحي بمعناه الشرعي فهو لا يتناوله إلا الأنبياء والمرسلين، وأما أم موسى عليهما السلام لم تكن نبية، بخلاف ما ذكره ابن حزم رحمه الله تعالى وغيره[3].

قال ابن تيمية —رحمه الله تعالى-:

"وأم موسى لم تكن نبية بل ليس في النساء نبية كما تقوله عامة النصارى والمسلمين، وقد ذكر إجماعهم على ذلك غير واحد، مثل القاضيين أبي بكر بن الطيب وأبي يعلى ابن أبي الفراء، والأستاذ أبي المعالى الجويني وغيرهم...وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم[4] يعني من نساء الأمم قبلنا، وهذا يدل على أن أم موسى — —عليهما السلام- ليست ممن كمل من النساء فكيف تكون نبية"[5].

وقال ابن كثير —رحمه الله-:

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان : (ص: ٢٨).

(٢) تاريخ دمشق (١٨/٦١).

(٣) قال ابن حزم —رحمه الله- في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل : (٤/ ٨) :"ولا ندفع ندفع نبوة من جاء القرآن بأن الله تعالى نباه فأما أم موسى وأم عيسى وأم إسحاق فالقرآن قد جاء بمخاطبة الملائكة لبعضهن بالوحي وإلى بعض منهن عن الله عز و جل بالإنباء بما يكون قبل أن يكون وهذه النبوة نفسها التي لا نبوة غيرها فصحت نبوتهن بنص القرآن ".

(٤) سيأتي تخريجه: (ص:٤٢٢).

(٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : (٢/ ٣٤٩)، وانظر: الصفدية : (١/١٩٨)، وانظر: وانظر: مجموع الفتاوى : (٣٩٦/٤).

"والذي عليه الجمهور أن الله لم يبعث نبيا إلا من الرجال، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓ ﴾[1]، وقد حكى الشيخ أبو الحسن الأشعري رحمه الله، الإجماع على ذلك"[2].

وقال الإمام القرطبي –رحمه الله تعالى-:

"وأجمع الكل على أنها لم تكن نبية"[3].

والوحي إلى أم موسى عليهما السلام وقع مرتين:

المرة الأولى : الوحي قبل الحدث، وذلك يكون تمهيدا وإعدادا لأم موسى عليها السلام قبل أن يقع الحدث، وذلك في قول الله تعالى: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِى ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحۡزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾[4].

والمرة الثانية : الوحي وقت الحدث، قال تعالى: ﴿ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِى ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ﴾[5].

ثم اختلف العلماء في المراد بهذا الوحي على وجوه :

أحدها: المراد رؤيا رأتها أم موسى عليه السلام وكان تأويلها وضع موسى عليه السلام في التابوت وقذفه في البحر وأن اللَّه تعالى يرده إليها.

وثانيها: أن المراد عزيمة جازمة وقعت في قلبها دفعة واحدة، فكل من تفكر فيما وقع إليه ظهر له الرأي الذي هو أقرب إلى الخلاص، ويقال لذلك الخاطر إنه وحي.

وثالثها: المراد منه الإلهام.

---

(١) سورة يوسف : (١٠٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم : (٣/ ١٥٩).

(٣) تفسير القرطبي : (١٣/ ٢٥٠).

(٤) سورة القصص : (٧).

(٥) سورة طه : (٣٨-٣٩).

ورابعها: لعله أوحى إلى بعض الأنبياء في ذلك الزمان كشعيب عليه السلام أو غيره ثم إن ذلك النبي عرفها ، إما مشافهة أو مراسلة.

وخامسها: لعل الأنبياء المتقدمين كإبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام أخبروا بذلك وانتهى ذلك الخبر إلى أم موسى عليها السلام.

وسادسها : لعل الله تعالى بعث إليها ملكا لا على وجه النبوة كما بعث إلى مريم في قوله ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [(١)][(٢)].

---

(١) سورة مريم : (١٧).

(٢) مفاتيح الغيب : (٢٢/ ٤٧).

المبحث السادس: أم موسى عليه السلام في التوراة المحرفة.

إن أم موسى عليه السلام لقد ذكرت في التوراة باسمها صراحة، وذكرت كذلك بأنها من إحدى بنات لاوي أحد أبناء يعقوب عليه السلام، وبذكر المرأة.

وأما ذكرها باسمها صراحة فقد جاء في موضعين :

أولها: "وأخذ عمرام يوكابد عمته زوجة له، فولدت له هرون و موسى و كانت سنو حياة عمرام مئة و سبعا و ثلاثين سنة"(١).

وثانيها: "واسم امرأة عمرام يوكابد بنت لاوي التي ولدت للاوي في مصر فولدت لعمرام هرون و موسى و مريم اختهما"(٢)، فذكرت باسمها، وأن اسمها يوكابد.

وجاء ذكرها بالإشارة في عدة مواضع :

أولها: "وذهب رجل من بيت لاوي و أخذ بنت لاوي. فحبلت المرأة و ولدت ابنا، ولما رأته أنه حسن خبأته ثلاثة أشهر. ولما لم يمكنها أن تخبئه بعد أخذت له سفطا من البردي و طلته بالحمر و الزفت و وضعت الولد فيه و وضعته بين الحلفاء على حافة النهر"(٣).

وثانيها: "و ادعو لك امرأة مرضعة من العبرانيات لترضع لك الولد"(٤).

وثالثها: "فأخذت المرأة الولد و أرضعته"(٥).

وكل هذه النصوص تشير إلى أم موسى عليه السلام، إلا أننا نجد في هذه النصوص بعض الاعتراضات، ومنها:

- إن والد موسى عليه السلام عمرام أو عمران قد تزوجه ب يوكابد، وهي عمة له، مع أن نكاح العمة كان ممنوعا حسب نصوص التوراة، فقد جاء المنع في ذلك(٦).

---

(١) سفر الخروج، الإصحاح السادس، العدد: ٢٠.

(٢) سفر العدد، الإصحاح السدس والعشرون، العدد: ٥٩.

(٣) سفر الخروج، الإصحاح الثاني، العدد: ١-٣.

(٤) المصدر نفسه، العدد: ٧.

(٥) المصدر نفسه، العدد: ٩.

(٦) وأما في شريعة الإسلام الذي جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فهو ممنوع نكاح =

فقد جاء فيها: "عورة أخت أبيك لا تكشف أنها قريبة أبيك"[1].

وفي موضع آخر: "عورة أخت أمك أو أخت أبيك لا تكشف أنه قد عرى قريبته يحملان ذنبهما"[2].

وهذه هي أحكام وفرائض التوراتية، منعت أن يقرب الإنسان أخت أبيه كما دل عليه نصوص التوراة.

- ونجد كذلك أن أخت موسى عليهما السلام قد عرضت أمها أن تكون مرضعة لموسى لما التقطته ابنة فرعون، وهذا العرض يكون فيه موضع التهم، كما سيأتي ذكرها في المبحث اللاحق[3].

العمات، كما بينه الله تعالى ذلك في كتابه العزيز، سورة النساء : (٢١).

(١) سفر اللاويين، الإصحاح ثمانية عشر، العدد: ١٢.

(٢) المصدر نفسه، الإصحاح العشرون، العدد: ١٩.

(٣) سيأتي ص : (٤٢٧/١).

الفصل الثاني

زوجة موسى عليها السلام

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول : اسمها ونسبها ونشأتها.

المبحث الثاني : مدحها في القرآن والسنة .

المبحث الثالث : زواجها بموسى عليهما السلام.

المبحث الرابع : ارتحالها مع موسى عليه السلام .

المبحث الأول : اسمها ونسبها ونشأتها.

وقد ذكر العلماء –رحمهم الله تعالى– اسم زوجة موسى عليه السلام ونسبها.

- فمنهم من قال : إن اسمها صفورة أو صفورا بنت شعيب النبي[1].
- ومنهم من قال : إن اسمها صفورة ابنة يثرون كاهن مدين[2].
- ومنهم من قال: إنها صفورا ابنة يترون وهو شعيب النبي صلى الله عليه و سلم
- ومنهم من قال : إنها صفوريا[3].

وغير ذلك من أقوال العلماء –رحمهم الله تعالى–.

واختلف العلماء –رحمهم الله تعالى– في والدها عليها السلام الذي ذكره الله في القرآن بقوله ﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾[4]، وقوله ﴿ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ ﴾[5]، وقوله ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ﴾[6].

- فمنهم من قال: إن والدها هو شعيب النبي الذي أرسل إلى مدين[7]، وهو المشهور، وذهب إليه غير واحد من العلماء، منهم الحسن البصري والضحاك والسدي ومجاهد ومالك بن أنس واليعقوبي في تاريخه[8].
- ومنهم من قال: إنه كان ابن أخي شعيب اسمه يثرون أو يثرى ، قاله أبو عبيدة والكلبي ووهب بن منبه وسعيد بن جبير وغيرهم[9].

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ (١/١٥٠)، وانظر: تاريخ الرسل والملوك : (١/ ٣٨٥)، تفسير القرآن العظيم : (٦/ ٢٢٩).

(٢) انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي : (١١/ ٤٤٩).

(٣) انظر: تفسير الماوردي : (٤/ ٢٤٧).

(٤) سورة القصص : (٢٣).

(٥) سورة القصص: (٢٥).

(٦) سورة القصص : (٢٦).

(٧) وأهل مدين هم من سلالة مدين بن إبراهيم عليه السلام، وتطلق مدين على القبيلة وعلى المدينة، وهي التي بقرب معان من طريق الحجاز، تفسير القرآن العظيم : (٣/ ٤٤٧).

(٨) تفسير البغوي : (٦/ ٢٠٠).

(٩) تفسير النكت والعيون للماوردي : (٤/ ٢٤٧)، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير : =

- ومنهم من قال: إنه رجل مؤمن من قوم شعيب.
- ومنهم من قال: إنه يثرى صاحب مدين، قاله ابن عباس[1].

والذي يبدو والله أعلم، أن الشيخ الكبير الذي في هذه الآية ليس شعيبا النبي، وذلك لأسباب، منها :

١- الفرق الزمني بين موسى وشعيب عليهما السلام، لأنه غير معلوم أن موسى عليه السلام أدرك زمان شعيب فضلا عن شخصه، وإن الله تعالى ذكر في كتابه أن قوم شعيب قريب عهد بقوم لوط عليهما السلام ﴿ وَمَا قَوۡمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾[2] ، ولوط بعثه الله تعالى في زمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ومعناه أن شعيبا قريب عهد بزمن نبيين كريمين إبراهيم ولوط عليهما السلام، وأما موسى عليه السلام كان بينه وبين إبراهيم زمان طويل يقرب من أربعمائة سنة، إذا فلا يمكن أن يكون في زمن شعيب لبعد المسافة بينهما، والقرآن دائما ذكر اسم شعيب وأصحاب مدين بعد قوم لوط عليهما السلام، وقبل موسى عليه السلام.

٢- أن شعيبا عليه الصلاة والسلام قد أهلك الله قومه بتكذيبهم إياه وشهد ذلك العذاب، ولم يبق إلا من آمن به، وقد أعاذ الله المؤمنين أن يرضوا لبنتي نبيهم بمنعهما عن الماء، وصد ماشيتهما، حتى يأتيهما رجل غريب، فيحسن إليهما ويسقي ماشيتهما، وهذا ليس سلوك قوم مؤمنين ولا معاملتهم لنبيهم وبناته من أول جيل[3].

٣- أن القرآن الكريم لم يذكر شيئا عن تعليم هذا الشيخ الكبير لموسى عليه السلام صهره، ولو كان شعيبا النبي سمعنا صوت النبوة في شيء من هذا مع موسى عليهما السلام وقد عاش معه عشر سنوات

: (٦/٢٢٩). تفسير البغوي : (٦/ ٢٠٠).

(١) جامع البيان للطبري : (١٩/ ٥٦١).

(٢) سورة هود : (٨٩).

(٣) انظر: تفسير البغوي : (٦/ ٢٠٠) وانظر: تفسير السعدي : (ص: ٦١٤).

قال ابن تيمية –رحمه الله– :

"وقول الله تعالى ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ﴾ [1]...وهنا أريد به صاحب مدين الذى تزوج موسى ابنته، وليس هو شعيبا كما يظنه بعض الغالطين بل علماء المسلمين من أهل السلف وأهل الكتاب يعرفون أنه ليس شعيبا"[2].

وقال في موضع آخر :

"كما أن الله ذكر في القرآن أنه أهلك أهل مدين بالظلة لما جاءهم شعيب، وذكر في القرآن أن موسى أتاها وتزوج ببنت واحد منها، فظن بعض الناس أنه شعيب النبي، وهذا غلط عند علماء المسلمين مثل ابن عباس والحسن البصري وابن جريج وغيرهم كلهم ذكروا أن الذي صاهره موسى ليس هو شعيبا النبي، وحكى أنه شعيب عمن لا يعرف من العلماء ولم يثبت عن أحد من الصحابة والتابعين"[3].

وقال السعدي –رحمه الله–:

"وهذا الرجل أبو المرأتين، صاحب مدين ليس بشعيب النبي المعروف، كما اشتهر عند كثير من الناس، فإن هذا قول لم يدل عليه دليل، وغاية ما يكون، أن شعيبا عليه السلام، قد كانت بلده مدين، وهذه القضية جرت في مدين، فأين الملازمة بين الأمرين؟

وأيضا، فإنه غير معلوم أن موسى أدرك زمان شعيب، فكيف بشخصه؟ ولو كان ذلك الرجل شعيبا، لذكره الله تعالى، ولسمته المرأتان، وأيضا فإن شعيبا عليه الصلاة والسلام، قد أهلك الله قومه بتكذيبهم إياه، ولم يبق إلا من آمن به، وقد أعاذ الله المؤمنين أن يرضوا لبنتي نبيهم، بمنعهما عن الماء، وصد ماشيتهما، حتى يأتيهما رجل غريب، فيحسن إليهما، ويسقي ماشيتهما، وما كان شعيب، ليرضى أن يرعى موسى عنده ويكون خادما له، وهو أفضل منه وأعلى درجة، والله أعلم"[4].

---

(١) سورة القصص : (٢٦).

(٢) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه : (٢٠/ ٤٢٩)، بتصرف يسير.

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : (٢/ ٢٤٩).

(٤) تفسير السعدي : (ص: ٦١٤).

وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– على من يقول أن صهر موسى عليه السلام هو شعيب النبي بقوله:

"فهذه كتب التفسير التي تروي بالأسانيد المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين لم يذكر فيها عن أحد أنه شعيب النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن نقلوا بالأسانيد الثابتة عن الحسن البصري أنه قال: يقولون إنه شعيب وليس بشعيب، ولكنه سيد الماء يومئذ، فالحسن يذكر أنه شعيب عمن لا يعرف ويرد عليهم ذلك ويقول: ليس هو شعيب، وإن كان الثعلبي قد ذكر أنه شعيب، فلا يلتفت إلى قوله، فإنه ينقل الغث والسمين، فمن جزم بأنه شعيب النبي، فقد قال ما ليس له به علم وما لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة ولا عمن يحتج بقوله من علماء المسلمين، وخالف في ذلك ما ثبت عن ابن عباس والحسن البصري، مع مخالفته أيضا لأهل الكتابين، فإنهم متفقون على أنه ليس هو شعيب النبي...وكان شعيب عربيا وموسى عبرانيا"[١].

(١) جامع الرسائل لابن تيمية، رشاد سالم : (١/ ٦٣).

المبحث الثاني : مدحها في القرآن والسنة.

إن امرأة موسى عليهما السلام امرأة ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز حتى يقتدي بها من جاء بعدها من نساء المسلمين، وإنها لامرأة نبي من أولى العزم موسى عليه السلام، قال الله عز وجل: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾[1].

ويتضح من هذه الآيات شرفها ومكانتها وعدد من صفاتها الكريمة، فمن ذلك:

- إنها عليها السلام امرأة ذات حياء.

فالحياء صفة وسجية نفسية تراعي مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم وهي كلها خير، وصفورة امرأة امتدحها الله تعالى بالحياء، بل وصفها الله بالحياء، وهو أجمل من الحياء لباس ترتديه المرأة وتتحلى به، قال تعالى: ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾، والاستحياء مبالغة في الحياء، وهذا دليل على ما كانت عليها من عظم الحياء، لأنه مدح من الله تعالى، ولا أجمل من مدح الرب الذي خص به زوجة موسى عليهما السلام.

جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ، فلما فرغوا أعادوا الصخرة على البئر، ولا يطيق رفعها إلا عشرة رجال، فإذا هو بامرأتين تذودان، قال: ما خطبكما؟ فحدثتاه فأتى الحجر فرفعه، ثم لم يستق إلا ذنوبا واحدا حتى رويت الغنم

---

(١) سورة القصص : (٢٣-٢٦).

ورجعت المرأتان إلى أبيهما فحدثتاه وتولى موسى عليه السلام إلى الظل، فقال: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾.

قال: ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾ واضعة ثوبها على وجهها، ﴿ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾، قال لها: امشي خلفي وصفي لي الطريق، فإني أكره أن تصيب الريح ثوبك فيصف لي جسدك ، فلما انتهى إلى أبيها قص عليه ، قالت إحداهما: ﴿ يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ [1] قال : يا بنية، ما علمك بأمانته وقوته؟ قالت: أما قوته فرفعه الحجر ، ولا يطيقه إلا عشرة، وأما أمانته فقال : لي امشي خلفي وصفي لي الطريق فإني أخاف أن تصيب الريح ثوبك فيصف جسدك.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

"فأقبلت إليه ليست بسلفع من النساء لا خراجة ولأولاجة واضعة ثوبها على وجهها"[2].

- العفة.

ويظهر كذلك أنها كلمت موسى عليه السلام بكلام وجيز لطيف يشير إلى حيائها الفطري وإلى آدابها وكمال تربيتها، إذ لم تطلبه طلبا مطلقا، وفي أدب الضيافة وأدب الدعوات أسندت الدعوة إلى أبيها، ثم عللت الدعوة بالجزاء، وذلك لئلا يوهم كلامها ريبة، فيشك في حالها، وفيه إظهار لعفتها كما أنها بينت له الغرض من دعوته مبادرة إليه بالإكرام.

ويظهر كذلك بعدهن عن ازدحام الرجال وعدم مخالطتهن بهم.

ذكر ابن كثير —رحمه الله– في بيان موقفهن عن الرجال في سقي المواشي:

---

(١) سورة القصص : (٢٦).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (١١/ ٥٣١)، باب ما ذكر في موسى صلى الله عليه وسلم من الفضل، حديث رقم : (٣٢٥٠٣)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي: (١١/ ٤٤٨)، جامع البيان للطبري: (١٩/ ٥٥٨).

"وذلك أن الرعاء كانوا إذا فرغوا من وردهم وضعوا على فم البئر صخرة عظيمة فتجئ هاتان المرأتان فيشرعان غنمهما في فضل أغنام الناس، فلما كان ذلك اليوم جاء موسى فرفع تلك الصخرة وحده، ثم استقى لهما وسقى غنمهما ثم رد الحجر كما كان"[1].

- إنها ذات فراسة.

كما ثبت عن عبد الله بن مسعود قال : "أفرس الناس ثلاثة : العزيز حين قال لامرأته: ﴿ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا ﴾ [2]، والتي قالت ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴾ [3]، وأبو بكر حين تفرس في عمر رضي الله عنهما" [4].

وفي رواية عن عبد الله قال: أفرس الناس ثلاثة: صاحبة موسى التي، قالت: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴾ [5]، قال: وما رأيت من قوته؟ قالت: جاء إلى البئر وعليه صخرة لا يقلها كذا، وكذا فرفعها، قال: ما رأيت من أمانته؟ قالت: كنت أمشي أمامه فجعلني خلفه[6].

وهذه هي بعض الصفات التي تتصف بها زوجة نبي كريم موسى عليهما السلام كما هو منطوق في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) البداية والنهاية : (١/ ٢٨٠).

(٢) سورة يوسف : (٢١).

(٣) سورة القصص : (٢٦).

(٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم : (٢/ ٣٧٦)، في تفسير سورة يوسف عليه السلام، حديث رقم : (٣٣٢٠)، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه، مصنف ابن أبي شيبة (١٤/ ٥٧٤)، ما جاء في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حديث رقم : (٣٨٢١٣).

(٥) سورة القصص : (٢٦).

(٦) المعجم الكبير للطبراني : (٩/١٦٧)، حديث رقم : (٨٨٢٩).

المبحث الثالث : زواجها بموسى عليهما السلام.

إن موسى عليه الصلاة والسلام لما خرج من قومه هاربا بدينه وأمنه، لقي ما لقي في مدين، وأن موسى عليه السلام ليس معه مال، ولكن معه ما هو أغلى من المال، ألا وهو الأمانة، الأمانة التي حببته إلى القوم وأصبحوا يخطبونه قبل أن يخطبهم، لذا أثار في نفس شيخ مدين وابنتيه عوامل الإعجاب، لذا قالت: ﴿ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾[1]، وكان الشيخ فطن إلى المراد، فأسرع في تحقيق رغبة ابنته، فعرض ابنته لموسى عليه السلام كي يتزوجها، وقال له: إني أُريد أن أزوجك واحدة من ابنتي هاتين على أن يكون مهرها أن تعمل عندي أجيرا لرعي الغنم ثماني سنوات فإن أتممت عشرا في الخدمة والعمل فالإتمام من عندك لا ألزمك به، ولكن إذا فعلته فهو منك تفضل وتبرع، وما أريد أن أصعب الأمر عليك وأوقعك في مشقة بإلزام أطول الأجلين، ستجدني إن شاء الله من الصالحين المحسنين للمعاملة الموفين بالعهد، قال الله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[2].

ومن أعظم الصفات التي يتحلى بها موسى عليه السلام حتى عرض عليه صاحب مدين إحدى ابنتيه صفتان، هما:

- القوة.

فقوته عليه السلام أمر معروف، فقد ذكر الله تعالى وذكر الرسول صلى الله عليه وسلم شيئا من قوته عليه السلام، منها رفع الصخرة الكبيرة وحده حين وصل مدين كما تقدم، ومنها وكزه لرجل قبطي مرة واحدة فمات من ساعته، قال الله تعالى: ﴿ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾[3]، ومنها لطمه ملائكة الموت حين أرسل

---

(١) سورة طه : (٣٨-٣٩).

(٢) سورة القصص : (٢٧).

(٣) سورة القصص : (١٥).

الله تعالى إليه لقبض روحه، ففقأها، كما جاء في صحيح مسلم[1] وغير ذلك مما أعطاه الله له من القوة الجسدية والقوة الإيمانية.

- الأمانة.

فنبي الله موسى عليه الصلاة والسلام كان رجلا أمينا –وكذا سائر الرسل- اختاره الله تعالى بين سائر خلقه، ويدل على أمانته عليه السلام قصته مع إحدى ابنتي صاحب مدين حين دعاه أبوها، وقد تقدم.

فتم زواج موسى عليه السلام بابنة صاحب مدين، وكان مهرها أن يعمل موسى أجيرا عنده برعي الغنم، وكان مدتها عشر سنوات.

فقد ثبت عن سعيد بن جبير قال: سألني يهودي من أهل الحيرة، أي الأجلين قضى موسى؟ قلت : لا أدري حتى أقدم على حبر العرب، فأسأله فقدمت فسألت ابن عباس فقال: "قضى أكثرهما وأطيبهما، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قال فعل"[2].

وثبت كذلك عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (إذا سئلت أي الأجلين قضى موسى، فقل خيرهما وأوفرهما، وإن سئلت أي المرأتين تزوج، فقل الصغرى منهما وهي التي جاءت فقالت: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُ ﴾، قال: ما رأيت من قوته؟ قالت: أخذ حجرا ثقيلا فألقاه)[3].

وسبب اختيار موسى عليه السلام المرأة التي جاءته دون الأخرى، لأنها هي التي عرف أخلاقها باستحيائها وكلامها فكان ذلك ترجيحا لها عنده.

وقال بعض العلماء أن موسى عليه السلام بعد أن أتم عشر حجج، زاد بعده عشرا.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى عليه الصلاة السلام، حديث رقم : (٦١٤٩)، ص: (٩٩٢).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب من أمر بإنجاز الوعد، وفعله الحسن، حديث رقم : (٢٦٨٤)، مع الفتح : (٥٥٩/٦).

(٣) المعجم الأوسط للطبراني : (٥/ ٣٢١)، حديث رقم : (٥٤٣٠).

كما جاء عن مجاهد –رحمه لله– قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ ﴾ [1]، قال: "عشر سنين، ثم مكث بعد ذلك عشرا أخرى"[2].

(١) سورة القصص : (٢٩).

(٢) جامع البيان للطبري: (١٩/ ٥٧٠)، وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (١١/ ٤٦١).

المبحث الرابع : ارتحالها مع موسى عليه السلام.

إن موسى عليه السلام لما قضى الأجل الذي يكون بينه وبين أبي زوجته، أراد أن يسافر إلى أرض مصر، لأنه اشتاق إلى أهله فقصد زيارتهم في صورة مختف، وكان معه زوجته وأولاده وغنم قد استفادها مدة مقامه عند صهره، فكان هذا السفر هو في أيام الشتاء، كما ذكره ابن عباس[1]، وهو أول رحلة وفيها ابتداء الوحي إليه.

قال ابن كثير –رحمه الله–:

"كان ابتداء الوحي إليه وتكليمه إياه، وذلك بعد ما قضى موسى الأجل الذي كان بينه وبين صهره في رعاية الغنم وسار بأهله، قيل: قاصدا بلاد مصر بعدما طالت الغيبة عنها أكثر من عشر سنين، ومعه زوجته، فأضل الطريق، وكانت ليلة شاتية، ونزل منزلا بين شعاب وجبال، في برد وشتاء، وسحاب وظلام وضباب، وجعل يقدح بزند معه ليوري نارا، كما جرت له العادة به، فجعل لا يقدح شيئا، ولا يخرج منه شرر ولا شيء"[2].

فوصلوا إلى سيناء من أرض مصر، وفيها جبل الطور[3]، وهو الذي يضاف إلى سيناء، كقول الله تعالى ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنْبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴾[4]، وقوله تعالى ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ﴾[5]، فلما كانوا كذلك، آنس من جانب الطور نارا، فقال لأهله أن امكثوا حتى يأتي بالنار.

قال ابن كثير –رحمه الله–:

"قال غير واحد من المفسرين من السلف والخلف لما قصد موسى إلى تلك النار التي رآها فانتهى إليها وجدها تأجج في شجرة خضراء من العوسج، وكل ما لتلك النار في

---

(١) جامع البيان للطبري: (١٨/ ٢٧٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم : (٥/ ٢٧٥-٢٧٦).

(٣) وهو الجبل المضاف إلى سيناء قرب إيلة بالشام، وهو الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى بن عمران عليه السلام ونودي فيه وهو كثير الشجر، انظر: معجم البلدان : (٣/ ٣٠٠)، والقاموس المحيط للفيروز آبادي : (١/٥٥٤).

(٤) سورة المؤمنون : (٢٠).

(٥) سورة التين : (١-٢).

اضطرام وكل ما لخضرة تلك الشجرة في ازدياد فوقف متعجبا، وكانت تلك الشجرة في لحف جبل غربي منه عن يمينه، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾[1]، وكان موسى في واد اسمه طوى فكان موسى مستقبل القبلة وتلك الشجرة عن يمينه من ناحية الغرب"[2].

فهنا بدأ المهمة الإلهية، فناده الله تعالى بالوادي المقدس طوى، وكلمه بكلام حقيقي، قال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾[5].

قال النحاس[6] –رحمه الله-:

"أجمع النحويون على أن الفعل إذا أكد بالمصدر لم يكن مجازا، فإذا قال: تكليما، وجب أن يكون كلاما على الحقيقة التي تعقل"[7].

وقال ابن حجر –رحمه الله-:

"وأجمع السلف والخلف من أهل السنة وغيرهم على أن كلم هنا من الكلام"[1]، أي أن أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام حقيقي يسمعه موسى عليه السلام مباشرة بحرف وصوت.

---

(١) سورة القصص : (٤٤).

(٢) البداية والنهاية : (١/ ٢٨٥).

(٣) سورة النساء : (١٦٤).

(٤) سورة الأعراف : (١٤٣).

(٥) سورة الأعراف : (١٤٤).

(٦) هو العلامة إمام العربية أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المصري النحوي، صاحب التصانيف، وكان من أذكياء العالم، ويقال: إنه جلس على درج المقياس، يقطع عروض الشعر، فسمعه جاهل، فقال: هذا يسحر النيل حتى ينقص، فرفسه، ألقاه في النيل، فغرق في ذي الحجة سنة ثمان وثلاثين وثلاث مئة. انظر: سير أعلام النبلاء : (١٥/ ٤٠١)، ووفيات الأعيان : (١/٩٩).

(٧) فتح الباري : (١٧/٥٢٦).

ثم أمره الله تعالى ببعض الأمور :

- خلع النعلين، لأنه كان في واد مقدس.
- الاستماع إلى ما سيلقى الله تعالى له.
- إخباره سبحانه بأنه هو الله الذي لا إله إلا هو.
- العبادة لله وحده لا شريك له.
- الصلاة.
- إخباره تعالى باليوم الآخر.

ثم زوده الله تعالى ببعض الآيات والمعجزات حتى يأتي إلى فرعون ببرهان من الله تبارك وتعالى، وأحسن من هذا كله قول الله تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴾[٢].

---

(١) المصدر نفسه، قال ابن تيمية –رحمه الله– في مجموع الفتاوى : (١٢/ ٥٠٢): "وأول من قال هذه المقالة في الإسلام كان يقال له الجعد بن درهم، فضحى به خالد بن عبد الله القسري يوم أضحى ؛ فإنه خطب الناس فقال في خطبته : "ضحوا أيها الناس تقبل الله ضحاياكم؛ فإني مضح بالجعد بن درهم؛ أنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما، تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا، ثم نزل فذبحه".

(٢) سورة طه : (٩-٢٣).

وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٧ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٨ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٩ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١١ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِي تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴾[1].

فهذه هي الرحلة المباركة، رحلة بداية النبوة والرسالة لنبي الله موسى عليه السلام، وكانت زوجته معه في هذه الرحلة متجها إلى أرض مصر.

---

(١) سورة النمل : (٧-١٢).

المبحث الخامس : افتراء التوراة المحرفة على زوجة موسى عليه السلام.

إن زوجة موسى عليهما السلام كانت امرأة صالحة كما تقدم، وأن الله تبارك وتعالى اختارها لرسوله موسى عليه السلام لحكمة تقتضيها، وأن الله تعالى قد وصفها بأفضل الصفات وأحسنها، بخلاف ما نجده في التوراة التي زعمت:

- أن زوجة موسى عليه السلام تخدع الرب.

تصور التوراة المحرفة بأن زوجة موسى عليهما السلام استطاعت أن تخدع الرب، وتزعم التوراة المحرفة أن الرب قد غضب على موسى عليه السلام غضبا شديدا، لأن موسى مثل بقية بني إسرائيل، كان جبانا ورفض أمر الرب بالذهاب إلى فرعون خوفا منه، وأعلن الرب أنه سينزل ليقتل ابن موسى البكر، لأن موسى رفض أن ينقذ ابن الله البكر من يد فرعون ، ونزل الرب –حسب زعمهم- إلى الطريق وأخذ يبحث عن ابن موسى البكر ليقتله، وكان ابن موسى طفلا صغيرا يلعب في حواري مصر ، وهجم الرب على الطفل الصغير، ولكن صفورة زوجة موسى كانت أسرع منه وأخذت الولد بسرعة، وبما أنها تعرف أن الرب يريد قتله ابنها، فإنها احتالت عليه، وقطعت عزلة الصبي بسكين كانت معها، وأخذت الدم ومست رجلي الرب بهذا الدم، وصاحت صفورة : إنك عريس دم لي[1].

وقال الآخر : أنها عليها السلام أنقذ زوجها من القتل بسبب ذكائها.

جاء في كتاب الأنبياء في التوراة:

"وتذكر التوراة في قصة غريبة مبهمة من غير مقدمات لها، ومفادها أن الله أراد قتل موسى وهو في صحراء سيناء، حين كان متجهاً لدعوة فرعون كما أمره الرب، والذي أنقذه من القتل ذكاء زوجته صفورة وسرعة بديهتها، يقول السفر: "حدث في الطريق في المنزل أن الرب التقاه، وطلب أن يقتله، فأخذت صفّورة صوّانة، وقطعت غرلة ابنها، ومسّت رجليه، فقالت: إنك عريس دم لي، فانفكّ عنه عندما قالت: عريس دم من أجل الختان "[2].

---

(١) انظر: سفر الخروج الإصحاح الرابع، العدد : ٢٢-٢٦.

(٢) كتاب الأنبياء في التوراة : (ص: ٨).

- عدم حب هارون وأخته مريم لزوجة موسى عليه السلام وغيرتهما لها.

كما جاء في التوراة : "و تكلمت مريم و هرون على موسى بسبب المراة الكوشية التي اتخذها لانه كان قد اتخذ امراة كوشية. فقالا هل كلم الرب موسى وحده الم يكلمنا نحن ايضا فسمع الرب"(١).

وهذه هي بعض ما صورته التوراة تجاه زوجة كريمة لزوج كريم موسى عليه الصلاة والسلام، ولكن كل هذه نصوص محرفة من قِبل اليهود، عليهم من الله ما يستحقون.

(١) انظر: سفر العدد، الإصحاح الثاني عشر، العدد : ١-٢.

الفصل الثالث

هارون أخو موسى عليه السلام

وفيه تسعة مباحث:

المبحث الأول : اسمه ونسبه ومولده عليه السلام.

المبحث الثاني : ذكر هارون عليه السلام في القرآن الكريم.

المبحث الثالث : المراد بأخوة هارون عليه السلام لمريم فى قول الله تعالى :" يا أخت هارون...".

المبحث الرابع : معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه " أنت منى بمنزلة هارون من موسى عليهما السلام...".

المبحث الخامس : دعوة هارون عليه السلام قومه بنى إسرائيل.

المبحث السادس : افترءات التوراة المحرفة على هارون عليه السلام.

المبحث السابع : موقف هارون عليه السلام من فرعون الطاغية.

المبحث الثامن : معية الله عز وجل لهارون وأخيه موسى عليهما السلام.

المبحث التاسع : وفاة هارون عليه السلام.

المبحث الأول : اسمه ونسبه ومولده عليه السلام.

قد ذكر الله تعالى في مواضع عدة من كتابه العزيز هارون عليه السلام، وأنه أحد الرسل الذين بُعث إلى بني إسرائيل، وهو أخو موسى عليهما السلام إلا أنه أكبر من موسى بسنة.

وهارون هو ابن عمران، كما تقدم ذكر ذلك من كلام ابن كثير وابن الأثير –رحمهما الله– في المبحث السابق.

ثم إنه عليه السلام ولد في العام الذي لا يذبح فيها الصبيان، فكان مولده علانية، بخلاف أخيه موسى عليه الصلاة السلام.

قال ابن عباس رضي الله عنه:

"تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد إبراهيم خليله –عليه الصلاة والسلام– أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكا، وائتمروا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالا معهم الشفارُ، يطوفون في بني إسرائيل، فلا يجدون مولودا ذكرا إلا ذبحوه، ففعلوا.

فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم، وأن الصغار يذبحون، قال: توشكون أن تفنوا بني إسرائيل فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة ما كانوا يكفونكم، فاقتلوا عاما كل مولود ذكر فتقل أبناؤهم؛ ودعوا عاما، فحملت أم موسى بهارون –عليهم السلام– في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان، فولدته علانية آمنة، حتى إذا كان القابل حملت بموسى عليه السلام"(١).

وقال ابن كثير –رحمه الله–:

"أن فرعون احترز كل الاحتراز أن لا يوجد موسى، حتى جعل رجالا وقوابل يدورون على الحبالى، ويعلمون ميقات وضعهن، فلا تلد امرأة ذكرا إلا ذبحه أولئك الذباحون من ساعته"(٢).

---

(١) جامع البيان للطبري : (٢/ ٤٢)، وانظر: الدر المنثور للسيوطي : (١٧٦/١٠)، و تفسير القرآن العظيم لابن كثير : (٢٨٥/٥).

(٢) قصص الأنبياء : (٢/ ٥).

ولكن قضاء الله تعالى وقدره ماض، فإن الله تعالى قد هيأ كل الأسباب لنجاة موسى وهارون عليهما السلام ورسالتهما.

المبحث الثاني : ذكر هارون عليه السلام في القرآن الكريم.

قد ذكر الله تعالى هارون عليه السلام في القرآن الكريم، وأخبر سبحانه أنه عليه السلام كان رفيقا ووزيرا لأخيه موسى عليهما السلام في الدعوة إلى الله تعالى في تخليص العباد من عباد العباد إلى عبادة رب العباد، وأنه رسول من عند الله تعالى، ومن تلك الآيات، منها:

- ذكر الله تعالى له بأنه خليفة أخيه موسى عليهما السلام لبني إسرائيل حتى استقاموا على دين الله تعالى، ولا يشركوا بالله شيئا، قال الله تعالى: ﴿ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [1]، وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم شبيه هذه الآية عن مصعب بن سعد ، عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى تبوك واستخلف عليا فقال: (ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى —عليهما السلام-؟)[2]، أي أن موسى استخلف هارون عليهما السلام في قومه أيام غيابه لمناجاة ربه عز وجل لأن لا يعبد العجل[3].
- ذكر الله تعالى دعاء موسى في مشاركة أخيه هارون عليهما السلام في الدعوة إلى الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۝٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴾ [4].

وتتضمن هذه الآيات دعاء موسى لربه سبحانه :

١- أن يجعل هارون عليه السلام وزيرا ظهيرا يعتمد عليه، ومعينا في أداء المهمة.

٢- أن يشد به أزره، فيحكم به قوته، ويقوي ظهره.

---

(١) سورة الأعراف : (١٤٢).

(٢) سيأتي تخريجه: (٣٦١).

(٣) انظر: جامع البيان للطبري : (٨٨/١٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي : (٢٧٧/٧)، والتحرير والتنوير لابن عاشور : (٢٧١/٨).

(٤) سورة طه : (٢٩-٣٢).

٣- أن يجعل هارون عليه السلام شريكه في أمره ونبوته وإبلاغ رسالته[١].

وهذا من دعاء موسى لأخيه هارون عليهما السلام أن يشاركه في أمور النبوة، وقد سمعت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها رجلا يقول لأناس وهم سائرون في طريق الحج: أيُّ أخ أمنُّ على أخيه ؟

فسكت القوم، فقالت عائشة لمن حول هودجها: "هو موسى بن عمران حين شفع في أخيه هارون، فأوحى إليه –عليهما السلام–، قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَـٰرُونَ نَبِيًّا ﴾"[٢][٣].

- ذكر الله تعالى إيمان سحرة فرعون، وأنهم آمنوا بما آمن به هارون وموسى عليهما السلام، قال الله تعالى: ﴿ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾[٤]، فناسب في هذه الآية أن يقول هؤلاء السحرة أن يؤمنوا بما آمن به هارون وموسى عليهما السلام، حتى يزيل التوهم، لأن فرعون آنذاك ادعى الربوبية، فزعم أنه هو رب العالمين[٥].
- ذكر الله تعالى ما حصل لبني إسرائيل من عبادتهم العجل في أيام غياب موسى عليه السلام عنهم، وأن هارون عليه السلام قد اجتهد في منع هؤلاء القوم من عبادة غير الله، ولكنهم أبوا إلا أن يعبدوه، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾[٦].

قال السعدي –رحمه الله –:

---

(١) انظر: الدر المنثور للسيوطي : (١٠/١٧١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير : (٦/٢٣٦)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي : (١١/١٩٢)، ومفاتيح الغيب للرازي : (٢٢/٤٥).

(٢) سورة مريم : (٥٣).

(٣) قصص الأنبياء لان كثير : (٢/ ٣١)، وانظر: تفسيره : (٥/٢٨٣).

(٤) سورة طه : (٧٠).

(٥) انظر: مفاتيح الغيب للرازي : (٢٢/٧٦).

(٦) سورة طه : (٩٠-٩١).

"إن اتخاذهم العجل ليسوا معذورين فيه، فإنه وإن كانت عرضت لهم الشبهة في أصل عبادته، فإن هارون -عليه السلام- قد نهاهم عنه، وأخبرهم أنه فتنة، وأن ربهم الرحمن الذي منه النعم الظاهرة والباطنة، الدافع للنقم وأنه أمرهم أن يتبعوه، ويعتزلوا العجل، فأبوا وقالوا: ﴿ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾"[1][2].

- ذكر الله تعالى إرسال هارون وأخيه موسى عليهما السلام بالآيات والبراهين والحجج إلى فرعون المتكبر، قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴾[3].

قال ابن كثير -رحمه الله- :

"يخبر تعالى أنه بعث رسوله موسى عليه السلام وأخاه هارون إلى فرعون وملئه بالآيات والحجج الدامغات والبراهين القاطعات، وأن فرعون وقومه استكبروا عن اتباعهما، والانقياد لأمرهما، لكونهما بشرين، كما أنكرت الأمم الماضية بعثة الرسل من البشر، تشابهت قلوبهم، فأهلك الله فرعون وملأه، وأغرقهم في يوم واحد أجمعين"[4].

- ذكر الله تعالى سبب طلب موسى مشاركة أخيه هارون عليهما السلام في الذهاب إلى فرعون، قال الله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ

---

(١) سورة طه : (٩١).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان: (٥١٢/١)، وانظر: روح المعاني للآلوسي : (٥٥٩/٨).

(٣) سورة المؤمنون : (٤٥-٤٨).

(٤) تفسير القرآن العظيم : (٤٧٥/٥).

﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

والأمور الداعية إلى سؤال موسى الله عز وجل أن يبعث أخاه هارون عليه السلام هي :

١- إن فرعون ربما كذب موسى عليه السلام، وإذا كذبه لم يحصل المقصود لدعوته إلى الحق.

٢- عدم فصاحة اللسان، وأن هارون عليه السلام هو أفصح لسنا من موسى عليه السلام.

٣- إن لموسى عليه السلام ذنبا عند هؤلاء، وهو أنه قد قتل رجلا منهم، فيخاف أن يقتلوه، وأما هارون عليه السلام فليس كذلك، فيحصل إذن أمر الرسالة[2].

- ذكر الله تعالى فصاحة وبلاغة هارون عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾[3].

لأن بهذه الفصاحة سهل على الإنسان تبليغ رسالة الله تعالى، وقد يعاب من قِبل الأعداء من فقد هذه الفصاحة، كما حكى الله تعالى قول فرعون ﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾[4]، فقد جعل فرعون عيبا لموسى عليه السلام لما حصل له في لسانه شيئا من الرتة[5].

---

(١) سورة الشعراء : (١٢-١٦).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب للرازي : (٢٤/٤٩٣).

(٣) سورة القصص : (٣٤-٣٥).

(٤) سورة الزخرف : (٥٢).

(٥) وقد ذكر المفسرون تفاصيل هذه القصة ما حصل لموسى عليه السلام أيام صباه، انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير : (٥/٢٨٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي : (١١/١٩٢).

المبحث الثالث : المراد بأخوة هارون عليه السلام لمريم في قول الله تعالى ﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ ﴾[1].

يدعي بعض المشككين أن القرآن الكريم خلط بين مريم أخت موسى عليها السلام ومريم أم المسيح عليها السلام، لأنه لم يكن لمريم أم المسيح عليهما السلام أخ اسمه هارون، وإنما كان هارون أخا لموسى عليهما السلام، ولهما أخت اسمها مريم.

ولبيان هذه المسألة يحسن الوقوف على الأمور التالية :

أولا : إن تسمية القرآن لمريم بـ "أخت هارون" ليست خبرا من القرآن، وإنما حكاية لما قاله قومها عندما وجدوها تحمل ولدها عيسى عليهما السلام، فاتهموها في عرضها وشرفها وعفافها، ونسبتها لهارون يحتمل أحد الأمور التالية :

- أن المراد أخوة النسب، بأن كان لها أخ اسمه هارون، فقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ ﴾[2]، يحتمل أن يكون على حقيقته، فيكون لمريم أخ اسمه هارون، وكان رجلا صالحا في قومه، خاطبوها بالإضافة إليه زيادة في التوبيخ، أي ما كان لأخت مثله أن تفعل فعلتها[3].

  قال الزمخشري : "كان أخاها من أبيها من أمثل بني إسرائيل"[4].

  وإذا كان كذلك فلا شبهة إذن في هذه الآية.

- وإما أنهم أرادوا هارون أخا موسى عليهما السلام، لأنها كانت من نسله وذريته، كقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لامرأته : "يا أخت بني فراس"[5].

---

(١) سورة مريم : (٢٨).

(٢) سورة مريم : (٢٨).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور : (١٦/ ٣٢).

(٤) تفسير الكشاف : (٣/ ١٤).

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب السمر مع الضيف والأهل، حديث حديث رقم : (٦٠٢)، مع الفتح : (٢/٣٨٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، حديث رقم : (٥٣٦٥)، ص : (٨٨٠).

وكانت مريم عليها السلام من ذرية هارون أخي موسى عليهما السلام من سبط لاوي.

جاء في الإنجيل: "كان في أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة أبيا، وامرأته من بنات هارون واسمها أليصابات...فقالت مريم للملاك، كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا؟ فأجاب الملاك وقال لها : الروح القدس يحل عليك..." [١].

- أن يكون المراد أن هارون كان رجلا في ذاك الزمان مشهورا بالصلاح والعفة، فنسبها قومها إليه سخرية منها، وتهكما عليها، وتعريضا بما فعلت، واستهزاء بادعائها الصلاح والتقوى والتبتل في العبادة، بينما هي في ظنهم قد حملت سفاحا.

حتى ذكر بعض المفسرين أن هارون الصالح تبع جنازته أربعون ألفا، كلهم يسمى هارون تبركا به وباسمه، فقالوا : كنا نشبهك بهارون هذا[٢].

وقال قتادة –رحمه الله-:

"كان في ذلك الزمان في بني إسرائيل عابد منقطع إلى الله عز وجل يسمى هارون، فنسبوها إلى أخوته من حيث كانت على طريقته قبل ؛ إذ كانت موقوفة على خدمة البيع ؛ أي يا هذه المرأة الصالحة، ما كنت أهلا لذلك"[٣].

وقد كان القرآن يذكر كثيرا بمثل هذا التشبيه، ولا سيما في لفظ الأخوة، قال تعالى: ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ ﴾[٥]، فالمقصود بـ "أخا عاد" هو

---

(١) لوقا ١ : ٥-٣٦.

(٢) تفسير الكشاف : (٣/ ١٥).

(٣) تفسير القرطبي : (١١/ ١٠٠).

(٤) سورة الزخرف : (٤٨).

(٥) سورة الأحقاف : (٢١).

هود عليه السلام، ومن المعلوم أن هود لم يكن أخا لـ عاد، وإنما كان حفيدا له، وبينهما مئات السنين.

ثانيا: لم يخلط القرآن بين مريم أخت هارون ومريم أم عيسى عليهم السلام، وذلك للفرق الزمني بينهما، حيث يزول هذا الإشكال، كما جاء من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى نجران فقال لي أهل نجران: ألستم تقرؤون هذه الآية ﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴾[1]، وقد عرفتم ما بين موسى وعيسى ؟ فلم أدر ما أرد عليهم حتى قدمت المدينة على رسول الله صلى الله عليه و سلم فذكرت ذلك له فقال لي: (أفلا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم؟)[2].

وهناك أمر ينبغي أن يعلم بأن حكاية اليهود لذكر مريم عليها السلام بأنها أخت هارون فقط، ولم يقل بأنها أخت موسى أو أخت موسى وهارون عليهما السلام، لأن على حد زعمهم أن هارون عليه السلام كان مصدر عار لهم، حيث صنع العجل – زورا وبهتانا كما سيأتي-، وأيضا إن مريم عليها السلام –على حد زعمهم- فعلت عارا، ولهذا تهكموا بها واستهزئوا منها، ونسبها إلى من وافقها في فعل العار، والله أعلم.

---

(١) سورة مريم : (٢٨).

(٢) صحيح ابن حبان : (١٤/ ١٤٢)، باب بدء الخلق، حديث رقم : (٦٢٥٠).

المبحث الرابع : معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه " أنت منى بمنزلة هارون من موسى عليهما السلام".

هذا الحديث أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن مصعب بن سعد، عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى تبوك واستخلف عليا فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟

قال صلى الله عليه وسلم: (ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى —عليهما السلام-؟ إلا أنه ليس نبي بعدي)[1].

قول النبي صلى الله عليه وسلم هذا لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه من خصائص وفضائل علي بن أبي طالب، ولعلي فضائل أخرى، منها ما يخصه ومنها ما يشركه غيره[2].

وأهل السنة والجماعة وضعوا الحديث موضعه، ولا يغلون فيه كما فعلت الرافضة، الذين زعموا أن معنى هذا الحديث:

١-أن عليا رضي الله عنه أفضل الصحابة.

٢-وأن عليا رضي الله عنه وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه هو الخليفة من بعده.

٣-وأن عليا رضي الله عنه ولي معصوم، وأن الأولياء أفضل من الأنبياء.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رضي الله عنه، حديث رقم : (٣٧٠٦)، مع الفتح : (٤١٩/٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حديث رقم : (٦٢١٧)، ص: (١٠٠٦).

(٢) منها قول النبي صلى الله عليه وسلم له يوم خيبر : ومنها دخوله لرسول الله في المباهلة وفي الكساء، انظر: تفسير الدر المنثور: (٦١١/٣)، وتفسير الطبري : (٤٨٢/٦)، وانظر: فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه في صحيح مسلم : (ص: ١٠٠٦-١٠٠٩) في كتاب فضائل الصحابة، حديث رقم : (٦٢١٧-٦٢٢٩).

قال القرطبي –رحمه الله-:

"فاستدل بهذا الروافض والإمامية وسائر فرق الشيعة على أن النبي صلى الله عليه وسلم استخلف عليا على جميع الأمة ؛ حتى كفر الصحابةَ الإماميةُ – قبحهم الله-، لأنهم عندهم تركوا العمل الذي هو النص على استخلاف علي واستخلفوا غيره بالاجتهاد منهم، ومنهم من كفر عليا إذ لم يقم بطلب حقه"(١).

ولو أننا تأملنا هذا الحديث، لوجدنا أن ما يقوله الرافضة خلاف حقيقة الحديث، وذلك لأمور، منها :

- أن عليا رضي الله تعالى عنه له فضائل كثيرة، ولكن مع ذلك لا تدل على أنه أفضل الصحابة، أما الفضل فلا شك أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله تعالى عن الجميع، فقد جاءت الأدلة على ذلك، كحديث عمرو بن العاص رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت: (أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، فقلت: من الرجال؟ فقال: أبوها، قلت: ثم من؟ قال : ثم عمر بن الخطاب، فعد رجالا)(٢) وغيره من الأحاديث(٣).

  قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي:(٧/ ٢٧٧).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : لو كنت متخذا خليلا، قاله أبو سعيد، حديث رقم : (٣٦٦٢)، مع الفتح : (٣٣٦/٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حديث رقم : (٦١٧٧)، ص: (٩٩٩).

(٣) مثل حذيفة رضي الله عنه قال : كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه و سلم فقال إني لا أدري ما بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي وأشار إلى أبي بكر و عمر رضي الله عنهما، رواه الترمذي في سننه، كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كليهما، حديث رقم : (٣٦٦٣)، ص : (٨٣٢)، ورواه ابن ماجة في سننه، باب في فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم : (٩٣-١٠١)، ص: (٣٢-٣٤)، قال الألباني في السلسلة الصحيحة : (٣/ ٣٠٧) : هذا إسناد حسن رجاله كلهم ثقات.

"وقد اتَّفق أهلُ السنَّة والجماعة على ما تواتر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنَّه قال: خير هذه الأمة بعد نبيِّها أبو بكر، ثمَّ عمر، رضي الله عنهما"[١].

وقال ابن عثيمين[٢] –رحمه الله-:

"وقد استدلت الرافضة بهذا الحديث على أن علياً أفضل الصحابة، ولكن لا دليل فيه، لأن الرسول صلى الله عليه واله وسلم أراد بقوله : أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى[٣] ، حين خلفه في قومه أي في هذه المسألة فقط، أما الفضل الآخر فلا شك أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي"[٤].

- ثم هذه الوصية من رسول الله صلى الله عليه وسلم له مجرد وصية الاستخلاف مدة سفره إلى تبوك، كما أن استخلاف موسى لهارون عليهما السلام كان مدة ذهابه لمناجاة ربه، فهذا هو المراد بالتشبيه، فالمشبَّه استخلاف النَّبيّ صلى الله عليه وسلم لعليٍّ بن أبي طالب مدَّة غيبته، والمشبَّه به استخلاف موسى لهارون عليهما السلام مدَّة غيبته، إلاَّ أنَّ المشبَّه به نبِيٌّ استخلف نبيًّا لوجود الأنبياء في زمن واحد، وأمَّا نبيُّنا محمد صلى الله عليه وسلم فإنَّه لا نبِيَّ بعده، لا في زمانه ولا بعد زمانه، وليس فيه دلالة على أحقِّيَّة علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم[٥].

---

(١) الوصية الكبرى : (ص: ٥٩-٦٠).

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين المقبل الوهيبي التميمي، ولد في مدينة عنيزة عام ١٣٤٧هـ في عائلة معروفة بالدين، وكان قد زرق ذكاء وزكاء وهمة عالية، وتأثر كثيرا بشيخه عبد الرحمن السعدي، وتوفي في سنة ١٤٢٠هـ، انظر: شرح العقيدة الوسطية له، وترجم له تلميذه وليد بن أحمد الحسين : (ص:١٥).

(٣) تقدم تخريجه: (ص:٣٦١).

(٤) شرح العقيدة السفارينية : (١/ ٤٢٨).

(٥) انظر: الانتصار لأهل السنة والحديث في رد أباطيل حسن المالكي : (ص: ٥١).

- أن عليا لم يكن خليفة من بعده صلى الله عليه وسلم، كما أن هارون عليه السلام لم يكن خليفة من بعد موسى عليه السلام، لأن هارون توفي قبل موسى عليه السلام، وإذا كان مراد الحديث أنه سيكون خليفة من بعد النبي صلى الله عليه وسلم -كما زعمته الرافضة-، لاحتاج إلى تعديل الحديث إلى " أنت مني بمنزلة يوشع بن نون من موسى"، لأن أهل السنة والشيعة اتفقوا على أن هارون مات قبل موسى عليهما السلام، وأن الذي خلف موسى يوشع بن نون، وليس هارون عليهم السلام، فلا هارون كان إماما بعد موسى عليهما السلام، كما أن عليا لم يكن إماما بعد محمد صلى الله عليه وسلم وإنما هو بعد عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنهم.

قال ابن حزم -رحمه الله-:

"وهذا لا يوجب له فضلا على من سواه، ولا استحقاق الإمامة بعده عليه السلام؛ لأن هارون لم يَلِ أمر نبي إسرائيل بعد موسى عليهما السلام، وإنما ولي الأمر بعد موسى عليه السلام يوشع بن نون فتى موسى وصاحبه الذي سافر معه في طلب الخضر عليهما السلام، كما ولي الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم صاحبه في الغار الذي سافر معه إلى المدينة، وإذا لم يكن علي نبيا كما كان هارون نبيا، ولا كان هارون خليفة بعد موت موسى على بني إسرائيل، فقد صح أن كونه رضي الله عنه بمنزلة هارون من موسى إنما هو في القرابة فقط"[1].

وقال النووي -رحمه الله-:

"وهذا الحديث لا حجة فيه لأحد منهم، بل فيه إثبات فضيلة لعلي -رضي الله عنه-، ولا تعرض فيه لكونه أفضل من غيره أو مثله، وليس فيه دلالة لاستخلافه بعده، لأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما قال هذا لعلي حين استخلفه في المدينة في غزوة تبوك، ويؤيد هذا أن هارون المشبه به لم يكن خليفة بعد موسى، بل توفي في حياة موسى وقبل وفاة موسى بنحو أربعين سنة على ما

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل: (٤/ ٧٨).

هو مشهور عند أهل الأخبار والقصص، قالوا: وإنما استخلفه حين ذهب لميقات ربه للمناجاة، والله اعلم"[1].

- ثم إن الرافضة يريدون بهذا القول الطعن في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم، وأنهم اغتصبوا الخلافة والولاية من علي بن أبي طالب رضي الله عنه استدلالا بهذا الحديث، وأن الخليفة من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو علي، وهذا بخلاف ما كان عليه الأمة على أن أبا بكر أحق بالخلافة من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك لما ورد من الأحاديث والآثار والإجماع[2].

---

(١) شرح النووي على مسلم : (١٥/ ١٧٤).

(٢) ومن ذلك حديث الذي روى البخاري (٥٦٦٦)، ومسلم (٢٣٨٧) في صحيحيهما، واللفظ لمسلم، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله في مرضِه: ادْعِي لي أبا بكر وأخاكِ حتى أكتب كتاباً، فإنِّي أخاف أن يتمنّى متمنٍّ ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى اللهُ والمؤمنون إلاَّ أبا بكر.

وروى البخاري (٧٢٢٠)، ومسلم (٢٣٨٦) في صحيحيهما، واللفظ للبخاري عن جُبير بن مُطْعم قال: أتت النَّبيَّ امرأةٌ فكلَّمتْه في شيءٍ، فأمرها أن ترجع إليه، قالت: يا رسول الله! أرأيتَ إن جئتُ ولَمَ أجدْك، كأنَّها تريد الموت؟ قال: إن لَمَ تجديني فأتِي أبا بكر.

و روى البخاري في صحيحه (٦٧٨) عن أبي موسى الأشعري قال: مرض النَّبيُّ فاشتدَّ مرضُه، فقال: مُروا أبا بكرٍ فليصلِّ بالناس)) الحديث، وقد أخرجه مسلم في صحيحه (٤٢٠).

وجاء أمره أبا بكر ليصلي بالناس من حديث عائشة رضي الله عنها عند البخاري (٦٧٩) ومسلم (٤١٨)

وفي صحيح البخاري (٣٦٦٨) أنَّ عمر قال لأبي بكر يوم السقيفة: بل نبايعُك أنت؛ فأنت سيِّدنا وخيرُنا وأحبُّنا إلى رسول الله، فأخذ عمر بيده، فبايعه وبايعه الناس.

وروى البخاري (٣٦٦٤) ومسلم (٢٣٩٢) في صحيحيهما عن أبي هريرة قال: سمعتُ النبيَّ يقول: ((بينا أنا نائمٌ رأيتُني على قليبٍ عليها دلوٌ، فنزعتُ منها ما شاء الله، ثمَّ أخذها ابنُ أبي قُحافة فنزع بها ذَنُوباً أو ذنوبين، وفي نزعه ضَعفٌ، والله يغفر له ضعفَه، ثمَّ استحالت غرباً فأخذها ابنُ الخطاب، فلَم أَرَ عَبْقرياًّ من الناس ينزع نزعَ عمر، حتى ضرب الناسُ بعَطَن

وروى الحاكم في المستدرك (٣/٧٨ . ٧٩) عن عبد الله (يعنِي ابنَ مسعود) قال: ما رأى =

● وأن النبي صلى الله عليه وسلم قد استخلف غيره من الصحابة في غيابه عن المدينة غازيا أو حاجا أو معتمرا، كما استخلف عبدالله ابن أم مكتوم على المدينة في غزوة بدر الكبرى[1]،واستخلف على المدينة أبا ذر الغفاري في غزوة بني المصطلق في شعبان سنة ست من الهجرة[2]، واستخلف على المدينة عويف بن الأضبط الديلي في عمرة القضاء سنة سبعة من الهجرة في ذي القعدة[3]، واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري

المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيِّئاً فهو عند الله سيِّء، وقد رأى الصحابةُ جميعاً أن يستخلفوا أبا بكر.

وروى البخاري في صحيحه (٧٢١٩) بإسناده إلى الزهري أنَّه قال: أخبرني أنس بن مالك أنَّه سمع خطبة عمر الآخرة حين جلس على المنبر، وذلك الغد من يوم توفي النَّبيُّ ، فتشهَّد وأبو بكر صامت لا يتكلَّم، قال: كنت أرجو أن يعيش رسول الله حتى يَدْبَرَنا، يريد بذلك أن يكون آخرَهم، فإن يكُ محمدٌ قد مات، فإنَّ الله تعالى قد جعل بين أظهرِكم نوراً تهتدون به بما هدى اللهُ به محمداً ، وإنَّ أبا بكر صاحب رسول الله ثاني اثنين، فإنَّه أولَى الناسِ بأمورِكم، فقوموا فبايِعوه، وكانت طائفةٌ منهم قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بَنِي ساعدة، وكانت بيعة العامة على المنبر، قال الزهري (أي بالإسناد المتقدِّم) عن أنس بن مالك: سمعتُ عمر يقول لأبي بكر يومئذ: اصعد المنبر، فلم يزل به حتى صعد المنبر، فبايعه الناسُ عامَّ

وروى البيهقي في كتابه مناقب الشافعي (٤٣٤/١) بإسناده إلى الشافعي قال: أجمع الناسُ على خلافة أبي بكر، واستخلَف أبو بكر عمر، ثمَّ جعل عمرُ الشورى إلى ستة، على أن يُوَلُّوها واحداً، فوَلَّوْها عثمان رضي الله عنهم أجمعين .

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري علي بن إسماعيل في كتابه الإبانة (ص:١٨٥ . ١٨٦): وأثنى الله عزَّ وجلَّ على المهاجرين والأنصار والسابقين إلى الإسلام، وعلى أهل بيعة الرضوان، ونطق الكتاب بمدح المهاجرين والأنصار في مواضع كثيرة، وأثنى على أهل بيعة الرضوان، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ الآية، قد أجمع هؤلاء الذين أثنى عليهم ومدَحهم على إمامة أبي بكر الصديق ، وسَمَّوه خليفة رسول الله ، وبايعوه وانقادوا له، وأقَرُّوا له بالفضل، وكان أفضلَ الجماعة في جميع الخصال التي يستحقُّ بها الإمامةَ من العلم والزهد وقوَّة الرأي وسياسة الأمَّة وغير ذلك.

(١) السيرة النبوية لابن هشام : (٣/ ١٥٩).

(٢) المصدر نفسه : (٤/ ٢٥٢).

(٣) المصدر نفسه : (٥/ ١٧).

وخرج لعشر مضين من رمضان لفتح مكة[١]،واستخلف على المدينة أبا دجانة الساعدى في حجة الوداع[٢] وغير هؤلاء الذين استخلفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن هذا الاستخلاف لم يكن لعلي بن أبي طالب خاصة، إذ لو كان هذا يدل على خصوصية علي، لم يجز استخلاف أحد غيره، ثم لو كان هذا من باب الفضائل، لما وجد علي على نفسه وقال: أتجعلني مع النساء والأطفال والضعفة؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم تطييبًا لنفسه: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟[٣].

- ثم إن سبب استخلاف النبي صلى الله عليه وسلم عليا هو ما سمع من المنافقين مقالا غير حسن، كما جاء عن الحارث بن مالك قال : قال سعد بن مالك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا على ناقته الجدعاء وخلف عليا، فجاء علي حتى أخذ بغرز الناقة فقال : يا رسول الله، زعمت قريش أنك أنما خلفتني أنك استثقلتني وكرهت صحبتي، وبكى علي، فنادى رسول الله في الناس، أمنكم أحد إلا وله حامة يا ابن أبي طالب، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟ قال علي رضي الله عنه: رضيت عن الله عز وجل وعن رسوله[٤].
- وتشبيه النبي صلى الله عليه وسلم عليا بهارون عليه السلام لا دلالة فيه على أنه بمنزلة هارون من كل وجه، وإنما شبهه في الاستخلاف خاصة، فقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق بإبراهيم وعيسى عليهم الصلاة والسلام، كما شبه عمر بن الخطاب بنوح وموسى عليهم الصلاة والسلام في قضية أسرى بدر، وهذا أعظم من تشبيه علي بهاون عليه السلام لاختلاف المنزلة

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام : (٥/ ٥٥).

(٢) المصدر نفسه : (٦/ ٥).

(٣) انظر: العواصم من القواصم لابن العربي : (ص: ١٨٣).

(٤) خصائص علي للنسائي : (ص: ٧٧).

بينهم، ولم يوجب ذلك أن يكون أبو بكر وعمر رضي الله عنهما بمنزلة أولئك الرسل عليهم الصلاة والسلام[1].

- وقول النبي صلى الله عليه وسلم "إلا أنه ليس نبي بعدي"، هذا استثناء من النبي صلى الله عليه وسلم يدل على أن تشبيه النبي صلى الله عليه وسلم بعلي رضي الله عنه ليس في كل شيء، وإنما هو في الأخوة والاستخلاف فحسب.

قال حافظ الحكمي –رحمه الله-:

"هذا الاستثناء يزيل الإشكال من الرواية الأولى، ويخصص عموم المنزلة بخصوص الأخوة والاستخلاف في أهله فقط، لا في النبوة، كمشاركة هارون لموسى –عليهما السلام- فيها، إذ يقول الله تعالى لموسى –عليه السلام-: ﴿ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴾[2]، وقال لهما: ﴿ فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[3][4].

- وقول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه "أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى"، ومن المعلوم أن منزلة هارون من موسى عليهما السلام قد بينها الله تعالى في كتابه العزيز ﴿ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[5]، أي: خليفة له لبني إسرائيل أيام غيابه عنهم فقط، ولا تدل على استحقاقه للخلافة مطلقا، وإنّما على استحقاقه للولاية والخلافة في تلك السَّفرة التي سافرها موسى عليه السلام[6].
- لو كان مراد النبي صلى الله عليه وسلم تعيين علي رضي الله عنه بالخلافة بعد موته، لبادر علي في إنفاذ وصية المصطفى صلى الله عليه وسلم، ولم يتنازل عن

---

(١) انظر: رأي شيخ الإسلام ابن تيمية بالرافضة : (١/ ١٩٤).

(٢) سورة طه : (٣١-٣٢).

(٣) سورة الشعراء : (١٦).

(٤) معارج القبول بشرح سلم الوصول : (٣/ ١١٨٢).

(٥) سورة الأعراف : (١٤٢).

(٦) شرح العقيدة الطحاوية لصالح آل الشيخ : (ص: ٦٣٩).

حقه، كما لم يتنازل عن حقه حينما لم يبايعه معاوية[1] ومن معه رضي الله عنهم، بل هو الذي يبايع أبا بكر وعمر وعثمان بن عفان رضي الله عنهم.

- ثم لو كان مقصود النبي صلى الله عليه وسلم بذلك الخلافة لعلي، ولم يتحقق ذلك، فيكون هذا طعنا في النبي صلى الله عليه وسلم، إذ يخبر النبي صلى الله عليه بأمر لم يكن يحصل، لأن الخليفة من بعد النبي صلى الله عليه وسلم هو أبو بكر الصديق، وليس عليا رضي الله تعالى عن الجميع، والنبي صلى الله عليه وسلم ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[2].

ثم إن الرافضة افتروا الروايات المكذوبة في هذا الباب، وزعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم كرر هذا القول.

---

(١) هو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، أمير المؤمنين، ملك الاسلام، أبو عبد الرحمن، القرشي الاموي المكي، وقيل: إنه أسلم قبل أبيه وقت عمرة القضاء، وبقي يخاف من اللحاق بالنبي صلى الله عليه وسلم من أبيه، ولكن ما ظهر إسلامه إلا يوم الفتح، وكان كاتب الوحي، وله فضائل، توفي في رجب سنة ستين، انظر: سير أعلام النبلاء : (٣/ ١١٩)، تهذيب التهذيب : (١٠/ ١٨٧).

(٢) سورة النجم : (٣-٤).

المبحث الخامس : دعوة هارون عليه السلام قومه بنى إسرائيل.

كان هارون عليه السلام نبيا ورسولا إلى فرعون وملائه وإلى بني إسرائيل، فإنه كان شقيق موسى عليهما السلام في النسب وفي الدعوة إلى الله، وإن من أشد ما حصل لهارون عليه السلام مع بني إسرائيل هو فتنة السامري[1]، وهي من أشد الفتن التي مرت على بني إسرائيل، إذ يتحولون من عبادة الله إلى عبادة العجل، وقد عبدوه، قال الله تعالى: ﴿ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾[4]، إلا أن كتاب العهد القديم ينسب هذا العمل القبيح إلى هارون عليه السلام، كما سيأتي الكلام على ذلك في المبحث اللاحق[5].

قال الآجري –رحمه الله– :

"وقد أخبرنا الله تعالى أنه هو الذي فتن قوم موسى، حتى عبدوا العجل بما قبض لهم السامري ، فأضلهم بما عمل لهم من العجل، ألم تسمعوا إلى قوله –تعالى– لموسى عليه السلام ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴾"[6][7].

والعجل الذي عبدوه هو من حليهم الذي تعوروه من آل فرعون.

قال السدي –رحمه الله–:

---

(١) اسمه موسى بن ظفر ، ينسب إلى قرية تدعى سامرة. ولد عام قتل الأبناء ، وأخفته أمه في كهف جبل فغذاه جبريل فعرفه لذلك. انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : (٧/ ٢٨٤)، وقال ابن عباس : كان السامري رجلا من أهل باجَرْما ، وكان من قوم يعبدون البقر ، وكان حب عبادة البقر في نفسه ، وكان قد أظهر الإسلام في بني إسرائيل. انظر: جامع البيان للطبري: (٢/ ٦٦).

(٢) سورة طه : (٨٥).

(٣) سورة الأعراف : (١٤٨).

(٤) سورة طه : (٨٨).

(٥) انظر: ص (٣٩٥/١) من هذه الرسالة.

(٦) سورة طه : (٨٥).

(٧) الشريعة للآجري : (٧١٤/٢).

"لما أمر الله موسى أن يخرج ببني إسرائيل - يعني من أرض مصر - أمر موسى بني إسرائيل أن يخرجوا، وأمرهم أن يستعيروا الحلي من القبط، فلما نجى الله موسى ومن معه من بني إسرائيل من البحر، وغرق آل فرعون، أتى جبريل إلى موسى يذهب به إلى الله، فأقبل على فرس، فرآه السامري فأنكره وقال: إنه فرس الحياة! فقال حين رآه: إن لهذا لشأنا.

فأخذ من تربة الحافر -حافر الفرس- فانطلق موسى، واستخلف هارون على بني إسرائيل، وواعدهم ثلاثين ليلة، وأتمها الله بعشر، فقال لهم هارون: يا بني إسرائيل، إن الغنيمة لا تحل لكم، وإن حَلْي القبط إنما هو غنيمة، فاجمعوها جميعا، واحفروا لها حفرة فادفنوها، فإن جاء موسى فأحلها أخذتموها، وإلا كان شيئا لم تأكلوه.

فجمعوا ذلك الحَلْي في تلك الحفرة ، وجاء السامري بتلك القبضة فقذفها ، فأخرج الله من الحلي عجلا جسدا له خوار، وعدت بنو إسرائيل موعد موسى ، فعدوا الليلة يوما واليوم يوما ، فلما كان تمام العشرين، خرج لهم العجل، فلما رأوه قال لهم السامري: هذا إلهكم وإله موسى فنسي - يقول: ترك موسى إلهه ههنا وذهب يطلبه، فعكفوا عليه يعبدونه، وكان يخور ويمشي"[1].

ولا عجب في شروع بني إسرائيل في عبادة العجل، فإنهم لما أنقذهم الله من فرعون وجنوده وجاوزوا البحر مع موسى وهارون عليهما السلام، مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم، ومالت نفوسهم إليه وطلبوا من موسى أن يصنعوا لهم مثله، قال الله تعالى: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾[2]، ثم بين لهم موسى ضلالهم وبطلان أعمالهم، وأن إلههم الحق هو الله الذي فضلهم على العالمين، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[3].

---

(١) جامع البيان للطبري : (٢/ ٦٥).

(٢) سورة الأعراف : (١٣٨).

(٣) سورة الأعراف : (١٣٩-١٤٠).

وفي حديث أبي واقد الليثي : أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما خرج إلى خيبر مر بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم فقالوا: يا رسول الله أجعل لنا ذات أنوط كما لهم ذات أنواط فقال النبي صلى الله عليه و سلم: (سبحان الله هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم)[1].

وقد تكرر من بني إسرائيل عبادتهم الأصنام، قال ابن تيمية –رحمه الله– :
"وأهل الكتاب معترفون بأن اليهود عبدوا الأصنام مرات"[2].

وهنا جاء دور هارون عليه السلام، لأن موسى ذهب لمناجاة ربه، وفتنة العجل وقعت بعد ذهاب موسى عليه السلام، وقد أوصى موسى أخاه هارون عليهما السلام للقيام بإصلاح بني إسرائيل، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[3].

---

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب الفتن عن رسول الله صلى الل عليه وسلم، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، حديث رقم : (٢١٨٠)، ص: (٤٩٣)، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح ، وصححه الألباني.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : (٥/ ٩٣). كما جاء في أسفارهم أنهم عادوا مرة أخرى لعبادة العجل : فاستشار الملك و عمل عجلي ذهب و قال لهم : كثير عليكم أن تصعدوا إلى اورشليم هوذا الهتك يا إسرائيل الذين اصعدوك من أرض مصر. و وضع واحدا في بيت ايل و جعل الاخر في دان. (سفر الملوك الأول، الإصحاح الثاني عشر ، فقرة ٢٨-٢٩)، وكذلك عبادتهم الأفعى وبعض التماثيل، كما جاء في كتبهم : أزال المرتفعات وكسر التماثيل وقطع السواري وسحق حية النحاس التي عملها موسى ، لأن بني إسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يوقدون لها...(سفر الملوك الثاني، الإصحاح الثمانية عشر، فقرة :٤) ولكن هذا افتراء على موسى عليه السلام. ثم في عصر يوشع استمروا على عبادة غير الله كما جاءت نصه: فالآن أنزعوا الآلهة الغريبة التي في وسطكم وأميلوا قلوبكم إلى الرب إله إسرائيل. يشوع : ٢٤: العدد: ٢٣. وكذا في عصر القضاة، كما جاءت نصه : وعند موت القاضي كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم بالذهاب وراء آلهة أخرى ليعبدوها ويسجدوا لها، لم يكفوا عن أفعالهم وطريقهم القاسية، قضاء، الإصحاح الثاني، العد: ١٩.

(٣) سورة الأعراف : (١٤٢).

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِى ﴾[1].

قال ابن حزم –رحمه الله– :

"وأما هارون فنهاهم عنه جهده وأنهم عصوه وكادوا يقتلونه"[2].

ومن شأن بني إسرائيل أنهم إذا جاءهم نبي من الأنبياء بشيء ما لم يوافق هواهم، كذبوه أو قتلوه، وقد سجل الله تعالى في كتابه هذا الموقف الشنيع منهم في غير آية، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقًا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقًا تَقۡتُلُونَ ﴾[3]، وقال تعالى ﴿ لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ رُسُلًاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقۡتُلُونَ ﴾[4].

وهذا الذي أرادوا فعله بهارون عليه السلام، قال الله تعالى ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِى مِنۢ بَعۡدِىٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِى وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِى فَلَا تُشۡمِتۡ بِىَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِى مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[5]، وهذا موقف يدل على تفريط هؤلاء في شأن الأنبياء والمرسلين، وجفائهم وشدة عدائهم لهم، ولذلك لما رجع موسى عليه السلام إلى قومه، فرأى ما حدث فيهم من الأمر العظيم، وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه ولحيته، فاعتذر هارون عليه السلام بقوله ﴿ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِى وَكَادُواْ

---

(١) سورة طه : (٩٠).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٢٥)

(٣) سورة البقرة : (٨٧).

(٤) سورة المائدة : (٧٠).

(٥) سورة الأعراف : (١٥٠).

يَقۡتُلُونَنِي ﴾[1]، أي الذي جعله يقف في الأمر هو تهديد هؤلاء القوم بقتل هارون عليه السلام.

قال ابن جريج : "كان من الإصلاح أن يزجر السامري ويغير عليه"[2].

وحصل بعض المواقف من بني إسرائيل تجاه هارون وأخيه عليهما السلام، ومنها :

- اتهم بنو إسرائيل هارون وأخاه موسى عليهما السلام بالتسبب في زيادة القسوة عليهم حينما ضاعف فرعون العذاب عليهم بعد أن طلب موسى منه أن يطلق قومه، ودعوا عليهما من أجل ذلك.

  وجاء في التوراة :

  "ينظر الرب إليكما ويقضي لأنكما أنتما رائحتنا في عيني فرعون وعيون عبيده حتى تعطيا سيفا في أيديهم ليقتلونا"[3].

- تذمر بنو إسرائيل من هارون وأخيه موسى عليهما السلام بعد خروجهم من مصر، لأنهم تذكروا قدور اللحم ووفرة الخبز في مصر قبل خروجهم منها، وتمنوا أن لو كانوا باقين في مصر.

  جاء في التوراة :

  "فتذمر كل جماعة بني إسرائيل على موسى وهارون في البرية ، وقال لهما بنو إسرائيل : ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزا للشبع ، فإنكما أخرجتمانا إلى هذا الفقر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع"[4].

  وفي هذا الندم على أنهم أطاعوا الرسولين موسى وهارون عليهما السلام كما هو ظاهر من كلامهم.

---

(١) سورة الأعراف : (١٥٠).

(٢) تفسير القرطبي : (٧/ ٢٧٧).

(٣) سفر الخروج ، الإصحاح الخامس ، العدد : ٢١.

(٤) سفر الخروج ، الإصحاح السادس عشرة ، العدد : ٢-٣.

- إن الله تعالى لما أنزل عليهم المن[1] والسلوى[2] بعد أن تذمر على هارون وموسى عليهما السلام، واستمروا حينا من الزمن على أكل المن سئموا منه وملوا، فلم يقبلوا نعمة الله تعالى عليهم ولم يشكروا فضل الله عليهم من غيرهم، وتمنوا ما هو أدنى من ذلك، وأن يكونوا فلاحين كما كانوا في أرض مصر.

ذكر التوراة: "واللفيف الذي في وسطهم اشتهى شهوة، فعاد بنو إسرائيل أيضا وبكوا وقالوا: من يطعمنا لحما؟ قد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجانا، والقثاء والبطيخ والكراث والبصل والثوم. والآن قد يبست أنفسنا ليس شيء غير أن أعيننا إلى هذا المن"[3].

وقد ذكر الله تعالى هذا في القرآن الكريم، وكيف بدلوا نعمة الله تعالى بالكفر، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾[4].

---

(١) اختلف المفسرون في عبارات المن، فمنهم من فسره بالطعام، ومنهم من فسره بالشراب، والظاهر والله أعلم، أنه كل ما امتن الله به عليهم من طعام وشراب، وغير ذلك، مما ليس لهم فيه عمل ولا كد، فالمن المشهور إن أكل وحده كان طعاما وحلاوة، وإن مزج مع الماء صار شرابا طيبا، وإن ركب مع غيره صار نوعا آخر، ولكن ليس هو المراد من الآية وحده، قاله ابن كثير في تفسير القرآن العظيم : (١/ ٢٦٨).

(٢) السلوى هو طائر شبيه بالسماني، كانوا يأكلون منه، قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وقيل العسل، والله أعلم، انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير : (١/ ٢٧١).

(٣) سفر العدد، الإصحاح الحادي عشر، العدد : ٤-٦.

(٤) سورة البقرة : (٦١).

المبحث السادس : افتراءات التوراة المحرفة على هارون عليه السلام.

المطلب الأول : طعنهم في هارون عليه السلام بأنه صانع الأوثان.

هارون عليه الصلاة والسلام أرسله الله تعالى وأخاه إلى فرعون وملئه وإلى بني إسرائيل بالدعوة وإخلاص العبادة لله وحده، وأن الله تعالى هو المعبود حقا، وأن كل ما سواه من المعبودات فهو باطل، ولكن اليهود افتروا على نبي الله، إذ هارون عليه السلام إنه هو الذي صنع الأصنام لبني إسرائيل، بل وهو الذي أمر بني إسرائيل أن يعبدوا العجل من دون الله عز وجل.

ففي التوراة المحرفة:

"ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا، لأن هذا موسى الرجل الذي أعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه. فقال لهم : انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وائتوني بها. فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون. فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل وصنعه عجلا مسبوكا فقالوا : هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر. فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه ونادى وقال: غدا عيد الرب. فبكروا في الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح، وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب.

فقال الرب لموسى: اذهب انزل، لأنه فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر. زاغوا سريعا عن الطريق الذي أوصيتهم به، صنعوا عجلا مسبوكا وسجدوا له وذبحوا له وقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر . وقال الرب لموسى: رأيت هذا الشعب. وإذا هو شعب صلب الرقبة. فالآن اتركني ليحمي غضبي عليهم وأفنيهم فأصيرك شعبا عظيما. فتضرع موسى أمام الرب إلهه وقال : لماذا يا رب يحمي غضبك على شعبك الذي أخرجته من مصر بقوة عظيمة ويد شديدة. لماذا يتكلم المصريون قائلين : أخرجهم بخبث ليقتلهم في الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض، ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك. اذكر إبراهيم وإسرائيل عبيدك الذي حلفت لهم بنفسك وقلت لهم : أكثر نسلكم كنجوم السماء وأعطي نسلكم كل هذه الأرض التي تكلمت فيملكونها إلى الأبد . فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه.

فانصرف موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة في يده، لوحان مكتوبان على جانبيهما من هنا ومن هنا كانا مكتوبين. واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتاب الله منقوشة على اللوحين. وسمع يشوع صوت الشعب في هتافه فقال لموسى : صوت قتال في المحلة. فقال : ليس صوت صياح النصرة ولا صوت صياح الكسرة، بل صوت غناء أنا سامع. وكان عند ما إلى المحلة أنه أبصر العجل والرقص، فحمى غضب موسى وطرح اللوحين من يديه وكسرهما في أسفل الجبل. ثم أخذ العجل الذي صنعوا وأحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعما وذراه على وجه الماء وسقى بني إسرائيل"[(١)].

وكيف تصور التوراة المحرفة أن موسى يقرع هارون –عليهما السلام– لفعلته المزعومة، وهارون يعري موسى ليهزأ به الشعب ويضحك عليه ويسخر به، كما جاء في التوراة المحرفة:

"وقال موسى لهارون ماذا صنع بك هذا الشعب حتى جلبت عليه خطية عظيمة؟ فقال هارون: لا يحم غضب سيدي، أنت تعرف الشعب أنه في شر، فقالوا لي: اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه. فقلت لهم: من له ذهب فلينزعه ويعطيني، فطرحته في النار فخرج هذا العجل. ولما رأى موسى أنه معرى لأن هارون كان قد عراه للهزء بين مقادميه"[(٢)].

وهذا الكتاب الذي كتبه اليهود وظنوا أنه من عند الله وما هو من عند الله تعالى، لا يرعون لأنبيائهم حرمة، ولا يتورعون أن ينسبوا إليهم النقص في إبلاغ الرسالة، إذ كيف هارون عليه السلام يصنع لهم العجل مع أن الله تعالى بعثه إلى الخلق لعبادة الله وحده لا شريك له، ولقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم قصة عبادة العجل، وأن السامري هو الذي أغراهم لعبادته، وأن هارون عليه السلام قد أنذر قومه وحذرهم منه إلا أنهم لم يلتفتوا إليه بل عصوه وخالفوه وكادوا أن يقتلوه.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ

(١) سفر الخروج، الإصحاح الثاني والثلاثون، العدد : ١-٢٠.

(٢) سفر الخروج، الإصحاح الثاني والثلاثون، العدد : ٢١-٢٦.

أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾ [1].

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ [2]، وهتان السورتان تبين لنا بالوضوح براءة هارون عليه السلام من هذه التهمة والافتراء، وبئس ما يزرون أولئك القوم لأنبيائهم، بل هؤلاء قد أُشربوا في قلوبهم عبادة العجل، كما قال الله تعالى ﴿ وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ [3].

---

(١) سورة الأعراف : (١٤٨-١٥٢).

(٢) سورة طه : (٨٣-٩١).

(٣) سورة البقرة : (٩٣).

وهكذا يصف القرآن الكريم كيف عبد بنو إسرائيل العجل بعد أن نجاهم الله تعالى من فرعون وبطشه بهم، وأما الصورة التي ترسمها التوراة المحرفة لعبادة العجل فهي صورة قبيحة حيث تتهم هارون عليه السلام بأنه هو الذي صنع العجل، وأنه هو الذي دعا بني إسرائيل لعبادته، ولا يرد أي ذكر للسامري في التوراة المحرفة، مع أنه هو الذي يتسبب في هذه الأمور كلها.

قال ابن حزم —رحمه الله– :

"أن يكون هارون وهو نبي مرسل يتعمد أن يعمل لقومه إلها يعبدونه من دون الله عز وجل وينادي عليه غدا عيد السيد ويبني للعجل مذبحا ويساعدهم على تقريب القربان للعجل، ثم يجردهم ويكشف أستاههم للرقص وللغناء أمام العجل إلا أن تكون أحق أستاه كشفت إن هذا لعجب نبي مرسل كافر مشرك يعمل لقومه إلها من دون الله أو يكون العجل ظهر من غير أن يتعمد هارون عمله فهذه والله معجزة كمعجزات موسى ولا فرق إلا أن هذا هو الضلال والتلبيس والإشكال والتدليس المبعد عن الله تعالى إذ لو كان هذا لما كان موسى أولى بالتصديق من عابد العجل الملعون"[1].

والتوراة المحرفة كما هي حالها في التناقض، قد جاءت بتزكية هارون عليه السلام، وأنه قدوس الرب، كما ورد في سفر المزامير" هرون قدوس الرب"[2]، ومقتضى هذا اللقب أن هارون عليه السلام بعيد عن هذا الصنيع الفاحش، إذ كيف هو يصنع العجل لعبادته مع أنه ملقب بقدوس الرب.

وهذا هو دأب اليهود تجاه أنبيائهم، فريقا كذبوه واتهموه وفريقا قتلوه، والله المستعان.

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل : (١/ ١٢٥-١٢٤).

(٢) سفر المزامير، الإصحاح ١٠٦، العدد : ١٦.

المطلب الثاني: طعنهم في هارون عليه السلام بأنه ناقص الإيمان.

ومن المعلوم أن دعوة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام قوامها الإيمان بالله عز وجل وتوحيده، ولا يعقل أن يدعو إلى الإيمان بالله تعالى من لم يؤمن أو من هو ناقص الإيمان، ويظهر هذا جليا في دعوة موسى وهارون عليهما السلام لفرعون إلى عبادة رب العالمين.

إلا أن التوراة المحرفة ادعت أن هارون وأخاه موسى عليها السلام لم يكملا إيمانهما بعد.

ففي التوراة :

"فقال الرب لموسى وهارون من أجل إنكما لم تؤمنا بي حتى تقدساني أمام أعين بني إسرائيل؛ لذلك لا تدخلان هذه الجماعة إلى الأرض التي أعطيهم إياها"[1].

ونسبة عدم الإيمان إلى هارون وأخيه موسى عليهما السلام انتقاص لمكانتهما الجليلة الرفيعة، إذ هما نبيان ورسولان كريمان، أرسلهما الله تعالى لبني إسرائيل[2] ليؤمنوا بالله حق الإيمان، ولينقذاهم من ضلالة الكفر والطغيان.

---

(١) سفر العدد، الإصحاح العشرون : العدد : ١٣.

(٢) إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام، وبنو إسرائيل هم ذرية يعقوب عليه السلام، انظر: جامع البيان للطبري : (٦/ ٧)، وأيسر التفاسير للجزائري : (١/ ٩٨).

المطلب الثالث: طعنهم في هارون عليه السلام بأن الرب غضب عليه.

تذكر التوراة المحرفة أن الرب غضب على هارون وموسى عليهما السلام، ويميتهما في البرية ويمنعهما من الدخول إلى الأرض المقدسة.

ففي سفر العدد:

"وغضب الرب علي بسببكم وأقسم أني لا أعبر الأردن ولا أدخل الأرض الجيدة التي الرب إلهك يعطيك نصيبا فأموت أنا في هذه الأرض . لا أعبر الأردن وأما أنتم فتعبرون وتمتلكون تلك الأرض الجيدة"(١).

ثم تذكر التوراة المحرفة أن الله حرم موسى وهارون من دخول الأرض المقدسة لخيانتهما لله وعدم إيمانهما: "فقال الرب لموسى وهارون: من أجل أنكما لم تؤمنا بي، حتى تقدساني أمام أعين بني إسرائيل، لذلك لا تدخلان هذه الجماعة إلى الأرض التي أعطيتهم إياها"(٢).

وفي موضع آخر يؤكد هذا السبب لحرمانهما من دخول الأرض المباركة، فيقول:" وكلم الرب موسى في نفس ذلك اليوم قائلا : اصعد إلى جبل عباريم...قبالة أريحا – الأردن- وانظر إلى أرض كنعان التي أنا أعطيها لبني إسرائيل ملكا. ومت في الجبل الذي تصعد إليه . وانضم إلى قومك كما مات أخوك هارون في جبل هور...لأنكما خنتماني في وسط بني إسرائيل عند ماء مريبة قادش، في برية صين، إذ لم تقدساني في وسط بني إسرائيل، فإنك تنظر الأرض من قبالتها ولكنك لا تدخل إلى هناك إلى الأرض التي أنا أعطيها لبني إسرائيل"(٣).

ويقول موسى : وعلى هارون غضب الرب جدا ليبيده. فصليت أيضا من أجل هارون في ذلك الوقت (٤).

---

(١) سفر التثنية، الإصحاح الرابع : العدد : ٣٠-٣٣.

(٢) سفر العدد ، الإصحاح العشرون ، العدد : ١٣.

(٣) سفر التثنية ، الإصحاح اثنان والثلاثون، العدد: ٤٨-٥٢.

(٤) سفر التثنية ، الإصحاح التاسع، العدد : ٢٠.

من أجل هذا العصيان الذي نسبوه إلى هارون وموسى عليهما السلام، عوقبا بالموت قبل دخول أرض فلسطين.

وتذكر التوراة كذلك أنه غضب على هارون وأخته، لأنهما يتكلمان في شأن موسى وزوجته عليهما السلام.

وجاء فيها أيضا : "فنزل الرب في عمود سحاب و وقف في باب الخيمة و دعا هرون ومريم فخرجا كلاهما. فقال اسمعا كلامي إن كان منكم نبي للرب فبالرؤيا استعلن له في الحلم أكلمه. وأما عبدي موسى فليس هكذا بل هو أمين في كل بيتي. فما إلى فم و عيانا أتكلم معه لا بالالغاز و شبه الرب يعاين فلماذا لا تخشيان أن تتكلما على عبدي موسى"[١].

فقد أنذر الله تعالى هارون وأخته مريم وغضب عليهما حيث يتكلمان في شأن موسى وزوجته عليهما السلام، وكشف الله تعالى كرامة موسى عليه السلام بأنه أمينا في كل بيت الرب راعيا شعبه بكل أمانة وصدق حتى لا يتجرءان على موسى عليه السلام.

---

(١) سفر العدد، الإصحاح اثنا عشر، العدد: ٥-٨.

المبحث السابع: موقف هارون عليه السلام من فرعون الطاغية.

إن هارون عليه السلام كان له مواقف مع أخيه موسى عليه السلام لدعوة فرعون الطاغية إلى عبادة الله وحده ، وأنه شريك له وعون في الدعوة، وهذا من سؤال موسى لأخيه، لأن الاثنين إذا اجتمعا على الخير، كانت النفس إلى تصديقهما، أسكن منها إلى تصديق خبر الواحد، قال الله تعالى: ﴿ فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾[1].

من تلك المواقف :

- أمر الله تعالى هارون وأخاه موسى عليهما السلام أن يخاطب فرعون بالحسنى، قال الله تعالى: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[2]، أي كلام سهل لطيف برفق ولين وأدب في اللفظ من دون فحش ولا صلف، ولا غلظة في المقال، أو فظاظة في الأفعال، ولعل بسبب هذا القول اللين يتذكر ما ينفعه فيأتيه، ويخشى ما يضره فيتركه، فإن القول اللين داع لذلك، والقول الغليظ منفر عن صاحبه، ويتضح ذلك ما حكى الله تعالى في قوله ﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾[3]، فإن في هذا الكلام من لطف القول وسهولته وعدم بشاعته ما لا يخفى على المتأمل، ذكره ابن السعدي –رحمه الله–[4].
- كان يقف مع أخيه موسى عليهما السلام تجاه عدو الله فرعون ومن معه في بيان الحق، حيث إن فرعون ادعى الربوبية، وزعم أنه هو الإله المعبود، فقام هارون وأخوه موسى عليهما السلام في بيان بطلان ادعاء فرعون بالآيات التي وهبه الله لهما.

---

(١) سورة القصص : (٣٤-٣٥).

(٢) سورة طه : (٤٣-٤٤).

(٣) سورة النازعات : (١٨-١٩).

(٤) تفسير السعدي : (ص: ٥٠٦) بتصرف يسير.

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾

---

(١) سورة الشعراء : (٢٣-٣٩).

(٢) سورة الأعراف : (١١١-١١٣).

(٣) سورة طه : (٢٩-٣٧).

فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴾[3].

- كان هارون عليه السلام من يساعد موسى في بيان الحق إلى فرعون لما له من الفصاحة، وذلك أن موسى عليه السلام، كان في لسانه لثغة، بسبب ما كان تناول تلك الجمرة، حين خير بينها وبين التمرة أو الدرة، فأخذ الجمرة فوضعها على لسانه، فحصل فيه شدة في التعبير[4].

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّاۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[5].

---

(١) سورة طه : (٤٢-٤٧).

(٢) سورة المؤمنون : (٤٥-٤٨).

(٣) سورة الفرقان : (٣٥-٣٦).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم : (٦/ ٢٣٦).

(٥) سورة الشعراء : (١٠-١٧).

وقال تعالى: ﴿ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴾[1].

وهذا الذي بينه القرآن في مواقف هارون وأخيه موسى عليهما السلام تجاه فرعون الطاغية، وأنهما بلغا رسالة الله تعالى، وطلبا من فرعون أن يترك بني إسرائيل ليخرجوا من مصر، ولكن فرعون أبى إلا أن يبقوا في مصر، وتحدى الرسولين الكريمين، فأرياه من آيات الله ما يدل على صدقهما، وتتلخص تلك الآيات من الله تعالى لفرعون ومن معه ما يلي:

- قلب مياههم دما حتى لا تصلح للشرب[2].
- إرسال الضفادع عليهم وعلى بيوتهم ومياههم وأراضيهم[3].
- إرسال البعوض عليهم حتى امتلأت به منازلهم[4].
- إرسال الذباب عليهم[5].
- إهلاك جميع مواشيهم[6].
- إرسال غبار حمل إلى جميع أرض مصر الدمامل، فأصيب بها الناس والبهائم[7].
- إنزال البرد على أرضهم حتى أذهبت الأشجار والأعشاب، وأهلكت الناس والبهائم[8].
- إرسال الجراد عليهم حتى أهلك كل أحضر من النبات وازرع[9].

---

(١) سورة القصص : (٣٤-٣٥).

(٢) سفر الخروج، الإصحاح السابع، العدد: ١٩-٢١.

(٣) المصدر نفسه، الإصحاح الثامن، العدد: ٥-٦.

(٤) المصدر نفسه، الإصحاح الثامن، العدد: ١٦-١٧.

(٥) المصدر نفسه، الإصحاح الثامن، العدد: ٢١-٢٤.

(٦) المصدر نفسه، الإصحاح التاسع، العدد: ٣-٦.

(٧) المصدر نفسه، الإصحاح التاسع، العدد: ٨-١١.

(٨) المصدر نفسه، الإصحاح التاسع، العدد: ١٨-٢٦.

(٩) المصدر نفسه، الإصحاح العاشر، العدد: ١٢-١٥.

- إطلاق ظلمة كثيفة عليهم ثلاثة أيام حتى لا يستطيع أحد أن يرى من بجانبه ولا أن يقوم من موضعه(١).
- إماتة كل بكر في أرض مصر ابتداء من بكر فرعون وانتهاء بالبهائم، فكان بسبب ذلك صراخ وبكاء عظيم في مصر(٢).
- وكذلك قلب الحصا ثعبانا، إلا أنه يوجد في التوراة اختلاف، ففي بعض النص ذكرت أن العصا لهارون"(٣).

وقد جاء القرآن الكريم مصدقا –وهو كذلك– لهذه الآيات والبينات، قال الله تعالى: ﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَـٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَـٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَـٰتٍ مُّفَصَّلَـٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾(٥).

---

(١) المصدر نفسه، الإصحاح العاشر، العدد: ٢١-٢٣.

(٢) المصدر نفسه، الإصحاح الثاني عشر، العدد: ٢٩-٣٠.

(٣) المصدر نفسه، الإصحاح السابع، العدد: ٧-١٢، الإصحاح الرابع، العدد: ٢-٤.

(٤) سورة الأعراف : (١٠٦-١٠٨).

(٥) سورة الأعراف: (١٣١-١٣٣)، وقد ذكر الله تعالى هذه الآيات في عدة مواضع من كتابه، كتابه، انظر: سورة طه : (١٧-٢٣)، سورة الشعراء : (٣٢-٣٣)، (٤٥-٤٦)، (٦٣-٦٧)، سورة القصص : (٣٠-٣٢).

المبحث الثامن: معية الله عز وجل لهارون وأخيه موسى عليهما السلام.

إن من صفات الله تعالى صفة المعية لخلقه صفة تليق بكماله سبحانه، وأن الله تعالى يكون مع خلقه ، وهذه الصفة لا تقتضي الاختلاط مع خلقه، وأن الله تعالى ذكر في كتابه العزيز أنه استوى على عرشه، وأنه مع خلقه، قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [1].

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [2]، وقال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [3]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [4]، وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [5]، وقال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [6]، وقال تعالى: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [7].

وهذه المعية تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول : معية عامة.

---

(١) سورة الحديد : (٤).

(٢) سورة المجادلة : (٧).

(٣) سورة التوبة : (٤٠).

(٤) سورة طه : (٤٦).

(٥) سورة النحل : (١٢٨).

(٦) سورة الأنفال : (٤٦).

(٧) سورة البقرة : (٢٤٩).

والقسم الثاني : معية خاصة.

والمعية الخاصة تنقسم إلى قسمين أيضا :

- المعية الخاصة المقيدة بشخص.
- المعية الخاصة المقيدة بوصف.

أما المعية العامة فهي معية الله تعالى لجميع خلقه، مؤمنين وكفارا، أبرارا و فجارا، لأن هذه المعية تستلزم إحاطة الله تعالى بخلقه بعلمه وسمعه وقدرته وسلطانه وغير ذلك من معاني الربوبية، وهذا كما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[1]، وقوله: ﴿ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ﴾[2].

أما المعية الخاصة فهي معية الله تعالى لبعض خلقه لما اتصف به من الصفات المحمودة عند الله عز وجل، أي مقيدة بما حصل من العبد من صفات حميدة من التقوى والإحسان والصبر وغير ذلك، وهذه المعية تستلزم النصر والتأييد، وذلك في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[3]، وفي قوله: ﴿ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[5].

وقد تكون هذه المعية مقيدة بشخص وهي معية الله تعالى لبعض خلقه بالخصوص، فهذا أخص أنواع المعية، وقد ذكر الله تعالى أو أشار إليها في كتابه العزيز، وهذا الذي حصل لهارون وأخيه موسى عليهما السلام، قال الله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾[7]، وكذا حصل لنبينا محمد

---

(١) سورة الحديد : (٤).

(٢) سورة المجادلة : (٧).

(٣) سورة النحل : (١٢٨).

(٤) سورة الأنفال : (٤٦).

(٥) سورة البقرة : (٢٤٩).

(٦) سورة طه : (٤٦).

(٧) سورة الشعراء : (١٥).

محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، قال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾[(١)].

ويعرف من هذا أن معية الله تعالى لهارون وأخيه موسى عليهما السلام هي معية خاصة مقيدة بشخصهما، وأنهما من عباد الله المصطفين الأخيار، وأن الله تعالى أيدهما بقوته ونصرهما بنصره، وأن هذه المعية هي من الصفات الفعلية لله تعالى، لأنها مقرونة وتابعة لمشيئة الله تعالى، وكل صفة مقرونة بسبب هي من الصفات الفعلية[(٢)].

وأن الله تعالى معنا على حقيقته كما يليق بجلاله سبحانه وهو مستوي على عرشه ، كما جمع الله ذلك في الآيتين المتقدمتين، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ أي أن الله تعالى يستوى على عرشه، وقال تعالى بعد ذلك ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[(٣)]، وكما ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه: (والله تبارك وتعالى فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه)[(٤)].

وذلك أن كلمة "مع" في اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة ؛ من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال ؛ فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى، فإنه يقال : ما زلنا نسير والقمر معنا أو والنجم معنا، ويقال : هذا المتاع معي لمجامعته لك ؛ وإن كان فوق رأسك، فالله مع خلقه حقيقة وهو فوق عرشه حقيقة[(٥)].

---

(١) سورة التوبة : (٤٠).

(٢) انظر: : شرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيمين: (١/ ٤٠٠-٤٠٤).

(٣) سورة الحديد : (٤).

(٤) التوحيد لابن خزيمة : (ص: ١٥٤).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية : (٥/ ١٠٣).

المبحث التاسع : وفاة هارون عليه السلام.

لما أنقذ الله بني إسرائيل من فرعون وجنوده، وأوجب الله تعالى عليهم الدخول إلى الأرض المقدسة التي هي ميراث لهم من أبيهم إسرائيل، وقتال من فيها من العماليق الكفرة، فنكلوا عن قتالهم وضعفوا ولم يستحبوا ما أمره الله تعالى لهم على لسان نبيهم، فرماهم الله تعالى في التيه عقابا لهم أربعين سنة.

قال الله تعالى حكاية عنهم: ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ۝٢١ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ۝٢٢ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٣ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ۝٢٤ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ۝٢٥ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾[1].

وأورد الحاكم –رحمه الله– ذكر وفاة هارون بن عمران عليه السلام فإنه مات قبل موسى عليه السلام .

وعن وهب بن منبه قال: "نعى الله هارون لموسى عليهما السلام حين أراد الله أن يقبضه، فلما نعاه له حزن، فلما قبض جزع جزعاً شديداً وبكى بكاء طويلاً، فلما عاد في ذلك أقبل الله تعالى عليه يعزيه ويعظه، فقال له: يا موسى ما كان ينبغي لك أن تحن إلى فقد شيء معي، ولا أن تستأنس بغيري، ولا أن تشد ركبك إلا بي، ولا أن يكون جزعك هذا الآن على هارون إلا لي، وكيف تستوحش إلى شيء من الأشياء وأنت تسمع كلامي؟

أم كيف تحن إلى فقد شيء من الدنيا بعد إذ اصطفيتك برسالاتي وبكلامي؟"

وذكر مناجاة طويلة.

(١) سورة المائدة : (٢١-٢٦).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما و عن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود وعن أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : "إن الله أوحى إلى موسى بن عمران عليه السلام أني متوفى هارون فأت به جبل كذا وكذا، فانطلق موسى وهارون عليهما السلام نحو ذلك الجبل، فإذا هم بشجرة مثلها ببيت مبني، وإذا هم فيه بسرير عليه فرش، وإذا فيه ريح طيب.

فلما نظر هارون إلى ذلك الجبل والبيت وما فيه أعجبه، وقال يا موسى إني لأحب أن أنام على هذا السرير، قال له موسى: فنم عليه!

قال: إني أخاف أن يأتي رب هذا البيت فيغضب علي.

قال له موسى: لا ترهب أنا أكفيك رب هذا البيت فنم! فقال: يا موسى بل نم معي، فإن جاء رب هذا البيت غضب علي وعليك جميعاً، فلما ناما أخذ هارون الموت فلما وجد حسه قال: يا موسى خدعتني، فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة، ورفع السرير إلى السماء، فلما رجع موسى عليه السلام إلى بني إسرائيل وليس معه هارون، قالوا: إن موسى قتل هارون وحسده حب بني إسرائيل له، وكان هارون آلف عندهم وألين لهم من موسى عليهما السلام ، وكان في موسى بعض الغلظ عليهم، فلما بلغه ذلك، قال لهم: ويحكم إنه كان أخي، أفتروني أقتله، فلما أكثروا عليه قام فصلى ركعتين ثم دعا الله فنزل بالسرير حتى نظروا إليه بين السماء والأرض فصدقوه"[1].

إلا أن في العهد القديم اختلفوا في المكان الذي توفي فيه هارون عليه السلام، جاء في بعض أسفارهم أنه عليه السلام توفي في جبل هور : "فصعد هارون الكاهن إلى جبل

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم: (٢/ ٦٣٢)، ذكر وفاة هارون بن عمران، فإنه مات قبل موسى، حديث رقم : (٤١٠٩)، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه، وانظر: تفسير البغوي : (٣/ ٣٩)، تفسير القرطبي : (١/ ٣٩٣)، تفسير اللباب لابن عادل : (ص: ٤١٥٢).

هور حسب قول الرب ومات هناك في السنة الأربعين لخروج بني إسرائيل من أرض مصر"[1].

وفي موضع آخر أنه عليه السلام توفي في موسير: َ"وبنو إسرائيل ارتحلوا من آبار بني يعقان إلى موسير ، هناك مات هارون وهناك دُفن"[2].

وكان هارون ابن مائة وثلاث وعشرين سنة حين مات في جبل هور .

كما جاء في التوراة : "ثم ارتحلوا من قادش و نزلوا في جبل هور في طرف أرض أدوم. فصعد هارون الكاهن إلى جبل هور حسب قول الرب و مات هناك في السنة الأربعين لخروج بني إسرائيل من أرض مصر في الشهر الخامس في الأول من الشهر. وكان هارون ابن مئة و ثلاث و عشرين سنة حين مات في جبل هور"[3].

---

(١) سفر التثنية، الإصحاح الخمسون، العدد : ٣٢ و ٣٨.

(٢) سفر التثنية، الإصحاح السادس، العدد : ١٠.

(٣) سفر العدد، الإصحاح ٣٣، العدد: ٣٧-٣٩.

الفصل الرابع

أخت موسى عليه السلام

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : اسمها ونسبها ونشأتها.

المبحث الثاني : جهودها في عودة أخيها موسى عليه السلام إلى أمها.

المبحث الثالث : بيان ضعف الحديث الذى فيه أن أخت موسى عليه السلام زوجة النبي صلى اله عليه وسلم في الجنة.

المبحث الأول : اسمها ونسبها ونشأتها.

لم يرد في القرآن اسم أخت موسى عليه السلام صراحة، إلا أن الله تعالى خاطب موسى عليه السلام بإخباره إياه أنها أخته، قال الله تعالى: ﴿ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾[2]، والمراد بـ "الأخت" هنا هي أخت موسى عليهما السلام.

ولكن جاء في بعض الروايات اسم أخت موسى عليه السلام، واختلفوا في ذلك:

- فمنهم من قال: إن اسمها مريم بنت عمران، وافق اسمها اسم مريم أم عيسى عليه السلام.

  كما أورده الحاكم : فلما كانت الليلة التي ولد فيها موسى ولدته أمه ولا رقيب عليها ولا قابل ولم يطلع عليها أحد إلا أختها مريم[3]، وكذا قاله السهيلي والثعلبي[4] وابن عساكر[5] وابن كثير[6]وغيرهم[7].

- ومنهم من قال: إن اسمها كلثم[8] أو كلثوم[9]، كما جاء في بعض الروايات عن عن ابن عباس رضي الله عنه، وعن أبي أمامة وعن غيرهما كما ستأتي في المبحث اللاحق.

- ومنهم من قال : إن اسمها كلثمة، قاله الضحاك[1].

---

(١) سورة طه : (٤٠).

(٢) سورة القصص : (١١).

(٣) المستدرك على الصحيحين : (٢/ ٦٢٧)، ذكر النبي الكليم موسى بن عمران وأخيه، حديث رقم : (٤٠٩٧).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : (٢٥٦/١٣).

(٥) مختصر تاريخ دمشق : (١٨/٦١).

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : (٥/ ٢٢٧).

(٧) انظر: تفسير الكشاف : (٣/ ٣٩٦)

(٨) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : (٢٥٦/١٣)، ومفحمات الأقران في مبهمات القرآن القرآن للسيوطي : (٨٠/١).

(٩) انظر: الدر المنثور للسيوطي : (١١/ ٤٣٣)

- ومنهم من قال : إن اسمها كليم أو كليمة، ذكره النووي عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أعلمت أن الله زوجني في الجنة مريم ابنة عمران، وكليم أخت موسى عليه السلام، وآسية امرأة فرعون؟ فقلت: هنيئا لك يا رسول الله)[2].

وفي رواية : "وكليمة بنت عمران أخت موسى"[3].

- ومنهم من قال : إن اسمها يواخيد، قاله ابن جريج[4].

وغير ذلك من الأقوال.

وأما نسبها فهي ابنة عمران كما تقدم ذكر ذلك من كلام ابن كثير وابن الأثير – رحمهما الله- في المبحث السابق.

وفي نظر اليهود والنصارى أن أخت موسى عليه السلام كانت نبية من الأنبياء، كما ورد في التوراة : "فأخذت مريم النبية أخت هرون الدف بيدها و خرجت جميع النساء وراءها بدفوف و رقص"[5].

وزعموا كذلك أن الرب غضب عليها، وصارت برصاء كالثلج نتيجة الغضب، وقد عاقب الرب مريم بهذا المرض لكي تشعر بعظم خطيئتها وتندم على ما صدر منها وتقدم التوبة اللائقة بخطيئتها، وذلك لأنها تكلمت عن موسى وزوجته عليهما السلام. جاء في التوراة :

"فحمي غضب الرب عليهما و مضى. فلما ارتفعت السحابة عن الخيمة إذا مريم برصاء كالثلج فالتفت هرون إلى مريم و إذا هي برصاء. فقال هرون لموسى أسالك يا

---

(١) النكت والعيون للماوردي : (٤/ ٢٣٨)، قال الضحاك ، واسم أخته كلثمة.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات : (ص: ٩٤٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم المنسوب للإمام الطبراني (ص:١٣٢)

(٤) الدر المنثور للسيوطي : (١١/ ٤٣٣).

(٥) سفر الخروج، الإصحاح الخامس عشرة، العدد: ٢٠.

سيدي لا تجعل علينا الخطية التي حمقنا وأخطانا بها. فلا تكن كالميت الذي يكون عند خروجه من رحم أمه قد أكل نصف لحمه"[١].

وكان الأبرص في شريعة التوراة المحرفة يعزل سبعة أيام باعتباره نجسا إلى أن يبرأ من برصه[٢]، حتى استشفع هارون لموسى أن يدعو ربه في شفاء أختهما، فشفاها الله تعالى من ذلك المرض[٣].

(١) سفر العدد، الإصحاح اثنا عشر، العدد: ٩-١٢.

(٢) انظر: سفر اللاويين، الإصحاح الثالث عشر، العدد: ٤٥-٤٦.

(٣) انظر: سفر العدد، الإصحاح اثنا عشر، العدد: ١١-١٦.

المبحث الثاني : جهودها في عودة أخيها موسى عليه السلام إلى أمها.

إن لأخت موسى عليها السلام دورا وأثرا كبيرا في حياة موسى عليه السلام، حفظته صغيرا وأعادته إلى أمه، يأتي دورها بعد أن ألقت أمها موسى الوليد في التابوت فقذفته في اليم.

وأخت موسى عليه السلام كانت على جانب كبير من الذكاء والفطنة، خرجت تمشي على شاطئ النيل في خفاء، تتبع أثر التابوت حتى وصل إلى الساحل الواقع أمام شرفة فرعون، وأن امرأة فرعون استوهبت هذا الوليد لها، وأخذ موسى الوليد في قصر فرعون يصرخ ويبكي من شدة الجوع، وكل من في القصر خائفا عليه من الهلاك وامتنع عن لبن أي مرأة، فبحثوا عن المراضع، فبصرت أخت موسى عن بعد أحوال أخيها الرضيع.

ومن ذكائها أنها لم تخبر بحقيقة الأمر مع عدم الكذب.

قال قتادة –رحمه الله-:

"جعلت أخت موسى –عليها السلام- تنظر إليه كأنها لا تريده"[(١)].

وذلك حتى لا يظن بعض جنود فرعون وحراسه أن لها علاقة بهذا الصبي، فيمسه السوء.

وقال ابن سعدي –رحمه الله-:

"وهذا من تمام الحزم والحذر، فإنها لو أبصرته، وجاءت إليهم قاصدة، لظنوا بها أنها هي التي ألقته، فربما عزموا على ذبحه، عقوبة لأهله"[(٢)].

قال ابن حزم –رحمه الله-:

"وقولها لأخته "قصية" إنما هو لترى أخته كيفية قدرة الله تعالى في تخليصه من يدي فرعون عدوه بعد وقوعه فيهما وليتم بها ما وعدها الله تعالى من رده إليها فبعثت أخته لترده بالوحي"[(٣)].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٦/ ٢٢٣)، وانظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري : (١٠٦/١٩).

(٢) تفسير السعدي : (ص: ٦١٢).

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل : (٤/ ١١).

وقد حرم الله على موسى عليه السلام ثدي أي امرأة إلا أمه، إلا أن هذا التحريم هو تحريم قدري لا شرعي.

قال ابن كثير –رحمه الله–:

"أي: تحريما قدريا، وذلك لكرامة الله له صانه عن أن يرتضع غير ثدي أمه؛ ولأن الله –سبحانه –جعل ذلك سببا إلى رجوعه إلى أمه، لترضعه وهي آمنة، بعدما كانت خائفة"[1].

ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز بقوله: ﴿ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴾[2]، وقوله تعالى ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[3].

---

(١) تفسير القرآن العظيم : (٦/ ٢٢٣).

(٢) سورة طه : (٤٠).

(٣) سورة القصص : (١١-١٣).

المبحث الثالث: بيان ضعف الحديث الذى فيه أن أخت موسى عليه السلام زوجة النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة.

قد جاء في بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم يكون له زوجة في الجنة سوى زوجاته في الدنيا، وأن الله تعالى الذي سيزوجه من تلك النساء، ومنها أخت موسى عليه السلام، ومن تلك الروايات :

الرواية الأولى:

عن سعد بن جنادة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران ، وامرأة فرعون ، وأخت موسى[١].

إلا أن هذه الرواية فيها علل.

قال الهيثمي –رحمه الله-: رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم[٢].

لأن في إسناده محمد بن سعد بن محمد بن الحسن بن عطية العوفي

قال الخطيب: كان لينا في الحديث، وروى الحاكم عن الدارقطني أنه قال: لا بأس به[٣].

وأبوه سعد بن محمد بن الحسن بن عطية بن سعد العوفي.

قال أحمد –رحمه الله- : "فيه جهمي".

وقال: "ولو لم يكن هذا أيضًا لم يكن ممن يستأهل أن يكتب عنه، وَلا كان موضعا لذاك حكاه الخطيب"[٤].

وعمه الحسين بن الحسن بن عطية العوفي.

ضعفه يحيى بن مَعِين[٥] وَغيره.

---

(١) المعجم الكبير للطبراني : (٦/٥٢)، من طريق عبد الله بن ناجية ، حدثنا محمد بن سعد العوفي ، حدثنا أبي ، حدثنا عمي ، حدثنا يونس بن نفيع.

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : (٩/ ١٥٨).

(٣) لسان الميزان : (٧/ ١٥٠).

(٤) المصدر نفسه : (٤/٣٣).

(٥) هو الامام الحافظ الجهبذ شيخ المحدثين أبو زكريا يحيى بن معينابن عون بن زياد بن بسطام، وقيل: اسم جده غياث بن زياد بن عون بن بسطام الغطفاني ثم المري، مولاهم البغدادي، أحد الاعلام، إمام الجرح والتعديل، ولد سنة ثمان وخمسين ومئة، وعاش إلى سنة خمس =

وقال ابن حبان[1]: روى أشياء لا يتابع عليها، لا يجوز الاحتجاج بخبره.
وقال النَّسَائي: ضعيف[2].
ويونس بن نفيع: قال عنه الألباني –رحمه الله-: لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من المراجع[3].

الرواية الثانية:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم بمارية القبطية سريته ببيت حفصة بنت عمر فوجدتها معه فقالت: يا رسول الله، في بيتي من بين بيوت نسائك؟ قال: فإنها علي حرام أن أمسها يا حفصة، واكتمي هذا علي!

فخرجت حتى أتت عائشة فقالت: يا بنت أبي بكر، ألا أبشرك؟ فقالت: بماذا؟ قالت: وجدت مارية مع رسول الله صلى الله عليه و سلم في بيتي، فقلت : يا رسول الله، في بيتي من بين بيوت نسائك وبي تفعل هذا من بين نسائك؟ فكان أول السرور أن حرمها على نفسه، ثم قال لي: يا حفصة، ألا أبشرك؟ فقلت: بلى بأبي وأمي يا رسول الله، فأعلمني أن أباك يلي الأمر من بعده ، وأن أبي يليه بعد أبيك وقد استكتمني ذلك فاكتميه!

وعشرين وثلاث مئة، انظر: سير أعلام النبلاء : (١١/ ٧١)، وتهذيب التهذيب: (١١/ ٢٤٦)، وطبقات الحنابلة (١/ ٤٠٢).

(١) هو الامام العلامة الحافظ المجود شيخ خراسان أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد بن سهيد التميمي الدارمي البستي، صاحب التصانيف الأنواع والتقاسيم والجرح والتعديل والثقات وغير ذلك، ولد سنة بضع وسبعين ومئتين، قال الحاكم: كان ابن حبان من أوعية العلم في الفقه، واللغة، والحديث، والوعظ، ومن عقلاء الرجال، توفي ابن حبان بسجستان بمدينة بست في شوال سنة أربع وخمسين وثلاث مئة، وهو في عشر الثمانين، انظر: سير أعلام النبلاء : (١٦/ ٩٢)، وطبقات الشافعية الكبرى : (٣/ ١٣١).

(٢) المصدر نفسه : (٣/١٥٥-١٥٦).

(٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة : (١٤/ ٨٨٥).

فأنزل الله عز و جل في ذلك ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾ أي : من مارية، ﴿ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَ ﴾ أي : حفصة، ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ أي : لما كان منك، ﴿ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾، ﴿ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا ﴾ يعني: حفصة، ﴿ فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ ﴾ يعني: عائشة، ﴿ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ﴾ أي: بالقرآن، ﴿ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ ﴾ عرف حفصة ما أظهرت من أمر مارية، ﴿ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖ ﴾ عما أخبرت به من أمر أبي بكر وعمر، فلم يثربه عليها، ﴿ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾، ثم أقبل عليها يعاتبها فقال: ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ يعني: أبا بكر وعمر، ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾، ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ﴾، فوعده من الثيبات: آسية بنت مزاحم امرأة فرعون وأخت نوح -عليه السلام-، ومن الابكار : مريم بنت عمران وأخت موسى عليهم السلام [1].

وفي هذه الرواية ضعف.

قال الطبراني[2] : لا يروى هذا الحديث عن أبي هريرة إلا بهذا الإسناد، تفرد به هشام بن إبراهيم.

قال ابن حجر : موسى بن جعفر الأنصاري، عن عمه، لا يعرف وخبره ساقط.

---

(١) تاريخ دمشق : (٤٤/٢٣٤-٢٣٥)، والمعجم الأوسط للطبراني: (٣/ ١٣)، من طريق إبراهيم قال : حدثنا هشام بن إبراهيم أبو الوليد المخزومي إمام مسجد صنعاء قال: أخبرنا موسى بن جعفر بن أبي كثير مولى الأنصار عن عمه عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث عن أبي سلمة بن عبد الرحمن.

(٢) هو الامام الحافظ الثقة الرحال الجوال محدث الاسلام علم المعمرين أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني، صاحب المعاجم الثلاثة، مولده بمدينة عكا في شهر صفر سنة ستين ومئتين، وسكن أصبهان إلى أن توفي بها يوم السبت لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة ستين وثلث مائة، انظر: سير أعلام النبلاء : (١٦/ ١١٩)، ووفيات الأعيان : (٢/ ٤٠٧)، وطبقات الحنابلة (٢/ ٤٩).

ولفظ العقيلي : "مجهول بالنقل لا يتابع على حديثه، وَلا يصح إسناده، وأظن الذهبي حكم عليه بالبطلان لما في آخره من ذكر الخلفاء ...وأما قصة ماريا فلها طرق كثيرة تشعر بأن لها أصلا"[1].

وضعفه السيوطي في تفسيره[2].

الرواية الثالثة:

وعن أبي بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة وهي في الموت فقال: (يا خديجة، إذا لقيت ضرائرك فأقرئيهن مني السلام، قالت: يا رسول الله، وهل تزوجت قبلي؟ قال: لا، ولكن الله زوجني مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم وكلثم أخت موسى)[3].

قال ابن كثير : هذا الحديث ضعيف جدا[4].

لأن في إسناده أبو بكر الهذلي، قال ابن خزيمة لما سئل عن أبي بكر الهذلي : لا يحتج به إذا انفرد[5].

قال أبو مسهر عن مزاحم بن زفر : سالت شعبة عن أبي بكر الهذلي فقال: دعني لا لقي.

---

(١) لسان الميزان لابن حجر : (٨/ ١٩١-١٩٢).

(٢) انظر: الدر المنثور : (١٤/٥٧٥).

(٣) تاريخ دمشق : (٧٠/١١٨).

(٤) تفسير القرآن العظيم : (٨/١٦٦).

(٥) انظر: تهذيب التهذيب : (٢/ ٧٣)، أبو بكر الهذي البصري، اسمه: سلمى بن عبد الله بن سلمى، وقيل: اسمه روح، وهو ابن بنت حميد بن عبد الرحمن الحميري، روى عن الحسن البصري وابن سيرين والشعبي وعكرمة وأبي الزبير وقتادة وأبي المليح الهذلي وشهر بن حوشب ومعاذة العدوية وغيرهم، وعنه ابن جريج وهو من أقرانه وسليمان التيمي وهو أكبر منه وإسماعيل بن عياش ووكيع وأيوب بن سويد الرملي وابن عيينة وشبابة بن سوار وآخرون. تهذيب التهذيب : (١٢/ ٤٠).

وقال عمرو بن علي : سمعت يحيى بن سعيد وذكر أبا بكر الهذلي فلم يرضه ولم أسمعه ولا عبد الرحمن يحدثان عنه بشيء قط، قال وسمعت يزيد بن زريع يقول: عدلت عن أبي بكر الهذلي عمدا.

وقال الدوري عن ابن معين: ليس بشيء، وقال في موضع آخر : ليس بثقة.

وقال أبو بكر خيثمة عن ابن معين: ليس بشيء.

قال يحيى : وكان غندر يقول :كان أبو الهذلي أمامنا وكان يكذب.

وقال أبو زرعة[1]: ضعيف.

وقال أبو حاتم: لين الحديث يكتب حديثه ولا يحتج بحديثه.

وقال النسائي ليس بثقة ولا يكتب حديثه[2].

الرواية الرابعة:

وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أعلمت أن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران، وكلثم أخت موسى عليه السلام، وآسية امرأة فرعون، فقلت: هنيئاً لك يا رسول الله)[3].

وهذا الحديث أخرجه كثير من العلماء، جميعهم من طريق عبد النور بن عبد الله عن يونس بن شعيب عن أبي أمامة، وإسناده موضوع، لأن فيه عبد النور وهو رافضي كذاب، وقريب منه شيخه يونس بن شعيب[1].

---

(١) هو الامام سيد الحفاظ عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ: محدث الري، مولده بعد نيف ومئتين، وكان إماما ربانيا، حافظا متقنا مكثرا، وكان يحفظ مئتي ألف حديث، كما يحفظ الانسان (قل هو الله أحد) وقيل ثلاث مئة ألف حديث، وتوفي أبو زرعة الرازي في آخر يوم من سنة أربع وستين ومئتين، انظر: سير أعلام النبلاء : (١٣/ ٦٥).

(٢) تهذيب التهذيب : (١٢/ ٤٠).

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر : (١١٨/٧٠)، والمعجم الكبير للطبراني : (٥٢/٦)، حديث رقم : (٥٤٨٤)، والضعفاء الكبير للعقيلي : (٤٥٩/٤)، وطبقات المحدثين بأصبهان لأبي الشيخ الأصبهاني : (١١٣/٤)، حديث رقم : (٥٧٠)، وأخبار أصبهان : (٢٢٧/٢)، والكامل في ضعفاء الرجال : (٨/ ٥٢٧).

قال العقيلي : عبد النور بن عَبد الله المسمعي كان غاليا في الرفض ويضع الحديث خبيثا[2].

وكذلك يونس بن شعيب، قال البخاري –رحمه الله-: منكر الحديث

وقال ابن عَدِي: هذا الحديث هو الذي أنكره عليه البخاري.

وقال العقيلي: مجهول وحديثه غير محفوظ.

وذكره الدولابي في الضعفاء[3].

وقال ابن حبان :

يونس بن شعيب : شيخ يروي عن أبى أمامة، روى عنه الثوري، لست أعرف له من أبي أمامة سماعا على مناكير ما يرويه في قلتها كأنه كان المتعمد لذلك، لا يجوز الاحتجاج به بحال[4].

وقال ابن كثير –رحمه الله- : وهذا أيضا ضعيف وروي مرسلا عن ابن أبي داود[5].

وقال الهيثمي : رواه الطبراني وفيه خالد بن يوسف السمتي وهو ضعيف[6].

وقال الألباني: منكر[7].

الرواية الخامسة:

وعن ابن أبي رواد قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خديجة في مرضها الذي توفيت فيه، فقال لها: (بالكره مني ما أرى منك يا خديجة، وقد يجعل الله في الكره خيراً كثيراً، أما علمت أن الله قد زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران وكلثم أخت

---

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١٤/ ١١٦١)

(٢) الضعفاء للعقيلي: (٣/ ١١٤).

(٣) لسان الميزان لابن حجر : (٨/٥٧٢-٥٧٣).

(٤) المجروحين : (٣/ ١٣٩).

(٥) تفسير القرآن العظيم : (٨/ ١٦٦).

(٦) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : (٩/ ١٥٧).

(٧) السلسة الضعيفة (٢/ ٣١٣)

موسى وآسية امرأة فرعون؟ قالت: وقد جعل الله ذلك بك يا رسول الله؟ قال: نعم، قالت: بالرفاء والبنين)[1].

قال الهيثمي –رحمه الله-:

رواه الطبراني منقطع الإسناد

وفيه محمد بن الحسن بن زبالة وهو ضعيف[2].

قال ابن حجر : كذبوه[3].

والخلاصة أن الأحاديث الواردة في هذا الباب كلها ضعيفة، لا يصح منها شيء، ولا تجوز نسبتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم

قال ابن كثير –رحمه الله – بعد أن ساق مجموعة من أحاديث الباب : "وكل من هذه الأحاديث في أسانيدها نظر"[4].

وذكر القتيبي أن هذه الروايات ضعيفة[5].

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر : (١١٩/٧٠)، والمعجم الكبير للطبراني : (٤٥١/٢٢)، ذكر تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة وسنها ووفاتها، حديث رقم : (١١٠٠)، وانظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : (٩/ ١٥٨).

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : (٩/ ١٥٨).

(٣) تقريب التهذيب : (٢/ ٤٧٤).

(٤) البداية والنهاية : (٢/ ٧٥).

(٥) انظر: شرح القسطلاني لشرح صحيح البخاري : (٧/ ٣٩٧).

الباب الرابع

قرابة عيسى عليه السلام

وفيه تمهيد وثلاثة فصول

تمهيد : لمحة عن نبوة عيسى عليه السلام.

الفصل الأول: بيان ما جرى لمريم عليها السلام.

الفصل الثاني: معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم:...وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه...وشبهة بعض الفرق المتعلقة بهذا الحديث والرد عليها.

الفصل الثالث: موقف الأديان من مريم عليها السلام.

تمهيد :

لمحة عن نبوة عيسى عليه السلام.

إن الله تبارك وتعالى ذكر في القرآن الكريم عن نبوة عيسى عليه السلام، وهو من أحد أولى العزم الذي اصطفاه الله تعالى على سائر الأنبياء، وقد ابتعثه الله نبيا ورسولا إلى بني إسرائيل، قال الله تعالى: ﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾[2]، وقال الله تعالى: ﴿ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ ﴾[5]، وأن الله تعالى سماه بنفسه في مخاطبة الملائكة لأمه مريم عليها السلام بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ ﴾[6].

وإن من وظيفة عيسى عليه السلام إبلاغ رسالة ربه سبحانه التي أرسله بها، وحث بني إسرائيل على عبادة الله وحده ولا يشرك به شيئا، وأن يخلصوا لله تعالى، وإنكار كل المعبودات سوى الله سبحانه وتعالى، فكان أول ما تكلم به عيسى عليه الصلاة والسلام في مهده أن قال: ﴿ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ﴾[7]، واعترف لربه تعالى بالعبودية، وأن الله ربه، فنزه جناب الله عن قول الظالمين في زعمهم أنه ابن الله بل هو عبده ورسوله وابن أمته ، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسۡتَقِيمٌ ﴾[8]،

---

(١) سورة آل عمران : (٤٩).

(٢) سورة النساء : (١٧١).

(٣) سورة المائدة : (٧٥).

(٤) سورة مريم : (٣٠).

(٥) سورة الصف : (٦).

(٦) سورة آل عمران : (٤٥).

(٧) سورة مريم : (٣٠).

(٨) سورة آل عمران : (٥١).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[(٢)]، وأن الله تعالى أنزل أنزل عليه الإنجيل، كما في قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[(٣)]، وآتاه الله تعالى العلم بالتوراة كما في قوله: ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾[(٤)]، وأنه جاء تصديقا لشريعة موسى عليه الصلاة والسلام، قال الله تعالى ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾[(٥)].

ثم أرسل الله تعالى عيسى ابن مريم عليهما السلام بالآيات والبينات والحجج والبراهين الواضحة، ومن تلك الآيات، منها :

- إن عيسى عليه الصلاة والسلام ولد من غير أب، ولكن الله تعالى أرسل إلى أمه الملائكة، فيبشره بكلمة من الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ

---

(١) سورة المائدة : (١١٦-١١٧).

(٢) سورة التوبة : (٣٠-٣١).

(٣) سورة المائدة : (٤٦).

(٤) سورة المائدة : (١١٠).

(٥) سورة آل عمران : (٥٠).

إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾[1] ، وقال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَاْ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا ﴾[2].

- إنه عليه الصلاة والسلام يستطيع أن يتكلم وهو صبي، قال الله تعالى: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ۝٢٩ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٣١ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۝٣٢ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۝٣٣ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[3].
- عصمه الله تعالى من مس الشيطان عند ولادته، كما سيأتي ذكره.
- إنه عليه الصلاة والسلام يصنع من الطين ما يشبه الطيور ثم ينفخ فيها فتصبح طيوراً بإذن الله وقدرته.
- إنه عليه الصلاة والسلام يمسح الأكمه –وهو الأعمى– فيبرأ بإذن الله تعالى.
- إنه عليه الصلاة والسلام يمسح الأبرص فيذهب عنه البرص بإذن الله تعالى.
- وإنه عليه الصلاة والسلام يمرّ على الموتى في قبورهم فيناديهم فيجيبونه بإذن الله تعالى.

وقد ذكر الله تعالى هذه الآيات والمعجزات في كتابه العزيز بقوله: ﴿ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ

(١) سورة آل عمران : (٤٥).

(٢) سورة مريم : (١٩).

(٣) سورة مريم : (٢٩-٣٥).

وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾[1].

- إن الله تعالى أيد عيسى عليه الصلاة والسلام بروح القدس، وهو جبريل عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾[2].

وهذه الآيات والمعجزات كلها لتبين لبني إسرائيل أنه عليه الصلاة والسلام نبيا ورسولا من عند الله تعالى، وليكونوا مطيعين لأوامر الله تعالى ورسوله.

ثم انقسم بنو إسرائيل زمن عيسى عليه الصلاة السلام، منهم من آمن ومنهم من كفر، قال الله تعالى: ﴿ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ ﴾[3]، والذين أمنوا بعيسى عليه السلام هم حواريوه الكرام البررة، وأما غيرهم من اليهود كافروا بعيسى عليه السلام.

وإن اليهود لم يقنعوا بعيسى عليه الصلاة والسلام ولم يصدقوه، بل كذبوه واتهموه، بل وحتى مكروا له مكرا وأرادوا قتله ونفيه، قال الله تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[4].

---

(١) سورة آل عمران : (٤٩-٥٠).

(٢) سورة البقرة : (٨٧).

(٣) سورة الصف : (١٤).

(٤) سورة آل عمران : (٥٤-٥٩).

ولكن الله تعالى نفى عن قتل عيسى عليه الصلاة السلام وصلبه، قال الله تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [١]، بل وكف الله بني إسرائيل، قال الله تعالى ﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ [٢]، وأكد الله تعالى نجاة عيسى عليه السلام ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [٣].

وقد استحق هؤلاء اليهود اللعنة من الله تعالى والغضب، قال الله تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ [٤].

وأن عيسى عليه الصلاة والسلام سينزل آخر الزمان، وأن أهل الكتاب يؤمنون به، قال تعالى ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [٥].

وأنه عليه الصلاة والسلام يكسر الصليب، وأنه و لا يقبل من الأديان غير الإسلام، وأنه يبقى في الأرض أربعين سنة، ثم يموت كسائر الناس ، فيصلي عليه المسلمون، قال النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : ليس

---

(١) سورة النساء : (١٥٧-١٥٩).

(٢) سورة المائدة : (١١٠).

(٣) سورة آل عمران : (٥٥).

(٤) سورة المائدة : (٧٨-٨٠).

(٥) سورة النساء : (١٥٩).

بيني وبينه نبي – يعنى عيسى عليه السلام – وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض بين ممصرتين كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلى عليه المسلمون[1].

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب قتل الخنزير، حديث رقم : (٢٢٢٢)، مع الفتح : (٥/٦٩٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، حديث رقم : (٣٨٩)، ص: (١٢٤).

الفصل الأول

بيان ما جرى لمريم عليها السلام

وفيه أحد عشر مبحثا:

المبحث الأول : اسمها ونسبها ونشأتها.

المبحث الثاني : فضائلها.

المبحث الثالث : مريم عليها السلام منذورة لبيت المقدس.

المبحث الرابع : تسميتها وحفظها من الشيطان.

المبحث الخامس : البشارة بعيسى عليه السلام.

المبحث السادس : تمنى الموت من مريم عليها السلام وحكم تمنى الموت في الإسلام.

المبحث السابع : القدرة الربانية في ولادة ابن مريم عليها السلام بلا أب.

المبحث الثامن : شهادة الله تعالى لمريم عليها السلام بالعبودية.

المبحث التاسع : كرامات الله لها ومعجزاتها.

المبحث العاشر : القول بنبوة مريم عليها السلام والرد عليه.

المبحث الحادي عشر : زعم أنها تكون زوجة نبينا صلى الله عليه وسلم في الجنة، وبيان عدم صحة ذلك.

المبحث الأول: اسمها ونسبها ونشأتها

لم يذكر الله تعالى في كتابه الكريم اسم امرأة صراحة إلا امرأة واحدة وهي: مريم عليها السلام، وذكر الله تعالى مريم عليها السلام في القرآن في مواضع متفرقة، تارة باسمها الصريح، كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[1].

وقال الله تعالى: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴾[2].

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾[3].

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾[4].

وقال الله تعالى: ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴾[5].

وتارة ذكرها الله تعالى بالنعت الجميل، قال الله تعالى: ﴿ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾[6].

وقال تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾[7].

---

(١) سورة آل عمران : (٣٦).

(٢) سورة النساء : (١٥٦).

(٣) سورة النساء : (١٧١).

(٤) سورة مريم : (١٦).

(٥) سورة مريم : (٢٧).

(٦) سورة المائدة : (٧٥).

(٧) سورة التحريم : (١٢).

ومنها ما ذكرها الله تعالى بالاصطفاء، ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾[1].

ومنها ما ذكرها الله تعالى بلفظ أم المسيح عليهما السلام، قال الله تعالى ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2].

ووالد مريم عليها السلام هو عمران غير عمران والد موسى وهارون عليهما السلام

قال محمد بن إسحاق بن يسار – رحمه الله-:

"هو عمران بن ياشم بن أمون بن ميشا بن حزقيا بن أحريق بن يوثم بن عزاريا بن أمصيا بن ياوش بن أجريهو بن يازم بن يهفاشاط بن إنشا بن أبيان بن رخيعم بن سليمان بن داود عليهما السلام، فعيسى، عليه السلام من ذرية إبراهيم عليه الصلاة والسلام[3].

وقال الآلوسي –رحمه الله – :

"والمراد بآل عمران عيسى عليه الصلاة والسلام وأمه مريم بنت عمران بن ماثان من ولد سليمان بن داود عليهما السلام، قاله الحسن ووهب ، وقيل: المراد بهم موسى وهارون

(١) سورة آل عمران : (٤٢-٤٥).

(٢) سورة المائدة : (١٧).

(٣) انظر: : جامع البيان للطبري : (٦/٣٢٨-٣٢٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير :(٢/ :(٢/ ٣٣)، وانظر: البداية والنهاية : (٢/ ٦٧)

عليهما السلام ، فعمران حينئذ هو عمران بن يصهر أبو موسى، قاله مقاتل، وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة.

والظاهر هو القول الأول، لأن السورة تسمى آل عمران ولم تشرح قصة عيسى ومريم في سورة أبسط من شرحها في هذه السورة ، وأما موسى وهارون فلم يذكر من قصتهما فيها طرف، فدل ذلك على أن عمران المذكور هو أبو مريم ، وأيضا يرجح كون المراد به أبا مريم أن الله تعالى ذكر اصطفاءها بعد ونص عليه وأنه قال سبحانه: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ ﴾"[1][2].

وأما أمها فهي حَنَّة ابنة فاقوذ بن قتيل، كما ذكره ابن إسحاق[3].

و نشأت عليها السلام من بيت طيّب وبيت عبادة، لأن والدها كان عالما جليلا من علماء بني إسرائيل، إلا أن والدها توفي وهي صغيرة، وكَفَلَها زكريا نبي الله– عليه الصلاة والسلام–، لأن خالتها كانت زوجة زكريا، وكفى بها شرفا وفضلا أن يكون كفيلها عليها السلام من أحد أنبياء الله تعالى.

---

(١) سورة آل عمران : (٣٥).

(٢) روح المعاني: (٢/ ١٢٧).

(٣) جامع البيان للطبري : (٦/٣٢٨)، وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي : (٣/ ٥١٦)، وانظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم : (٢/ ٦٥١)، ذكر نبي الله وروحه عيسى بن مريم، حديث رقم : (٤١٦٤).

المبحث الثاني : فضائلها.

إن لمريم عليها السلام فضائل كثيرة، ذكرها الله تعالى في كتابه، وذكرها رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، من ذلك:

١-إن مريم عليها السلام خرجت من خير بيوت الأرض التي اصطفاها الله تعالى على العالمين، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [(١)]، أخبر الله تعالى أنه اختار بيت آل عمران من خير بيوت الأرض، وعمران والد مريم عليها السلام، وهو من نسل سليمان بن داود عليهم السلام، فمريم وابنها عيسى من ذرية إبراهيم عليهم الصلاة والسلام .

قال السعدي –رحمه الله-:

"فهذه البيوت التي ذكرها الله هي صفوته من العالمين، وتسلسل الصلاح والتوفيق بذرياتهم، فلهذا قال تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ﴾ [(٢)]، أي: حصل التناسب والتشابه بينهم في الخلق والأخلاق الجميلة، كما قال تعالى لما ذكر جملة من الأنبياء الداخلين في ضمن هذه البيوت الكبار ﴿ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [(٣)] ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [(٤)]، يعلم من يستحق الاصطفاء فيصطفيه ومن لا يستحق ذلك فيخذله ويرديه، ودل هذا على أن هؤلاء اختارهم لما علم من أحوالهم الموجبة لذلك فضلا منه وكرما، ومن الفائدة والحكمة في قصه علينا أخبار هؤلاء الأصفياء أن نحبهم ونقتدي بهم، ونسأل الله أن يوفقنا لما وفقهم، وأن لا نزال نزري أنفسنا بتأخرنا عنهم وعدم اتصافنا بأوصافهم ومزاياهم الجميلة، وهذا أيضا من لطفه بهم، وإظهاره الثناء عليهم في الأولين والآخرين، والتنويه بشرفهم، فلله ما أعظم

---

(١) سورة آل عمران : (٣٣-٣٤).

(٢) سورة آل عمران : (٣٤).

(٣) سورة الأنعام : (٨٧).

(٤) سورة آل عمران : (٣٤).

جوده وكرمه وأكثر فوائد معاملته، لو لم يكن لهم من الشرف إلا أن أذكارهم مخلدة ومناقبهم مؤبدة لكفى بذلك فضلا"[1].

٢-علو ذكر مريم عليها السلام.

وذلك أن الله تعالى سمى سورة باسمها عليها السلام في كتابه العزير، وهي سورة مريم، فذكر الله تعالى فيها مريم وولدها وما جرى لها مع قومها، فهذا من تكريم الله تعالى لها.

قال السعدي –رحمه الله تعالى– :

"وهذا من أعظم فضائلها أن تذكر في الكتاب العظيم الذي يتلوه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، تذكر فيه بأحسن الذكر وأفضل الثناء، جزاء لعملها الفاضل وسعيها الكامل"[2].

وكما سمى الله تعالى سورة أخرى باسم بيتها التي خرجت منه، وهي سورة آل عمران.

٣-قبول الله تعالى لمريم عليها السلام وتولى أمرها.

وهذا من المكارم العالية والفضائل العظيمة، حيث أن الله تعالى تقبل لمريم عليها السلام من أمها لما وهبتها لله تعالى، وأخبر الله تعالى أنه سبحانه تولى أمرها، فرباها تربية حسنة وأحسن إليها أيما إحسان، قال الله تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾[3].

قال ابن كثير –رحمه الله تعالى –:

"يخبر ربنا أنه تقبلها من أمها نذيرة، وأنه ﴿ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ أي: جعلها شكلا مليحا ومنظرا بهيجا، ويسر لها أسباب القبول، وقرنها بالصالحين من عباده تتعلم منهم الخير والعلم والدين"[4].

---

(١) تفسير السعدي: (ص: ١٢٨).

(٢) المصدر نفسه: (ص: ٤٩١).

(٣) سورة آل عمران: (٣٧).

(٤) تفسير القرآن العظيم : (٢/ ٣٥).

٤- كفالة نبي الله تعالى زكريا لها —عليهما السلام.

قال الله تعالى: ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾[(١)]، وهو من أنبياء الله تعالى الصالحين، وعباده المكرمين المقربين، وإنما قدر الله تعالى كون زكريا كافلها لسعادتها ، ولتقتبس منه علما جما نافعا وعملا صالحا.

وعن عكرمة قال: "ثم خرجت بها يعني: أمّ مريم- بمريم في خِرَقها تحملها إلى بني الكاهن بن هارون، أخي موسى بن عمران

قال: وهم يومئذ يَلون من بيت المقدس ما يلي الحجبةُ من الكعبة، فقالت لهم: دُونكم هذه النذيرة، فإنّي حرّرتها وهي ابنتي، ولا يدخل الكنيسة حائض وأنا لا أردُّها إلى بيتي!

فقالوا: هذه ابنة إمامنا – وكان عمران يؤُمهم في الصلاة – وصاحب قُرْباننا!

فقال زكريا: ادفعوها إليّ، فإن خالتها عندي، قالوا: لا تطيب أنفسنا، هي ابنة إمامنا! فذلك حين اقترعوا، فاقترعوا بأقلامهم عليها – بالأقلام التي يكتبون بها التوراة – فقرعهم زكريا، فكفلها"[(٢)].

٥-اصطفاء الله تعالى مريم عليها السلام على نساء العالمين.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[(٣)].

قال ابن كثير —رحمه الله تعالى-:

"هذا إخبار من الله تعالى بما خاطبت به الملائكة مريم عليها السلام عن أمر الله لهم بذلك: أن الله قد اصطفاها، أي: اختارها لكثرة عبادتها وزهادتها وشرفها

---

(١) سورة آل عمران : (٣٧).

(٢) انظر: جامع البيان للطبري : (٦/ ٣٥١)، وانظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم : (٢/ ٦٥١)، ذكر نبي الله وروحه عيسى بن مريم، حديث رقم : (٤١٦٤).

(٣) سورة آل عمران : (٤٢).

وطهرها من الأكدار والوسواس، واصطفاها ثانيا مرة بعد مرة لجلالتها على نساء العالمين"[1].

٦-وصفها بالعذراء البتول.

وهذا من فضائلها عليها السلام حيث أنها عذراء لم يمسسها بشر، وأكرمها الله تعالى بعيسى النبي عليه السلام من غير زوج، قال الله تعالى بذكر حكاية عن قولها للملائكة ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾[2].

وفي الحديث عن عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– قال : "بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن ثمانون رجلا ومعنا جعفر بن أبي طالب وعثمان بن مظعون، وبعثت قريش عمارة وعمرو بن العاص وبعثوا معهما هدية إلى النجاشي، فلما دخلا عليه سجدا له ودفعا إليه الهدية

وقالا : إن ناسا من قومنا رغبوا عن ديننا وقد نزلوا أرضك

قال : فأين هم ؟

قالوا : هم في أرضك

فبعث إليهم النجاشي

قال : فقال جعفر : أنا خطيبكم اليوم فاتبعوه حتى دخلوا على النجاشي فلم يسجدوا له

فقال : مالكم لا تسجدون للملك ؟

فقال : إن الله عز وجل بعث إلينا نبيه صلى الله عليه وسلم فأمرنا أن لا نسجد إلا لله

فقال النجاشي : وما ذاك ؟ فأخبر

فقال عمرو بن العاص : إنهم يخالفونك في عيسى قال : فما تقولون في عيسى وأمه ؟

---

(١) تفسير القرآن العظيم : (٢/ ٣٩)

(٢) سورة مريم : (٢٠).

قال : نقول كما قال الله عز وجل : هو روح الله وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسسها بشر ولم يفرضها ولد، فتناول النجاشي عودا فقال : يا معشر القسيسين والرهبان ما تزيدون على ما يقول هؤلاء ما يزن هذه ، فمرحبا بكم وبمن جئتم من عنده، فأنا أشهد له أنه نبي ولوددت أني عنده فأحمل نعليه أو قال: أخدمه ، فانزلوا حيث شئتم من أرضي فجاء ابن مسعود فبادر فشهد بدرا"(١).

٧-إن مريم عليها السلام من إحدى النساء الكمل.

كما ثبت عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)(٢).

٨-إن مريم عليها السلام من أفضل نساء الجنة.

كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأرض أربعةَ خطوط، قَال: تدرون ما هذا؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أفضل نساء أهل الجنة خديجةُ بنت خُويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسيةُ بنت مُزاحم امرأةُ فرعون، ومريم ابنةُ عمران)(٣).

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم : (٢/٣٣٨)، حديث رقم : (٣٢٠٨)، وانظر: دلائل النبوة للبيهقي : (٢/٢٩٨)، ومصنف ابن أبي شيبة : (١٤/٣٤٧)، حديث رقم : (٣٧٧٩٥)، ومسند الطيالسي : (١/ ٢٧٠)، حديث رقم : (٣٤٤)، وانظر: صحيح السيرة النبوية للألباني : (١/١٦٦-١٦٩).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ إلى قوله ﴿ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحريم: ١١-١٢] ، حديث رقم : (٣٤١١)، مع الفتح : (٨/١٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها، حديث رقم : (٦٢٧٢)، ص: (١٠١٦).

(٣) رواه أحمد في مسنده : (٣/ ١٩٤)، حديث رقم : (٢٦٦٨)، صحيح ابن حبان : (١٥/ =

وإذا كانت مريم عليها السلام من أفضل نساء أهل الجنة، فدخولها في الجنة وأنها من أصحابها أمر يعلم بالضرورة.

٩-خيرية مريم عليها السلام.

كما ورد من حديث علي ابن أبي طالب رضي الله عنه يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (خير نسائها مريم ابنة عمران وخير نسائها خديجة)[1].

أي : أنها عليها السلام خير نساء أهل الدنيا في زمنها[2].

---

٤٧٠)، حديث رقم : (٧٠١٠)، السنن الكبرى للنسائي (٧/ ٣٨٨)، حديث رقم : (٨٢٩٧)، والمستدرك على الصحيحين للحاكم :(٢/ ٥٣٩)، حديث رقم : (٣٨٣٦)، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة : (٨٢/٤)، حديث رقم : (١٥٠٨)، وفي صحيح وضعيف الجامع الصغير : (٢٠٢/١)، حديث رقم : (٢٠١٥).

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٤٢ - ٤٤]، حديث رقم : (٣٤٣٢)، مع الفتح: (٥٣/٨)، وسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها، حديث رقم : (٦٢٧١)، ص: (١٠١٦).

(٢) انظر: فتح الباري : (٥٤/٨) ، وشرح النووي على مسلم : (١٧٩/٨).

المبحث الثالث : مريم عليها السلام منذورة لبيت المقدس.

لقد كانت أم مريم عليها السلام لا تحمل في بداية أمرها ، ثم نذرت إن تحمل أن تجعل ولدها منذورة لله تعالى لخدمة بيت المقدس الذي هو أحد المساجد الثلاثة في الأرض، وترجو أن يكون المولود ذكرا، لأن الذكر هو الذي يستطيع أن يقوم بهذه المهمة العظيمة، فاستجاب الله تعالى دعاءها إلا أنها وضعت أنثى، وليس الذكر كالأنثى، بمعنى: أن الذكر أفضل من الأنثى في القيام بمهمات خدمة بيت المقدس، فالذكر يستطيع ما لا تستطيعه الأنثى، لما جعل الله في خِلقة الذكر من الامتياز عن خِلقة الأنثى، وهذا من حيث الجنس، لا من حيث الأفراد، قد يكون في أفراد الإناث من هو خير من كثير من الذكور، أما من حيث الجنس فالذكور أفضل من الإناث، لأنهم يستطيعون من الأعمال ما لا تستطيعه الإناث، ولأن عقولهم أوفى من عقول الإناث كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم[1].

وحملت بمريم عليها السلام، فلما حملت امرأة عمران توجهت إلى الله تعالى بالدعاء قائلة: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[2].

والمحرر –كما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما– :

---

(١) كما جاء من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أضحى ، أو فطر – إلى المصلى فمر على النساء فقال : يا معشر النساء تصدقن! فإني أريتكن أكثر أهل النار، فقلن، وبم يا رسول الله ؟ قال : تكثرن اللعن وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن، قلن : وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال : أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟ قلن: بلى، قال : فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟ قلن: بلى، قال : فذلك من نقصان دينها. رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، حديث رقم : (٣٠٤) مع الفتح: (٦٨٧/١)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعة، وبيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله ككفر النعمة والحقوق، حديث رقم : (٣٤١)، ص: (١٠٠).

(٢) سورة آل عمران : (٣٥).

"من لا يعمل للدنيا ولا يتزوج ، ويتفرغ لعمل الآخرة ويعبد الله تعالى ويكون في خدمة الكنيسة"(١).

ثم توفي والدها عمران، وابنته مريم عليها السلام صبيّة صغيرة تحتاج إلى من يكفلها، فخرجت أمها إلى المسجد فسلمتها إلى العُبّاد المقيمين فيه، فكانت عليها السلام ابنة إمامهم ورئيسهم، فتنازعوا واختلفوا فيمن يقوم بكفالتها، ومع أن زكريا عليه السلام نبّي ذلك الزمان كان أقربهم إليها؛ فهو زوج أختها وقيل زوج خالتها، ولكنه قطعاً للنزاع وافق على الاقتراع معهم على كفالتها، فخرجت القرعة لزكريا عليه السلام، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾(٢).

وترعرعت مريم عليها السلام في كفالة نبيّ الله زكريا عليه السلام، ولما شبت اتخذت لها في المسجد مكاناً لا يدخله سواها، فكانت تعبد الله تعالى فيه، وتقوم بسدانة البيت وخدمته حتى ضرب بها المثل في الاجتهاد في العبادة، قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾(٤).

وصار يظهر عليها لصدقها وعبادتها من الكرامات الطيبة الشريفة ما لفت انتباه زكريا عليه السلام.

---

(١) روح المعاني : (٢/ ١٢٩).

(٢) سورة آل عمران : (٤٤).

(٣) سورة مريم : (١٦-١٧).

(٤) سورة آل عمران : (٤٢-٤٣).

المبحث الرابع: تسميتها وحفظها من الشيطان.

ذكر الله تعالى في كتابه الكريم دعاء حنة أم مريم لمريم عليها السلام في ولادتها: ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [1]، فطلبت من الله تعالى أن يعيذها الله وذريتها من الشيطان الرجيم، وكانت صادقة في طلبها، فاستجاب الله تعالى لها، فأجار الله مريم وابنها عيسى عليهما السلام من الشيطان الرجيم.

وجاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال :سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان غير مريم وابنها – عليهما السلام–، ثم يقول أبو هريرة –رضي الله عنه–: ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾)[2][3].

وفي رواية : كل إنسان تلده أمه يلكزه الشيطان بحضنيه[4] إلا ما كان من مريم وابنها – عليهما السلام–،ألم تروا إلى الصبي حين يسقط كيف يصرخ؟ قالوا : بلى يا رسول الله، قال :فذاك حين يلكزه الشيطان بحضنيه[5].

وغير ذلك من الروايات التي تدل على أن الله تعالى حفظ مريم وابنها عليهما السلام من مس الشيطان في ولادتهما، والمس هو المس الحقيقي أي الحسي كما جاءت به الروايات[6].

---

(١) سورة آل عمران : (٣٦).

(٢) سورة آل عمران : (٣٦).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [مريم: ١٦] ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ ﴾ [آل عمران: ٤٥] ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٣] إلى قوله ﴿ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٣٧]، حديث رقم : (٣٤٣١)، مع الفتح : (٥١/٨).

(٤) والحضن هو ما دون الإبط، انظر: المغرب في ترتيب المعرب: (١٠/٢).

(٥) رواه مسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، حديث رقم: (٦٧٦١)، (ص:١٠٩٩).

(٦) قاله المباركفوري في مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح : (١/ ١٤٧).

قال النووي –رحمه الله- :

"هذه فضيلة ظاهرة ، وظاهر الحديث اختصاصها بعيسى وأمه ، واختار القاضي عياض أن جميع الأنبياء يشاركون فيها"[1].

وقال القاضي عياض –رحمه الله-: "فإن الأنبياء معصومون من الشيطان بكل وجه"[2].

وقال القرطبي –رحمه الله- :

"هذا الطعن من الشيطان هو ابتداء التسليط، فحفظ الله مريم وابنها منه ببركة دعوة أمها حيث قالت: ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[3]، ولم يكن لمريم ذرية غير عيسى"[4].

والسبب في ذلك، كما قال عنه ابن القيم –رحمه الله – :

"فإن قيل : فما السبب في بكاء الصبي حالة خروجه إلى هذه الدار ؟

قيل : ههنا سببان : سبب باطن أخبر به الصادق المصدوق لا يعرفه الأطباء، وسبب ظاهر.

فأما السبب الباطن فإن الله سبحانه اقتضت حكمته أن وكل بكل واحد من ولد آدم شيطانا، فشيطان المولود قد خنس ينتظر خروجه ليقارنه ويتوكل به، فإذا انفصل استقبله الشيطان وطعنه في خاصرته تحرقا عليه وتغيظا واستقبالا له بالعداوة التي كانت بين الأبوين قديما؛ فيبكي المولود من تلك الطعنة، ولو آمن زنادقة الأطباء والطبائعيين بالله ورسوله لم يجدوا عندهم ما يبطل ذلك ولا يرده.

وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (صياح المولود حين يقع نزغة من الشيطان)[5].

---

(١) شرح النووي على مسلم : (٨/ ٩٣).

(٢) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم: (٧/ ١٦٩).

(٣) سورة آل عمران : (٣٦).

(٤) فتح الباري : (٨/٥٢-٥٣).

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، حديث رقم : رقم : (٦١٣٦)، ص: (٩٩٠)، وقال القاضي عياض: (إكمال المعلم شرح صحيح مسلم: (٧/ ١٦٩): "وفى بعض النسخ (فزعة) بالفاء والعن المهملة، الفزع : الإغواء والوسوسة =

وفي الصحيحين من حديثه أيضا رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من مس الشيطان إياه)[1].

وفي لفظ آخر : (كل بني آدم يمسه الشيطان يوم ولادته إلا مريم وابنها)[2].

وفي لفظ البخاري : (كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه بأصبعه حين يولد غير عيسى ابن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب)[3].

والسبب الظاهر الذي لا تخبر الرسل بأمثاله لرخصه عند الناس ومعرفتهم له من غيرهم هو مفارقته المألوف والعادة التي كان فيها إلى أمر غريب، فإنه ينتقل من جسم حار إلى هواء بارد ومكان لم يألفه فيستوحش من مفارقته وطنه ومألفه"[4]، انتهى كلامه –رحمه الله–.

ثم إذا تأملنا أن ظاهر الآية يدل على أن أم مريم عليهما السلام دعت بهذه الدعوة بعد الولادة ، كما قال الله تعالى ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ ﴾[5]، مع أن ظاهر الحديث يدل على أنه ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد.

فقد أجاب ابن حجر –رحمه الله– عن ذلك بقوله:

والإفساد".

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران: ٣٦]، حديث رقم : (٤٥٤٨)، مع الفتح: (٧١٨٩/٩)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، حديث رقم : (٦١٣٣)، ص: (٩٩٠).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، حديث رقم : (٦١٣٥)، ص: (٩٩٠).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، حديث رقم : (٣٢٨٦)، مع الفتح: (٥٦٣/٧).

(٤) التبيان في أقسام القرآن : (ص: ٢٢٠).

(٥) سورة آل عمران : (٣٦).

"ولعل الله تعالى ألهمها بأن دعت هذا الدعاء حال الوضع لا بعده، فقوله: حين ﴿ وَضَعَتۡهَا ﴾ أي أرادت وضعها، فلا يشكل أن المس يكون حال الوضع، فكيف امتنع لأجل هذا الدعاء، وقولها في الآية ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا ﴾ بمعنى أعذتها، وعدل إلى المضارع لإرادة الاستمرار أو لحكاية الحال الماضية والله أعلم"(١).

ومن المعلوم أن كل إنسان تسلط عليه الشيطان في ولادته غير عيسى ابن مريم وأمه عليهما السلام بخبر الصادق المصدوق صلوات الله عليه وسلامه الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، ولكن مع ذلك كله نجد بعض الفرق –كالمعتزلة وغيرهم- يطعنون في إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث، ويقدحون في صحته، فقالوا: إنه من أخبار الآحاد، وغير ذلك بقصد الرد بهذا الخبر المعجر .

قال الزمخشري –رحمه الله- :

"وما يروى من الحديث : ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهلّ صارخاً من مس الشيطان إياه ، إلا مريم وابنها(٢)، فاللَّه أعلم بصحته، فإن صح فمعناه أن كل مولود يطمع الشيطان في إغوائه إلا مريم وابنها ، فإنهما كانا معصومين ، وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾ (٣) واستهلاله صارخاً من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه، كأنه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول: هذا ممن أغويه"(٤).

وذكر الرازي –رحمه الله- قول القاضي عبد الجبار المعتزلي، ومال إليه، فقال:

"روى أبو هريرة –رضي الله عنه–أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان إلا مريم وابنها، ثم قال

---

(١) انظر: مرقاة المفاتيح للملا على القاري : (١/١٤١).

(٢) تقدم تخريجه: (٤٢٨).

(٣) سورة الحجر : (٣٩-٤٠).

(٤) تفسير الكشاف: (١/ ٣٥٦ -٣٥٧).

أبـو هريـرة : اقـرؤوا إن شـئتم: ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [1][2]، طعن القاضي في هذا الخبر وقال: إنه خبر واحد على خلاف الدليل فوجب رده[3].

ثم علله ببعض العلل، منها:

- أن الشيطان إنما يدعو إلى الشر من يعرف الخير والشر، والصبي وليس كذلك.
- أن الشيطان لو تمكن من هذا النخس لفعل أكثر من ذلك من إهلاك الصالحين وإفساد أحوالهم.
- لم خص بهذا الاستثناء مريم وعيسى عليهما السلام دون سائر الأنبياء عليهم السلام.
- أن ذلك النخس لو وجد بقي أثره ، ولو بقي أثره لدام الصراخ والبكاء، فلما لم يكن كذلك علمنا بطلانه.

واعلم أن هذه الوجوه محتملة ، وبأمثالها لا يجوز دفع الخبر والله أعلم[4].

وقال محمد رشيد رضا[5] –رحمه الله–:

"والمحقق عندنا أنه ليس للشيطان سلطان على عباد الله المخلصين، وخيرهم الأنبياء والمرسلون، وأما ما ورد في حديث مريم وعيسى من أن الشيطان لم يمسسهما، وحديث إسلام شيطان النبي صلى الله عليه وسلم[6]، وحديث إزالة حظ الشيطان من قلبه[1]

---

(١) سورة آل عمران : (٣٦).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) مفاتيح الغيب : (٨/ ٢٠٥).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الاصل، الحسيني النسب، ولد سنة ١٢٨٢هـ ونشأ في القلمون ، ثم رحل إلى مصر سنة ١٣١٥ هـ، فاستقر بمصر إلى أن توفي فجأة ودفن بالقاهرة، وله تفسير القرآن الكريم وغيره من المؤلفات، انظر: الأعلام : (٦/ ١٢٦).

(٦) جاء من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وسلم : ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، قالوا : وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير. رواه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس، وأن مع كل إنسان =

فهو من الأخبار الظنية، لأنه من رواية الآحاد، ولما كان موضوعها عالم الغيب، والإيمان بالغيب من قسم العقائد، وهي لا يؤخذ فيها بالظن، لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔا ﴾[2]، كنا غير مكلفين الإيمان بمضمون تلك الأحاديث في عقائدنا"[3].

وقد يجاب عن هذه الشبهة بأجوبة، منها:

- إن هذه الأحاديث أخرجها الإمامان البخاري ومسلم، وقد اتفق العلماء –رحمهم الله– من المتقدمين والمتأخرين على قبول صحيحيهما لما فيهما من الدقة والثقة والصحة، فلا داعي للتردد في صحتهما.

  قال ابن الصلاح –رحمه الله– [4]:

  "أهل الحديث كثيرا ما يطلقون على ما أخرجه البخاري ومسلم جميعا " صحيح متفق عليه "، ويعنون به اتفاق البخاري ومسلم ، لا اتفاق الأمة عليه، لكن اتفاق الأمة عليه لازم من ذلك وحاصل معه ، لاتفاق الأمة على تلقي ما اتفقا

قرينا، حديث رقم : (٧١٠٨)، ص: (١١٦١).

(١) جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل صلى الله عليه وسلم، وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال : هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه –يعني ظئره– فقالوا : إن محمدا قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره. رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم : (٤٢٣)، ص: (١٢٩).

(٢) سورة النجم : (٢٨).

(٣) تفسير المنار : (٣/ ٢٤٠).

(٤) هو الامام الحافظ العلامة شيخ الاسلام تقي الدين أبو عمرو عثمان ابن المفتي صلاح الدين عبد الرحمان بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزوري الموصلي الشافعي، صاحب علوم الحديث، وكان مولده في سنة سبع وسبعين وخمس مئة، وكان متبحرا في الحديث والفقه واللغة، وتوفي يوم الاربعاء الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وست مائة. انظر: سير أعلام النبلاء : (٢٣/ ١٤٠)، ووفيات الأعيان : (٣/٢٤٣).

عليه بالقبول، وهذا القسم جميعه مقطوع بصحته والعلم اليقيني النظري واقع به، خلافا لقول من نفى ذلك ، محتجا بأنه لا يفيد في أصله إلا الظن"[1].

وقال النووي –رحمه الله-:

"اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان، البخاري ومسلم وتلقتهما الأمة بالقبول"[2].

وقال في موضع آخر : "وتلقى الأمة بالقبول إنما أفادنا وجوب العمل بما فيهما، وهذا متفق عليه، فان أخبار الآحاد التي في غيرهما يجب العمل بها إذا صحت أسانيدها، ولا تفيد إلا الظن، فكذا الصحيحان، وإنما يفترق الصحيحان وغيرهما من الكتب في كون ما فيهما صحيحا لا يحتاج إلى النظر فيه، بل يجب العمل به مطلقا، وما كان في غيرهم لا يعمل به حتى ينظر وتوجد فيه شروط الصحيح"[3].

وقال الشوكاني –رحمه الله-:

"واعلم أن ما كان من الأحاديث في الصحيحين أو في أحدهما جاز الاحتجاج به من دون بحث، لأنهما التزما الصحة وتلقت ما فيهما الأمة بالقبول"[4].

وقال في كتاب آخر: "واعلم أن ما كان من أحاديث هذا الكتاب في أحد الصحيحين فقد أسفر فيه صبح الصحة لكل ذي عينين؛ لأنه قد قطع عرق النزاع ما صح من الإجماع على تلقي جميع الطوائف الإسلامية لما فيهما بالقبول، وهذه رتبة فوق رتبة التصحيح عند جميع أهل العقول والمنقول على أنهما قد جمعا في كتابيهما من أعلا أنواع الصحيح ما اقتدى به وبرجاله من تصدي بعدهما للتصحيح"[5].

---

(١) علوم الحديث :(ص:٢٨).

(٢) شرح النووي على مسلم : (١/ ١٤).

(٣) المصدر نفسه : (١/ ٢٠).

(٤) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار : (١/ ١).

(٥) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين : (ص: ٣).

وقال أحمد شاكر[١] –رحمه الله– :

"الحق الذي لا مرية فيه عند أهل العلم بالحديث من المحققين وممن اهتدى بهديهم وتبعهم على بصيرة من الأمر؛ أن أحاديث الصحيحين صحيحة كلها، ليس في واحد منها مطعن أو ضعف، وإنما انتقد الدار قطني وغيره من الحفاظ بعض الأحاديث ، على معنى أن ما انتقدوه لم يبلغ في الصحة الدرجة العليا التي التزمها كل واحد منهما في كتابه، وأما صحة الحديث في نفسه فلم يخالف أحد فيها، فلا يهولنك إرجاف المرجفين وزعم الزاعمين أن في الصحيحين أحاديث غير صحيحة"[٢].

- وأن هذه الأحاديث قد أخرجها غيرهما من المحدثين، كأحمد[٣] وابن حبان[٤] والبيهقي[٥] والبغوي[٦] وغيرهم كثير.
- ثم ما أستشكله الزمخشري فقد أجاب عنه سعد الدين[٧]، قال القسطلاني:

"طعن أي الزمخشري أولاً في الحديث بمجرد أنه لم يوافق هواه، وإلا فأي امتناع من أن يمس الشيطان المولود حين يولد بحيث يصرخ كما ترى وتسمع، ولا

---

(١) هو أحمد بن محمد شاكر بن أحمد ابن عبد القادر، من آل أبي علياء، يرفع نسبه إلى الحسين بن علي، عالم بالحديث والتفسير، مصري، مولده سنة ١٣٠٩هـ ووفاته ١٣٧٧هـ في القاهرة، سماه أبوه أحمد، شمس الائمة أبا الاشبال، وانقطع في التأليف والتحقيق حتى وفاته، وله مجموعة من المؤلفات وأعظمها شرح مسند الإمام أحمد، انظر: معجم المؤلفين: (١٣/٣٦٨).

(٢) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث : (ص:٣٥).

(٣) رواه أحمد في مسنده : (٨/ ٣٠)، حديث رقم : (٧١٨٢).

(٤) صحيح ابن حبان: (١٤/ ١٢٨)، حديث رقم : (٦٢٣٤) و (٦٢٣٥).

(٥) السنن الكبرى للبيهقي : (٦/ ٢٥٧)

(٦) شرح السنة للبغوي : (١٤/ ٤٠٦).

(٧) هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، سعد الدين: من أئمة العربية والبيان والمنطق. ولد ولد بتفتازان (من بلاد خراسان) سنة ٧١٢هـ، وأقام بسرخس، وأبعده تيمورلنك إلى سمرقند، فتوفى فيها سنة ٧٩٣هـ، ودفن في سرخس، كانت في لسانه لكنة. انظر: معجم المؤلفين: (١٢/٢٢٨)، والأعلام للزركلي: (٧/ ٢١٩).

يكون ذلك في جميع الأوقات حتى يلزم امتلاء الدنيا بالصراخ، ولا تلك المسة للإغواء، وكفى بصحة هذا الحديث رواية الثقات وتصحيح الشيخين له من غير قدح من غيرهما[١]، انتهى.

وقال في الانتصاف: "الحديث مدوّن في الصحاح فلا يعطله الميل إلى ترهات الفلاسفة والانتصار بقول ابن الرومي سوء أدب يجب أن يجتنب عنه"[٢].

- وأما قولهم إن هذا الحديث من خبر الآحاد، ولا يفيد إلا الظن، فهو مردود أيضا، لأن العلماء –رحمهم الله– قبلوا الحديث إذا كان صحيحا، ولا يفرقون بين المتواتر والآحاد في القبول، سواء كان في العقيدة أو في غيرها، لأن المدار على صحة الحديث.

قال الإمام أحمد –رحمه الله – :

"كل ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد جيد؛ أقررنا به، وإذا لم نقر بما جاء به الرسول ودفعناه ورددناه؛ رددنا على الله أمره، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾"[٣][٤].

وقال ابن أبي العز –رحمه الله– :

"وخبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول عملا به وتصديقا له يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة، وهو أحد قسمي المتواتر ولم يكن بين سلف الأمة في ذلك نزاع"[٥].

وقال ابن تيمية –رحمه الله– :

"وهذه السنة إذا ثبتت فإن المسلمين كلهم متفقون على وجوب اتباعها"[٦].

---

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: (٧/ ٥٣)، وانظر: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح : (١/ ١٤٨).

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: (٧/ ٥٣).

(٣) سورة الحشر : (٧).

(٤) إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة : (٢/ ٢٩٤).

(٥) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز : (ص: ٣٥١).

(٦) مجموع الفتاوى : (١٩/ ٨٥).

وقال ابن حجر –رحمه الله– :

"وقد شاع فاشيا عمل الصحابة والتابعين بخبر الواحد من غير نكير، فاقتضى الاتفاق منهم على القبول"(١).

والنبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث رسله إلى الملوك، وأمراءه إلى بلدان شتى، فالناس يرجعون إليهم في الأحكام العملية والاعتقادية، كما بعث عليه الصلاة والسلام أبا عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه إلى أهل نجران(٢)، وبعث معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى أهل اليمن(٣)، وبعث دحية الكلبي رضي الله عنه بكتاب إلى أهل بصرى(٤)، وغيرهم من الصحابة الذين أرسلهم الرسول صلى الله عليه وسلم.

وغير ذلك من الأدلة على قبول خبر الواحد، سواء كان في العقيدة أو في غيرها إذا كان ثابتا عن النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) فتح الباري : (١٠٤/١٧).

(٢) كما جاء عن حذيفة رضي الله عنه قال :جاء أهل نجران إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: ابعث لنا رجلا أمينا، فقال: لأبعثن إليكم رجلا أمينا حق أمين، فاستشرف له الناس فبعث أبا عبيدة بن الجراح، رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران، حديث رقم : (٤٣٨١)، مع الفتح : (٥٢٨/٩).

(٣) كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذا رضي الله عنه إلى اليمن فقال: ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله...الحديث، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، حديث رقم : (١٣٩٥)، مع الفتح : (٢٠١/٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، حديث رقم : (١٢١)، ص: (٨٣).

(٤) كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه : وكان دحية الكلبي جاء به فدفعه إلى عظيم بصرى بصرى فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل...الحديث، رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ [آل عمران: ٦٤]، حديث رقم : (٤٥٥٣)، مع الفتح : (٧٢١/٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، حديث رقم : (٤٦٠٧)، ص: (٧٥٧).

ويلزم هؤلاء الذين لا يأخذون بخبر الواحد في العقيدة أن يردوا كثيرا من العقائد التي ثبتت بأحاديث الآحاد، كأفضلية نبينا على جميع الأنبياء والمرسلين، وحديث الشفاعة العظمى في المحشر، وشفاعته صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر من أمته، وحديث كيفية بدء الخلق وصفة الملائكة والجن، وصفة الجنة والنار مما لم يُذكر في القرآن الكريم، وحديث سؤال منكر ونكير في القبر، وحديث الصراط والحوض والميزان ذو الكفتين، وغير ذلك من أخبار الآحاد التي يتعلق بأمور العقيدة.

المبحث الخامس: البشارة بعيسى عليه السلام.

إن الله عز وجل بفضله وكرمه أرسل بعض ملائكته –وهو جبريل عليه السلام– إلى مريم عليها السلام، وهو المراد بالروح في قوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾[1]، لأن الله عز وجل كثيرا ما يسمي جبريل عليه السلام بالروح في مواضع عدة من كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾[3]، وقال تعالى ﴿ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾[5]، وهو جبريل عليه السلام عند جماهير العلماء[6].

.[6]

وبعد أن أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام إلى مريم، بشرها بأن يكون لها ولد اسمه عيسى بن مريم عليهما السلام، قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾[7]، وسمى الله تعالى عيسى عيسى عليه السلام بالكلمة لأنه وُجد بكلمة من الله تعالى، إذ قال الله تعالى له "كن" فكان، وليس عيسى عليه السلام نفس كلمة الله، ولكنه وُجد بالكلمة، فأطلقت عليه الكلمة، وليس هو نفس ذات الكلمة، لأنه عليه السلام خارج عن العادة في الخلق، لأن الخلق غير آدم وحواء خُلق من أب وأم، وأما عيسى عليه السلام خُلق من أم دون أب، وهذا ليس من السنة الإلهية في كل مولود.

---

(١) سورة مريم : (١٧).

(٢) سورة الشعراء : (١٩٣).

(٣) سورة النحل : (١٠٢).

(٤) سورة البقرة : (٨٧).

(٥) سورة القدر : (٤).

(٦) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : (٢/ ١٥٢).

(٧) سورة آل عمران : (٤٦).

ثم إن الله تعالى ذكر في آية أخرى من كتابه كيف أنه عز وجل بشر مريم بعيسى عليهما السلام، قال الله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾[1].

وقد ذكر المفسرون آثاراً عن غير واحد من السلف أن جبريل عليه السلام نفخ في جيب درعها، فنزلت النفخة إلى فرجها فحملت من فورها، و المراد بالفرج هو فرج القميص ؛ أي لم تعلق بثوبها ريبة ؛ أي إنها طاهرة الأثواب، وفروج القميص أربعة : الكمان والأعلى والأسفل.

قال السهيلي-رحمه الله- :

"فلا يذهبن وهمك إلى غير هذا ؛ فإنه من لطيف الكناية لأن القرآن أنزه معنى ، وأوزن لفظا ، وألطف إشارة ، وأحسن عبارة من أن يريد ما يذهب إليه وهم الجاهل ، لا سيما والنفخ من روح القدس بأمر القدوس ، فأضف القدس إلى القدوس ، ونزه المقدسة المطهرة عن الظن الكاذب والحدس، ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾[2] يعني أمرنا جبريل حتى نفخ في درعها ، فأحدثنا بذلك النفخ المسيح في بطنها"[3].

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنه :

"لما وهب الله لزكريا يحيى وبلغ ثلاث سنين بشر الله مريم بعيسى، فبينما هي في المحراب إذ قالت الملائكة - وهو جبريل وحده - ﴿ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ ﴾ من الفاحشة ﴿ وَٱصْطَفَىٰكِ ﴾ يعني اختارك ﴿ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ عالم أمتها، ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ ﴾ يعني صلي لربك، يقول : اركدي لربك في الصلاة بطول القيام؛ فكانت

---

(١) سورة مريم : (١٢-١٦).

(٢) سورة التحريم : (١٢).

(٣) تفسير القرطبي : (١١/ ٣٣٨)، وانظر: روح البيان : (١٠/ ٥٣).

تقوم حتى ورمت قدماها، ﴿ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ يعني مع المصلين مع قراء بيت المقدس ، يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَ ﴾ يعني بالخبر ﴿ ٱلۡغَيۡبِ ﴾ في قصة زكريا ويحيى ومريم، ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ ﴾ يعني عندهم ﴿ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ ﴾ في كفالة مريم، ثم قال : يا محمد ،يخبر بقصة عيسى ﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا ﴾ يعني مكينا عند الله في الدنيا من المقربين في الآخرة، ﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ ﴾ يعني في الخرق ﴿ وَكَهۡلٗا ﴾ ويكلمهم كهلا إذا اجتمع قبل أن يرفع إلى السماء ﴿ وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ يعني من المرسلين(١).

وقال وهب —رحمه الله :

"لما استقر حمل مريم وبشرها جبريل وثقت بكرامة الله واطمأنت فطابت نفسا واشتد أزرها وكان معها في المحررين ابن خال لها يقال له يوسف، وكان يخدمها من وراء الحجاب ويكلمها ويناولها الشيء من وراء الحجاب، وكان أول من اطلع على حملها هو، واهتم لذلك وأحزنه وخاف من البلية التي لا قبل له بها ولم يشعر من أين أتيت مريم وشغله عن النظر في أمر نفسه وعمله، لأنه كان رجلا متعبدا حكيما وكان من قبل أن تضرب مريم الحجاب على نفسها تكون معه ونشأ معها.

وكانت مريم اذا نفذ ماؤها وماء يوسف أخذا قلتيهما ثم انطلقا إلى المفازة التي فيها الماء فيملآن قلتيهما ثم يرجعان إلى الكنيسة، والملائكة مقبلة على مريم بالبشارة ! ﴿ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ ﴾، فكان يعجب يوسف ما يسمع ، فلما استبان ليوسف حمل مريم وقع في نفسه من أمرها حتى كاد أن يفتتن، فلما أراد أن يتهمها في نفسه ذكر ما طهرها الله واصطفاها وما وعد الله أمها أنه يعيذها وذريتها من الشيطان الرجيم وما سمع من قول الملائكة ﴿ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ ﴾ فذكر الفضائل التي فضلها الله

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي : (٣/ ٥٤٤).

تعالى بها وقال : إن زكريا قد أحرزها في المحراب فلا يدخل عليها أحد وليس للشيطان عليها سبيل، فمن أين هذا؟

فلما رأى من تغير لونها وظهور بطنها عظم ذلك عليه فعرض لها فقال : يا مريم هل يكون زرع من غير بذر؟ قالت: نعم ، قال : وكيف ذلك؟ قالت : إن الله خلق البذر الأول من غير نبات وأنبت الزرع الأول من غير بذر، ولعلك تقول : لولا أنه استعان عليه بالبذر لغلبه حتى لا يقدر على أن يخلقه ولا ينبته ، قال يوسف : أعوذ بالله أن أقول ذلك، قد صدقت وقلت بالنور والحكمة وكما قدر أن يخلق الزرع الأول وينبته من غير بذر يقدر على أن يجعل زرعا من غير بذر، فأخبريني هل ينبت الشجر من غير ماء ولا مطر؟ قالت : ألم تعلم أن للبذور والزرع والماء والمطر والشجر خالقا واحدا؟، فلعلك تقول لولا الماء والمطر لم يقدر على أن ينبت الشجر ، قال : أعوذ بالله أن أقول ذلك، قد صدقت ، فأخبريني هل يكون ولد أو رجل من غير ذكر؟ قالت : نعم ، قال : وكيف ذلك؟ قالت : ألم تعلم أن الله خلق آدم وحواء امرأته من غير حبل ولا أنثى ولا ذكر؟ قال : بلى ، فأخبريني خبرك؟ قالت : بشرني الله ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ إلى قوله ﴿ وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾، فعلم يوسف أن ذلك أمر من الله لسبب خير أراده بمريم، فسكت عنها ، فلم تزل على ذلك حتى ضربها الطلق فنوديت : أن اخرجي من المحراب فخرجت[1].

وقد أيد هذه البشارة بما جاء من إشعياء بولادة عيسى عليه السلام من العذراء البتول : "ولكن يعطيكم السيد نفسه آية : ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عِمَّانُوئِيلَ. زبدا وعسلا يأكل"[2].

وجاء في الإنجيل :

"وفي الشهر السادس أُرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة. إلى غذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف واسم العذراء مريم. فدخل إليها الملاك وقال : سلام لك أيتها المنعَم عليها! الرب معك، مبارك أنت في النساء. فلما رأته

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي : (٣/ ٥٤٤).

(٢) سفر إشيعاء ، الإصحاح السابع ، العدد: ٤-١٥.

اضطربت من كلامه وفكرت : ما عسى أن تكون هذه التحية. فقال لها الملاك : لا تخافي يا مريم، لأنك قد وجدت نعمة عند الله. وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع. هذا يكون عظيما وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه. ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ، ولا يكون لملكه نهاية. فقالت مريم للملاك : كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا؟. فأجاب الملاك وقال لها : الروح القدس يحل عليك، وقوة العلي تظللك ، فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله. وهو ذا أليصابات نسيبتك هي أيضا حبلى بابن في شيخوختها، وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقرا . لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله . فقالت مريم : هو ذا أمة الرب ليكن لي كقولك، فمضى من عندها الملاك" [1].

---

(١) إنجيل لوقا، السفر الأول : ٢٦-٣٨.

المبحث السادس: تمنى الموت من مريم عليها السلام وحكم تمنى الموت في الإسلام.

إن مريم عليها السلام لما حملت بعيسى عليه الصلاة والسلام وقربت ولادته، خافت من الفضيحة، ذهبت إلى مكان بعيد حيث لا يعرفه الناس ولا يرونها، ثم ألجأها المخاض إلى جذع النخلة، فلما آلمها وجع الولادة ووجع العطش والجوع ووجع قلبها من مقالات الناس، وخافت أن لا تصبر، فحينها تمنت أنها ماتت قبل هذه الحادثة لشدة موقفها آنذاك، فكانت عليها السلام أرادت أن تكون نسيا منسيا، فلم تُذكر، قال الله تعالى عن حالها ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾[1].

قال السدي –رحمه الله-:

"قالت وهي تطلق من الحبل استحياء من الناس ﴿ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾[2]، تقول: يا ليتني مِتُّ قبل هذا الكرب الذي أنا فيه، والحزن بولادتي المولود من غير بَعْل، وكنت نِسيا منسيًّا: شيئا نُسي فتُرك طلبه كخرق الحيض التي إذا ألقيت وطرحت لم تطلب ولم تُذكر"[3].

ومن هنا يُعلم أن سبب تمني الموت من مريم عليها السلام حصل لأمور، منها :

١- إن مريم عليها السلام خافت من أن يظن بها الشر في دينها وتعير فيفتنها ذلك.

٢- خشيت عليها السلام أن يقع قوم بسببها في البهتان والنسبة إلى الزنى وذلك شيء مهلك[4].

٣- إن عادة الصالحين إذا وقعوا في بلاء أن يقولوا ذلك.

وروي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه نظر إلى طائر على شجرة فقال: "طوبى لك يا طائر تقع على الشجرة وتأكل من الثمر! وددت أني ثمرة ينقرها الطائر"[1].

---

(١) سورة مريم : (٢٢-٢٣).

(٢) سورة مريم : (٢٢-٢٣).

(٣) جامع البيان للطبري : (١٨/ ١٧١)، وانظر: تفسير القرآن العظيم : (٥/٢٢٣).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : (١١/ ٩٢).

وعن عمر رضي الله عنه أنه أخذ تبنة من الأرض وقال : "ليتني هذه التبنة يا ليتني لم أك شيئا"[٢].

وقال علي رضي الله عنه يوم الجمل : "يا ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة"[٣].

وعن بلال رضي الله عنه : "ليت بلال لم تلده أمه"، فثبت أن هذا الكلام يذكره الصالحون عند اشتداد الأمر عليهم[٤].

٤-لعل مريم عليها السلام قالت ذلك لكي لا تقع المعصية ممن يتكلم فيها، وإلا فهي راضية بما بشرت به[٥].

وهذا التمني من مريم عليها السلام لا يتعارض مع قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: (لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه، فإن كان لا بد فاعلا فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي)[٦].

ويجاب عن هذا بأجوبة، منها:

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي : (٢/ ٢٢٧)، ومصنف ابن أبي شيبة : (١٣/ ٢٥٩)، كلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حديث رقم : (٣٥٥٧٣)، وانظر: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للبرهان فوري : (١٢/ ٥٢٨)، خوف أبي بكر رضي الله عنه، حديث رقم : (٣٥٦٩٨).

(٢) شرح السنة للبغوي : (٣٧٣/١٤)، ١- وانظر: مصنف ابن أبي شيبة : (١٣/ ٢٧٦)، كلام عمر بن خطاب رضي الله عنه، حديث رقم : (٣٥٦٢١).

(٣) سيأتي تخريجه: (ص:٦٨٨).

(٤) السنن الكبرى للبيهقي : (١/ ٣٨٤)، حديث رقم : (١٨٧٧)، ومصنف ابن أبي شيبة : (١/ ٢٢١)، باب يؤذن بليل، حديث رقم : (٢٣٢١).

(٥) انظر: مفاتيح الغيب : (٢١/ ٥٢٦).

(٦) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى، باب تمنى المريض الموت ، حديث رقم : (٥٦٧١)، مع الفتح : (٤٤/١٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب كراهية تمنى الموت لضر نزل به، حديث رقم : (٦٨١٤)، ص: (١١٠٧).

- أنه يجب أن نعلم أن شرع من قبلنا إذا ورد شرعنا بخلافه، فليس بحجة، لأن شرعنا نسخ كل ما سبقه من الأديان.

قال ابن كثير –رحمه الله– :

"وأن ذلك كان سائغا في ملتهم وشرعتهم كما روي عن ابن عباس أنه قال: ما تمنى نبي قط الموت قبل يوسف، فأما في شريعتنا فقد نهى عن الدعاء بالموت إلا عند الفتن"[1].

- ثم لو فرضت أن مريم عليها السلام تمنت الموت، إنما تمنتها لفتنة في دينها.

قال ابن كثير – رحمه الله تعالى –:

"وهذا فيما إذا كان الضر خاصا به، أما إذا كان فتنة في الدين فيجوز سؤال الموت، كما قال الله تعالى إخبارا عن السحرة لما أرادهم فرعون عن دينهم وتهددهم بالقتل قالوا: ﴿ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴾[2]، وقالت مريم لما أجاءها المخاض، وهو الطلق، إلى جذع النخلة ﴿ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴾[3]، لما تعلم من أن الناس يقذفونها بالفاحشة؛ لأنها لم تكن ذات زوج وقد حملت وولدت، فيقول القائل أنى لها هذا؟ ولهذا واجهوها أولا بأن قالوا ﴿ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ٢٧ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴾[4]، فجعل الله لها من ذلك الحال فرجا ومخرجا، وأنطق الصبي في المهد بأنه عبد الله ورسوله، وكان آية عظيمة ومعجزة باهرة صلوات الله وسلامه عليه وفي حديث معاذ، الذي رواه الإمام أحمد والترمذي، في قصة المنام والدعاء الذي فيه: "وإذا أردت بقوم فتنة، فتوفني إليك غير مفتون ...فعند حلول الفتن في الدين يجوز سؤال الموت؛ ولهذا قال علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، في آخر إمارته لما رأى أن الأمور لا تجتمع له، ولا يزداد

---

(١) البداية والنهاية : (١/ ٢٥٢).

(٢) سورة الأعراف : (١٢٦).

(٣) سورة مريم : (٢٣).

(٤) سورة مريم : (٢٧–٢٨).

الأمر إلا شدة قال: "اللهم، خذني إليك، فقد سئمتهم وسئموني"، وقال البخاري رحمه الله، لما وقعت له تلك المحن وجرى له ما جرى مع أمير خراسان: "اللهم توفني إليك"(١).

وقال في موضع آخر من تفسيره :

"فيه دليل على جواز تمني الموت عند الفتنة، فإنها عرفت أنها ستبتلى وتمتحن بهذا المولود الذي لا يحمل الناس أمرها فيه على السداد، ولا يصدقونها في خبرها، وبعدما كانت عندهم عابدة ناسكة، تصبح عندهم فيما يظنون عاهرة زانية"(٢).

وقال الآلوسي – رحمه الله تعالى- :

"وإنما قالته عليها السّلام مع أنها كانت تعلم ما جرى بينها وبين جبريل عليه السّلام من الوعد الكريم استحياء من الناس وخوفا من لائمتهم أو حذرا من وقوع الناس في المعصية بما يتكلمون فيها، وروي أنها سمعت نداء "أخرج يا من يعبد من دون الله تعالى"، فحزنت لذلك وتمنت الموت ، وتمني الموت لنحو ذلك مما لا كراهة فيه، نعم يكره تمنيه لضرر نزل به من مرض أو فاقة أو محنة من عدو أو نحو ذلك من مشاق الدنيا، ففي صحيح مسلم وغيره قال صلّى الله عليه وسلّم: «لا يتمنين أحدكم الموت لضرر نزل، فإن كان لا بد متمنيا فليقل: اللهم احيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي"(٣).

وقال الألباني –رحمه الله – :

"أنه لا يتمنى الموت تدينا و تقربا إلى الله و حبا في لقائه، و إنما لما نزل به من البلاء و المحن في أمور دنياه، ففيه إشارة إلى جواز تمني الموت تدينا، و لا ينافيه قوله صلى الله عليه وسلم: " لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ... "(٤) لأنه

---

(١) تفسير القرآن العظيم : (٤/ ٤١٥-٤١٦).

(٢) المصدر نفسه : (٥/٢٢٣).

(٣) روح المعاني : (٨/ ٤٠٠).

(٤) سبق تخريجه.

خاص بما إذا كان التمني لأمر دنيوي كما هو ظاهر، قال الحافظ: " و يؤيده ثبوت تمني الموت عند فساد أمر الدين عن جماعة من السلف ، قال النووي : لا كراهة في ذلك بل فعله خلائق من السلف منهم عمر ابن الخطاب"[1].

وأما تمنى الموت عند المسلمين لا يجوز، وهو محرم ولا سيما إذا خاف من الضرر الذي نزل به أو لأمر من أمور الدنيا يصيبها، وهذا هو أكثر سبب طلب الناس للموت؛ وذلك أن المتمنى للموت لضر نزل به إنما يتمناه تعجيلا للاستراحة من ضره، وهو لا يدري إلى ما يصير بعد الموت، فلعله يصير إلى ضر أعظم من ضره في الدنيا.

قال ابن رجب–رحمه الله–:

"فتمني الموت يقع على وجوه : منها : تمنيه لضر دنيوي ينزل بالعبد فينهى حينئذ عن تمني الموت و في الصحيحين عن أنس عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: (لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به فإن كان لا بد فاعلا فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي و توفني إذا كانت الوفاة خيرا لي)[2]، ووجه كراهيته في هذا الحال أن المتمني للموت لضر نزل به إنما يتمناه تعجيلا للاستراحة من ضره و هو لا يدري إلى ما يصير بعد الموت فلعله يصير إلى ضر أعظم من ضره فيكون كالمستجير من الرمضاء بالنار، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: إنما يستريح من غفر له[3]، فلهذا لا ينبغي له أن يدعو بالموت إلا أن يشترط أن يكون خيرا له عند الله عز و جل"[4].

وقد يجوز تمنى الموت في بعض الحالات، ومنها:

١- تمنى الموت عند حضور أسباب الشهادة.

ومن أمثلة ذلك ما رواه مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يقدمن أحد منكم

---

(١) السلسلة الصحيحة : (٢/ ٧٧).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) مسند أحمد بن حنبل (٦/ ٦٩)، حديث رقم : (٢٤٧٥٧)، وانظر: شرح السنة للبغوي : (٥/ ٢٧١).

(٤) لطائف المعارف فيما المواسم العام من الوظائف : (ص: ٥١٠).

إلى شيء حتى أكون أنا دونه! فدنا المشركون، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض!

قال: يقول عمير بن الحمام الأنصاري : يا رسول الله، جنة عرضها السموات والأرض؟

قال: نعم

قال: بخ بخ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما يحملك على قولك بخ بخ؟

قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاءة أن أكون من أهلها

قال: فإنك من أهلها

فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة، قال : فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قُتل)[1].

وكذلك لما سأل معاذ ابن عفراء ، فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما يضحك الرب من عبده ؟ قال : (غمسه يده في العدو حاسرا) ، قال: فألقى درعا كانت عليه فقاتل حتى قتل[2].

وغير ذلك من الأمثلة التي حصلت للصحابة وغيرهم من السلف الصالح، حيث كانوا يتمنون الموت طلبا للشهادة في سبيل الله.

٢- تمنى الموت لمن وثق بعمله شوقا إلى لقاء الله تبارك وتعالى.

قال ابن حجر –رحمه الله– عند قول النبي صلى الله عليه وسلم:

"إنه إذا حل به –يعني الموت– لا يمنع من تمنيه رضا بلقاء الله ولا من طلبه من الله لذلك وهو كذلك، ولهذه النكتة عقب البخاري حديث أبي هريرة بحديث

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، حديث رقم : (٤٩١٥)، ص: (٨١٦-٨١٧).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٥/ ٣٣٨)، حديث رقم : (١٩٨٤٨)، وانظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم : (٤/ ٢٢٠٧)، حديث رقم : (٥٥٢٥).

عائشة (اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى)، إشارة إلى أن النهي مختص بالحالة التي قبل نزول الموت، فلله دره ما كان أكثر استحضاره وإيثاره للأخفى على الأجلي شحذا للأذهان"[١].

وكان كثير من السلف يتمنون الموت شوقا للقاء الله تعالى، ومن أمثلة ذلك:

- كما حصل من حذيفة بن اليمان[٢]، فعن زياد مولى ابن عباس قال:"حدثني من دخل على حذيفة – رضي الله عنه- في مرضه الذي مات فيه فقال: لولا أني أرى أن هذا اليوم آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة لم أتكلم بهذا : "اللهم إنك تعلم أني كنت أحب الفقر على الغنى وأحب الذلة على العز وأحب الموت على الحياة حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم"[٣].
- وعن أبي الدرداء[٤] رضي الله عنه قال: "أحب الفقر تواضعا لربي، وأحب الموت إشتياقا لربي، وأحب المرض كفارة لخطيئتي"[٥].

---

(١) فتح الباري : (١٣/٤٨-٤٩).

(٢) هو حذيفة بن اليمان من نجباء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، واسم اليمان: حسل ويقال: حسيل ابن جابر العبسي اليماني، أبو عبد الله، قتل أبوه في الأحد غلطا، ولي حذيفة إمرة المدائن لعمر، فبقي عليها إلى بعد مقتل عثمان، وتوفي بعد عثمان بأربعين ليلة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أسر إلى حذيفة أسماء المنافقين، وضبط عنه الفتن الكائنة في الامة، توفي بالمدائن سنة ست وثلاثين، انظر: سير أعلام النبلاء : (٢/ ٣٦١)، وتهذيب التهذيب : (٢/١٩٣)، والجرح والتعديل : (٣/٢٥٦).

(٣) الثبات عند الممات لابن الجوزي: (ص: ١٢١-١٢٢).

(٤) هو الامام القدوة قاضي دمشق وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو الدرداء عويمر بن زيد بن قيس، ويقال: عويمر بن عامر، ويقال: ابن عبد الله، حكيم هذه الامة، وسيد القراء بدمشق. مات سنة اثنتين وثلاثين، انظر: سير أعلام النبلاء : (٢/ ٣٣٥).

(٥) شعب الإيمان للبيهقي : (١٢/٣٩١)، وروي كذلك أنه قال: لولا ثلاث ما أحببت البقاء: ساعة ظمأ الهواجر، والسجود في الليل، ومجالسة أقوام ينتقون جيد الكلام كما ينتقى أطايب الثمر، وعن يعلى بن الوليد، قال: لقيت أبا الدرداء، فقلت: ما تحب لمن تحب ؟ قال: الموت، انظر: سير أعلام النبلاء : (٢/ ٣٤٩).

وقد دل على جواز ذلك قول الله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾[2]، فدل على أن أولياء الله تعالى لا يكرهون الموت، بل يتمنونه، والله أعلم.

٣- تمني الموت عند خوف الفتنة أو الضرر في الدين.

قال النووي -رحمه الله- بعد أن ساق حديث : لا يتمنين أحدكم الموت...إلى آخره:

"فيه التصريح بكراهة تمني الموت لضر نزل به من مرض أو فاقة أو محنة من عدو أو نحو ذلك من مشاق الدنيا ، فأما إذا خاف ضررا في دينه أو فتنة فيه، فلا كراهة فيه ؛ لمفهوم هذا الحديث وغيره ، وقد فعل هذا الثاني خلائق من السلف عند خوف الفتنة في أديانهم"[3].

وفي الحديث السابق ...وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي...ففي هذا الحديث تمني الموت، وهو خير للمسلم من أن يفتن في دينه.

وقد تمنى الموت ودعا به خشية الفتنة خلق كثير، ومن ذلك:

- مريم عليها السلام، كما مر ذكره، قال الله تعالى ﴿ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴾[4].

قال ابن كثير -رحمه الله-:

"فيه دليل على جواز تمني الموت عند الفتنة، فإنها عرفت أنها ستبتلى وتمتحن بهذا المولود الذي لا يحمل الناس أمرها فيه على السداد، ولا يصدقونها في

---

(١) سورة البقرة : (٩٤).

(٢) سورة الجمعة : (٦).

(٣) شرح النووي على مسلم : (٩/ ٤٣).

(٤) سورة مريم : (٢٣).

خبرها، وبعدما كانت عندهم عابدة ناسكة، تصبح عندهم فيما يظنون عاهرة زانية"[1].

- وعن سعيد بن المسيب أنه سمعه يقول :لما صدر عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– من منى أناخ بالأبطح، ثم كوم كومة بطحاء ثم طرح عليها رداءه واستلقى ثم مد يديه إلى السماء فقال: "اللهم كبرت سني وضعفت قوتي وانتشرت رعيتي فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط!"

ثم قدم المدينة، فخطب الناس فقال : "أيها الناس قد سنت لكم السنن وفرضت لكم الفرائض وتركتم على الواضحة إلا أن تضلوا بالناس يمينا وشمالا، وضرب بإحدى يديه على الأخرى، ثم قال: إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم أن يقول قائل: لا نجد حدين في كتاب الله، فقد رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا، والذي نفسي بيده، لولا أن يقول الناس زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله تعالى لكتبتها "الشيخ والشيخة فارجموهما البتة"، فإنا قد قرأناها".

قال مالك: قال يحي بن سعيد قال :سعيد بن المسيب: "فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل عمر رحمه الله"[2].

٤– تمني الموت ببلد شريف كمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم.

كما ثبت ذلك من دعاء عن عمر رضي الله عنه قال: "اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك صلى الله عليه وسلم"[3].

وقد أجمع العلماء على أفضلية الموت بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم

قال القاري : "قد أجمع العلماء على أن الموت بالمدينة أفضل بعد اختلافهم أن المجاورة بمكة أفضل أو بالمدينة"[4].

---

(١) تفسير القرآن العظيم : (٥/ ٢٢٣).

(٢) رواه مالك في الموطأ ، باب ما جاء في الرجم : (٢/ ٨٢٤)، حديث رقم : (١٥٠٦).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الدينة، باب كراهية النبي صلى الله عليه وسلم أن تعرى المدينة، حديث رقم : (١٨٩٠)، مع الفتح : (٥/٢٠٥).

(٤) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح : (٩/٥٥٨).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: (من استطاع منكم أن يموت في المدينة فليفعل، فإنه من مات بالمدينة شفعت له يوم القيامة)[1].

وهذا ترغيب من النبي صلى الله عليه وسلم، وإذا كان كذلك فلا بأس أن يتمنى الإنسان أن يموت في هذه المدينة حتى ينال ما رغب فيه النبي صلى الله عليه وسلم من الشفاعة يوم القيامة.

---

(١) المجالسة وجواهر العلم : (٣/ ١٧٤).

المبحث السابع: القدرة الربانية في ولادة ابن مريم عليها السلام بلا أب.

كل موجود في هذه الحياة قد وُجد بإبداع الله تبارك وتعالى وقدرته، سواء كان مولودا من أبوين ، أم مخلوقا مباشرة غير مولود من أحد، فأبونا آدم عليه السلام أظهره الله تعالى مباشرة من الطين، ولم يخلقه من أبوين، وأمنا حواء خلقها الله تعالى من ضلع آدم عليه السلام[1]، وأما بقية ذريتهما فقد جعل الله تعالى آباءهم سببا لوجودهم، وهذه هي سنة الله تعالى في الخلق، إلا واحدا من هذه الذرية، قد أخرجه الله تعالى من دون أب، ألا وهو نبينا عيسى عليه الصلاة والسلام، وهو الآيات التي ذكرها الله في الكون، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾[2].

قال ابن كثير -رحمه الله- :

"يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله عيسى ابن مريم، عليهما السلام، أنه جعلهما آية للناس: أي حجة قاطعة على قدرته على ما يشاء، فإنه خلق آدم من غير أب ولا أم، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وخلق بقية الناس من ذكر وأنثى"[3].

إن الله تعالى ذكر في القرآن الكريم بشكل صريح ومتكرر أن عيسى عليه السلام خلق من أمه فقط، دون أن يكون وجوده مرتبطا بالأب، فقد أرسل الله تعالى الروح إلى مريم عليها السلام فنفخ فيها بإذن الله تعالى، فتكوّن عيسى عليه السلام مباشرة كما يتكوّن أي جنين من جراء إلقاء النطفة في رحم أمه، قال الله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، حديث رقم : (٣٣٣١)، مع الفتح : (٦٠٤/٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، حديث رقم : (٣٦٤٣)، ص: (٦٠٥).

(٢) سورة المؤمنون : (٥٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم : (٥/ ٤٧٦).

رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٌ وَلَمۡ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةً مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرًا مَّقۡضِيًّا ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٌۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[2].

ولهذا يطلق على عيسى عليه السلام بأنه كلمة الله، لأنه نشأ بهذه الكلمة مباشرة، ثم إن الله تعالى مثّل بخلق عيسى عليه السلام —من غير أب– كخلق آدم عليه السلام —من غير أب وأم–، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[3].

قال ابن تيمية —رحمه الله–:

"كلام حق، فإنه سبحانه خلق هذا النوع البشري على الأقسام الممكنة ليبين عموم قدرته فخلق آدم من غير ذكر ولا أنثى وخلق زوجته حواء من ذكر بلا أنثى كما قال تعالى وخلق منها زوجها، وخلق المسيح من أنثى بلا ذكر وخلق سائر الخلق من ذكر وأنثى وكان خلق آدم وحواء أعجب من خلق المسيح فإن حواء خلقت من ضلع آدم وهذا أعجب من خلق المسيح في بطن مريم وخلق آدم أعجب من هذا وهذا وهو أصل خلق حواء، فلهذا شبهه الله بخلق آدم الذي هو أعجب من خلق المسيح فإذا كان سبحانه قادرا أن يخلقه من تراب والتراب ليس من جنس بدن الإنسان أفلا يقدر أن يخلقه من امرأة هي من جنس بدن الإنسان وهو سبحانه خلق آدم من تراب ثم قال له كن فيكون لما نفخ فيه من روحه فكذلك المسيح نفخ فيه من روحه وقال له كن فيكون

---

(١) سورة مريم : (١٦–٢١).

(٢) سورة آل عمران : (٤٧).

(٣) سورة آل عمران : (٥٩).

ولم يكن آدم بما نفخ من روحه لاهوتا وناسوتا بل كله ناسوت فكذلك المسيح كله ناسوت"[1].

وإن الله عز وجل قبل أن يرزق مريم عليها السلام بالولد من دون أي علاقة من الذكور، فقد مهّد الله تعالى قبل ذلك بأن يرزق مريم عليها السلام بالأرزاق في غير أوانها المعهودة، فقد أنعم الله على مريم بفاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، وهو على خلاف المعهود، ويأتيها رزقها وهي تتعبد لله تعالى ولم تخرج من المحراب، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾[2]، حينها علمت أن الذي يخلق الثمرة بأسباب قادر على أن يخلقها بغير أسباب، ولذلك كان من قوة يقينها أن الله اختارها محلا للابتلاء ، وأنها ستحمل على غير عادة النساء، ثم إن الله تعالى بعث إليها جبريل عليه السلام فتمثل لها في صورة بشر سوي، وأمره الله تعالى أن ينفخ بفيه في جيب درعها، فنزلت النفخة فولجت في فرجها، فكان منه الحمل بعيسى عليه الصلاة والسلام[3].

ولكن الإنجيل المحرف جعل مريم عليها السلام امرأة متزوجة من يوسف النجار، وأن يوسف النجار زوج مريم، كما دل ذلك في إنجيلهم: "أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس. فيوسف رجلها إذ كان بارا و لم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سرا. و لكن فيما هو متفكر في هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلا: يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امراتك، لأن الذي حبل به فيها هو من الروح القدس. فستلد ابنا و تدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم"[4].

وقال القاضي عبد الجبار بعد أن ساق نص إنجيل متى:

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : (٤/ ٥٤).

(٢) سورة آل عمران : (٣٧).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم : (٨/ ١٧٣) بتصرف يسير

(٤) إنجيل متى، الإصحاح الأول، العدد : ١٨-٢١.

"فانظر كيف يشهد بأنها حليلة يوسف النجار و زوجته، و أنه هم بطلاقها و اتهمها بالزنى و أراد طلاقها فرارا من العار"[1]، وسيأتي بيان هذه المسألة فيما بعد[2].

(١) تثبيت دلائل النبوة : (ص: ٢١٩).

(٢) انظر: ص (٢/٥٤٠) من هذه الرسالة.

المبحث الثامن: شهادة الله تعالى لمريم عليها السلام بالعبودية.

إن الله تعالى شرّف مريم عليها السلام بمرتبة عالية، ألا وهي مرتبة الصديقة، قال الله تعالى: ﴿ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ﴾[١]، والصديقة هي مرتبة عالية رفيعة من أعلى المقامات، تأتي بعد مرتبة الأنبياء، وأعلى من مرتبة الشهداء والصالحين[٢]، حازت عليها مريم عليها السلام بنص الكتاب العزيز كما حاز عليها أبو بكر الصديق رضي الله عنه بنص السنة النبوية المطهرة.

قال ابن عثيمين –رحمه الله تعالى– :

"وأما الصديقون فلا يسألون، لأن مرتبة الصديقين أعلى من مرتبة الشهداء، فإذا كان الشهداء لا يسألون فالصديقون من باب أولى، ولأن الصديق على وصفه صدِّيق وصادق، فهو قد علم صدقه، فلا حاجة إلى اختباره، لأن الاختبار لمن يشك فيه هل هو صادق أو كاذب، أما إذا كان صادقا فلا حاجة تدعو لسؤاله، وذهب بعض العلماء إلى أنهم يسألون لعموم الأدلة، والله أعلم"[٣].

والصديقية هي لقب عظيم الشأن، لأن الصديق من يتكرر عنه الصدق حتى استحق اسم المبالغة في الصدق، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : وما يزال الرجل يَصْدُق ويتحرَّى الصدق حتى يُكتبَ صدِّيقاً[٤].

وقد ورد كثيرا في كتاب الله عز وجل وفي سنة رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم ذكر هذا الوصف، ووصف به الأنبياء والمرسلين والصالحين كإبراهيم[٥] وإسماعيل[٦]

---

(١) سورة المائدة : (٧٥).

(٢) كما ذكر الله تعالى في سورة النساء: (٦٩): ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ .

(٣) شرح العقيدة الواسطية : (ص: ٣٥٥).

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، حديث رقم : (٦٦٣٧-٦٦٣٩)، ص: (١٠٨١).

(٥) قال الله تعالى ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم: ٤١]

(٦) قال الله تعالى ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ [مريم: =

وإسحاق ويعقوب[1] ويوسف[2] وإدريس عليهم الصلاة والسلام[3]، وقد كان العرب في جاهليتهم قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم يلقبون نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بالصادق الأمين، فما كانوا يؤثرون عليه كذبا قط، وكذلك أبو بكر رضي الله عنه[4].

وهذه هي شهادة الله تعالى لمريم عليها السلام بالعبودية، وأنها ممن تعبد لله تعالى بروحها وجسدها وكل حياتها، وأنها من هؤلاء الذين أنعم الله عليهم من الصديقين لما لها من الطاعة والعبودية.

ثم إن مريم عليها السلام نالت هذه المنزلة لأسباب، منها :

السبب الأول :

إيمانها وعبادتها عليها السلام لله تبارك وتعالى.

إن مريم عليها السلام كانت امرأة عابدة زاهدة منذورة لخدمة بيت الله المقدس، وقد ضرب الله تعالى لمريم عليها السلام مثلا في الإيمان، وما أوتيت من الفضائل والكرامات، قال الله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ﴾ إلى قوله ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾[5].

٥٤]

(١) قال الله تعالى ﴿ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩) وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ [مريم: ٤٩، ٥٠]

(٢) وقال الله تعالى: ﴿ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ﴾ [يوسف:٤٦]

(٣) قال الله تعالى ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٥٦]

(٤) وروى البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، حدثهم أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد أحدا ، وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال: اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان. رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : لو كنت متخذا خليلا، حديث رقم : (٣٦٧٥)، مع الفتح : (٨/٣٤٠).

(٥) سورة التحريم : (١٢).

قال ابن كثير –رحمه الله – في قول الله تعالى: ﴿ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾[(١)]:

"ونشأت في بني إسرائيل نشأة عظيمة، فكانت إحدى العابدات الناسكات المشهورات بالعبادة العظيمة والتبتل والدءوب"[(٢)].

ووصف الله تعالى مريم عليها السلام بأنها من القانتين لله تعالى، أي من المطيعين لأوامر الله، وكفى باسمها دلالة على ذلك، فإن معنى مريم : خادم الربّ بلغتهم ، فهي ، وإن لم تكن صالحة لخدمة الكنيسة ، فذلك لا يمنع أن تكون من العابدات[(٣)].

السبب الثاني :

عفتها وحياؤها عليها السلام.

فقد ذكر القرآن الكريم على لسان مريم عليها السلام أن أحدا لم يتصل بها ذلك الاتصال الذي ينشأ عنه غلام، وأنها كانت من العفيفات، وقد شهد الله تعالى لها بأنها محصنة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴾[(٤)]، وقوله تعالى ﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[(٥)].

وأن الله تعالى برأها مما اتهمها اليهود.

قال ابن كثير –رحمه الله– :

"أن طائفة من اليهود في ذلك الزمان قالوا إنها حملت به من زنا في زمن الحيض لعنهم الله فبرأها الله من ذلك وأخبر عنها أنها صديقة واتخذ ولدها نبيا مرسلا أحد أولي العزم الخمسة الكبار"[(٦)].

السبب الثالث :

---

(١) سورة آل عمران : (٣٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم : (٥/ ٢١٩).

(٣) انظر: فتح القدير للشوكاني (٣٨٤/١).

(٤) سورة التحريم : (١٢).

(٥) سورة الأنبياء : (٩١).

(٦) البداية والنهاية : (٢/ ٨٢).

تصديق مريم عليها السلام بآيات الله تعالى وكتبه.

قال الله تعالى: ﴿ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾[2] كما تقدم أن مريم عليها السلام وصفها الله تعالى بالصديقة، وإنما قيل لها "صديقة" لكثرة تصديقها بآيات ربها وتصديقها ولدها فيما أخبرها به، ذكره القرطبي والبغوي[3] وغيرهما، فشهد الله تعالى لها بالصديقية وشهد لها بالتصديق لكلمات البشرى التي بشرها الله عليها السلام.

قال ابن كثير –رحمه الله –:

"أيقنت أن ما كان فإنما هو عن قدر الله وقضائه، وما شرعه الله فهو إن كان أمرا فمما يحبه ويرضاه، وإن كان نهيا فهو مما يكرهه ويأباه، وإن كان خيرا فهو حق"[4].

ولذلك عليها السلام نالت هذه المناقب العظيمة من بين بنات آدم عليه السلام، وأنها ممن تصدق أمر الله تعالى دون أدنى اعتراض، حتى روي أنها سبقت السابقين مع الرسل إلى الجنة ؛ كما جاء في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لو أقسمتُ لبرَرْت لا يدخل الجنة قبل سابقي أمتي إلا بضعة عشر رجلا، منهم :إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى ومريم ابنة عمران)[5].

والوصف لمريم عليها السلام بالصديقة كما في آخر سورة التحريم وصف لها بالعلم والمعرفة، لأن التصديق بكلمات الله، يشمل كلماته الدينية والقدرية، والتصديق بكتبه، يقتضي معرفة ما به يحصل التصديق، ولا يكون ذلك إلا بالعلم والعمل، ولهذا قال: ﴿ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾ أي: المطيعين لله، المداومين على طاعته بخشية وخشوع، وهذا

---

(١) سورة المائدة : (٧٥).

(٢) سورة التحريم : (١٢).

(٣) تفسير القرطبي : (٦/ ٢٥١) ، وانظر: تفسير البغوي : (٣/ ٨٣).

(٤) تفسير القرآن العظيم : (٥/ ٤٨٠).

(٥) انظر: تفسير القرطبي : (٤/ ٨٤).

وصف لها بكمال العمل، فإنها رضي الله عنها صديقة، والصديقية: هي كمال العلم والعمل[1].

وأما إطلاق لقب –قديسة–فلم يرد به الكتاب ولا السنة، لأن التقديس بمعنى التطهير، وإنما أطلق هذا اللقب عليها النصارى من باب الغلو في تعظيمها حتى رفعوها إلى منزلة أم الإله–كما سيأتي–، تعالى الله عما يقولون.

قال ابن تيمية –رحمه الله– :

"وكتب المشرقيون صحيفة وثبتوا فيها الأمانة الصحيحة وقالوا فيها إن مريم العذراء القديسة ولدت إلها ربنا يسوع المسيح الذي هو مع أبيه في الطبيعة ومع الناس في الناسوت وأقروا بطبيعتين ووجه واحد وأقنوم واحد ولعنوا نسطورس"[2].

---

(١) انظر: تفسير السعدي : (ص: ٨٧٤).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : (٤/ ٢٤٨).

المبحث التاسع: كرامات الله لها ومعجزاتها.

لقد من الله تعالى لمريم عليها السلام بعض الكرامات والآيات والمعجزات، وذلك دليل على صلاحها وتقواها وصدقها لربها تبارك وتعالى، وأن الله تعالى جعلها وابنها آية، كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً ﴾[١]، ومن مذهب أهل السنة والجماعة إثبات الكرامات لأولياء الله الذين تحقق فيهم الصلاح والإيمان والتقوى، كما قال ابن تيمية –رحمه الله– :

"ومن أصول أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر قرون الأمة وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة"[٢].

ومن تلك الكرامات التي حصلت لها عليها السلام :

- حفظها وذريتها من الشيطان الرجيم، وهذا بسبب دعاء أمها لها ولذريتها، وقد استجاب الله تعالى دعاؤها، قال الله تعالى: ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾[٣]، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن كل مولود يمسه أو يطعنه الشيطان إلا مريم وابنها عليهما السلام، وقد تقدم ذلك.
- تكليم الملائكة لمريم عليها السلام، وهذا يدل على فضلها وشرفها على غيرها من الرجال والنساء.

وقد ذكر الله ذلك في عدة مواضع، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٤].

---

(١) سورة المؤمنون : (٥٠).

(٢) مجموع الفتاوى : (٣/ ١٥٦).

(٣) سورة آل عمران : (٣٦-٣٧).

(٤) سورة آل عمران : (٤٢).

وقال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ (١).

وقال الله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي ﴾ (٣)، والذي ناداها عليها السلام هو جبريل عليه السلام، ذكره ابن عباس، و سعيد بن جبير، والضحاك، وعمرو بن ميمون، والسدي، وقتادة(٤).

- حمل مريم بعيسى عليهما السلام بواسطة نفخ الملك، بدون أن يمسها بشر؛ قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٥).

- إكرام الله تعالى لها عليها السلام بالأرزاق في غير وقتها.

قال الله تعالى: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٦).

وقال مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وأبو الشعثاء، وإبراهيم النخعي، والضحاك، وقتادة، والربيع بن أنس، وعطية العوفي، والسدي، والشعبي يعني: وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف(٧).

- جعل الله تعالى لمريم عليها السلام النهر الصغير من تحتها لتشرب منه، قال الله تعالى: ﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ (١)، وذكر هذا المعنى كل من ابن عباس

---

(١) سورة آل عمران : (٤٥).

(٢) سورة مريم : (١٧).

(٣) سورة مريم : (٢٤).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم : (٥/ ٢٢٤).

(٥) سورة الأنبياء : (٩١).

(٦) سورة آل عمران : (٣٧).

(٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : (٢/ ٣٦)، وانظر: جامع البيان للطبري : (٣٥٥/٦)، (٣٥٥/٦)، والدر المنثور للسيوطي : (٥٢٤/٣).

وعمرو بن ميمون ومجاهد وسعيد بن جبير و الضحاك و إبراهيم النخعي و قتادة و وهب بن منبه و السدي وغيرهم[٢].

- إحياء الله تعالى لمريم عليها السلام نخلة يابسة، وصارت تخرج الرطب من ثمارها، قال الله تعالى: ﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾[٣]، وكان جذعاً يابساً ، فخلق الله فيه الرطب كرامة لها وتأنيساً[٤].
- تساقط عليها الرطب من النخلة اليابسة بهزها لها، وقد امتن الله تعالى لها من إخراج الرطب —وهو من أطيب الطعام للنفساء[٥]- لها في غير وقتها خرقا للعادة، لتسليتها عن حزنها، لأن ولادة عيسى عليه السلام كانت في الشتاء، والنخلة في الشتاء لا تخرج ثمرها في العادة، وإنما تخرجها في الصيف.

قال الله تعالى: ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾[٦].

قال صاحب الكشاف :

"لم تقع التسلية بهما من حيث أنهما طعام وشراب ، ولكن من حيث أنهما معجزتان تريان الناس أنها من أهل العصمة والبعد من الريبة ، وأن مثلها مما

---

(١) سورة مريم : (٢٤).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم : (٥/ ٢٢٤).

(٣) سورة مريم : (٢٤-٢٥).

(٤) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي : (ص: ٩٧٣).

(٥) قال عمرو بن ميمون: ما من شيء خير للنفساء من التمر والرطب، ثم تلا قول الله تعالى ﴿ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥]. انظر: جامع البيان للطبري : (١٨/ ١٧٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير : (٥/٢٢٣)، وقال الربيع بن خيثم : ما للنفساء عندي خير من الرطب لهذه الآية ، ولو علم الله شيئا هو أفضل من الرطب للنفساء لأطعمه مريم-عليها السلام-. تفسير القرطبي : (١١/ ٩٦).

(٦) سورة مريم : (٢٤-٢٥).

قرفوها به بمعزل ، وأن لها أمورا إلهية خارجة عن العادات خارقة لما ألفوا واعتادوا، حتى يتبين لهم أنّ ولادها من غير فحل ليس ببدع من شأنها"[1].

- إن الله تعالى فضل مريم عليها السلام بأن رزقها ذرية من أفضل البشر، ويكون من أحد أولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام.

وهذا من أعظم النعم التي أعطاها الله تعالى لمريم عليها السلام، حيث جعل ولدها و فلدة كبدها رسولا من أولى العزم عليهم الصلاة والسلام، ويكون له شأن عظيم عند بني إسرائيل وعند أمة محمد صلى الله عليه وسلم حيث يقتل –بعد إذن الله تعالى– أكبر الكذابين في هذه الدنيا.

- أن الله تعالى أنزل براءتها عليها السلام من على لسان ابنها عيسى عليه السلام من شنيعة التهمة التي رماها بها المفترون من اليهود، قال الله تعالى: ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾[2].

هذه هي بعض الآيات والكرامات التي شرف الله تعالى بها مريم أم عيسى عليهما السلام تأييدا لها وتقوية لإيمانها ونصرة لدينها وعفتها وكرامتها.

---

(١) تفسير الكشاف : (٣/ ١٣).

(٢) سورة مريم : (٢٧-٣٤).

المبحث العاشر : القول بنبوة مريم عليها السلام والرد عليه.

لمريم عليها السلام مكانة عالية رفيعة عند الله تعالى، وقد خلد الله تعالى اسمها في القرآن الكريم، بل سمى إحدى سوره باسمها لجلالة قدرها وعظيم شأنها، ولقبها الله تعالى بالصديقة، وأوحى إليها وأرسل إليها الملك، ولكن مع هذا كله لا تتعدى كونها بشرا إلا أن الله فضلها ببعض الفضائل والخوارق، وقد اختلف العلماء –رحمهم الله– في نبوة مريم عليها السلام على أقوال:

القول الأول :

أن مريم عليها السلام نبية، قاله أبو الحسن الأشعري، والقرطبي وابن حزم وغيرهم، ومال الشيخ تقي الدين السبكي في الحلبيات ، وابن السيد إلى ترجيحه[١].

قال القرطبي –رحمه الله–: والصحيح أن مريم نبية[٢].

ومن أدلة القائلين بأن مريم عليها السلام نبية :

١–أن الله تعالى أخبر في كتابه الكريم أنه أوحى إلى بعض النساء، من ذلك وحي الله تعالى إلى مريم عليها السلام، وأن الله تعالى أرسل إليها الملائكة وخاطبها عليها السلام، قال الله تعالى: ﴿ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴾[٣].

والضابط عند أبي الحسن الأشعري[٤] أن من جاءه الملك عن الله بحكم من أمر أو نهى أو بإعلام فهو نبي، وقد تحقق هذا الضابط في مريم عليها السلام [١].

---

(١) روح المعاني : (٢/ ١٤٩).

(٢) تفسير القرطبي : (٤/ ٨٣).

(٣) سورة مريم : (١٧–٢١).

(٤) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله، صلى الله عليه =

وقال القرطبي –رحمه الله- :

"وقد استدل من قال : إن مريم عليها السلام لم تكن نبية بقوله تعالى: ﴿ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ﴾، قلت : وفيه نظر، فإنه يجوز أن تكون صديقة مع كونها نبية كإدريس عليه السلام"[2].

إن الله اصطفى مريم عليها السلام على سائر نساء العالمين، وحصلت عليها السلام إلى درجة الكمال، والذي يبلغ درجة الكمال هم الأنبياء، قال الله تعالى: ﴿ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[3].

قال ابن حزم –رحمه الله – : "فصح أن نساءه عليه السلام أفضل النساء جملة حاشا اللواتي خصهن الله تعالى بالنبوة كأم إسحاق وأم موسى وأم عيسى عليهم السلام وقد نص الله تعالى على هذا بقوله: ﴿ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾"[4][5].

القول الثاني :

إن مريم عليها السلام ليست نبية، بل هي كغيرها من النساء، إلا أن الله تعالى فضلها بفضائل كثيرة، وهذا الذي عليه جمهور العلماء ، قاله القاضي عياض وأبو بكر بن الطيب وأبو يعلى وابن الفراء، وأبو المعالي الجويني وغيرهم كثير.

واستدلوا بأدلة، منها :

وسلم؛ وإليه تنسب الطائفة الأشعرية، مولده سنة ستين ومئتين، وكان معتزليا، ولما برع في معرفة الاعتزال، كرهه وتبرأ منه، وصعد للناس، فتاب إلى الله تعالى منه، ثم أخذ يرد على المعتزلة، ويهتك عوارهم، ومات ببغداد سنة أربع وعشرين وثلاث مئة، انظر: سير أعلام النبلاء : (١٥/ ٨٥)، وفيات الأعيان (٣/ ٢٨٤)

(١) فتح الباري : (٨/١٦).

(٢) تفسير القرطبي : (٦/ ٢٥١).

(٣) سورة آل عمران : (٤٢).

(٤) سورة آل عمران : (٤٢).

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل : (٤/ ٩٧).

١-قول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾ (١).

قال الشوكاني –رحمه الله- :

"وتدل الآية على أن الله سبحانه لم يبعث نبياً من النساء ولا من الجنّ ، وهذا يردّ على من قال : إن في النساء أربع نبيات : حواء ، وآسية ، وأم موسى ، ومريم، وقد كان بعثة الأنبياء من الرجال دون النساء أمراً معروفاً عند العرب ، حتى قال قيس بن عاصم(٢) في سجاح المتنبئة :

أضحت نبيتنا أنثى نطيف بها ... وأصبحت أنبياء الله ذكرانا

فلعنة الله والأقوام كلهم ... على سجاح ومن باللوم أغرانا"(٣).

٢-إخبار الله تعالى في كتابه العزيز أن مريم عليها السلام كانت في مرتبة الصديقية، ولم تك نبية، قال الله تعالى: ﴿ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾ (٤).

قال ابن تيمية –رحمه الله- :

"وغاية أمه أن تكون صديقة، ودل بهذا أنها ليست بنبية"(٥).

قال ابن كثير –رحمه الله- :

"وقوله: ﴿ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ﴾، أي: مؤمنة به مصدقة له، وهذا أعلى مقاماتها، فدل على أنها ليست بنبية، كما زعمه ابن حزم وغيره ممن ذهب إلى نبوة سارة أم إسحاق، ونبوة أم موسى، ونبوة أم عيسى استدلالا منهم بخطاب الملائكة

---

(١) سورة النحل : (٤٣).

(٢) هو قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس التميمي السعدي أبو علي ويقال أبو قبيصة ويقال أبو طلحة المنقري، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم سنة تسع فأسلم، وكان عاقلا حليما سمحا، نزل قيس البصرة وبنى بها دارا وبها مات عن اثنين وثلاثين ذكرا من أولاده. انظر: تهذيب التهذيب : (٨/ ٣٥٧)، والإصابة في تمييز الصحابة : (٥/٤٨٣).

(٣) فتح القدير للشوكاني : (٣/٧٢).

(٤) سورة المائدة : (٧٥).

(٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : (٢/ ١٧١).

لسارة ومريم، وبقوله: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾[1]، قالوا: وهذا معنى النبوة، والذي عليه الجمهور أن الله لم يبعث نبيا إلا من الرجال، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾"[2][3].

٣- إن الله تعالى قرن ذكر مريم عليها السلام مع آسية بنت مزاحم كما في آخر سورة التحريم، وكذا الرسول صلى الله عليه وسلم قرن ذكرها بزوجته خديجة وبنته فاطمة رضي الله عنهما كما دلت على ذلك أحاديث كثيرة، ولم تك أحدا منهن وصلت إلى مرتبة النبوة.

٤- إجماع العلماء على عدم النبوة في النساء، كما نقله النووي[4] وابن تيمية[5] وغيرهما.

ذكر النووي –رحمه الله– في شرحه لصحيح مسلم :

"وهذا الذي نقله من القول بنبوتهما غريب ضعيف وقد نقل جماعة الإجماع على عدمها، والله اعلم"[6].

وقد يجاب عن قول القائلين بجواز نبوة النساء عموما، وبنبوة مريم عليها السلام خصوصا بأجوبة، منها:

- أن الله تعالى قد أرسل الملائكة إلى كثير من الناس وخاطبهم، ولم يكونوا من الأنبياء، كما أرسل الملائكة إلى رجل يزور أخاه في الله في إحدى القرى، فسأله عن سبب زيارته له ، فلمّا أخبره أنه يحبّه في الله ، أعلمه أنَّ الله قد بعثه إليه ليخبره أنه يحبّه[7] ، وقصة الأقرع والأبرص والأعمى الذين أرسل إليهم الملك

---

(١) سورة القصص : (٧).

(٢) سورة يوسف : (١٠٩).

(٣) تفسير القرآن العظيم : (٣/ ١٥٨).

(٤) انظر: الأذكار للنووي : (١/١١٩)

(٥) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية : (٤/٣٩٦).

(٦) شرح النووي على مسلم : (١٥/ ١٩٩).

(٧) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب في فضل الحب في الله، حديث رقم =

ليختبرهم[1]، وقد جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة يشاهدونه ويسمعونه[2]، وغير ذلك.

- إن الدرجة التي حصلت لمريم عليها السلام هي درجة الصديقة، فلو كانت عليها السلام نبية لذكرها الله تعالى في كتابه أو الرسول صلى الله عليه وسلم في سنته، ولكنها لم تتعدى كونها صديقة.

قال ابن كثير –رحمه الله – :

"الذي عليه أئمة أهل السنة والجماعة، وهو الذي نقله الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري عنهم: أنه ليس في النساء نبية، وإنما فيهن صديقات، كما قال تعالى مخبرا عن أشرفهن مريم بنت عمران حيث قال: ﴿ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾ [3]، فوصفها في أشرف مقاماتها بالصديقية، فلو كانت نبية لذكر ذلك في مقام التشريف والإعظام، فهي صديقة بنص القرآن"[4].

- وأما اصطفاء مريم عليها السلام فلا حجة فيه، لأن الله تعالى قد اصطفى غيرها ولم يك من الأنبياء، كقول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [5]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا

حديث رقم : (٦٥٤٩)، ص: (١٠٦٩).

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث أبرص وأعمى وأقرع في بني إسرائيل، حديث رقم : (٣٤٦٤)، مع الفتح : (١٠٣/٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، حديث رقم : (٧٤٣١)، ص: (١٢١٧).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول في حقه، حديث رقم: (٩٣)، ص: (٧٨).

(٣) سورة المائدة : (٧٥).

(٤) تفسير القرآن العظيم : (٤/ ٤٢٣).

(٥) سورة فاطر : (٣٢).

وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1]، ومعلوم أن من آل آدم ونوح وإبراهيم وعمران عليهم السلام ليس بنبي.

قال ابن حجر –رحمه الله– :

"واستدل بقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾[2] على أنها كانت نبيه وليس بصريح في ذلك"[3].

- لا يلزم من لفظ الكمال الوارد في الحديث الذي احتجوا به النبوة ، لأنّه يطلق لتمام الشيء ، وتناهيه في بابه، فالمراد بلوغ النساء الكاملات النهاية في جميع الفضائل التي للنساء ، وعلى ذلك فالكمال هنا غير كمال الأنبياء[4]، لأن في النساء من وُصف بالكمال كخديجة وفاطمة، ولم تكونا من الأنبياء.
- ثم إن هناك من الموانع التي قامت في بعث نبي من النساء، وهي موانع كثيرة تجعل المرأة لا تستطيع القيام بحقّ النبوة، منها:

١-أن النبوة عبء ثقيل لا تتحمله طبيعة المرأة الضعيفة.

٢-أن الرسالة تقتضي الاشتهار بالدعوة، والأنوثة تقتضي التستر وتنافي الاشتهار لما بين الاشتهار والاستتار من التمانع.

٣-لأن مرتبة الذكورة عموما أعلى من مرتبة الأنوثة، فلذلك جعل الله القوامة للرجال على النساء، والنبوة تقتضي قوامة النبي على من يتابعه.

٤-و المرأة يطرأ عيلها بحكم طبيعتها ما يعطلها عن كثير من الوظائف والاتصال بالملأ الأعلى كالحيض والحمل والولادة ونحوه.

٥-ولكون النفوس مائلة في ذواتهن بحسب الطبع فيغفلون عن مقالهن، وغير ذلك من موانع القيام بأعباء الرسالة وتكاليفها[5].

---

(١) سورة آل عمران : (٣٣).

(٢) سورة آل عمران : (٤٢).

(٣) فتح الباري : (٨/٥٤).

(٤) الرسل والرسالات : (ص: ٦٠).

(٥) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل : (١/ ٢٢١).

القول الثالث :

التوقف في المسألة، ولم يتبن صحة أحد القولين، ذهب إليه السبكي الكبير بقوله : لم يصح عندي في هذه المسألة شيء[1].

والذي يظهر – والله أعلم- هو القول بعدم نبوة مريم عليها السلام وغيرها من النساء، لقوة الأدلة على ذلك كما تقدم.

---

(١) فتح الباري : (٥٤/٨).

المبحث الحادي عشر : زعم أنها تكون زوجة نبينا صلى الله عليه وسلم في الجنة، وبيان عدم صحة ذلك.

وقد تقدم في المبحث السابق[1] عن أخت موسى عليهما السلام ما يتعلق ببعض الروايات التي جاءت في كونها زوجة النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة، والجواب عليها، ثم في هذا المبحث سنورد بعض الروايات التي لم تذكر في المبحث السابق، ومنها :

الرواية الأولى :

عن ابن عمر رضي الله عنه قال : (نزل جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أرسل به، وجلس يحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ مرت خديجة بنت خويلد، فقال جبريل: من هذه يا محمد؟ قال: هذه صديقة أمتي، قال جبريل: معي إليها رسالة من البر تبارك وتعالى يقرئها السلام، ويبشرها ببيت في الجنة من قصب بعيد من اللهب، لا نصب فيه ولا صخب

قالت: الله السلام ومنه السلام، والسلام عليكما، ورحمة الله وبركاته على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما ذلك البيت الذي من قصب؟ قال: لؤلؤة جوفاء بين بيت مريم بنت عمران وبيت آسية بنت مزاحم، وهما من أزواجي يوم القيامة)[2].

وفي هذه الرواية علل، لأن في إسنادها محمد بن صالح بن عمر بن صفوان

قال عنه الذهبي : مجهول[3].

وفيه سويد بن سعيد الحدثاني.

قال أبو حاتم : "كان صدوقا وكان يدلس ويكثر".

وقال البخاري : "كان قد عمي فيلقن ما ليس من حديثه".

وقال يعقوب بن شيبة[4] : "صدوق مضطرب الحفظ ولا سيما بعد ما عمي".

---

(١) انظر: ص (٤٢٢/١-٤٢٨) من هذه الرسالة.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر : (١١٨/٧٠).

(٣) ميزان الاعتدال : (٣/ ٥٨١).

(٤) هو يعقوب بن شيبة ابن الصلت بن عصفور، الحافظ الكبير العلامة الثقة أبو يوسف =

وقال النسائي: "ليس بثقة ولا مأمون"[1].

وفيه محمد بن بشر بن العباس، أبو سعيد البصري الكرابيسي ثم النيسابوري قال عنه الذهبي: شيخ صالح مسند[2].

الرواية الثانية :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرورا، فقال: (يا عائشة ، إن الله عز وجل زوجني مريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم في الجنة. قالت: قلت : بالرفاء والبنين يا رسول الله.

قال أبو بكر بن السني : كذا كتبت من كتابه)[3].

ومثل هذا السياق لم يخرجه غير صاحب هذا الكتاب، والله أعلم.

وفيه أبو إسحاق السبيعي، وهو ثقة حجة بلا نزاع، وقد كبر وتغير حفظه تغير السن، ولم يختلط، ولكن قد وقع التدليس منه احيانا عند إسناده، حتى سماه ابن حجر في المرتبة الثالثة في كتاب مراتب المدلسين : (رقم :٩١)، ولا سيما هذا الحديث يرويه بصيغة العنعنة[4].

وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة : (٢/ ٢٢٠)، حديث رقم : (٨١٢) : منكر.

السدوسي البصري ثم البغدادي، صاحب المسند الكبير، مولده في حدود الثمانين ومئة، وكان صاحب أموال عظيمة، مات يعقوب الحافظ في شهر ربيع الاول سنة اثنتين وستين ومئتين، انظر: سير أعلام النبلاء : (١٢/ ٤٧٦).

(١) تهذيب التهذيب : (٤/ ٢٤٠).

(٢) تاريخ الإسلام : (٢٦/ ٦٣٣).

(٣) عمل اليوم والليلة لابن السني : (٥٥٦/١)، باب الرخصة في ذلك، حديث رقم : (٦٠٣) من طريق أحمد بن إبراهيم المديني ، بعمان ، حدثنا أبو سعيد الأشج ، ثنا حفص بن غياث ، عن الأعمش ، عن أبي إسحاق ، عن عبد خير ، عن مسروق.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء : (٥/ ٣٩٤).

الفصل الثاني

معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم :"...وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه..." وشبهة بعض الفرق المتعلقة بهذا الحديث والرد عليها.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم :"...وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه

المبحث الثاني: شبهة بعض الفرق المتعلقة بهذا الحديث والرد عليها.

المبحث الأول: معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم :"...وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه..."

لقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)(١).

وهذا الحديث تطبيق لقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُ ﴾(٢).

ويتضمن هذا الحديث أن الله خلق عيسى عليه السلام بالكلمة وأطلق عليه الكلمة، ولكنه عليه السلام ليس كلمة، لأنه يجري عليه جميع الأحوال البشرية، قال الله تعالى ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(٣)، وعيسى عليه السلام ليس كلمة الله، إذ أن كلام الله تعالى وصف قائم بذاته، وليس بائن عنه، وأما عيسى عليه السلام فهو ذات بائنة عن الله تعالى، وأنه عليه السلام وُصف ما وُصف عليه البشر من الأكل والشرب وغيره، قال الله تعالى ﴿ مَّا ٱلۡمَسِيحُ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء: ١٧١] ن حديث رقم : (٣٤٣٥) مع الفتح : (٥٩/٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، حديث رقم : (١٨٠٨)، ص: ٣٣٠).

(٢) سورة النساء : (١٧١).

(٣) سورة آل عمران: (٥٩).

ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ (١).

قال الإمام أحمد –رحمه الله تعالى-: الرد على الزنادقة والجهمية (ص: ٣٢)

"عيسى _عليه السلام- تجرى عليه ألفاظ لا تجرى على القرآن، لأنه يسميه مولودا، وطفلا، وصبيا، وغلاما، يأكل ويشرب، وهو مخاطب بالأمر والنهى، يجرى عليه اسم الخطاب والوعد والوعيد، ثم هو من ذرية نوح ومن ذرية إبراهيم، ولا يحل لنا أن نقول في القرآن ما نقول في عيسى، هل سمعتم الله يقول في القرآن ما قال في عيسى؟، ولكن المعنى من قول الله جل ثناؤه ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ ﴾ (٢)، فالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له: كن، فكان عيسى بكن، وليس عيسى هو الكن، ولكن بالكن كان، فالكن من الله قول وليس الكن مخلوقا(٣).

ثم إن الله تعالى أضاف إلى نفسه في خلق عيسى عليه السلام إضافة تشريفية، وأنه عليه السلام من أحد مخلوقات الله تعالى التي أضاف إلى نفسه تشريفا، وليس جزء منه سبحانه، وهذه الإضافة عينا قائمة بنفسها، فامتنع أن يكون صفة لله تعالى، لأن ما قام بنفسه لا يكون صفة لغيره.

---

(١) سورة المائدة: (٧٥).

(٢) سورة النساء : (١٧١).

(٣) الرد على الزنادقة: (٣٢/١).

المبحث الثاني: شبهة بعض الفرق المتعلقة بهذا الحديث والرد عليها.

ويتضمن هذا النص بعض المسائل، وقد شك فيها بعض الفرق المنتسب للإسلام، والإسلام بريء منهم، ومنها :

أولا : أن القرآن كلام الله تعالى، وليس بمخلوق.

ومن مذهب أهل السنة والجماعة أن القرآن هو كلام الله تعالى، وليس بمخلوق، وأن الكلمة في قوله صلى الله عليه وسلم "وكلمته ألقاها إلى مريم" لا يراد به أنه مخلوق، حتى يقال أن كلام الله مخلوق وأن القرآن مخلوق، بخلاف ما اعتقده الجهمية ومن نهج منهجهم، وذلك لأن الجهمية قالوا : أن عيسى عليه السلام روح الله وكلمته وهو مخلوق، والقرآن كلام الله تعالى يكون مخلوقا[1].

وهذا كله يراد به تعطيل صفات الله تعالى، وأن الله تعالى هو في نفسه لا يتكلم ولا يحب ولا...إلى غير ذلك من نفي صفات الله تعالى، وهؤلاء الجهمية النفاة ومن تبعهم من الرافضة والإباضية[2] والمعتزلة يشبهون الله الخالق بالمخلوق في صفات النقص، وجعلوا من عقيدتهم القول بخلق القرآن حتى ينفوا عن الله تعالى صفة الكلام وغيرها من الصفات التي اتصف الله تعالى بها في كتابه وفي سنة نبيه.

ذكر ابن تيمية –رحمه الله تعالى– قول الجهمية[3] :

---

(١) انظر: الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد : (ص:٢٥١).

(٢) الإباضية هم أصحاب عبد الله بن يحيى بن إباض المري من بني مرة بن عبيد، وينسب إلى بني تميم، وهو الذي خرج في أيام مروان بن محمد، فوجه إليه عبد الله بن محمد بن عطية فقاتله بتبالة، وكانت الاباضية من الخوارج، يقولون أن مرتكب ما فيه الوعيد مع معرفته بالله عز و جل وبما جاء من عنده كافر كفران نعمة وليس بكافر كفر شرك، وقالوا في مرتكبي الكبيرة أنهم موحدون لا مؤمنون، انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي :(ص: ٩٧)، والملل والنحل للشهرستاني : (١/ ١٣٣) مقالات الإسلاميين للأشعري : (ص: ١٠٢).

(٣) الجهمية هم اتباع جهم بن صفوان من أهل خرسان، ظهر في المائة الثانية من الهجرة، وظهرت بدعته بترمذ، وقتله مسلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية، ومن مقولاتهم قالوا بالإجبار والاضطرار إلى الاعمال وأنكر الاستطاعات كلها، وقالوا أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان، وقالوا أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط وأن الكفر هو الجهل به فقط، وقالوا لا =

"وقالت الجهمية :المسيح كلمة الله وهو مخلوق والقرآن كلام الله فيكون مخلوقا"[1].

ثم إن أول من أعلن القول بخلق القرآن هو بشر المريسي المعتزلي[2]، كما ذكره ابن بطة قال: بإسناده إلى يحيى يعني ابن أبي كريمة ، قال محمد بن المثنى : وأراني قد سمعته من يحيى قال: « بينما أنا جاء من خراسان أريد بغداد أدركني الليل ، فبت في بعض الخانات، وإذ تمثل لي شيء عظيم له عينان في صدره ، فهالني أمره ، قلت: لا إله إلا الله ، فقال: لا إله إلا الله ، فنعم ما قلت ، فقلت له : من أنت ؟ فقال : أنا إبليس، قلت: لا حييت ، من أين أقبلت؟ قال: من العراق ، قلت : من أي العراق ؟ قال: من بغداد، قلت: وما كنت تصنع ببغداد ؟ قال: استخلفت بها خليفة، قلت: ومن استخلفت بها ؟ قال : بشر المريسي . قلت : ما أصبت بها أحدا أوثق منه تستخلفه ؟ قال: إنه دعا الناس إلى شيء لو دعوتهم أنا إليه ما أجابوني، قلت : وإلى ما دعاهم ؟ قال: إلى خلق القرآن.

فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى وإنما تنسب الاعمال الى المخلوقين على المجاز، وقالوا أن علم الله تعالى حادث وامتنع من وصف الله تعالى بأنه شيء أو حي أو عالم أو مريد، وقالوا بحدوث كلام الله تعالى، ولم يسم الله تعالى متكلما به. انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي : (ص: ١٩٩)، والملل والنحل للشهرستاني : (١/ ٨٥)، ومقالات الإسلاميين للأشعري : (ص: ٢٧٩).

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : (٤/ ٦٦).

(٢) هو أبو عبد الرحمن بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي الفقيه الحنفي المتكلم شيخ المعتزلة، وأحد من أضل المأمون؛ أخذ الفقه عن القاضي أبي يوسف الحنفي، إلا أنه اشتغل بالكلام، وجرد القول بخلق القرآن، وحكي عنه في ذلك أقوال شنيعة، وكان مرجئاً، وإليه تنسب الطائفة المريسية من المرجئة، وكان لا يعرف النحو ويلحن لحناً فاحشاً، وكان يقول: إن السجود للشمس والقمر ليس بكفر، وإنما هو علامة للكفر، وتوفي في ذي الحجة سنة ثماني عشرة، وقيل: تسع عشرة ومائتين، ببغداد. انظر: وفيات الأعيان : (١/ ٢٧٧)، والبداية والنهاية لابن كثير : (١٠/٣٠٨).

قال الشيخ : وزادنا آخرون ممن سمعت هذه الحكاية منهم قال : فقلت : فأسألك بالله يا إبليس ، ما تقول أنت في القرآن ؟ فقال : أنا وإن عصيت الله ، فالقرآن كلام الله غير مخلوق"[1].

وقال الذهبي —رحمه الله– :

"ولم تكن الجهمية يظهرون في دولة المهدي والرشيد والأمين فلما ولي المأمون، كان منهم، وأظهر المقالة.

روى أحمد بن إبراهيم الدورقي[2]، عن محمد بن نوح: أن الرشيد، قال: بلغني أن بشر بن غياث المريسي، يقول: القرآن مخلوق، فلله علي إن أظفرني به، لأقتلنه.

قال الدورقي[3]: وكان متواريا أيام الرشيد فلما مات الرشيد، ظهر، ودعا إلى الضلالة"[4].

والرد على هذا المذهب الفاسد، من وجوه:

- أن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ليس كلاما، ولكنه عليه السلام خُلق بالكلام، وأما القرآن الكريم هو نفسه كلام الله تعالى، ولا يقاس هذا بذاك.

  قال الإمام أحمد —رحمه الله– :

---

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة : (٦/ ١٠٥)، وانظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية : (٣٥٤/١).

(٢) هو أحمد بن إبراهيم ابن كثير الدورقي الحافظ الامام المجود المصنف، أبو عبد الله العبدي، أخو الحافظ يعقوب، ووالد المحدث الثقة عبد الله بن أحمد، وكان حافظا يقظا، حسن التصنيف، وكان وفاته في شعبان سنة ست وأربعين ومئتين، وله ثمانون سنة، انظر: سير أعلام النبلاء : (١٢/ ١٣٠)، وتهذيب التهذيب : (١/ ٩).

(٣) هو يعقوب بن إبراهيم بن كثير بن زيد بن أفلح بن منصور بن مزاحم، الحافظ الامام الحجة أبو يوسف العبدي القيسي مولاهم، الدورقي، ولد سنة ست وستين ومئة، وكان ثقة حافظا متقنا، ومات سنة ثلاثين ومئتين، انظر: سير أعلام النبلاء : (١٢/ ١٤١)، وتهذيب التهذيب : (١١/ ٣٣٤).

(٤) سير أعلام النبلاء : (١١/ ٢٣٦).

"فكان عيسى –عليه السلام- بـ "كن"، وليس عيسى هو الكن، ولكن بالكن كان، فالكن من الله قول، وليس كن مخلوقا"[1]

وقال ابن كثير –رحمه الله- :

"خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم، فنفخ فيها من روحه بإذن ربه عز وجل، فكان عيسى بإذن الله عز وجل، وصارت تلك النفخة التي نفخها في جيب درعها، فنزلت حتى ولجت فرجها بمنزلة لقاح الأب الأم، والجميع مخلوق لله عز وجل؛ ولهذا قيل لعيسى: إنه كلمة الله وروح منه؛ لأنه لم يكن له أب تولد منه، وإنما هو ناشئ عن الكلمة التي قال له بها: كن، فكان"[2].

- أن قوله صلى الله عليه وسلم "وكلمته ألقاها إلى مريم" يعلم كل عاقل أنه ليس المراد منه أن المسيح عيسى عليه السلام نفسه كلام الله تعالى، ولا أنه صفة من صفات الله تعالى ولا خالق، ولكنه عليه السلام خُلق بكلام الله، وليس كلام الله مخلوقا.
- أن هناك أدلة كثيرة من المنقول والمعقول على أن القرآن كلام الله تعالى وليس بمخلوق.

١-قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[3].

ورد في هذه الآية الكريمة صفتان لله تعالى، وهما صفة الخلق والأمر، أضافه إلى نفسه، أما الخلق ففعله سبحانه، وأما أمره فقوله سبحانه، وقد عطف الله تعالى بينهما، والأصل في المتعاطفين المغايرة، ثم إن الخلق إنما يكون بأمر الله، وأمر الله هو كلامه، فلو كان مخلوقًا للزم أن يكون مخلوقًا بأمر آخر،

---

(١) الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد : (ص:٢٥٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم : (٢/ ٤٧٧).

(٣) سورة الأعراف : (٥٤).

والآخر بآخر إلى ما لا نهاية، وهذا من أبطل الباطل، بل كلام الله صفة من صفاته، ومن قال: إن كلام الله مخلوق فقد خرج عن منهج النبوة[1].

قال ابن عيينة –رحمه الله-: ما يقول هذه الدويبة ؟ يعني بشرا المريسي، قالوا: يا أبا محمد، يزعم أن القرآن مخلوق، فقال: كذب، قال الله تعالى: ﴿ أَلا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ [2] فالخلق : خلق الله، والأمر : القرآن[3].

٢-قال الله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾[4].

فرق الله تعالى بين علمه وخلقه[5]، فالقرآن علمه سبحانه، ولإنسان خلقه، وعلمه تعالى غير مخلوق، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [6] فسمى الله تعالى القرآن علما، وعلم الله غير مخلوق، إذ لو كان مخلوقا للتصف تعالى بضده قبل الخلق، تعالى الله عن ذلك وتقدس.

٣-قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾[7]، وقال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[8]، أخبر الله تعالى أن كلمته غير متناهية، فلو أن البحار التي خلق الله كانت مدادا تكتب به، والشجر الذي خلق الله أقلاما تخط به، لنفد مداد البحور، ولفنيت الأقلام، ولم تفن كلمات الله، وهذا

---

(١) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للراجحي : (ص: ٩٠)

(٢) سورة الأعراف : (٥٤).

(٣) الشريعة للآجري (٥٠٤/١)، وانظر: الإبانة الكبرى لابن بطة : (٢٩٣/٥).

(٤) سورة الرحمن : (١-٣).

(٥) الإبانة الكبرى لابن بطة : (٥/ ٢٩٣).

(٦) سورة البقرة : (١٢٠).

(٧) سورة الكهف : (١٠٩).

(٨) سورة لقمان : (٢٧).

لعظيم كلام الله تعالى، وهذا لا يقاس بكلام المخلوق الفاني، إذ لو كان مخلوقا لفني من قبل أن يفني بحر من البحور، ولكن الله تعالى كتب الفناء على المخلوق لا عل نفسه وصفاته سبحانه وتعالى.

٤-أن الله تعالى ذكر في القرآن بعض أسمائه، كقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(١) وغيره من الأسماء الحسنى، وهي من كلام الله تعالى، إذ هو سمى به نفسه بألفاظه ومعانيه، وقد ساوى الله تعالى بين تسبيح نفسه وتسبيح أسمائه، قال الله تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾(٢)، وساوى بين دعائه بنفسه ودعائه بأسمائه، قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾(٣)، وساوى بين ذكره بنفسه وذكره بأسمائه، قال الله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾(٤)، وهذا التسبيح والذكر والدعاء إن كان يقع لمخلوق كان كفرا بالله تعالى، وإذا قيل إن كلامه مخلوق كانت أسماؤه داخلة في ذلك، ومن زعم هذا فقد كفر، لأن معنى ذلك أن الله تعالى لم تكن له الأسماء الحسنى قبل خلق كلامه، ولكان من كان حالفا باسم من أسمائه مشركا، لأنه حلف بالمخلوق.

قال سفيان بن عيينة(٥) –رحمه الله– :

---

(١) سورة الحشر : (٢٣-٢٤).

(٢) سورة الأعلى : (١).

(٣) سورة الأعراف : (١٨٠).

(٤) سورة الإنسان : (٢٥).

(٥) هو سفيان بن عيينة ابن أبي عمران ميمون مولى محمد بن مزاحم، أخي الضحاك ابن مزاحم، مزاحم، الإمام الكبير حافظ العصر، شيخ الاسلام أبو محمد الهلالي الكوفي ثم المكي، ولد بالكوفة، في سنة سبع ومئة، وكان حافظا ثقة واسع العلم كبير القدر، قال الامام الشافعي: =

"من قال أن ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾[1] مخلوق فهو كافر"[2].

قال أحمد بن حنبل –رحمه الله–:

"من زعم أن أسماء الله مخلوقة فقد كفر، لم يزل الله قديرا، عليما، حكيما، سميعا ، بصيرا ، فلسنا نشك أن أسماء الله عز وجل غير مخلوقة، ولسنا نشك أن علم الله غير مخلوق، فالقرآن من علم الله ، وفيه أسماء الله، لا نشك أنه غير مخلوق، وهو كلام الله، ولم يزل الله متكلما"[3].

٥–قال الله تعالى: ﴿ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٌ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنۡ أَحَدٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٌ لَّا يَعۡلَمُونَ ﴾[6]، وقال الله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلۡمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقۡتُمۡ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأۡخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعۡكُمۡۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾[7]، ذكر الله تعالى في هذه الآيات أن الله تعالى أضاف الكلام إليه، وهذا يدل على أن الكلام من صفاته سبحانه، لأن الصفة إنما تضاف إلى من اتصف بها لا إلى غيره، إذ لو كانت مخلوقة لفارقت الخالق ولم تصلح وصفا له، لأن الله غني عن خلقه، لا يتصف بشيء منه.

لولا مالك وسفيان بن عيينة، لذهب علم الحجاز، توفي في مكة سنة ١٩٨هـ، انظر: سير أعلام النبلاء : (٨/ ٤٥٤)، وتهذيب التهذيب :(٤/ ١٠٤)، وفيات الأعيان (٢/ ٣٩١).

(١) سورة الإخلاص : (١–٢).

(٢) السنة لعبد الله بن أحمد: (١/ ١٠٨).

(٣) الإبانة الكبرى لابن بطة : (٥/ ٢٩٣).

(٤) سورة البقرة : (٧٥).

(٥) سورة الأعراف : (١٤٤).

(٦) سورة التوبة : (٦).

(٧) سورة الفتح : (١٥).

٦-لقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث خولة بنت حكيم السلمية[١] أنه صلى الله عليه وسلم يقول: (من نزل منزلا ثم قال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك)[٢].

ولو كانت كلمات الله مخلوقة؛ لكانت الاستعاذة بها شركا، لأنها استعاذة بمخلوق، ومن المعلوم أن الاستعاذة بغير الله تعالى وأسمائه وصفاته شرك، فكيف يصح أن يعلم النبي صلى الله عليه وسلم أمته ما هو شرك ظاهر؟ وهو صلى الله عليه وسلم الذي جاء بالتوحيد الخالص، فدل هذا أن كلمات الله تعالى غير مخلوقة.

قال نعيم بن حماد[٣] –رحمه الله- : "لا يستعاذ بالمخلوق، ولا بكلام العباد العباد والجن والإنس والملائكة".

وقال البخاري –رحمه الله – عقبه : "وفيه دليل أن كلام الله غير مخلوق، وأن سواه مخلوق"[٤].

---

(١) هي خولة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم السلمية، امرأة عثمان بن مظعون رضي الله عنه، يقال كنيتها أم شريك، وكانت صالحة فاضلة روت عن النبي صلى الله عليه و سلم، وكانت ممن وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة : (٧/ ٦٢١)، وتهذيب التهذيب : (١٢/ ٣٦٥).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، حديث رقم : (٦٨٧٨)، ص: (١١١٦).

(٣) هو نعيم بن حماد بن معاوية ابن الحارث بن همام بن سلمة بن مالك، الإمام العلامة الحافظ الحافظ أبو عبد الله الخزاعي المروزي الفرضي الاعور، صاحب التصانيف، وأول من جمع المسند، وهو من شيوخ البخاري، وكان ثقة، وسكن مصر، مات بالعسكر سنة تسع وعشرين، انظر: سير أعلام النبلاء : (١٠/ ٥٩٥)، وتهذيب التهذيب : (١٠/ ٤٠٩).

(٤) خلق أفعال العباد : (ص: ٢٠٤).

٧-وورد عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: (فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه)[(١)].

يتضمن هذا الحديث الشريف إثبات عقيدة أهل السنة والجماعة على أن القرآن كلام الله تعالى، وليس بمخلوق، وذلك لأن الله تعالى فرّق بين كلامه وغيره من الكلام، والكلام إما كلام الله تعالى وهو صفاته، وإما كلام المخلوق الذي هو من خلق الله تعالى، فأضاف ما كان صفة الله إلى الله وعمم ما سواه، ولو كان الجميع مخلوقا، لما احتيج إلى ذكر التفريق.

ثم إن الفرق بين كلام الله تعالى وكلام غيره كالفرق بين ذات الله تعالى وذات غيره، فجعل شأن كلامه وصفاته من شأن ذاته وصفاته، كما أن كلام المخلوق وصفاته هو مناسب لذات المخلوق وصفاته.

قال أبو سعيد الدارمي —رحمه الله تعالى-[(٢)]:

"ففي هذه الأحاديث بيان أن القرآن غير مخلوق؛ لأنه ليس شيء من المخلوقين من التفاوت في فضل ما بينهما كما بين الله وبين خلقه في الفضل، لأن فضل ما بين المخلوقين يستدرك ولا يستدرك فضل الله على خلقه، ولا يحصيه أحد، وكذلك فضل كلامه على كلام المخلوقين، ولو كان كلاما مخلوقا لم يكن فضل ما بينه وبين سائر الكلام كفضل الله على خلقه

---

(١) اعتقاد أهل السنة للالكائي : (٢/ ٣٣٩)، وانظر: الرد على الجهمية للدارمي : (ص: ١٨٧).

(٢) هو عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد: الامام العلامة الحافظ الناقد، شيخ تلك الديار أبو سعيد التميمي الدارمي السجستاني صاحب المسند الكبير والتصانيف، ولد قبل المئتين بيسير، وصنف كتابا في الرد على بشر المريسي، وكتابا في الرد على الجهمية، توفي عثمان الدارمي في ذي الحجة سنة ثمانين ومئتين. انظر: سير أعلام النبلاء : (١٣/ ٣١٩)، طبقات الشافعية الكبرى : (٢/ ٣٠٢).

ولا كعشر عشر جزء من ألف ألف جزء ولا قريبا ولا قريبا ولا قريبا، فافهموه فإنه ليس كمثله شيء فليس ككلامه كلام ولن يؤتى بمثله أبدا"[1].

٨- ومن المعقول الصريح أن كلام الله تعالى إن كان مخلوقا، فلا يخلو من أحد حالين :

الأولى : أن يكون مخلوقا قائما بذات الله تعالى

الثانية : أن يكون منفصلا عن الله تعالى بائنا عنه.

وفي كلا الحالين باطل، بل كفر، لأن الأولى يلزم منها أن يقوم المخلوق بالخالق، وهو باطل، لأن الله تعالى مستغن عن خلقه من جميع الوجوه، ولأن الثانية يلزم منها تعطيل صفة الكلام لله تعالى، لأن الصفة تقوم بالموصوف، ولا تقوم بسواه، فإن قامت بغير موصوف كانت وصفا لمن قامت به، وهذا معناه أن الله تعالى غير متكلم، وهذا كفر بيّن.

٩- ومن المعلوم أن الصفة لا تقوم بنفسها، فإن كانت صفة للخالق قامت به، وإن كانت صفة للمخلوق قامت به ولا بد، وإذا أضيفت إلى الخالق فهي ليست مخلوقة كنفسه، وإذا أضيفت إلى المخلوق فهي مخلوقة كنفسه، فلما أضاف الله تعالى لنفسه كلاما، ووصف نفسه به، كان كلامه غير مخلوق؛ لأنه تابع لنفسه، ونفسه تعالى غير مخلوقة، والكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات.

وإذا قيل إن الله تعالى متكلم بكلام قائم في غيره، فيلزم من هذا أن الله لم يكلم موسى عليه السلام مباشرة، بل بكلام مخلوق قائم بالشجرة، فكانت الشجرة هي القائلة ﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴾[2]، فلا فرق إذن بين قول الشجرة وقول فرعون ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾[3]، لأن كلام الشجرة صفتها، لا صفة لله تعالى، وكلام فرعون صفته، وكل ادعى الربوبية،

---

(١) الرد على الجهمية للدارمي : (ص: ١٨٨).

(٢) سورة القصص : (٣٠).

(٣) سورة النازعات : (٢٤).

فلم يكن موسى محقا في إنكاره قول فرعون وقبوله قول الشجرة، وهذا هو كفر صريح.

- وقد أجمعت الأمة على أن القرآن كلام الله تعالى، وليس بمخلوق.

قال الآجري –رحمه الله –:

"اعلموا –رحمنا الله وإياكم– أن قول المسلمين الذين لم يزغ قلوبهم عن الحق، ووفقوا للرشاد قديما وحديثا أن القرآن كلام الله تعالى ليس بمخلوق ؛ لأن القرآن من علم الله، وعلم الله لا يكون مخلوقا –تعالى الله عن ذلك– دل على ذلك القرآن والسنة ، وقول الصحابة رضي الله عنهم وقول أئمة المسلمين لا ينكر هذا إلا جهمي خبيث ، والجهمي فعند العلماء كافر"[1].

وذكر اللالكائي[2] –رحمه الله تعالى– أسماء العلماء من الصحابة والتابعين إلى عقود متأخرة في مكة والمدينة والمصرين الكوفة والبصرة أنهم يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق، وإنما قال هذا قوم من أهل البدع[3].

---

(١) الشريعة للآجري (٤٨٩/١).

(٢) هو الإمام الحافظ المجود المفتي أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي الشافعي اللالكائي، مفيد بغداد في وقته، وتفقه بالشيخ أبي حامد، وبرع في المذهب، وكان يفهم ويحفظ، وصنف كتابا في السنة، وعاجلته المنية، خرج إلى الدينور، فأدركه أجله بها في شهر رمضان سنة ثمان عشرة وأربع مئة، انظر: سير أعلام النبلاء :(١٧/ ٤١٩)، طبقات الشافعية الكبرى (٤/ ٢٠٧).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي : (١/٢٣٥،٢٣٤، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٦٦، ٢٧٤).

ثانيا : إن عيسى عليه السلام نبي من الأنبياء، وهو إنسان وبشر مولود من امرأة، وليس هو كلاما.

قد ذكر الله تعالى في كتابه أن عيسى عليه السلام كلمته، وأضافه سبحانه وتعالى إلى نفسه، وأنه خُلق عيسى عليه السلام من غير أب على غير الوجه المعتاد المعروف في الآدميين، فصار هو عليه السلام مخلوقا بكلمة من الله تعالى، وأنه رسول من الله تعالى، وليس هو صفة من صفات الله تعالى.

قال ابن أبي حاتم –رحمه الله– :

"ليس الكلمة صارت عيسى، ولكن بالكلمة صار عيسى"[(١)].

وقال الإمام أحمد –رحمه الله– :

"عيسى عليه السلام تجري عليه ألفاظ لا تجري على القرآن، لأنه يجري عليه تسمية مولود وطفل وصبي وغلام، يأكل ويشرب، وهو مخاطب بالأمر والنهي، يجري عليه الوعد والوعيد"[(٢)]

والمضافات إلى الله تعالى تنقسم إلى قسمين :

الأول: إضافة الملك والخلق.

الثاني: إضافة صفة.

أما الأول إذا كان المضاف عينا قائما بنفسه، فهذا لا يكون صفة لله تعالى، لأن ما قام بنفسه لا يكون صفة لغيره، كعيسى عليه السلام وجبريل وأرواح بني آدم، فقول الله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾[(٣)]، وقوله تعالى في عيسى عليه السلام: ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾[(٤)]، وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾[(٥)]، وقوله تعالى: ﴿

(١) تفسير ابن أبي حاتم : (٤/ ١١٢٣).

(٢) الرد على الزنادقة والجهمية : (ص:٢٤٩-٢٥٠).

(٣) سورة مريم : (١٧).

(٤) سورة النساء : (١٧١).

(٥) سورة الإسراء : (٨٥).

نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَـٰهَا ﴾ [1]، وقوله تعالى: ﴿ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ [2]، وقوله تعالى: ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [3] يمتنع أن يكون شيء من هذه الأعيان القائمة بنفسها صفة لله تعالى.

والأعيان المضافة إلى الله تعالى على وجهين :

١-أن تضاف إلى الله تعالى من جهة أن الله تعالى خالقها ، وهذا شامل لجميع المخلوقات، كقولهم : سماء الله، وأرض الله، فمن هذا الباب يكون جميع المخلوقين عباد الله، وجميع المال مال الله، لأن الله تعالى خالقها وأبدعها، وتتضمن هذه الإضافة إضافة ربوبية كونية.

٢-أن تضاف إلى الله تعالى من جهة أن الله تعالى خصه به من معنى يحبه ويرضاه ويأمر به، كما خص الله تعالى بيت العتيق لعبادته، وخص المساجد بذكره، ومن هذا الوجه فعباد الله هو من أطاع الله تعالى وعبده حق عباده، وتتضمن هذه الإضافة إضافة ألوهية شرعية دينية.

وأما القسم الثاني إذا كان المضاف معنى لا يقوم بنفسه ولا بغيره من المخلوقات، وجب أن يكون صفة لله تعالى قائما به، وامتنع أن تكون إضافته إضافة مخلوق مربوب، وقد يعبر بلفظ المصدر عن المفعول به، فيسمى المعلوم علما، والمقدور قدرة، والمأمور أمراً، والمخلوق بالكلمة كلمة، فيكون ذلك مخلوقا، كما قال الله تعالى ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [4]، وقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ [5]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [6].

---

(١) سورة الشمس : (١٣).

(٢) سورة البقرة : (١١٤)، وسورة التوبة : (١٧-١٨).

(٣) سورة الحج : (٢٦).

(٤) سورة النحل : (١).

(٥) سورة آل عمران : (٤٥).

(٦) سورة النساء : (١٧١).

وقول الله تبارك وتعالى للجنة : ((أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذاب أعذب بك من أشاء من عبادي))[(1)(2)].

وهذا الأصل هو ما كان متقررا عند أهل السنة والجماعة، إذ يفرقون فيما يضاف إلى الله تعالى بين صفاته وبين مملوكاته، وضل فيه كثير من المتكلمين.

فقالت المعطلة نفاة الصفات : إن جميع المضافات إلى الله تعالى هي إضافة ملك وخلق، وليس لله حياة قائمة به، ولا علم قائم به، ولا قدرة قائمة به، ولا كلام قائم به، ولا حب ولا بغض ولا غضب ولا رضى، بل جميع ذلك مخلوق من مخلوقاته، وهذا أول ما ابتدعه الجهمية النفاة.

وقالت الحلولية عكس ما ذكره الجهمية : بل كل ما يضاف إلى الله تعالى يكون صفة له، وإن كان بائنا عنه، بل قالوا: هو قديم أزلي، فروح الله قديم صفة لله، وكلامه لأنبيائه قديم أزلي، وأنه لم يزل راضيا محبا لمن علم أنه يطيعه قبل أن يخلق، ولم يزل غاضبا ساخطا على من علم أنه يكفر قبل أن يخلق، إلى غير ذلك.

قال ابن تيمية –رحمه الله– :

"فإن الجهمية النفاة يشبهون الخالق تعالى بالمخلوق في صفات النقص كما ذكر الله تعالى عن اليهود أنهم وصفوه بالنقائص، وكذلك الجهمية النفاة إذا قالوا: هو في نفسه لا يتكلم ولا يحب ونحو ذلك من نفيهم، والحلولية يشبهون المخلوق بالخالق، فيصفونه بصفات الكمال التي لا تصلح إلا لله كما فعلت النصارى في المسيح، ومن جمع بين النفي والحلول كحلولية الجهمية مثل صاحب الفصوص وغيره قالوا: ألا ترى الحق يظهر

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ [ق: ٣٠]، حديث رقم : (٤٨٥٠)، مع الفتح : (٦١٨/١٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، حديث رقم : (٧١٧٢)، ص: (١١٧٠).

(2) انظر: هذا التقسيم في كتاب لوامع الأنوار البهية للسفاريني : (٢/ ٣٦)، وانظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية : (٧/ ٢٦٠)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : (٢/ ١٥٦-١٥٧).

بصفات المحدثات وأخبر بذلك عن نفسه وبصفات النقص والذم، ألا ترى المخلوق يظهر بصفات الحق فهي كلها صفات له كما أن صفات المخلوق حق لله، فهم يصفون المخلوق بكل ما يوصف به الخالق ويصفون الخالق بكل ما يوصف به المخلوق، فإن الوحدة والاتحاد والحلول العام يقتضي ذلك"(١).

وقال –رحمه الله تعالى في موضع آخر :

"وفي هذا الباب، باب المضافات إلى الله تعالى ضلت طائفتان : طائفة جعلت جميع المضافات إلى الله إضافة خلق وملك كإضافة البيت والناقة إليه، وهذا قول نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم، حتى ابن عقيل و ابن الجوزي وأمثالهما إذا مالوا إلى قول المعتزلة سلكوا هذا المسلك وقالوا : هذه آيات الإضافات لا آيات الصفات، كما ذكر ذلك ابن عقيل في كتابه المسمى بـ "نفي التشبيه وإثبات التنزيه" وذكره أبو الفرج بن الجوزي في "منهاج الوصول" وغيره، وهذا قول ابن حزم وأمثاله ممن وافقوا الجهمية على نفي الصفات وإن كانوا منتسبين إلى الحديث والسنة.

وطائفة بإزاء هؤلاء يجعلون جميع المضافات إليه إضافة صفة، ويقولون بقدم الروح، فمنهم من يقول: بقدم روح العبد لقوله: ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾(٢)، وهم من جنس النصارى الذين يقولون بأن روح عيسى من ذات الله تعالى، ومن هؤلاء من ينتسب إلى أهل السنة والحديث إلى الإمام أحمد وغيره من أئمة السنة كطائفة من أهل طبرستان وجيلان وأتباع الشيخ عدي وغيره.

وطائفة ثالثة تقف في روح العبد : هل هي مخلوقة أم لا ؟ وهم منتسبون إلى السنة والحديث من أصحاب أحمد وغيرهم، والنزاع بين متأخري أصحاب أحمد وغيرهم وهو في المضافات الخبرية كالوجه واليد والروح، وأما المعتزلة فيطردون ذلك في الكلام وغيره، وقد بين أحمد الرد على الطائفتين الأوليين وهؤلاء الطائفتان أيضا يضلون في المضاف بمن، فإن المجرور بالإضافة حكمه حكم المضاف كقوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي ﴾

---

(١) درء تعارض العقل والنقل : (٧/ ٢٦٠).

(٢) سورة الحجر : (٢٩).

[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾[2]،فالطائفتان يجعلون القول منه كالروح منه ثم يقول النفاة : والروح مخلوقة بائنة عنه فالقول مخلوق بائن عنه، ويقول الحلولية : القول صفة له ليس لمخلوق فالروح التي منه صفة له ليست مخلوقة"[3].

---

(١) سورة السجدة : (١٣).

(٢) سورة النساء : (١٧١).

(٣) درء تعارض العقل والنقل : (٤/ ٩)، انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : (١٤٩/٢).

ثالثا : تسمية عيسى عليه السلام بكلمة الله وروح منه سبحانه.

وقد أورد بعض النصارى على بعض علماء المسلمين قول الله تعالى: ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [(١)]، ويستدلون به على ألوهية المسيح عيسى عليه السلام، لأن عيسى جزء من الله تعالى، فيكون هو نفسه الله، وعيسى هو نفس الكلمة، وقد اتحد الناسوت بالاهوت – حسب زعمهم–، ويظنون أن روح القدس حياة الله وأنه إله يخلق ويرزق ويعبد.

وقالوا: يسوع في البدء لم يزل كلمة، و الكلمة لم تزل لدى الله، و الله هو الكلمة، و يسوع هو عيسى بالسريانية، فذاك الذي ولدته مريم و عاينه الناس و كان بينهم هو الله و ابن الله و هو كلمة الله[(٢)].

والجواب على هذا :

١–أن النصارى حرفوا كتابهم، فلا حجة لهم علينا إذن في ألوهية المسيح عيسى عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾[(٣)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : "كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدث تقرؤونه محضا لم يشب، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم لا والله ما رأينا منهم رجلا يسألكم ، عن الذي أنزل عليكم"[(٤)].

---

(١) سورة النساء : (١٧١).

(٢) انظر: تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبد الجبار : (ص: ١١٦).

(٣) سورة المائدة : (٤١).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، حديث رقم : (٧٣٦٣)، مع الفتح : (١٧/٢٦٥).

٢-أن الله تعالى قد أضاف الروح إلى عيسى عليه السلام كما أضافه سبحانه لبعض المخلوقات، أي أنه ليس خاصا بعيسى عليه السلام، وعيسى خلقه وأوجده كسائر مخلوقاته.

قال ابن كثير -رحمه الله تعالى-:

"فقوله في الآية والحديث: ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [1]، كقوله: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [2]، أي: من خلقه ومن عنده، وليست "من" للتبعيض، كما تقوله النصارى -عليهم لعائن الله المتتابعة- بل هي لابتداء الغاية، كما في الآية الأخرى.

وقد قال مجاهد في قوله: ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ أي: "ورسول منه، وقال غيره: ومحبة منه، والأظهر الأول إلى الله، في قوله: أنه مخلوق من روح مخلوقة، وأضيفت الروح إلى الله على وجه التشريف، كما أضيفت الناقة والبيت ﴿ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ ﴾ [3]، وفي قوله: ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ ﴾ [4] وكما ورد في الحديث الصحيح: "فأدخل على ربي في داره" أضافها إليه إضافة تشريف لها، وهذا كله من قبيل واحد ونمط واحد"[5].

وقال ابن القيم -رحمه الله-:

"ولا خلاف بين المسلمين أن الأرواح التي في آدم وبنيه وعيسى ومن سواه من بني آدم كلها مخلوقة لله، خلقها وأنشأها وكونها واخترعها ثم أضافها إلى نفسه كما أضاف إليه سائر خلقه، قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾[6][1].

---

(١) سورة النساء : (١٧١).

(٢) سورة الجاثية : (١٣).

(٣) سورة هود : (٦٤).

(٤) سورة الحج : (٢٦).

(٥) تفسير القرآن العظيم : (٢/ ٤٧٨).

(٦) سورة الجاثية : (١٣).

ويحكى أن طبيبا نصرانيا حاذقا للرشيد ناظر عليا بن الحسين الواقدي المروزي ذات يوم فقال له : إن في كتابكم ما يدل على أن عيسى عليه السلام جزء منه تعالى ، وتلا هذه الآية ، فقرأ الواقدي قوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾[٢]، فقال : إذن يلزم أن يكون جميع الأشياء جزءا منه سبحانه وتعالى علوا كبيرا، فانقطع النصراني فأسلم ، وفرح الرشيد فرحا شديدا[٣].

وهذه الإضافة –كما تقدم بيانه– أنه إضافة الملك والخلق، لا إضافة الصفة.

٣–أن الله تعالى سمى جبريل عليه السلام روحا في مواضع كثيرة في كتابه، سماه الروح الأمين وبروح القدس، ومع ذلك كان جبريل عليه السلام أحد مخلوقات الله تعالى، ولم يكن جزء من الله.

قال ابن تيمية –رحمه الله– :

"وليس في شيء من الكتب الإلهية ولا في كلام الأنبياء أن الله سمى صفته القائمة به روح القدس ولا سمى كلامه ولا شيئا من صفاته ابنا، وهذا أحد ما يثبت به ضلال النصارى وأنهم حرفوا كلام الأنبياء وتأولوه على غير ما أرادت الأنبياء، فإن أصل تثليثهم مبني على ما في أحد الأناجيل من أن المسيح عليه السلام قال لهم: عمدوا الناس باسم الآب والإبن وروح القدس، فيقال لهم: هذا إذا كان قد قاله المسيح، وليس في لغة المسيح ولا لغة أحد من الأنبياء أنهم يسمون صفة الله القائمة به ولا كلمته ولا حياته لا ابنا ولا روح قدس ولا يسمون كلمته ابنا ولا يسمونه نفسه ابنا ولا روح قدس، ولكن يوجد فيما ينقلونه عنهم أنهم يصفون المصطفى المكرم ابنا وهذا موجود في حق المسيح

---

(١) الروح (ص: ١٤٥)

(٢) سورة الجاثية : (١٣).

(٣) انظر: هذه القصة في تفسير روح المعاني للآلوسي : (٣/ ٢٠٠).

وغيره، كما يذكرون أنه قال تعالى لإسرائيل أنت ابني بكري أي بني إسرائيل "[1].

٤- إن الله تعالى ذكر في كتابه أن عيسى عليه السلام عبده ورسوله، ولا يتعدى كونه نبيا ورسولا، قال الله تعالى: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾[2]، وقال الله تعالى حكاية عن قول عيسى عليه السلام: ﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴾[3]، وذكر أن الله تعالى هو الرب الوحيد المستحق للعبادة، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَـٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[5].

بل وصف الله تعالى من جعل المسيح عيسى ابن مريم إلها بالكفر، قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[6].

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : (٢/ ١٥٢).
(٢) سورة المائدة : (٧٥).
(٣) سورة مريم : (٣٠).
(٤) سورة مريم : (٣٦).
(٥) سورة الزخرف : (٥٩).
(٦) سورة المائدة : (٧٢).

مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ [1].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [2].

وجاء كذلك في الإنجيل نصوص كثيرة، تبين على بشرية المسيح عيسى عليه السلام، وأنه لم يكن إلها.

جاء في إنجيل يوحنا : "فاجاب يسوع و قال لهم الحق: الحق أقول لكم لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئا إلا ما ينظر الأب يعمل لأن مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك"[3].

وجاء في إنجيل متى :"ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السماوات بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السماوات"[4].

ففي هذه النصوص نفى عيسى عليه السلام القدرة على إدخال من شاء من ملكوته، إلا من أراد الله وحده ذلك، لأن مشيئة المسيح تحت مشيئة الله، وقدرته تحت قدرة الله تعالى.

وجاء في إنجيل مرقص : "وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الأب"[5].

---

(١) سورة المائدة : (١١٦-١١٧).

(٢) سورة التوبة : (٣٠-٣١).

(٣) إنجيل يوحنا، الإصحاح الخامس، العدد: ١٩.

(٤) إنجيل متّى، الإصحاح السابع ، العدد: ٢١.

(٥) انجيل مرقس ، الإصحاح الثلاثة عشرة، العدد : ٣٢.

وجاء في إنجيل يوحنا : "اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم : إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم"[1]

وجاء في إنجيل يوحنا: "أبي أعظم مني"[2].

وغير ذلك من النصوص الكثيرة الدالة على بشرية عيسى المسيح عليه السلام.

٥-إجماع العلماء –رحمهم الله – على أن الأرواح مخلوقة، ولا سيما فيمن يقول ذلك في روح عيسى بن مريم عليهما السلام، اشتد نكيرهم على ذلك.

قال ابن قتيبة –رحمه الله– :

"وأجمع الناس على أن الله خالق الجن وبارئ النسمة أي خالق الروح"[3].

وقال ابن القيم –رحمه الله – :

"وقد حكى إجماع العلماء على أنها مخلوقة غير واحد من أئمة المسلمين مثل محمد ابن نصر المروزي"[4].

---

(١) إنجيل يوحنا ، الإصحاح العشرون ، العدد: ١٧.

(٢) إنجيل يوحنا، الإصحاح الرابعة عشرة، العدد: ٢٩.

(٣) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية لابن قتيبة : (ص: ٦٦).

(٤) الروح : (ص: ١٤٥).

الفصل الثالث

موقف الأديان من مريم عليها السلام

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موقف اليهود من مريم عليها السلام.

المبحث الثاني: موقف النصارى من مريم عليها السلام.

المبحث الثالث: موقف الإسلام من مريم عليها السلام.

المبحث الأول: موقف اليهود من مريم عليها السلام.

إن لليهود مواقف شائنة تجاه أنبياء الله تعالى ورسله، وتجاه من فضلهم الله على كثير من خلقه، ومن ذلك مواقفهم تجاه أم المسيح مريم عليهما السلام، ومنها:

١- اتهام اليهود مريم الطاهرة العفيفة الصديقة عليها السلام بفعل فاحشة الزنى، والعياذ بالله.

إذا تأملنا في كتاب اليهود، نجد أنهم لم يصدقوا بالكرامات التي حصلت في ولادة عيسى عليه السلام من غير أب، فينسبون عيسى إلى يوسف النجار عدة مرات.

ورد في يوحنا : "وقالوا أليس هذا هو يسوع ابن يوسف الذي نحن عارفون بأبيه وأمه. فكيف يقول هذا أني نزلت من السماء"(١).

وورد في لوقا : "إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف، واسم العذراء مريم"(٢).

ثم إذا نظرنا إلى نسب عيسى عليه السلام –حسب زعمهم- في العهد الجديد، نجد أنه من نسل زناة، والعياذ بالله.

ورد في نسب يسوع في سفر متى: "ويهوذا ولد فارص وزوارح من ثامار. وفارص ولد حصرون. وحصرون ولد أرام"(٣).

ويهوذا –حسب ما جاء في الكتاب المقدس- كان قد زنى بزوجة ابنه ثامار، كما ورد ذلك في سفر التكوين:

"فأخبرت ثامار وقيل لها هوذا حموك صاعد إلى تمنة ليجزّ غنمه. فخلعت عنها ثياب ترملها وتغطت ببرقع وتلفّفت وجلست في مدخل عينايم التي على طريق تمنة، لأنها رأت أن شيلة قد كبر وهي لم تعط له زوجة. فنظرها يهوذا وحسبها زانية، لأنها كانت قد غطت وجهها. فمال إليها على الطريق وقال: هاتي ادخل

---

(١) يوحنا : الإصحاح اثنان وأربعون، العدد : ٦.

(٢) لوقا، الإصحاح السابع وعشرون، العدد: ١.

(٣) إنجيل متى، الإصحاح الأول، العدد :١-٣.

عليك، لأنه لم يعلم أنها كنته، فقالت: ماذا تعطيني لكي تدخل عليّ. فقال: إني ارسل جدي معزى من الغنم، فقالت: هل تعطيني رهنا حتى ترسله. فقال: ما الرهن الذي أعطيك؟ فقالت: خاتمك وعصابتك وعصاك التي في يدك، فأعطاها ودخل عليها، فحبلت منه. ولما كان نحو ثلاثة أشهر أخبر يهوذا وقيل له قد زنت ثامار كنتك، وها هي حبلى أيضا من الزنى، فقال يهوذا: أخرجوها فتحرق. أما هي فلما أخرجت أرسلت إلى حميها قائلة من الرجل الذي هذه له انا حبلى، وقالت: حقّق لمن الخاتم والعصابة والعصا هذه. فتحققها يهوذا وقال: هي أبرّ مني، لأني لم أعطها لشيلة ابني، فلم يعد يعرفها أيضا. وفي وقت ولادتها إذا في بطنها توأمان. وكان في ولادتها أن أحدهما أخرج يدا فأخذت القابلة وربطت على يده قرمزا قائلة هذا خرج أولا. ولكن حين ردّ يده إذ أخوه قد خرج، فقالت: لماذا اقتحمت عليك اقتحام؟ فدعي اسمه فارص. وبعد ذلك خرج أخوه الذي على يده القرمز، فدعي اسمه زارح[١].

ثم إن اليهود اختلفوا في الرجل الذي يكون مع مريم عليها السلام –أي والد عيسى حسب زعمهم– على أقوال :

- اتهام اليهود مريم عليها السلام بفعل الفاحشة– وحاشاها– مع يوسف النجار. كما ورد ذلك في مواضع كثيرة من كتبهم، من ذلك :

أ- جاء في سفر متى : "ولما أكمل يسوع هذه الأمثال انتقل من هناك. ولما جاء إلى وطنه كان يعلمهم في مجمعهم حتى بهتوا وقالوا : من أين لهذا هذه الحكمة والقوات. أليس هذا ابن النجار؟ أليس أمه تدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا؟"[٢].

ب- جاء في سفر مرقص : "و خرج من هناك و جاء إلى وطنه و تبعه تلاميذه. و لما كان السبت ابتدأ يعلم في المجمع و كثيرون إذ سمعوا بهتوا قائلين: من أين لهذا هذه؟ و ما هذه الحكمة التي أعطيت له حتى تجري

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح الثامنة والثلاثون، العدد: ١٣-٣١.

(٢) سفر متى، الإصحاح الثلاث عشرة، العدد: ٥٥-٥٦.

على يديه قوات مثل هذه. أليس هذا هو النجار ابن مريم و أخو يعقوب ويوسي و يهوذا و سمعان؟ أوليست إخواته ههنا عندنا فكانوا يعثرون به. فقال لهم يسوع: ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه و بين أقربائه و في بيته. ولم يقدر أن يصنع هناك و لا قوة واحدة غير أنه وضع يديه على مرضى قليلين فشفاهم. و تعجب من عدم إيمانهم و صار يطوف القرى المحيطة يعلم"(١).

ج-وجاء في سفر لوقا : "و جاء إلى الناصرة حيث كان قد تربى و دخل المجمع حسب عادته يوم السبت و قام ليقرأ. فدفع إليه سفر أشعياء النبي، و لما فتح السفر وجد الموضع الذي كان مكتوبا فيه. روح الرب علي لأنه مسحني لأبشر المساكين أرسلني لأشفي منكسري القلوب لأنادي للماسورين بالاطلاق و للعمي بالبصر و أرسل المنسحقين في الحرية. وأكرز بسنة الرب المقبولة. ثم طوى السفر و سلمه إلى الخادم و جلس و جميع الذين في المجمع كانت عيونهم شاخصة إليه. فابتدا يقول لهم إنه اليوم قد تم هذا المكتوب في مسامعكم. و كان الجميع يشهدون له و يتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه و يقولون: أليس هذا ابن يوسف؟. فقال لهم على كل حال تقولون لي هذا المثل أيها الطبيب اشفي نفسك كم سمعنا أنه جرى في كفرناحوم فافعل ذلك هنا أيضا في وطنك. و قال الحق أقول لكم أنه ليس نبي مقبولا في وطنه. و بالحق أقول لكم أن أرامل كثيرة كن في إسرائيل في أيام إيليا حين أغلقت السماء مدة ثلاث سنين و ستة أشهر لما كان جوع عظيم في الأرض كلها. و لم يرسل إيليا إلى واحدة منها إلا إلى امرأة أرملة إلى صرفة صيدا. و برص كثيرون كانوا في اسرائيل في زمان اليشع النبي و لم يطهر واحد منهم إلا نعمان السرياني. فامتلا غضبا جميع الذين في المجمع حين سمعوا هذا. فقاموا و اخرجوه خارج المدينة و جاءوا به إلى

---

(١) سفر مرقص، الإصحاح السادس، العدد: ١-٦.

حافة الجبل الذي كانت مدينتهم مبنية عليه حتى يطرحوه إلى أسفل. أما هو فجاز في وسطهم و مضى"[1].

وغير ذلك مما ورد في كتابهم المحرف.

وقال ابن حزم –رحمه الله– عن تهمة اليهود لمريم عليها السلام بيوسف النجار : "وأما جمهور اليهود لعنهم الله فيقولون أنه لغير رشده –حاشى لله من ذلك–، بل إن طائفة قليلة من اليهود يقولون أنه ابن يوسف النجار، وما نرى متى إلا شاهدا لقولهم ومحققا له؛ وإلا فكيف يبدأ بأنه يذكر نسب المسيح إلى داود ثم لا يذكر إلا يوسف النجار إلى داود، ولو أنه ذكر نسب أمه مريم لكان لقوله مخرج ظاهر، لكنه لم يذكر نسب مريم أصلا ثم لم يستحي النذل من أن يحقق ما ابتدأ به فبعد أن أتم نسب يوسف النجار، قال: من الرحلة إلى المسيح أربعة عشر أبا، فجميع المواليد من إبراهيم إلى المسسيح إثنان وأربعون مولودا، فأكد هذا الملعون كذبه وأن المسيح ولد يوسف ولا بد ضرورة من أحدهما؛ وإلا فكيف يكون من الرحلة إلى المسيح أربعة عشرا أبا والمسيح ليس هو ابنا لأحدهم ولاهم آباء له؟ فكيف يكون من إبراهيم إلى المسيح اثنان وأربعون مولودا ولا مدخل للمسيح في تلك الولادات إلا كمدخله في ولادات أهل الصين وأهل الهند وأهل طلعة وسقر وسقرال، ولا فرق هذه فضائح الدهر وما لا يأتي به إلا أنجس البرية، ونعوذ بالله من الخذلان "[2].

- اتهام اليهود مريم عليها السلام بفعل الفاحشة مع العسكري بندار.

قال أحمد شلبي : "يقول التلمود عن المسيح : إن يسوع الناصري موجود في لجات الجحيم بين القار والنار، وإن أمه مريم أتت به من العسكري (بندار) عن طريق الخطيئة[3].

---

(١) سفر لوقا، الإصحاح الرابع، العدد: ١٦-٣٠.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل : (٢/ ١١).

(٣) مقارنة الأديان اليهودية : (ص:٢٧٥).

- اتهام اليهود مريم عليها السلام بفعل الفاحشة مع زكريا عليه السلام، كما ذكر ذلك عاصم المقدسي أبو محمد(١).

وجاء الإشارة إلى هذه التهم من قِبل اليهود في القرآن الكريم حيث حكى الله تبارك وتعالى هذه المقالة الرديئة عنهم، قال الله تعالى: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴾(٢).

قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه: وبكفر هؤلاء الذين وصف صفتهم، "وقولهم على مريم بهتانًا عظيمًا"، يعني: بفريتهم عليها، ورميهم إياها بالزنا، وهو "البهتان العظيم"، لأنهم رموها بذلك، وهي مما رموها به بغير ثَبَتٍ ولا برهان بريئة، فبهتوها بالباطل من القول(٣).

وفي قول الله تعالى ﴿ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴾(٤).

قال النيسابوري :

"فإنكارهم قدرة الله تعالى على خلق الولد من غير أب، وكذا إنكارهم نبوة عيسى كفر، ونسبتهم الزنا لمريم بهتان عظيم، لأنه ظهر لهم عند ولادة عيسى من الكرامات والمعجزات ما دلهم على براءتها من كل سوء"(٥).

والقرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي جاء ببراءة مريم عليها السلام، فنجد أن القرآن قد كرّم مريم عليها السلام منذ ولادتها، قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ

---

(١) انظر: التحفة المقدسية في مختصر تاريخ النصرانية : (ص: ١٢).

(٢) سورة النساء : (١٥٦).

(٣) جامع البيان للطبري : (٩/ ٣٦٦).

(٤) سورة مريم : (٢٧).

(٥) غرائب القرآن ورغائب الفرقان : (٢/ ٥٢٦).

وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًا ۖ قَالَ يَـٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾[1].

وأن القرآن رفع قدر مريم عليها السلام بين نساء العالمين، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴾[2].

وأن القرآن مدح مريم عليها السلام ومدح عفتها، قال الله تعالى: ﴿ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأَيَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَـٰنِتِينَ ﴾[4].

وأن القرآن نفى عن مريم عليها السلام كل شبهة، قال تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأَخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلًا وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[5].

فالقرآن ذكر قصة مريم عليها السلام بأسلوب يبرأها من أي اتهام اليهود لها، وسمى باسمها من سوره سورة مريم.

٢- قسوة اليهود على مريم عليها السلام.

فإن من صفات اليهود الذي وصفه الله تعالى في كتابه العزيز هو القسوة، وهذه القسوة التي في قلوبهم هي لسبب عصيانهم لله تعالى وكفرهم بأنبيائهم

---

(١) سورة آل عمران : (٣٥-٣٧).

(٢) سورة آل عمران : (٤٢).

(٣) سورة المائدة : (٧٥).

(٤) سورة التحريم : (١٢).

(٥) سورة آل عمران : (٤٥-٤٧).

وصالحهم، فقد ذكر الله تعالى هذه الصفة في غير موضع من كتابه، فقال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(٢)

وقال تعالى: ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾(٣).

وقال تعالى ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾(٤).

ومن قسوتهم في شأن مريم عليها السلام أن قالوا إن مريم وابنها عليهما السلام ساحران ومجنونان، بعد أن اتهموها بالفاحشة.

ذكر ابن الأثير –رحمه الله– هذه المقولة عنهم:

"إنّ عيسى استقبله ناسٌ من اليهود، فلمّا رأوه قالوا: قد جاء الساحر ابن الساحرة الفاعل ابن الفاعلة وقذفوه وأمّه"(٥).

وأن اليهود صلبوا المسيح –حسب رواية التوراة– وأمه واقفة وهي ترى ابنها أمامها مصلوبا(٦).

---

(١) سورة البقرة : (٧٤).

(٢) سورة المائدة : (١٣).

(٣) سورة الحج : (٥٣).

(٤) سورة الزمر : (٢٢).

(٥) الكامل في التاريخ : (٢٨٣/١)، وانظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية : تيمية : (٢/ ٢٠).

(٦) كما جاء في التوراة : و كانت واقفات عند صليب يسوع امه و اخت امه مريم زوجة كلوبا و =

المبحث الثاني: موقف النصارى من مريم عليها السلام.

لقد اعتقد النصارى تجاه مريم عليها السلام اعتقادا منحرفا، إذ هم يحرفون الكلم عن مواضعه ويغيرونه حسب ما تهوي أنفسهم، فمن انحرافاتهم المتعلقة بها عليها السلام :

١- تأليهها عليها السلام.

إن وقوع بعض النصارى في تأليه مريم عليها السلام أمر سجله التاريخ، إذ جعلوها إلها خالقا للكون مع الأب والإبن على حد زعمهم، وسبب ذلك أن النصارى لما اختلفوا فيما بينهم عقدوا المجامع، وبحثوا في المسألة، ولما كان في المجمع الثاني، خرجوا بالنتيجة بأن مريم –عليها السلام- صارت إلها قبل أن لم تكن.

قال ابن تيمية –رحمه الله- :

"وقد ذكر سعيد بن البطريق في أخبار النصارى أن منهم طائفة يقال لهم :المريميون، يقولون إن مريم إله وإن عيسى إله"[(١)]

وقال –رحمه الله- في موضع آخر من كتابه:

"وذكر مريم مع المسيح لأن من النصارى من اتخذها إلها آخر فعبدها كما عبد المسيح، والذين لا يقولون بهذا، كثير منهم يطلب منها كل ما يطلب من الله حتى يقول لها: "اغفري لي وارحميني" وغير ذلك، بناء على أنها تشفع في ذلك إلى ابنها، فتارة يقولون :"يا والدة الإله، اشفعي لنا إلى الإله"، وتارة يسألونها الحوائج التي تطلب من الله ولا يذكرون شفاعة، وآخرون يعبدونها كما يعبدون المسيح.

كلوبا و مريم المجدلية. فلما رأى يسوع امه و التلميذ الذي كان يحبه واقفا قال لامه يا امراة هوذا ابنك. ثم قال للتلميذ هوذا امك و من تلك الساعة اخذها التلميذ الى خاصته . إنجيل يوحنا، الإصحاح تسعة عشر، العدد: ٢٥-٢٧.

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : (٢/ ١٤-١٥).

وقد ذكر سعيد بن البطريق هذا عنهم لما ذكر اجتماعهم عند قسطنطين بنيقية، قال: وكانوا مختلفي الآراء مختلفي الأديان، فمنهم من يقول المسيح وأمه إلهان من دون الله، وهم المريمانيون، ويسمون المريمانية، كذلك قال ابن حزم، وقد قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[1]، وهو سبحانه لم يحك هذا عن جميع النصارى بل سأل المسيح سؤالا يقرع به من اتخذه وأمه إلهين من دون الله"[2].

وقال محمد رشيد رضا :

"وأما أمه فعبادتها كانت متفقا عليها في الكنائس الشرقية والغربية بعد قُسْطَنْطِينَ، ثم أنكرت عبادتها فرقة البروتستانت التي حدثت بعد الإسلام بعدة قرون، إن هذه العبادة التي يوجهها النصارى إلى مريم والدة المسح عليها السلام منها ما هو صلاة ذات دعاء وثناء واستغاثة واستشفاع، ومنها صيام ينسب إليها ويسمى باسمها، وكل ذلك يقرن بالخضوع والخشوع لذكرها ولصورها وتماثيلها، واعتقاد السلطة الغيبية لها التي يمكنها بها في اعتقادهم أن تنفع وتضر في الدنيا والآخرة بنفسها أو بواسطة ابنها، وقد صرحوا بوجوب العبادة لها، ولكن لا نعرف عن فرقة من فرقهم إطلاق كلمة "إله" عليها، بل يسمونها "والدة الإله"، ويصرح بعض فرقهم بأن ذلك حقيقة لا مجاز...ومنه قول (الْأَبِ لِوِيس شِيخُو) في مقالة له فيه عن الكنائس الشرقية: "إن تعبُّد الكنيسة للبتول

---

(١) سورة المائدة : (١١٦-١١٧).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : (٤/ ٢٥٥-٢٥٦).

الطاهرة أم الله لأمر مشهور"، وقوله : قد امتازت الكنيسة القبطية بعبادتها للبتول المغبوطة أم الله"[1].

وقال ابن عاشور –رحمه الله-:

"وأن النصارى أشد منهم في ذلك، إذ كانوا يسجدون لصور عظماء ملتهم مثل صورة مريم، وصور الحواريين، وصورة يحيى بن زكريا، والسجود من شعار الربوبية، وكانوا يستنصرون بهم في حروبهم ولا يستنصرون بالله، وهذا حال كثير من طوائفهم وفرقهم، ولأنّهم كانوا يأخذون بأقوال أحبارهم ورهبانهم المخالفة لما هو معلوم بالضرورة أنه من الدين، فكانوا يعتقدون أن أحبارهم ورهبانهم يحللون ما حرم الله، ويحرمون ما أحل الله"[2].

ويعتبر الكاثوليك مريم – عليها السلام – إلهاً مستحقاً للعبادة، وإن لم يعتبروها أحد أطراف الثالوث الأقدس، ويعتمدون في تقديسها على ما جاء في النص الكاثوليكي لإنجيل لوقا، وفيه: "فلما دخل إليها الملاك قال: السلام عليك يا ممتلئة نعمة، الرب معك، مباركة أنت في النساء"[3].

وكل هذه المزاعم نتيجة انحراف النصارى تجاه كتبهم، واتباعهم للهوى، لأنه قد جاء في كتبهم ما يدل على خلاف الألوهية لمريم عليها السلام.

وقد جاءَ في كتابهم: أن عيسى عليه السلام كان يطلب الطعام من أتباعه، كما في إنجيل لوقا : "أعندكم ها هنا طعام؟ فناولوه جزءًا من سمك، وشيئا من شهد عسل، فأخذ وأكل قُدَّامهم"[4].

وأكل الطعام يستدعي الحاجة إليه للانتفاع به وهذا من أظهر الصفات النافية للإلهية لحاجة الأكل إلى ما يدخل في جوفه ولما يخرج منه مع ذلك من الفضلات، والرب تعالى أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد،

---

(١) تفسير القرآن الحكيم : (٧/ ٢١٩-٢٢٠).

(٢) التحرير والتنوير : (١٠/ ٧١).

(٣) انظر: إنجيل لوقا، الإصحاح الأول، العدد: ٢٨.

(٤) انظر: إنجيل لوقا، الإصحاح الرابعة والعشرون، العدد: ٤٢-٤٣.

وغاية أمه أن تكون صديقة و ليست بنبية، قال تعالى: ﴿ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾[1].

٢- إن مريم عليها السلام ولدت الإله –حسب زعمهم-، وأنها والدة الإله.

إن جمهور النصارى يؤمنون بأن مريم عليها السلام ولدت اللاهوت كما ولدت الناسوت، وهي أم اللاهوت، ويقولون في دعائهم وصلاتهم "يا والدة الإله".

كما كانوا يقرؤون في صلاة الساعة الثالثة: "يا والدة الإله السماوي أنت هي الكرمة الحقانية الحاملة ثمرة الحياة، إليك نتضرع لترحمي نفوسنا، يا والدة الإله السماوي افتحي لنا أبواب رحمتك"[2].

ويقرؤون في صلاة الغروب: "يا والدة الإله العذراء! أسعي في خلاصنا وافرحي يا والدة الإله، مباركة أنت في النساء ومبارك ثمرة بطنك لأنك ولدت لنا مخلّصاً، يا والدة الإله لا تغفلي عن وسائلنا ونجنا من المعاطب"[3].

جاء في الإنجيل إن مريم عليها السلام يدعى بأنها أم ابن العلي وأم ابن الله.

كما في إنجيل لوقا : "فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله. و ها أنت ستحبلين و تلدين ابنا و تسمينه يسوع. هذا يكون عظيما و ابن العلي يدعى و يعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه. و يملك على بيت يعقوب إلى الأبد و لا يكون لملكه نهاية. فقالت مريم للملاك: كيف يكون هذا و انا لست أعرف رجلا. فأجاب الملاك و قال لها: الروح القدس يحل عليك و قوة العلي تظللك فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله"[4].

---

(١) انظر: الرد على النصارى الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (٢/ ١٧١).

(٢) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل : (٣/ ١٦١).

(٣) المصدر نفسه : (٣/ ١٦٧).

(٤) إنجيل لوقا ، الإصحاح الأول ، العدد: ٣٠-٣٥.

وجاء في موضع آخر أنها عليها السلام تدعى بـ أم الرب : "و صرخت بصوت عظيم و قالت مباركة أنت في النساء و مباركة هي ثمرة بطنك. فمن أين لي هذا أن تأتي أم ربي إلي"(١).

وتدعى كذلك بـ أم المخلص: "فقال لهم الملاك لا تخافوا! فها انا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب. أنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب"(٢).

وكان هذا الاعتقاد بعد مقالة نسطور أسقف القسطنطينية ، وأنه قال بأن المسيح له طبيعتان، إلهية وإنسانية بشرية، وأن مريم عليها السلام والدة الإنسان وليس والدة الإله، فانعقد مجمع أفسس سنة ٤٣١م ليرد على هذه المقالة، وقرر فيه بأن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام إله وإنسان ذو طبيعة واحدة وأقنوم واحد، وأن مريم عليها السلام والدة إلههم، وحكم على نسطور بالطرد من الكنيسة، وكان قرار هذا المجمع بأن مريم والدة الإله، ونصه : "نعظمك يا أم النور الحقيقي، ونمجدك أيتها العذراء المقدسة والدة الإله، لأنك ولدت لنا مخلص العالم أتى وخلص نفوسنا، المجد لك يا سيدنا وملكنا المسيح ف خر الرسل، أكليل الشهداء، تهليل الصدّيقين ثبات الكنائس، غفران الخطايا، نبشر بالثالوث المقدس، لاهوت واحد، نسجد له ونمجده، يا ربّ ارحم، يا ربّ بارك آمين"(٣).

وقالت اليعقوبية(٤) والملكية(١):

---

(١) إنجيل لوقا ، الإصحاح الأول ، العدد: ٤٢-٤٣.

(٢) إنجيل لوقا ، الإصحاح الثاني ، العدد: ١٠-١١.

(٣) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل : (٣/ ٥).

(٤) اليعقوبية هم فرقة من النصارى اتباع يعقوب البردعي، ولقب بذلك لان لباسه كان من خرق برادع الدواب يرقع بعضها ببعض ويلبسها، قالوا بالأقانيم الثلاثة، وزعم أكثر اليعقوبية أن المسيح جوهر واحد أقنوم واحد إلا أنه من جوهرين، انظر: الملل والنحل للشهرستاني : (١/ ٢٢٤)، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية : (٤/ ٧٩)، وهداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم : (ص: ١٦٤).

"حبلت مريم بالإله، و ولدت الإله، و قتل الإله، و مات الإله"[٢].

وقال ابن القيم –رحمه الله– :

"وقالوا إن مريم ولدت الله"[٣].

وقال –رحمه الله – في موضع آخر من كتابه :

"وهم يصرحون بأن مريم –عليها السلام– والدة الإله، والله أبوه وهو الابن، فهذا الزوج والزوجة والولد، ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴾[٤][٥].

ثم إن هؤلاء النصارى لم تكفهم هذه المقالة الرديئة، بل تجاوزوا ذلك بأن هدد ومن لم يقل بأن مريم عليها السلام والدة الإله، فإنه بعيد عن ولاية الله.

قال ابن القيم –رحمه الله–:

"وقول عالمهم عرقودس (أو غرغوريس) : من لم يقل إن مريم –عليها السلام– والدة الله فهو خارج عن ولاية الله"[٦].

٣– إن مريم عليها السلام صاحبة الله أو زوجته عند النصارى.

---

(١) الملكية طائفة كبيرة من فرق النصارى، وهو نسبة إلى المذهب الذي اعتنقه ملوك الرومان النصارى، لا إلى رجل يدعى ملكانيا، وهو: أنّ للمسيح طبيعتين ومشيئتين في أقنوم واحد، انظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم : (ص: ١٦٥)، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل : (١/ ٤٩٧).

(٢) تثبيت دلائل النبوة : (ص: ١١٢–١١٣).

(٣) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى : (ص: ١٦٥).

(٤) سورة مريم : (٨٨–٩٥).

(٥) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى : (ص: ١٦٦).

(٦) المصدر نفسه : (ص: ١٢٩)، وانظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل : (٣/ ٩٧).

إن النصارى كما هو معلوم جعلوا مريم عليها السلام والدة الإله، وأن المسيح عيسى عليه السلام إله لدى النصارى، فمعناه أن للرب- كما زعموا- أم ولدته، فإذا جاز أن يكون للإله أم ولدته، فإمكان أن يكون له صاحبة وزوجة أولى وأحرى.

قال القاضي عبد الجبار :

"و اعلم أن أفجاج النصارى يعتقدون أن الله اختار مريم لنفسه و لولده و تحظّاها كما يختار الرجل المرأة، و يتحظاها لشهوته لها"[1].

قال ابن القيم –رحمه الله- :

"فإنهم يقولون إنها أم المسيح ابن الله في الحقيقة، ووالدته في الحقيقة لا أم لابن الله إلا هي ولا والدة له غيرها ولا أب لابنها إلا الله وإلا ولد له سواه، وأن الله اختارها لنفسه ولولادة ولده وابنه من بين سائر النساء، ولو كانت كسائر النساء لما ولدت إلا عن وطء الرجال لها ولكن اختصت عن النساء بأنها حبلت بابن الله وولدت ابنه الذي لا ابن له في الحقيقة غيره ولا والد له سواه، وأنها على العرش جالسة عن يسار الرب تبارك وتعالى والد ابنها وابنها عن يمينه"[2].

٤- استشفاع النصارى بمريم عليها السلام ورفع مكانتها فوق النبيين والمرسلين.

قال ابن القيم –رحمه الله- :

"والنصارى يدعونها ويسألونها سعة الرزق وصحة البدن وطول العمر ومغفرة الذنوب وأن تكون لهم عند ابنها ووالده الذي يعتقد عامتهم أنه زوجها، ولا ينكرون ذلك عليهم سورا وسندا وذخرا وشفيعا وركنا، ويقولون في دعائهم: يا والدة الإله؛ اشفعي لنا، وهم يعظمونها ويرفعونها على الملائكة وعلى جميع النبيين والمرسلين، ويسألونها ما يسأل الإله من العافية والرزق والمغفرة حتى إن

---

(١) تثبيت دلائل النبوة : (ص: ١٦٥-١٦٦).

(٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى : (ص: ١٣٩)، وانظر: تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبد الجبار : (ص:١٦٤).

اليعقوبية يقولون في مناجاتهم لها: يا مريم! يا والدة الإله! كوني لنا سورا وسندا وذخرا وركنا"[1].

٥- انكار النصارى معجزة ولادة عيسى عليه السلام من مريم من غير زوج.

حيث جعل هؤلاء النصارى أن مريم عليها السلام امرأة متزوجة من يوسف النجار، ونسبوا المسيح إليه -كما سيأتي ذكر نسبه لدى النصارى-، فإذا كان الأمر كذلك، فما الفائدة إذن من سلسلة النسب هذه التي يرويها متى تارة ولوقا تارة أخرى إلا لإنكار أمر عظيم في ولادة المسيح عيسى عليه السلام التي ليست كولادة سائر البشر.

فإذا لم يكن للمسيح عليه السلام أب بالمرة، فَلِمَ كل هذا العناء الإنجيلي لإثبات علاقة نسب ليوسف النجار بالمسيح؟

وإذا كان المسيح عيسى عليه السلام لدى جميع الكنائس اليوم هو الله، فكيف يكون الله هو ابن يوسف النجار إلا أنهم سيقولون إنَّ للمسيح جانبا لاهوتيا وجانبا ناسوتيا!

وكل هذه التساؤلات يدلنا على أن مريم عليها السلام لم تكن لها معجزة وكرامة في بشارة الملائكة لها بالولد دون أي علاقة بالرجال.

قال القاضي عبد الجبار :

"و من عجيب أمر النصارى، أن أصحاب الأناجيل الأربعة قد قصدوا إلى ذكر نسب يوسف النجار خاصة، و ليس في ذلك نسب للمسيح إذ كان مولودا من غير ذكر، و إنما يتصل نسبه إلى سليمان بن داود عليهما السلام من قبل أمه لا من قبل أحد من الرجال، و هذا تخليط بيّن و جهل ظاهر، و لذلك وجد اليهود السبيل الى الطعن في المسيح، و لتعلم رحمك الله، أن هذه الطوائف من النصارى أجهل عالم الله بالمسيح و أخباره و أخبار أمه، و أن كل واحد

---

(١) المصدر نفسه : (ص: ١٤٠).

من أصحاب هذه الأناجيل إنما تلفظ ما كتبه بعد المسيح بالدهر الطويل، وبعد مضي أصحابه عمن لا يعرف و لا يحصل"[١].

٦- اتهام النصارى مريم عليها السلام بالزنا كما فعلته اليهود، عليهم من الله ما يستحقون.

وذلك لأن النصارى جعلوا لعيسى عليه السلام أبا اسمه يوسف النجار، وجعلوا لمريم زوجا، مع أن مريم لم تك تتزوج بأي رجل، ثم جعل لعيسى عليه السلام نسبا إلى يوسف، فمعناه أن مريم عليها السلام لم تكن عفيفة طاهرة، والعياذ بالله.

وقد ورد في كتاب النصارى نسب عيسى عليه السلام، وهؤلاء نسبوه إلى يوسف النجار، ثم اختلفوا كذلك في هذا النسب، بنسبين مختلفين متضاربين.

وهذا النسب جاء في إنجيل متى : "كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم. إبراهيم ولد إسحق و إسحق ولد يعقوب و يعقوب ولد يهوذا و إخوته. و يهوذا ولد فارص و زارح من ثامار و فارص ولد حصرون و حصرون ولد أرام. و أرام ولد عميناداب و عميناداب ولد نحشون و نحشون ولد سلمون. و سلمون ولد بوعز من راحاب و بوعز ولد عوبيد من راعوث و عوبيد ولد يسى. و يسى ولد داود الملك و داود الملك ولد سليمان من التي لأوريا. و سليمان ولد رحبعام و رحبعام ولد أبيا و أبيا ولد أسا. و أسا ولد يهوشافاط و يهوشافاط ولد يورام و يورام ولد عزيا. و عزيا ولد يوثام و يوثام ولد أحاز و أحاز ولد حزقيا. و حزقيا ولد منسى و منسى ولد أمون و أمون ولد يوشيا. و يوشيا ولد يكنيا و إخوته عند سبي بابل. و بعد سبي بابل يكنيا ولد شالتيئيل و شالتيئيل ولد زربابل. و زربابل ولد أبيهود و أبيهود ولد ألياقيم و ألياقيم ولد عازور. و عازور ولد صادوق و صادوق ولد أخيم و أخيم ولد

---

(١) تثبيت دلائل النبوة : (ص: ٢٢١).

اليود. و اليود ولد اليعازر و اليعازر ولد متان و متان ولد يعقوب. و يعقوب ولد يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعى المسيح"[1].

وجاء كذلك في إنجيل لوقا بنسب آخر : "و لما ابتدا يسوع كان له نحو ثلاثين سنة، و هو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالي. بن متثات بن لاوي بن ملكي بن ينا بن يوسف. بن متاثيا بن عاموص بن ناحوم بن حسلي بن نجاي بن ماث بن متاثيا بن شمعي بن يوسف بن يهوذا بن يوحنا بن ريسا بن زربابل بن شالتيئيل بن نيري بن ملكي بن أدي بن قصم بن المودام بن عير بن يوسي بن اليعازر بن يوريم بن متثات بن لاوي بن شمعون بن يهوذا بن يوسف بن يونان بن الياقيم بن مليا بن مينان بن متاثا بن ناثان بن داود بن يسى بن عوبيد بن بوعز بن سلمون بن نحشون بن عميناداب بن أرام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم بن تارح بن ناحوربن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن قينان بن أرفكشاد بن سام بن نوح بن لامك بن متوشالح بن أخنوخ بن يارد بن مهللئيل بن قينان بن أنوش بن شيت بن آدم ابن الله"[2].

وقد ورد في إنجيل متى شخص اسمه راحاب، و راحاب هذه امرأة زانية حسب ما ورد في سفر يشوع : "فأرسل يشوع بن نون من شطيم رجلين جاسوسين سرا قائلا : اذهبا انظرا الأرض و راحاب، فذهبا ودخلا بيت امرأة زانية اسمها راحاب واضطجعا هناك"[3].

ثم ورد كذلك في نسب يسوع : ويسى ولد داود الملك، وداود الملك ولد سليمان من التي لأوريا[4].

---

(١) إنجيل متى، الإصحاح الأول ، العدد : ١-١٦.

(٢) إنجيل لوقا، الإصحاح الثالث، العدد : ٢١-٣٨.

(٣) سفر يشوع، الإصحاح الأول، العدد : ٢.

(٤) سفر متى، الإصحاح الأول، العدد : ٦.

وداود –حسب كتابهم- زنى مع زوجة أوريا كما ورد في سفر صموئيل الثاني: "وكان في وقت المساء، أن داود قام عن سريره، وتمشى على سطح بيت الملك، فرأى من على السطح امرأةً تستحم، وكانت المرأةُ جميلةَ المنظر جداً. فأرسل داود، وسأل عن المرأة، فقال واحدٌ: أليست هذه بتشبع بنت أليعام، امرأة أوريا الحثي؟. فأرسل داود رسلاً، وأخذها، فدخلت إليه، فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها ثم رجعت إلى بيتها. وحَبِلت المرأة، فأرسلت وأخبرت داود، وقالت: إني حُبلى[(١)].

ثم بعد أن علم داود أنها حبلى، خطط لقتل زوجها أوريا :

"وفي الصباح كتب داود مكتوباً إلى يوآب وأرسله بيد أوريا. وكتب في المكتوب يقول: اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة، وارجعوا من ورائه، فيضرب ويموت. وكان في محاصرة يوآب المدينة أنه جعل أوربا في الموضع الذي علم أن رجال البأس فيه. فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب فسقط بعض الشعب من عبيد داود ومات أوربا الحثي أيضا"[(٢)].

وهذا نسب عيسى عليه السلام –حسب ما جاء في الإنجيل- إله النصارى، وكله زناة ومرتكبو فواحش، فلا يبقى إلا التأكيد بأن متى ولوقا كليهما يؤمنان بأن المسيح هو ابن يوسف من الزنا كما فعلته اليهود ، فوضعا سلسلتين للنسب، يظنان أنها سلسلة آباء وأجداد المسيح.

إن القرآن قد مدح نسب عيسى عليه السلام، وأن له نسبا شريفا، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [(٣)].

وبرأ الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام من اتهامات اليهود والنصارى بارتكابهم الفواحش، ووصفهم بالهدى، قال الله تعالى: ﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ

---

(١) سفر صموئيل الثاني، الإصحاح احد عشر، العدد : ٢-٥.

(٢) المصدر نفسه، العدد: ١٤-١٧.

(٣) سورة آل عمران : (٣٣).

إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

ووصف داود عليها السلام –الذي اتهمه أهل الكتاب بالزنى– بأنه أواب، قال الله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[2].

٧– إساءة الظن بمريم عليها السلام.

ومن تلك الإساءة :

- إن النصارى رموا مريم الصديقة عليها السلام بقلّة الفهم، وذلك عند قصة فقد مريم ويوسف للمسيح وهو ابن اثنتي عشرة سنة ثم وجداه في الهيكل، فأخبراه بأنهما كانا يبحثان عنه.

كما جاء في سفر لوقا : "و لما كانت له اثنتا عشرة سنة صعدوا إلى أورشليم كعادة العيد. و بعدما أكملوا الأيام بقي عند رجوعهما الصبي يسوع في أورشليم و يوسف و أمه لم يعلما. و إذ ظناه بين الرفقة ذهبا مسيرة يوم و كانا يطلبانه بين الأقرباء و المعارف. و لما لم يجداه رجعا إلى أورشليم يطلبانه. و بعد ثلاثة أيام وجداه في الهيكل جالسا في وسط المعلمين يسمعهم و يسالهم. و كل

(١) سورة الأنعام : (٨٣–٩٠).

(٢) سورة ص : (١٧).

الذين سمعوه بهتوا من فهمه و أجوبته. فلما أبصراه اندهشا و قالت له أمه: يا بني لماذا فعلت بنا هكذا، هوذا أبوك و أنا كنا نطلبك معذبين. فقال لهما: لماذا كنتما تطلبانني؟ ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون في ما لأبي. فلم يفهما الكلام الذي قاله لهما"(١).

تأمل كيف جعل النصارى مريم عليها السلام . عند أخطر المسائل . غبية لا تفهم ، وكيف لا تفهم مريم قوله عند (أبي)؟ وقد بشرها الملاك –بزعمهم- قبل حملها.

كما جاء في الإنجيل : "و ها أنت ستحبلين و تلدين ابنا و تسمينه يسوع. هذا يكون عظيما و ابن العلي يدعى و يعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه. و يملك على بيت يعقوب إلى الأبد و لا يكون لملكه نهاية. فقالت مريم للملاك: كيف يكون هذا و انا لست أعرف رجلا؟. فأجاب الملاك و قال لها: الروح القدس يحل عليك و قوة العلي تظللك، فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله"(٢).

- إن النصارى زعموا أن مريم أم المسيح عليهما السلام تنّزل من السماء على الأرض دار المطران بطليطلة في يوم معروف من السنة بكسوة تلبسها له، وهم لا يشكون في صحّة هذا ببلادهم، قال بعض من نقلها: يا ليت شعري هل نزولها بغير إذن الأب أم بإذنه؟ فإن كان ذلك بإذنه فكيف لم يرسل بعض ملائكته ورسله ويوقر أم ولده ويصونها عن التبذل لرجل من جنسها أجنبي عنها؟ وإن كانت تنْزل بغير إذنه مستبدة برأيها، فكيف يجوز من الأب أن يصطفي لنفسه خائنة تخونه وتخرج من بيته بغير إذنه إلى رجل بكسوة تكسوه وتزينه بها؟ أترون الأب لا يعلم خيانتها وترددها إلى من ليس له بمحرم؟ أو

(١) إنجيل لوقا – الإصحاح الثاني، العدد: ٤٢-٥٠.

(٢) إنجيل لوقا، الإصحاح الأول ، العدد: ٣١-٣٥.

تروئها قد عشقت المطران فهي تتردد إليه شغفاً به؟ فما بالها لا تولي ذلك غيرها من خدمها حتى تتجشم هي بنفسها؟[1].

- قول بعض النصارى أن مريم حين ولدت المسيح لم تكن عذراء، وأنها كانت ولدت قبله عدة أولاد من يوسف النجار، وذلك قول فرقة تعرف بالمريمية[2].

يقول مائير: أن عيسى عليه السلام كان له أربعة إخوة وأختان على الأقل، وهذه التفاصيل تنبثق من أناجيل مرقس ويوحنّا وكتابات بولس[3].

كما جاء في إنجيل متى : "أليس هذا ابن النجار؟ أليس أمه تدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا؟. أوليست إخواته جميعهن عندنا، فمن أين لهذا هذه كلها"[4].

- زعم النصارى إن المسيح عيسى عليه السلام لم يتكلم في المهد ولم ينطق ببراءة أمه مريم عليها السلام صغيراً، بل أقام ثلاثين سنة واليهود تقذف أمه بيوسف النجار وتحكم بأنه ولد زنا، فلزم على سياق قولهم أنه لم تلقَ أُمٌّ بسبب ولدها من الشرّ ما لقيت مريم من المسيح؛ لأنه فضحها وهتك سترها ودعا إلى رميها بالزنا، ولم يدفع عنها بحجّة تقطع شغب اليهود وهو قادر على ذلك[5].

قال القاضي :

"و ليس عندهم أن المسيح تكلم في المهد، و لا أتى ببراءة ساحة أمه، و أكثر ما عندهم أن مريم عليها السلام كانت مملكة بابن عم لها يقال له يوسف و يعقوب النجار"[6].

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل : (٣/ ١٠٦).

(٢) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل : (٣/ ١٢٦).

(٣) الإنجيل قادني إلى الإسلام : (ص: ١٤).

(٤) سفر متى، الإصحاح الثلاث عشرة، العدد: ٥٥-٥٦.

(٥) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: (٣/ ١٤٢).

(٦) تثبيت دلائل النبوة : (ص: ٢١٩).

المبحث الثالث: موقف الإسلام من مريم عليها السلام.

تتبوأ السيدة مريم عليها السلام مكانة عظيمة في قلوب المسلمين ونفوسهم، ولها شرف عظيم ودرجة عالية في دينهم، ولم يتحدث عنها القرآن الكريم ولا السنة النبوية إلا بكل احترام وتكريم، فمريم عليها السلام المرأة العظيمة التي اصطفاها الله سبحانه وتعالى قبل أن يخلقها لخدمة بيت الله المقدس، وستلد نبيا عظيما بمعجزة إلهية، قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [1]، ثم قال عنها سبحانه ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ [2]، وقال تعالى: ﴿ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [3].

فهذه الآيات وغيرها تظهر مكانة هذه المرأة المباركة عند الإسلام والمسلمين، فهي مصطفاة مطهرة من الله تعالى على نساء العالمين.

ومن مكانة مريم عليها السلام عند الإسلام والمسلمين أن الله تعالى ذكرها كثيرا في القرآن الكريم، إذ ذكرها باسمها الصريح أربعا وثلاثين مرة دون أن يذكر غيرها من النساء باسمها الصريح، بل سمى القرآن الكريم سورة من سورة باسمها ، وهي المرأة الوحيدة التي سميت باسمها سورة في القرآن، وهذا دال على عظيم مكانتها وشرف منزلتها وعلى صدق النبي صلى الله عليه وسلم، إذ لو كان القرآن من عنده لتحدث عن بناته وزوجاته ولسمى إحدى السور باسم إحداهن ، ولم يذكر في القرآن الكريم اسم إحدى زوجاته بأسمائهن، بينما ذكرت مريم عليها السلام، وكذلك سورة آل عمران التي تتحدث عن مريم عليها السلام وسميت باسم أقاربها وأهلها.

وإن مريم عليها السلام ممن فضل الله تعالى على عالم زمانها من النساء، والمسلمون يؤمنون بأنها صديقة طاهرة عفيفة، وكيف لا؟ وقد أخبر الله تعالى في كتابه ورسوله في

---

(١) سورة آل عمران : (٣٥).

(٢) سورة آل عمران : (٣٧).

(٣) سورة آل عمران : (٤٢).

سنته، كيف يُبرأ مريم عليها السلام من قول أعدائها اليهود الجفاة والنصارى الغلاة، إذ هما على طرفي نقيض تجاه مريم عليها السلام.

وإن في مريم عليها السلام لآية لمن تدبرها وتأملها، وفي قصصها عبر وعظة لمن بعدها، وأن الإسلام عظم شأنها ورفع مكانتها، وأجاب عن كل التهم التي رميت بها.

وقد تقدم ذكر فضائل ومكانتها عليها السلام عند المسلمين في المبحث السابق.

الباب الخامس

قرابة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

وفيه تمهيد وثلاثة فصول:

تمهيد : لمحة عن نبوة ورسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

الفصل الأول : والدا النبي صلى الله عليه وسلم.

الفصل الثاني : زوجات النبي صلى الله عليه وسلم.

الفصل الثالث : عم النبي صلى الله عليه وسلم أبو طالب.

تمهيد.

لمحة عن نبوة ورسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

لما كمل لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم أربعون سنة، أكرمه الله تعالى بالرسالة وبعثه إلى الخلق واختصه بالآيات والكرامات، وجعله صلى الله عليه وسلم أمينا بينه وبين عباده، وختم ببعثه الرسالات.

قال ابن هشام –رحمه الله- :

"فلما بلغ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة بعثه الله تعالى رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا"[١].

فلما كان في رمضان من السنة الحادية والأربعين وهو عليه الصلاة والسلام معتكف بغار حراء يذكر الله تعالى ويعبده جاءه جبريل عليه السلام بالنبوة والوحي، وقد حُبب إليه ذلك.

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه – وهو التعبد- الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ؟

قال : ما أنا بقارئ.

قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال : اقرأ؟

قلت: ما أنا بقارئ.

قال : فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال : اقرأ؟

قلت: ما أنا بقارئ.

فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾[٢].

---

(١) السيرة النبوية : (٢/ ٦٤-٦٥).

(٢) سورة العلق : (١-٣).

فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زملوني زملوني ؟ فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي.

فقالت خديجة : كلا والله، ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة : يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك؟

فقال له ورقة : يا ابن أخي، ماذا ترى؟

فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى.

فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مخرجي هم؟

قال : نعم، لم يأتي رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي[1].

وكان الوحي قد فتر وانقطع بعد أول نزوله في غار حراء، ودام هذا الانقطاع أياما، وقد أعقب ذلك النبي صلى الله عليه وسلم شدة وكآبة وحزنا، ولكن المصلحة كانت في هذا الانقطاع، فقد ذهب عنه الروع وثبت من أمره وتهيأ لاحتمال مثل ما سبق حين يعود.

قال ابن حجر –رحمه الله-:

"وفتور الوحي عبارة عن تأخره مدة من الزمان وكان ذلك ليذهب ما كان صلى الله عليه و سلم وجده من الروع وليحصل له التشوف إلى العود"[2]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم : (٣)، مع الفتح: (١/٥٣-٥٤).

(٢) فتح الباري : (١/ ٦٢).

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم لما ثبت عليه أمر النبوة وعرف أن ما جاءه من سفير الوحي من السماء حق، صار تشوفه وارتقابه لمجيئ الوحي سببا في ثباته واحتماله عندما يعود، فجاءه جبريل عليه السلام للمرة الثانية بالوحي، كما ثبت من حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: جاورت بحراء، فلما قضيت جواري هبطت فنديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئا، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئا ، ونظرت أمامي فلم أر شيئا، ونظرت خلفي فلم أر شيئا، فرفعت رأسي فرأيت شيئا، فأتيت خديجة فقلت : دثروني وصبوا علي ماء باردا، قال: فدثروني وصبوا علي ماء باردا، قال : فنزلت ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾[1][2].

فالنبي صلى الله عليه وسلم أول ما نزل عليه ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾[3]، وصار بها نبيا، ثم بعد مدة يسيرة جاءه جبريل عليه السلام بـ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾[4]، فصار عليه الصلاة والسلام رسولا.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله–:

نبئ ب، (اقرأ)، وأرسل بـ (المدثر) [5].

فبدأ النبي صلى الله عليه وسلم دعوته لأقرب الناس إليه وألصقهم به وآل بيته وأصدقائه، فدعاهم إلى الإسلام، ودعا إليه كل من توسم فيه خيرا ممن يعرفهم ويعرفونه، فأجاب من هؤلاء جمع، عرف أنهم من السابقين الأولين، وفي مقدمتهم أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وابن عمه علي بن أبي طالب، ومولاه زيد بن ثابت، وصديقه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، أسلم هؤلاء في أول أيام الدعوة.

---

(١) سورة المدثر : (١–٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب سورة المدثر، حديث رقم: (٤٩٢٢)، مع الفتح : (١١/٣٩).

(٣) سورة العلق : (١–٣).

(٤) سورة المدثر : (١–٣).

(٥) شرح الأصول الثلاثة، شرح ابن باز : (ص: ٣٥).

فبدأ كل واحد منهم يدعو إلى دين الله تعالى، فهذا أبو بكر أسلم على يديه عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله وغيرهم ممن أسلم على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين، ثم أسلم كثير من أهل مكة حتى صار عددهم أكثر من أربعين نفرا.

قال ابن إسحاق –رحمه الله–:

"ثم دخل الناس في الإسلام أرسالا من الرجال والنساء حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتحدث به، ثم إن الله عز وجل أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يصدع بما جاءه منه وأن يبادي الناس بأمره وأن يدعو إليه وكان بين ما أخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين فيما بلغني من مبعثه، ثم قال الله تعالى له: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [1]، وقال تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [2] ﴿ وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [3][4].

فانقضت الدعوة السرية، فدخلت في الطور الثاني وهو الجهر بالدعوة باللسان فقط دون القتال، وامتدت هذه الفترة عشر سنوات، وبدأ الصراع بين أهل الحق من المؤمنين والمجتمع الجاهلي حيث جهر النبي صلى الله عليه وسلم وأعلن ضلالة المشركين بعباد الأصنام، ودعا هم إلى ترك آلهتهم المزعومة والدخول في عبادة الله وحده لا شريك له، وترك العادة المذمومة والأخلاق القبيحة، والتحلي بمكارم الأخلاق وفضائل الخصال، ولكن المشركين أبوا ذلك ولم يستمعوا إلى صوت الحق وأصرّوا على ما كانوا عليه آباؤهم.

وأعلن مشركو مكة حربا على النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من أهل التوحيد وصبوا عليهم ألوانا من الأذى والضرر من سب وشتم وتعذيب وتنكيل وإضرار بالمال

---

(١) سورة الحجر : (٩٤).

(٢) سورة الشعراء : (٢١٤-٢١٥).

(٣) سورة الحجر : (٨٩).

(٤) انظر: السيرة النبوية لابن هشام : (٢/ ٩٧).

والبدن والأهل والولد حتى وصل الأمر إلى قتل بعض المؤمنين والمؤمنات، واتهم المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهم والأكاذيب الباطلة، قالوا إنه مجنون، وساحر وغير ذلك كما ذكر الله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [(١)]، وقال: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [(٢)]، وأكثروا من السخرية والاستهزاء والطعن وأثاروا حول النبي صلى الله عليه وسلم أنواعا من الشبهات الباطلة والافتراءات الكاذبة وسعوا في الحيلولة بين الناس وبين الدعوة وسماع آيات الله بكل السبل، ولم يتورعوا عن الإيذاء البدني والتآمر على قتله صلى الله عليه وسلم، فكان أحدهم يلقي عليه رحم الشاة وهو يصلى، والآخر يضع القذر في طعامه، وآخرون يلقون بالقاذورات على باب بيته، ورمى أحدهم بسلا الإبل بين كتفيه وهو ساجد يصلى لله تعالى ليضحك الكافرين عليه إلى غير ذلك من أنواع الأذى.

جاء في الصحيح عن عروة بن الزبير رضي الله عنه، قال : سألت عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال: رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي، فوضع رداءه في عنقه فخنقه به خنقا شديدا فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه فقال: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ [(٣)(٤)].

واشتد أذى قريش لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى أذن الله لهم بالهجرة واختاروا الحبشة، حيث يجدون ملكا عادلا لن يظلموا عنده، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو خرجتم إلى الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهي

---

(١) سورة الحجر : (٦).

(٢) سورة ص: (٤).

(٣) سورة غافر : (٢٨).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : لو كنت متخذا خليلا، قاله أبو سعيد، حديث رقم : (٣٦٧٨)، مع الفتح : (٨/٣٤٠-٣٤١).

أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا) [1]، ثم هاجر المسلمون ثانية إلى الحبشة بعدد أكبر من العدد الأول.

وفي موسم الحج جاء اثنا عشر رجلا من أهل يثرب وقد آمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم، والتقوا مع رسول الله في العقبة ودارت بينهم وبين الرسول مباحثات في غاية الأهمية، فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كما ثبت عن عبادة بن الصامت قال : كنت فيمن حضر العقبة الأولى وكنا أثنى عشر رجلا فبايعنا رسول الله صلى الله عليه و سلم على بيعة النساء وذلك قبل أن يفترض الحرب على أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف فان وفيتم فلكم الجنة وإن غشيتم من ذلك شيئا فأمركم إلى الله إن شاء عذبكم وإن شاء غفر لكم[2]، ثم سافروا إلى المدينة فأرسل إليهم مصعب بن عمير رضي الله عنه ليدعو أهل يثرب إلى الإسلام.

ثم في العام الذي بعده في موسم الحج خرج وفد أهل يثرب للحج وكانوا اكثر من ثلاثمائة، خمسة وسبعون منهم من المسلمين، وكانوا على موعد مع رسول الله منذ بيعة العقبة الأولى، وهؤلاء قد عزموا على نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أن يأتوا إلى مكة، كما يصف جابر رضي الله عنه كلام الأنصار :حتى متى نترك رسول الله صلى الله عليه و سلم يطرد في جبال مكة ويخاف[3]، ثم تم اللقاء مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وسمي بيعة العقبة الثانية.

ثم جاء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة بعد أن هيأ الله تعالى له، وسافر مع صاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعد أن سبقهما بعض

---

(١) السيرة لابن إسحاق : (٢/١٥٤)، وانظر: مسند أحمد بن حنبل : (٤/ ٢٥٩) حديث رقم: (١٨٣٠٤).

(٢) مسند أحمد بن حنبل : (٥/ ٣٢٣)، حديث رقم : (٢٢٨٠٦).

(٣) مسند أحمد بن حنبل : (٣/ ٣٢٢) حديث رقم : (١٤٤٩٦)، والحاكم في المستدرك : (٦٨١/٢)، كتاب الهجرة الأولى إلى الحبشة، حديث رقم : (٤٢٥١) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد جامع لبيعة العقبة ولم يخرجاه، والبيهقي في السنن، باب كيفية البيعة، حديث رقم : (١٦٣٣٣)، وابن حبان في صحيه، باب بدء الخلق، حديث رقم : (٦٢٧٤).

المسلمين حتى وصلا إلى المدينة سالمين، وفرح أهل المدينة بوصول الرسول الأمين، فبدأ مرحلة جديدة لإبلاغ دين الإسلام، ثم تتابع مسلمو مكة في القدوم إلى المدينة، وأسس النبي صلى الله عليه وسلم العلاقة بين المجتمع المدني حتى يكونوا أمة واحدة.

قال ابن اسحاق –رحمه الله-:

"فلما أذن الله تعالى له صلى الله عليه وسلم في الحرب وبايعه هذا الحي من الأنصار على الإسلام والنصرة له ولمن اتبعه وأوى إليهم من المسلمين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها واللحوق بإخوانهم من الأنصار، وقال: إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها فخرجوا أرسالا وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة"[(١)].

وقد وصف الله تعالى الأنصار الذين نصروا الرسول صلى الله عليه وسلم ورسالته والمهاجرين بصفات كريمة جليلة في كتابه العزيز، قال الله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[(٢)].

وثبت عن أنس رضي الله عنه قال : قال المهاجرون : (يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلا في كثير لقد كفونا المؤنة وأشركونا في المهن حتى لقد حسبنا أن يذهبوا بالأجر كله، قال: لا، ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله عز و جل لهم)[(٣)].

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام : (٢/ ٣١٤).

(٢) سورة الحشر : (٨-٩).

(٣) مسند أحمد بن حنبل: (٣/ ٢٠٠) حديث رقم: (١٣٠٩٧)، وابن أبي شيبة في المصنف: (٦٨/٩)، حديث رقم : (٢٧٠٤١)، والطبراني في المعجم الأوسط : (٢٠٩/٧)، حديث رقم: (٧٢٩٢).

واستمر النبي صلى الله عليه وسلم ينشر دعوته للتوحيد ومكارم الأخلاق التي تتوافق مع الفطرة السليمة والعقول الصحيحة، فأخذ عدد المسلمين يزداد يوما بعد يوم حتى أذن الله لهم بمقاومة أعدائهم ودخل المسلمون في كثير من المعارك والحروب التي تستهدف رد اعتداءات الكافرين وإسقاط سلطان الطواغيت المستبدين الذين يعيشون في الأرض فسادا ويصدون الناس عن الإيمان بالله وتوحيده.

ووفد القبائل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلنوا إسلامهم، ودخل الناس في دين الله أفواجا، وأكمل الله تعالى له الدين، فنزل قول الله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[1].

قال ابن كثير –رحمه الله-:

"هذه أكبر نعم الله عز وجل، على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم، صلوات الله وسلامه عليه؛ ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف"[2].

ثم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الضحى من يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة صلوات الله عليه وسلامه، وهو من أشد الأيام التي مرت على المسلمين.

وقد وصف أنس رضي الله عنه اليوم الذي مات فيه الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا : "ما رأيت يوما قط كان أحسن ولا أضوء من يوم دخل علينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما رأيت يوما كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم" [3].

---

(١) سورة المائدة : (٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم : (٣/ ٢٦).

(٣) شرح السنة للبغوي : (١٤/ ٥٠).

وحكى أنس بن مالك الأنصاري رضي الله عنه ذلك اليوم، وكان تبع النبي صلى الله عليه وسلم وخدمه وصحبه، فقال: "إن أبا بكر كان يصلي لهم في وجع النبي صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه، حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة، فكشف النبي صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة ينظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسم يضحك فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبي صلى الله عليه وسلم فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف وظن أن النبي صلى الله عليه وسلم خارج إلى الصلاة، فأشار إلينا النبي صلى الله عليه وسلم أن أتموا صلاتكم وأرخى الستر فتوفي من يومه" [(١)]، وهو صلى الله عليه وسلم مستند إلى حجر عائشة رضي الله عنها بعد أن فرغ من السواك الذي هيأته له حتى رفع يده أو إصبعه وشخص بصره نحو السقف وتحركت شفتاه، فأصغت إليه عائشة رضي الله عنها وهو يقول: (مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، اللهم اغفر لي وارحمني والحقني بالرفيق الأعلى)[(٢)]، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، حديث رقم : (٦٨٠)، مع الفتح: (٥٣٦/٢).

(٢) انظر البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، حديث رقم : (٤٤٣٨)، مع الفتح: (٦٠٠/٩)، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها، حديث رقم : (٦٢٩٣)، ص: (١٠١٩).

الفصل الأول

والدا النبي صلى الله عليه وسلم

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول : أبو النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني : أم النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثالث : الأقوال في مصير والدي النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الرابع : وصف أبوي النبي صلى الله عليه وسلم بالكفر ليس نقصا في حق النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الخامس : حكم زيارة قبر الكافر.

المبحث الأول : أبو النبي صلى الله عليه وسلم.

المطلب الأول : اسمه ونسبه ونشأته.

هو عبدالله بن عبد المطلب –واسم عبد المطلب شيبة– بن هاشم –واسم هاشم عمرو– بن عبد مناف –واسم عبد مناف المغيرة– بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة – واسم مدركة عامر– بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[1].

وكان عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصغر ولد عبد المطلب، وكان عبد الله والزبير وأبو طالب بنو عبد المطلب لأم واحدة، وأمهم جميعا فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم كما قال ذلك ابن إسحاق، وزاد الآخرون عبد الكعبة وعاتكة وبرة وأميمة[2].

وكان عبد المطلب أيام الجاهلية نذر، أنه إذا سهل الله له حفر بئر زمزم، وتم أبناؤه عشرة لينحرن أحدهم قربانا لله تعالى عند الكعبة، فلما وفّى أولاده عشرة جمع قريشا وأخبرهم بنذره، فأقرع بين أولاده، فكلما قرع خرج سهم عبد الله وهو من أحب الأولاد إليه وأحسنهم وأعفهم ، ثم لما أراد ذلك منعته قريش، فأشارت إليه امرأة فقالت: ارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشرا من الإبل ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح، فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم، فخرجوا حتى قدموا مكة، فلما أجمعوا على ذلك الأمر قام عبد المطلب يدعو الله ثم قربوا عبد الله وعشرا من الإبل ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا، فلم يزالوا يزيدون عشرا عشرا ويخرج القدح على عبد الله حتى بلغت الإبل مائة، ثم ضربوا فخرج القدح على الإبل فقالت عند ذلك قريش لعبد المطلب وهو قائم عند هبل يدعو الله: قد انتهى، رضى ربك يا عبد المطلب[3].

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام : (١/ ٨٩).

(٢) تاريخ الأمم والملوك : (١/ ٤٩٧).

(٣) البداية والنهاية لابن كثير : (٢/ ٣٠٧)، وانظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري : (١/ ٤٩٧- =

ثم زوجها عبد المطلب بآمنة بنت وهب، وأقام عندها ثلاثا، لأن ذلك كان من عادتهم، ثم توفي والد النبي صلى الله عليه وسلم، حينما خرج إلى الشام تاجرا، فأقبل في عير قريش، فنزل بالمدينة وهو مريض فتوفي فيها، وله إذ ذاك خمس وعشرون سنة، وقد اختلف المؤرخون في وفاة عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم.

قال ابن إسحاق: هلك عبدالله بن عبدالمطلب أبو رسول الله صلى الله عليه و سلم وأم رسول الله آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة حامل به.

وقال هشام : توفي عبدالله أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما أتى على رسول الله صلى الله عليه و سلم ثمانية وعشرون شهرا[١].

وقال الآخر : توفي عبد الله وللنبي صلى الله عليه وسلم سبعة أشهر، وقيل شهران.

والأول هو المشهور، لأنه قد جاء عن ابن هشام رواية أخرى تدل على وفاة عبد الله والد الرسول صلى الله عليه وسلم وأمه حامل به[٢].

وقد رجح به غير واحد، كابن سعد والرازي والذهبي وابن القيم وابن كثير[٣] -رحمهم الله-.

قال ابن سعد -رحمه الله- بعد أن ذكر الخلاف :

"والأول أثبت أنه توفي ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل"[٤].

وقال ابن القيم -رحمه الله -:

"واختلف في وفاة أبيه عبد الله هل توفي ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل أو توفي بعد ولادته ؟ على قولين أصحهما : أنه توفي ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل"[٥].

---

٤٩٩).

(١) انظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري : (١/ ٤٥٨).

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام : (١/ ٢٩٤).

(٣) انظر: السيرة النبوية لابن كثير : (١/ ٢٠٦)، مفاتيح الغيب : (٣١/ ١٩٦).

(٤) الطبقات الكبرى : (١/ ١٠٠).

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد : (١/ ٧٠).

المطلب الثاني : ما جاء في كونه الذبيح الثاني.

إن أمر عبد المطلب في ذبح أحد أولاده إذا بلغوا عشرة أمر معروف وقد تقدم ذكره، ثم رُوي ما يدل على كون عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم أنه هو الذبيح الثاني بعد جده إسماعيل عليه السلام، فقد روى الحاكم وغيره من طريق عبد الله بن سعيد الصنابحي قال : حضرنا مجلس معاوية بن أبي سفيان فتذاكر القوم إسماعيل و إسحاق بن إبراهيم فقال بعضهم : الذبيح إسماعيل و قال بعضهم : بل إسحاق الذبيح فقال معاوية : سقطتم على الخبير، كنا عند رسول الله صلى الله عليه و سلم فأتاه الأعرابي فقال : يا رسول الله، خلفت البلاد يابسة و الماء يابسا هلك المال و ضاع العيال فعد علي بما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين؟ فتبسم رسول الله صلى الله عليه و سلم و لم ينكر عليه فقلنا : يا أمير المؤمنين و ما الذبيحان ؟ قال : إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله إن سهل الله أمرها أن ينحر بعض ولده فأخرجهم فأسهم بينهم فخرج السهم لعبد الله فأراد ذبحه فمنعه أخواله من بني مخزوم و قالوا : أرض ربك وافد ابنك، قال: ففداه بمائة ناقة قال: فهو الذبيح و إسماعيل الثاني[1].

فهذا أمر معروف ومشتهر لدى الناس، ولكن العلماء – رحمهم الله تعالى – قد تكلموا في هذا الحديث وقالوا بعدم ثبوته.

قال ابن كثير –رحمه الله– عن سند هذا الحديث :

"وهذا حديث غريب جدا"[2].

وقال السيوطي –رحمه ا لله– :

"هذا حديث غريب وفي إسناده من لا يعرف حاله"[3].

وقال الألباني –رحمه الله–:

"لا أصل له بهذا اللفظ"[4].

---

(١) المستدرك على الصحيحين : (٢/ ٦٠٤)، ذكر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، حديث رقم : (٤٠٣٦)، قال الذهبي في التلخيص : إسناده واه.

(٢) تفسير القرآن العظيم : (٧/ ٣٥).

(٣) الحاوي للفتاوي : (١/ ٣٠٧).

(٤) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١/ ٥٠٠)

المبحث الثاني : أم النبي صلى الله عليه وسلم.

المطب الأول : اسمها ونسبها ونشأتها.

واسم أم النبي صلى الله عليه وسلم آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان(١).

وقد التقى نسبها بنسب والد النبي صلى الله عليه وسلم في عبد مناف، ونشأت أم النبي صلى الله عليه وسلم في أسرة عريقة النسب، مشهود لها بالشرف والأدب، اتسمت بالبيان وعرفت بالذكاء وطلاقة اللسان، وتعد من أفضل نساء قريش نسبا ومكانة، وكانت تعرف بـ زهرة قريش، وهي يومئذ سيدة نساء قومها.

وتزوجها عبد الله بن عبد المطلب، قال ابن إسحاق: ثم انصرف عبد المطلب آخذا بيد ابنه عبد الله ... فخرج به عبد المطلب حتى أتى وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر وهو يومئذ سيد بني زهرة سنا وشرفا، فزوجه ابنته آمنة بنت وهب وهي يومئذ سيدة نساء قومها فزعموا أنه دخل عليها حين أملكها مكانه فوقع عليها فحملت منه برسول الله صلى الله عليه وسلم"(٢).

ثم توفي عبد الله والد الرسول صلى الله عليه وسلم في سفره، وأمه حامل به، ثم لما بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم من عمره ست سنوات، أخذته أمه وذهبت به إلى المدينة حيث يمكث أخوال أبيه هناك، ثم لما رجع إلى مكة مرضت بالطريق وتوفيت بالأبواء.

قال ابن اسحاق –رحمه الله-:

"حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنة توفيت ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ست سنين بالأبواء بين مكة

---

(١) الحاوي للفتاوي : (١/ ٣٠٧).

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام : (١/٢٣٨)، والروض الأنف للسهيلي : (١/٢١٠)، والسيرة النبوية لابن كثير : (١/١٠٣).

والمدينة، وكانت قد قدمت به على أخواله من بني عدي بن النجار[1] تزيره إياهم، فماتت وهي راجعة به إلى مكة"[2].

وقال ابن القيم –رحمه الله-:

"ولا خلاف أن أمه ماتت بين مكة والمدينة " بالأبواء " منصرفها من المدينة من زيارة أخواله ولم يستكمل إذ ذاك سبع سنين"[3].

---

(١) قال ابن هشام : أم عبد المطلب بن هاشم سلمى بنت عمرو النجارية فهذه الخئولة التي ذكرها ابن إسحاق لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم، انظر: السيرة النبوية لابن هشام : (١/ ٣٠٦).

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام : (١/ ٣٠٥).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد : (١/ ٧٠).

المطلب الثاني : رؤياها على إثر ولادتها للنبي صلى الله عليه وسلم.

تقدم بين يدي بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بشارات وإرهاصات تمهد لرسالته وتبشر برسالته وعلو مكانته، منها ما كان عند ولادته ومنها ما كان بعدها حال صباه وطفولته وقبل بعثته صلى الله عليه وسلم، وبشرت الكتب السماوية السابقة التوراة والإنجيل، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في مواضع عدة، كقول الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام لما رفع البيت: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1].

وفي قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾[2].

وكان من تلك المبشرات والإرهاصات أنه صلى الله عليه وسلم عندما حملت به أمه آمنة رأت في منامها أنه خرج منها نور بلغ الشام.

فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم الأحاديث التي تدل على ذلك، ومنها:

- ما رواه الحكم وابن إسحاق والطبري بإسناده عن عرباض بن سارية رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : (إني عبد الله و خاتم النبيين و أبي منجدل في طينته و سأخبركم عن ذلك، أنا دعوة أبي إبراهيم و بشارة عيسى و رؤيا أمي آمنة التي رأت، و كذلك أمهات النبيين يرين و أن أم رسول الله صلى الله عليه و سلم رأت حين وضعته له نورا أضاءت لها قصور الشام، ثم تلا : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾)[3][4].

---

(١) سورة البقرة : (١٢٩).

(٢) سورة الصف : (٦).

(٣) سورة الأحزاب : (٤٥-٤٦).

(٤) المستدرك على الصحيحين : (٢/ ٤٥٣)، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، وانظر: السيرة النبوية لابن هشام : (١/ ٣٠٢)، تاريخ الأمم والملوك للطبري : (١/ ٤٥٨)، =

قال ابن حجر –رحمه الله-:

"فلما ولدت خرج منها نور أضاء له البيت والدار، وشاهده حديث العرباض بن سارية قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: إني عبد الله وخاتم النبيين وأن آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم عن ذلك إني دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات النبيين يرين وأن أم رسول الله صلى الله عليه و سلم رأت حين وضعته نورا أضاءت له قصور الشام، أخرجه أحمد وصححه بن حبان والحاكم"[1].

وقال الهيثمي –رحمه الله-:

"وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح، غير سعيد بن سويد وقد وثقه ابن حبان"[2].

- وروى الطبراني أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر : (ورأت أم رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامها أنه خرج من بين رجليها سراج أضاءت له قصور الشام)[3].
- وذكره أبو نعيم بإسناده عن عثمان بن أبي العاص قال : أخبرتني أمي ، أنها حضرت آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ضربها المخاض قالت : فجعلت أنظر إلى النجوم تدلى ، حتى قلت : لتقعن علي ، فلما وضعت خرج منها نور أضاء له البيت والدار ، حتى جعلت لا أرى إلا نورا[4].

وذكر ابن حجر –رحمه الله- حديث مخزوم بن هانئ المخزومي عن أبيه قال: وكان قد أتت عليه خمسون ومائة سنة قال: "لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه و سلم انكسر إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرافة وخمدت نار فارس ولم

السلسلة الصحيحة للألباني : (٤/ ١١٩).

(١) فتح الباري : (٨/٢٢٩).

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : (٨/ ١٦٣).

(٣) المعجم الكبير للطبراني : (٢٢/٣٣٣)، حديث رقم : (٨٣٥).

(٤) دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (١/١٣٥)، في ذكر حمل أمه ووضعها وما شاهدت من الآيات، حديث رقم : (٧٦).

تخمد قبل ذلك بألف عام، وغاضت بحيرة ساوة ورأى الموبذان إبلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها"[١].

وهذه من بعض بشارات نبوته صلى الله عليه وسلم وإرهاصاتها، وأما دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وسلم فكثيرة، أعظمها القرآن الكريم[٢] وانشقاق القمر[٣].

---

(١) فتح الباري : (٨/٢٢٩-٢٣٠).

(٢) كما في حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحى الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة، رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه و سلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملة، حديث رقم : (٣٨٥)، (ص:١٢٣).

(٣) كما في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اشهدوا، رواه البخاري في كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آية، فأراهم انشقاق القمر، حديث رقم : (٣٦٣٦)، مع الفتح : (٨/٣٠٣)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب انشقاق القمر، حديث رقم : (٧٠٧١)، وقال ابن كثير –رحمه الله– عند قول الله تعالى ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١، ٢] : "وقد اتفق العلماء مع بقية الائمة على أن انشقاق القمر كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد وردت الاحاديث بذلك من طرق تفيد القطع عند الامة"، انظر: البداية والنهاية : (٦/ ٨٢).

المبحث الثالث : الأقوال في مصير والدي النبي صلى الله عليه وسلم.

وقبل أن نبدأ في تحرير هذه المسألة تجدر الإشارة إلى أن الخوض في هذه المسألة والسؤال عنها لا يستحسنه كثير من أهل السنة.

قال ابن عثيمين –رحمه الله– وقد سئل عن ذلك:

"هذا السؤال ليس من الأسئلة التي يستحسن أن يسأل عنها؛ لأنه لا فائدة منها إطلاقاً، ولكن بعد السؤال عنها لابد من الجواب"[(١)].

ثم ليس من وراء الخوض في هذه المسألة كبير فائدة، لأن في هذه المسألة وأمثالها ليست مما يحتاجه المسلمون في الدعوة إلى الله تعالى لنشر دينهم والتمسك بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[(٢)].

وقد كان مذهب سلفنا أنهم إذا سئلوا أسئلة لا تنفع السائل في دينه أو دنياه لا يجيبوه.

قال القرافي –رحمه الله–[(٣)]:

"ينبغي للمفتي إذا جائته فتيا في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو فيما يتعلق في الربوبية، يسأل فيها عن أمور لا تصلح لذلك السائل لكونه من العوام الجلف، أو يسأل عن المعضلات ودقائق الديانات ومتشابه الآيات والأمور التي لا يخوض فيها الأكابر

---

(١) فتاوى نور على الدرب لابن عثيمين : (١٤/ ٥٢).

(٢) سورة البقرة : (١٣٤، ١٤١).

(٣) هو أحمد بن أبي العلاء إدريس بن عبد الرحمن ابن عبد الله الصهاجي البهفشي، من قبائل صهاج، شهاب الدين أبو العباس القرافي، ونسب إلى القرافة ولم يسكنها وإنما سئل عنه عند تفرقة الجامكية بمدرسة الصاحب ابن شكر فقيل هو بالقرافة، فقال بعضهم: اكتبوه القرافي، فلزمه ذلك، وكان مالكياً إماماً في أصول الفقه وأصول الدين عالماً بالتفسير وبعلوم أخر، ولد سنة ٦٢٦ هـ وتوفي سنة ٦٨٤هـ بمصر ، انظر: هدية العارفين : (١/ ٩٩)، الوافي بالوفيات (١٤٦/٦).

العلماء، ويعلم أن الباعث له على ذلك إنما هو الفراغ والفضول والتصدي لما لا يصلح له فلا يجيبه أصلا، ويظهر له الإنكار لمثل هذا"...اهـ[1].

ولكن حيث أن البحث متعلق لما يتعلق بقرابات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من المباحث العقدية، كان لا مناص الكلام في هذه المسائل وذكر النصوص وأقوال أهل العلم في ذلك.

---

(١) الإحكام في تمييز الفتاوى : (٢٦٤).

المطلب الأول: مذهب أهل السنة.

المسألة الأولى: قول من قال إنهما في النار.

قد ذهب كثير من العلماء –رحمهم الله– كأبي حنيفة والبيهقي وابن تيمية وابن كثير –رحمهم الله– وغيرهم إلى أن والدي النبي صلى الله عليه وسلم ليسا من أهل الجنة، وذلك لأدلة كثيرة، منها:

أولا: الأدلة من الكتاب العزيز.

- ما ورد في سبب نزول قول الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾[1].

فقد روى ابن جرير وغيره عن محمد بن كعب قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليت شعري ما فعل أبواي؟ ليت شعري ما فعل أبواي؟ ليت شعري ما فعل أبواي؟" ثلاثا، فنزلت: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾، فما ذكرهما حتى توفاه الله)[2].

---

(١) سورة البقرة: (١١٩).

(٢) جامع البيان للطبري: (٢/ ٥٥٨)، إلا أنهما حديثان مرسلان. فإن محمد بن كعب بن سليم القرظي: تابعي، ثم هما إسنادان ضعيفان أيضًا، بضعف راويهما: موسى بن عبيدة بن نشيط الربذي: ضعيف جدا، قاله ابن حجر في تهذيب التهذيب: (١/ ١٧٠)، قال البخاري في التاريخ الكبير: (٧/ ٢٩١) و التاريخ الصغير (٢/ ٨٧): "منكر الحديث قاله أحمد بن حنبل، وقال علي بن المديني، عن القطان: كنا نتقيه تلك الأيام". وأورد ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل: (٨/ ١٥٢) عن الجوجزاني قال: "سمعت أحمد بن حنبل يقول: لا تحل الرواية عندي عن موسى بن عبيدة، قلنا: يا أبا عبد الله، لا يحل؟ قال: عندي، قلت: فإن سفيان وشعبة قد رويا عنه؟ قال: لو بان لشعبة ما بان لغيره ما روى عنه". وقال ابن معين: "لا يحتج بحديثه". وقال أبو حاتم: "منكر الحديث"، وقال ابن كثير –رحمه الله– في تفسيره: (١/ ٤٠١): وقد رد ابن جرير هذا القول المروي عن محمد بن كعب القرظي وغيره في ذلك، لاستحالة الشك من الرسول صلى الله عليه وسلم في أمر أبويه، واختار القراءة الأولى، وهذا الذي سلكه هاهنا فيه نظر، لاحتمال أن هذا كان في حال استغفاره لأبويه قبل أن يعلم أمرهما، فلما علم ذلك تبرأ منهما، وأخبر عنهما أنهما من أهل النار كما ثبت ذلك في الصحيح...والله أعلم.

- قال الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾[1].

ووجه الاستدلال من هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر لأمه، فنهاه الله تعالى عن ذلك، ثم استدل رسول الله صلى الله عليه وسلم بفعل أبيه إبراهيم عليهما الصلاة والسلام في استغفاره لأبيه، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ ﴾[2].

جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : "خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم ينظر في المقابر و خرجنا معه، فأمرنا فجلسنا ثم تخطا القبور حتى انتهى إلى قبر منها فناجاه طويلا ثم ارتفع نحيب رسول الله صلى الله عليه و سلم باكيا، فبكينا لبكائه ثم أقبل إلينا فتلقاه عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله ما الذي أبكاك فقد أبكانا و أفزعنا ؟ فجاء فجلس إلينا فقال : أفزعكم بكائي ؟ فقلنا : نعم يا رسول الله فقال : إن القبر الذي رأيتموني أناجي فيه قبر أمي آمنة بنت وهب، و إني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي فيه فاستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي فيه و نزل علي: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ حتى ختم الآية ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ ﴾ فأخذني ما يأخذ الولد لوالده من الرقة فذلك الذي أبكاني"[3].

---

(١) سورة التوبة : (١١٣-١١٤).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: (٤/ ٢٢٤) بتصرف يسير

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم : (٢/ ٣٦٦)، وقال: صحيح على شرطهما و لم يخرجاه بهذه السياقة، إلا أن للآية سبب نزول آخر، في مقدمه ما أخرجه البخاري ومسلم في قصة وفاة أبي طالب كما سيأتي، وكذا ما رواه الترمذي وحسنه عن علي قال : سمعت رجلا يستغفر لأبويه وهما مشركان فقلت له: أتستغفر لأبويك وهما مشركان ؟ فقال أو ليس استغفر =

- وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [(١)]، فبين الله تعالى في هذه الآية أن من مات كافرا ليس لهم التوبة.
- وقال الله تعالى: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[(٢)]، وفي هذه الآية أخبر الله تعالى أن من سنته في عباده أنه لا ينفع الإيمان بعد رؤية البأس، فضلا أن يكون ذلك بعد الموت[(٣)].

ثانيا : الأدلة من السنة النبوية.

- عن أنس رضي الله عنه أن رجلا قال : (يا رسول الله، أين أبي؟ قال: في النار، قال : فلما قفى دعاه فقال: إن أبي وأباك في النار)[(٤)].

إبراهيم لأبيه وهو مشرك ؟ فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه و سلم فنزلت ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾، انظر: سنن الترمذي في كتاب ثواب القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب : ومن سورة التوبة، حديث رقم : (٣١٠١)، ولا بأس في تعدد نزول الآية.

(١) سورة النساء : (١٧-١٨).

(٢) سورة غافر : (٨٥).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية: (٤/ ٣٢٥).

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار، ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين، حديث رقم : (٥٢٠)، (ص:١٥٠)، فلا يتكلم في سنده، لأن مخرج من صحيح مسلم، وقد اتفق العلماء على تصحيح صحيحي البخاري ومسلم، وأنهما من أصح الكتب بعد كتاب الله عز وجل ، قال الإمام النووي -رحمه الله-: اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان البخاري ومسلم وتلقتهما الامة بالقبول، انظر: شرح النووي على مسلم : (١/ ١٤).

وفي هذا الحديث صرح النبي صلى الله عليه وسلم بأن أبا السائل وأباه في النار، وتأويل الآية هنا بالعم لا دليل عليه ، والنبي صلى الله عليه وسلم أعلم بما يقول، ولمقام يقتضي البيان لا الايهام الذي يحتاج إلى تأويل.

ولا يمكن أن يجيب النبي صلى الله عليه وسلم السائل بجواب لا يراد به الحقيقة، والصحابة رضي الله عنهم حوله، إذا حصل عنهم إشكال سألوا النبي صلى الله عليه وسلم، ولم ينقل عن أحد منهم تأويل ذلك أو السؤال عنه، ولا يمكن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك تطييبا لنفس السائل، فيكفر والديه ويخبر بأنهما في النار والحقيقة خلاف ذلك، هذا غير وارد.

قال علي القاري –رحمه الله– [1]:

"وهذا نعوذ بالله وحاشاه صلى الله عليه وسلم أن يخبر بغير الواقع ويحكم بكفر والده لأجل تألف واحد يؤمن به أو لا يؤمن، فهذه زلة عظيمة وجرأة جسيمة حفظنا الله عن مثل هذه الجريمة"[2].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (زار النبي صلى النبي صلى الله عليه و سلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال: استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت)[3].
- وعن سالم، عن أبيه رضي الله عنه قال: "جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن أبي كان يصل الرحم، وكان وكان ، فأين هو؟ قال: في النار، قال: فكأنه وجد من ذلك، فقال: يا رسول الله، فأين أبوك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (حيثما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار)،

---

(١) هو علي بن سلطان محمد، نور الدين الملا الهروي القاري؛ فقيه حنفي، من صدور العلم في عصره، ولقب بالقاري لكونه عالما بالقراءات، وصنف كتبا كثيرة، وولد في هراة، والهرة من أمهات مدن خرسان، وهي ضمن جمهورية أفغانستان حاليا، وسكن مكة وتوفي بها سنة ١٠١٤هـ، انظر: الأعلام للزركلي (٥/ ١٢).

(٢) أدلة معتقد أبي حنيفة : (ص: ١١٩).

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل في زيارة قبر أمه، حديث رقم : (٢٢٥٩)، (ص:٣٩٨).

قال: فأسلم الأعرابي بعد ، وقال: لقد كلفني رسول الله صلى الله عليه وسلم تعبا ، ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار"[1].

- وعن ابن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال: خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم، حتى إذا كنا بودان قال: مكانكم حتى آتيكم، فانطلق ثم جاءنا وهو سقيم فقال: (إني أتيت قبر أم محمد فسألت ربي الشفاعة فمنعنيها، وإني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ونهيتكم عن لحوم الأضاحي بعد ثلاثة أيام فكلوا وأمسكوا ما بدا لكم ونهيتكم عن هذه الأشربة في هذه الأوعية فاشربوا فيما بدا لكم)[2].
- وعن عمران بن حصين، قال: أتى أبو حصين بن عبيد النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (أرأيت رجلا يقري الضيف ويصل الرحم، ويفعل ويفعل هو أبوك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:"أرأيت أبي وأباك، فإنهما في النار"، فما لبث بعد ذلك إلا عشرين ليلة حتى مات)[3].

وعن عمران بن حصين أيضا ، إن أباه حصينا أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: (أرأيت رجلا كان يقري الضيف، ويصل الرحم، مات قبلك، وهو أبوك، فقال: "إن أبي وأباك وأنت في النار"، قال: فمات حصين مشركا)[4].

- وعن أبي رزين، قال: قلت: يا رسول الله، أين أمي؟، قال: "أمك في النار"، قال: فأين من مضى من أهلك؟، قال: "أما ترضى أن تكون أمك مع أمي؟[5].

---

(١) سنن ابن ماجة في سننه في كتاب الجنائز، باب ما جاء في زيارة قبور المشركين، حديث رقم : (١٥٧٣)، ص: (٢٧٦)، وصححه الألباني.

(٢) مسند أحمد بن حنبل : (٥/ ٣٥٦) حديث رقم: (٢٣٠٦٧).

(٣) المعجم الكبير للطبراني : (١٨/٢٢٠)، حديث رقم : (٥٤٨).

(٤) المصدر نفسه : (١٨/٢٢٠)، حديث رقم : (٥٤٩).وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : (١/ ١٤٠) : رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

(٥) المعجم الكبير للطبراني : (١٩/٢٠٨)، حديث رقم : (٤٧١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : (١/ ١٣٩): رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله ثقات.

ثالثا :الإجماع

وقد نقل هذا الإجماع علي القاري بقوله:

"وأما الإجماع فقد اتفق السلف والخلف من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وسائر المجتهدين على ذلك من غير إظهار خلاف لما هنالك والخلاف من اللاحق لا يقدح في الإجماع السابق سواء يكون من جنس المخالف أو صنف الموافق"[1].

رابعا : أقوال أئمة الأعلام

وهذه نماذج من أقوال العلماء –رحمهم الله- الذين ذهبوا إلى هذا القول في أبوي النبي صلى الله عليه سلم:

- بوب الإمام النووي –رحمه الله- للحديث بقوله : باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ، ولا تنفعه قرابة المقربين ، ثم قال: "وفيه أن من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو من أهل النار ، وليس هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة ، فإن هؤلاء كانت قد بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم"[2].
- وقال البيهقي –رحمه الله-:

"وكيف لا يكون أبواه وجده بهذه الصفة في الآخرة وكانوا يعبدون الوثن حتى ماتوا ولم يدينوا دين عيسى بن مريم عليه السلام"[3].

وقال في موضع آخر:

"وأبواه كانا مشركين بدليل ما أخبرنا، ثم ذكر حديث أنس رضي الله عنه"[4].

---

(١) أدلة معتقد أبي حنيفة : (ص: ٨٤)، حديث رقم : (١٥٧٣).

(٢) شرح النووي على مسلم : (١/ ٣٤٩).

(٣) دلائل النبوة . للبيهقي : (١/ ١٩٢).

(٤) رواه البيهقي في سننه، باب نكاح أهل الشرك وطلاقهم، حديث رقم : (١٣٨٥٥)، ص: (٧/ ١٩٠).

- وابن ماجة –رحمه الله- حيث روى حديث الاستئذان، وبوب له بقوله: باب ما جاء في زيارة قبور المشركين، حيث أثبت –رحمه الله- أن والدي النبي صلى الله عليه وسلم ليسا من أهل الإسلام[1].
- وكذا الإمام النسائي –رحمه الله- روى في سننه حديث الاستئذان وبوب عليه بقوله: زيارة قبر المشرك، حيث أثبت –رحمه الله- كذلك أن والدي النبي صلى الله عليه وسلم ليسا من أهل الإسلام[2].
- وقال الطبري –رحمه الله- :

"... أن أهل الشرك من أهل الجحيم ، وأن أبويه كانا منهم..." [3].

- قال القرافي الشافعي –رحمه الله-:

"حكاية الخلاف في أنه صلى الله عليه وسلم كان متعبِّداً قبل نبوته بشرع من قبله، يجب أن يكون مخصوصاً بالفروع دون الأصول، فإن قواعد العقائد كان الناس في الجاهلية مكلفين بها إجماعاً، ولذلك انعقد الإجماع على أن موتاهم في النار يُعذَّبون على كفرهم، ولولا التكليف لما عُذِّبوا، فهو صلى الله عليه وسلم مُتعبَّد بشرع من قبله- بفتح الباء بمعنى: مُكلَّف-، هذا لا مِرْيَة فيه، إنما الخلاف في الفروع خاصةً ؛ فعموم إطلاق العلماء مخصوص بالإجماع[4].

- وقال ابن كثير –رحمه الله- :

"وإخباره صلى الله عليه وسلم عن أبويه وجده عبد المطلب بأنهم من أهل النار لا ينافي الحديث الوارد عنه من طرق متعددة أن أهل الفترة والأطفال والمجانين والصم يمتحنون في العرصات يوم القيامة، كما بسطناه سندا ومتنا في تفسيرنا عند قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾[5]، فيكون منهم

---

(١) سنن ابن ماجة : (ص:٢٧٦) حديث رقم: (١٥٧٢).

(٢) سنن النسائي : (ص: ٣٢٤) حديث رقم : (٢٠٣٤).

(٣) جامع البيان : (٢/ ٥٦٠).

(٤) شرح تنقيح الفصول : (٢/ ١٤).

(٥) سورة الإسراء : (١٥).

من يجيب ومنهم من لا يجيب، فيكون هؤلاء من جملة من لا يجيب، فلا منافاة ولله الحمد والمنة"[1].

- قال ابن الجوزي: "وأما عبدالله فإنه مات ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل ولا خلاف أنه مات كافرا، وكذلك آمنة ماتت ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنين"[2].
- وقال ابن باز —رحمه الله-:

"والنبي صلى الله عليه وسلم حينما قال: « إن أبي وأباك في النار » قاله عن علم، فهو عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾[3]، فلولا أن عبد الله بن عبد المطلب والد النبي صلى الله عليه وسلم قد قامت عليه الحجة; لما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حقه ما قاله، فلعله بلغه ما يوجب عليه الحجة من جهة دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فإنهم كانوا على ملة إبراهيم حتى أحدثوا ما أحدثه عمرو بن لحي الخزاعي ، وسار في الناس ما أحدثه عمرو، من بث الأصنام ودعوتها من دون الله، فلعل عبد الله كان قد بلغه ما يدل على أن ما عليه قريش من عبادة الأصنام باطل فتابعهم; فلهذا قامت عليه الحجة.

وهكذا ما جاء في الحديث من أنه صلى الله عليه وسلم استأذن أن يستغفر لأمه فلم يؤذن له، فاستأذن أن يزورها فأذن له، فهو لم يؤذن له أن يستغفر لأمه; فلعله لأنه بلغها ما يقيم عليها الحجة، أو لأن أهل الجاهلية يعاملون معاملة الكفرة في أحكام الدنيا، فلا يدعى لهم، ولا يستغفر لهم; لأنهم في

---

(١) البداية والنهاية : (٢/ ٣٤٢).

(٢) الموضوعات لابن الجوزي : (١/ ٢٨٣).

(٣) سورة النجم : (١-٤).

ظاهرهم كفار، وظاهرهم مع الكفرة، فيعاملون معاملة الكفرة وأمرهم إلى الله في الآخرة"[1].

فهذه نقولات عن جمع من أئمة السلف، كلها تثبت بالدليل أن أبوي النبي صلى الله عليه وسلم لم يكون على الإسلام، ولا ينفع بعد ذلك العواطف التي لا تنضبط بضابط الشرع، وهو الراجح إن شاء الله.

(١) فتاوى نور على الدرب لابن باز : (ص: ١٢٢).

المسألة الثانية : قول من قال إنهما في الجنة.

وذهب بعض أهل السنة والجماعة[1] إلى أن والدي النبي صلى الله عليه وسلم ليسا من أهل النار، بل هما من أهل الجنة، ولهم في ذلك مسلكان :

المسلك الأول : أنهما كانا على التوحيد على ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

وقالوا إن آباء النبي صلى الله عليه وسلم وأجداده إلى آدم ليس فيهم كافر.

قال الرازي –رحمه الله– في تفسيره:

"ومما يدل أيضا على أن أحدا من آباء محمد عليه السلام ما كان من المشركين قوله عليه السلام :(لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾[2]، وذلك يوجب أن يقال: إن أحدا من أجداده ما كان من المشركين"[3].

وقال الآلوسي –رحمه الله–:

"واستدل بالآية على إيمان أبويه صلّى اللّه تعالى عليه وسلّم كما ذهب إليه كثير من أجلة أهل السنة ، وأنا أخشى الكفر على من يقول فيهما رضي اللّه تعالى عنهما على رغم أنف علي القارئ وأضرابه بضد ذلك إلا أني لا أقول بحجية الآية على هذا المطلب"[4].

وهذا القول مخالف للكتاب والسنة والاجماع.

- أما الكتاب فقد ثبت أن أبا إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان مشركا في غير مواضع.

---

(١) هذا باعتبار تقسيم الناس إلى سني وشيعي، وإلا فالقائلون بهذا أكثرهم من أهل البدع المنحرفون من منهج أهل السنة والجماعة، والله أعلم.

(٢) سورة التوبة : (٢٨).

(٣) مفاتيح الغيب : (١٣/ ٣٣).

(٤) روح المعاني : (١٠/ ١٣٥).

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ﴾ [1]، وآزر هو أبو إبراهيم عليه السلام كما تقدم.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ [2].

وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ [3].

وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾ [4].

وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾ [5]، وقال ﴿ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [6].

وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ [7].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾ [1].

---

(١) سورة الأنعام : (٧٤).

(٢) سورة البقرة : (١١٤).

(٣) سورة مريم : (٤٢-٤٦).

(٤) سورة الأنبياء : (٥٢).

(٥) سورة الشعراء : ٧٠-٧١).

(٦) سورة الشعراء : (٨٦).

(٧) سورة الصفات : (٨٥-٨٦).

- وأما من السنة :

حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له إبراهيم ألم أقل لك لا تعصني فيقول أبوه فاليوم لا أعصيك فيقول إبراهيم يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون فأي خزى أخزى من أبي الأبعد فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجليك فينظر فإذا هو بذيخ ملتطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار)[٢].

وحديث أنس رضي الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله، أين أبي؟ قال: في النار، قال: فلما قفى دعاه فقال: إن أبي وأباك في النار[٣].

وحديث سعيد بن المسيب عن أبيه ، أنه أخبره أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأبي طالب يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله...الحديث[٤].

- وأما الإجماع فغير خفي أن الأمة مجمعون من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا على كفر قصي فمن بعده ، وأن أبوي النبي صلى الله عليه وسلم ماتا على الكفر[٥].

---

(١) سورة الزخرف : (٢٦-٢٧).

(٢) تقدم تخريجه: (ص:١٥٩).

(٣) تقدم تخريجه: (٥٤٦).

(٤) سيأتي تخريجه: (ص:٧١٦).

(٥) رسالة في حق أبوي الرسول صلى الله عليه وسلم للحلبي : (ص: ٢٧).

واستدلوا كذلك بأن الله تعالى اختار نبيه صلى الله عليه وسلم من صفوة الخلق وأكرم الناس وأشرفهم، وهذا يثبت لهما الخيرية على غيرهما، ومن ذلك:

- حديث واثلة بن الأسقع يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم)[1].
- وحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قلت يا رسول الله أين كنت وآدم في الجنة ؟ قال: (كنت في صلبه وأهبط إلى الأرض وأنا في صلبه، وركبت السفينة في صلب أبي نوح، وقذفت في النار في صلب أبي إبراهيم، لم يلتق لي أبوان قط على سفاح، لم يزل ينقلني من الاصلاب الطاهرة إلى الارحام النقية مهذبا، لا يتشعب شعبان إلا كنت في خير هما)[2].
- وحديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (إن الله حين خلق الخلق بعث جبريل فقسم الناس قسمين، فقسم العرب قسما وقسم العجم قسما، وكانت خيرة الله في العرب، ثم قسم العرب قسمين فقسم اليمن قسما وقسم مضر قسما وقريش قسما فكانت خيرة الله في قريش، ثم اخرجني من خير من أنا منه)[3].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، حديث رقم : (٥٩٣٨) ، ص: (٩٦١).

(٢) الموضوعات لابن الجوزي (١/ ٢٨١)، وقال ابن الجوزي عقبه : هذا حديث موضوع قد وضعه بعض القصاص، وهناد لا يوثق به ولعله من وضع شيخه أو من شيخ شيخه على أن على بن عاصم قد قال فيه: يزيد بن هارون ما زلنا نعرفه بالكذب، وقال يحيى: ليس بشيء إلا أن التهمة به للمتأخرين أليق، وقال الذهبي فيميزان الاعتدال (٣/ ١٥٦) :على بن محمد بن بكران، شيخ لهناد النسفى، جاء بخبر سمج، أحسبه باطلا، وقال الخليلي في اللآلي المصنوعة (١/ ٢٤٤) : ضعيف جدا روى متونا لا تعرف، وقال الألباني في إرواء الغليل :(٣٣٢/٦) : وإسناده واه، من دون عكرمة لم أعرفهم.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الأوسط : (٤/ ١٣٥)، وقال : لا يروى هذا الحديث عن أبي هريرة الا بهذا الاسناد تفرد به بشر بن معاذ.

- وحديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، إن قريشا جلسوا فتذاكروا أحسابهم بينهم، فجعلوا مثلك كمثل نخلة في كبوة من الأرض، فقال النبي صلى الله عليه و سلم: (إن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير فرقهم وخير الفريقين ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا)[1].

وغير ذلك من الأحاديث في اصطفاء النبي صلى الله عليه وسلم.

قال البيهقي –رحمه الله-:

"هذه الأحاديث وإن كان في روايتها من لا تصح به فبعضها يؤكد بعضاً ومعنى جميعها يرجع لما روينا عن واثلة بن الأسقع وأبي هريرة رضي الله عنهما، والله أعلم"[2].

وقد يجاب عن هذا :

- بأن المراد بهذا الحديث وغيره من الأحاديث خيرية الجملة التي هو صلى الله عليه وسلم فيها على ما يقابلها، إذ لو أريد تفضيل كل فرد من المفضل على جملة المفضَّل عليه أو على كل فرد منه؛ لزم المحال والكفر، إذ يلزم أن يكون أبو جهل وأحزابه خيرا من كل فرد من القرون المتقدمة مع ما فيهم من الأنبياء ، وكذا المراد من قريش ليس كلهم، لاشتمال قريش على الكفار، وأن المراد بالأصلاب الكريمة المرضية حسبا ونسبا هو العفة عن الفاحشة.
- وكذا والد إبراهيم عليه الصلاة والسلام في النار وهو من هذه السلسلة بلا ريب، إلا أنه لا يضر هذه السلسلة الشريفة من حيث النسب والشرف، لأن المشرك إنما كان يجني على نفسه ولا يجني على غيره أو يضر غيره بشركه.

  قال ابن القيم –رحمه الله-:

---

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم : (٣٦٠٧)، ص: (٨٢١).

(٢) دلائل النبوة للبيهقي : (١/ ١٧٦).

"وهو خير أهل الأرض نسبا على الإطلاق، فلنسبه من الشرف أعلى ذروة، وأعداؤه كانوا يشهدون له بذلك؛ ولهذا شهد له به عدوه إذ ذاك أبو سفيان بين يدي ملك الروم، فأشرف القوم قومه وأشرف القبائل قبيلته وأشرف الأفخاذ فخذه"[1].

- وقد أفاد وأجاد محمد رشيد رضا في رده على من يقول إن آباء النبي صلى الله عليه وسلم على ملة التوحيد حيث قال بعد أن ذكر حديث وفاة أبي طالب على ملة عبد المطلب :

"وفي الحديث عرض كلمة التوحيد على أبي طالب ما يبطل دعواه إيمان جميع آباء الرسول صلى الله عليه وسلم وهو أن آخر ما قاله أبو طالب أنه على ملة عبد المطلب، فهو دليل على أن ملة عبد المطلب تنافي كلمة التوحيد التي هي عنوان الإسلام"[2].

المسلك الثاني :أن الله تعالى أحياهما لنبيه صلى الله عليه وسلم في آخر حياته فآمنا به، وهو ما ذهب إليه السهيلي والقرطبي وابن المنير وابن حجر الهيتمي وغيرهم.

ومن أدلة هؤلاء:

ما أورد ابن شاهين[3] من حديث عائشة رضي الله عنها، (أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل إلى الحجون كئيبا حزينا، فأقام به ما شاء ربه عز و جل ثم رجع مسرورا، فقلت: يا

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد : (١/ ٧٠).

(٢) تفسير المنار : (٧/ ٤٥٣).

(٣) هو أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن محمد بن أيوب بن أزداذ البغدادي الواعظ، مولده بخط أبيه في صفر سنة سبع وتسعين ومئتين، وقال الامير أبو نصر: هو الثقة الامين، سمع بالشام، والعراق، وفارس، والبصرة، وجمع الابواب والتراجم، وصنف كثيرا، وقال العتيقي: مات في ذي الحجة سنة خمس وثمانين وثلاث مئة. انظر: سير أعلام النبلاء : (١٦/ ٤٣١) وما بعده.

رسول الله، نزلت إلى الحجون كئيبا حزينا فأقمت به ما شاء الله ثم رجعت مسرورا! قال: سألت ربي عز وجل فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها)[1].

وكذلك أورده السهيلي بإناده عن عائشة رضي الله عنها أخبرت (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يحيي أبويه فأحياهما له، وآمنا به ثم أماتهما)[2].

وأورده السيوطي في الحاوي عن عائشة رضي الله عنها قالت: (حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلّم حجة الوداع، فمر بي على عقبة بالحجون وهو باك حزين مغتم، فنزل فمكث عني طويلاً ثم عاد إليّ وهو فرح متبسم فقلت له فقال ذهبت لقبر أمي فسألت الله أن يحييها فأحياها فآمنت بي وردها الله)[3].

---

(١) ناسخ الحديث ومنسوخه : (ص: ٤٨٩)، من طريق محمد بن الحسن بن زياد مولي الانصار قال حدثنا أحمد بن يحيى الحضرمي بمكة قال حدثنا أبو غزيه محمد بن يحيى الزهري قال حدثنا عبد الوهاب بن موسي الزهري حدثنا عبد الرحمن بن ابي الزناد عن هشام بن عروه عن ابيه، وفي هذا الإسناد محمد بن الحسن بن زياد، قال الذهبي في ميزان الاعتدال : (٤/ ٦٠١): النقاش: أبو بكر محمد بن الحسن صاحب التفسير والقراءات، هذا متأخر غير ثقة، وقال ابن الجوزي في الموضوعات: (١/ ٢٨٤) : ومحمد بن زياد هو النقاش وليس بثقة.

(٢) الروض الأنف في شرح غريب السير : (١/ ٢٩٦) وقال: فيه مجهولون، وفي إسناده عبد الرحمن بن أبي الزناد، قال عنه ابن معين: ضعيف، وروى عباس عن يحيى: ليس بشئ، وقال – مرة: لا يحتج به، وكذا قال أبو حاتم، وضعفه النسائي، وقال أحمد: مضطرب الحديث، ووثقه مالك، انظر: ميزان الاعتدال للذهبي: (٢/ ٥٧٥)، وقال ابن حبان: كان ممن ينفرد بالمقلوبات عن الاثبات، وكان ذلك من سوء حفظه وكثرة خطئه، فلا يجوز الاحتجاج بخبره إذا انفرد، فأما فيما وافق الثقات فهو صادق في الروايات يحتج به، انظر: المجروحين: (٢/ ٥٦).

(٣) الحاوي للفتاوي للسيوطي : (٢/ ٢١٨)، قال ابن الجوزي في الموضوعات : (١/ ٢٨٤): هذا حديث موضوع بلا شك، وقال ابن عساكر: هذا حديث منكر من حديث عبد الوهاب بن موسى الزهري المدني عن مالك , والكعبي مجهول , والحلبي صاحب غرائب، وَلا يعرف لأبي الزناد رواية عن هشام , وهشام لم يدرك عائشة، انظر: لسان الميزان : (٦/ ١٠١)، وقال الجورقاني في الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير : (١/ ٣٧٧)، حديث باطل، وقال الذهبي في ميزان الاعتدال : (٢/ ٦٨٤): هذا الحديث كذب.

وغير ذلك من أحاديث إحياء والدي النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أن العلماء – رحمهم الله– اعترضوا على هذه الأحاديث بما يأتي :

من حيث السند:

- قال ابن الجوزي –رحمه الله– بعد أن ساق حديث إحياء أبوي النبي صلى الله عليه وسلم:

"هذا حديث موضوع بلا شك، والذى وضعه قليل الفهم عديم العلم؛ إذ لو كان له علم لعلم أن من مات كافرا لا ينفعه أن يؤمن بعد الرجعة لا بل لو آمن عند المعاينة لم ينتفع، ويكفى في رد هذا الحديث قوله تعالى: ﴿ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ ﴾[1]، وقوله في الصحيح: " استأذنت ربى أن أستغفر لابي فلم يأذن لي " ومحمد بن زياد هو النقاش وليس بثقة وأحمد بن يحيى ومحمد بن يحيى مجهولان وقد كان أقوام يضعون أحاديث ويدسونها في كتب المغفلين فيرويها أولئك"[2].

- وسُئل شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– عن إحياء أبوي النبي صلى الله عليه وسلم ثم آمنا به فقال:

" لم يصِحَّ ذَلِكَ عَن أحَد مِن أهْلِ الحدِيث ؛ بل أَهل الْمعرفة متفقون على أَنَّ ذلك كذب مختلق وإن كان قد روى ذلك أبو بكر – يعني الخطيب – فِي كتابه " السّابق وَاللَّاحِقِ " وَذكره أبو القاسم السهيلي في " شرح السيرة " بإسْناد فيه مجاهيل وذكره أبو عبد اللَّه القرطبي في " التَّذْكِرَةِ " وأمثال هذه الْمواضع فلا نزاع بين أهل الْمعرفة أنّه من أظهر الموضوعات كذبا كما نص عليه أهل العلم وليس ذلك في الكتب الْمعتمدة في الحديث ؛ لا في الصحيح ولا في السنن ولا في المسانيد ونحو ذلك من كتب الحديث المعروفة ولا ذكره أهل كتب الْمغازي والتفسير وإن كانوا قد يروون الضعيف مع الصحيح، لأن ظهور كذب ذلك لا يخفى على متدين، فإن مثل هذا لو وقع لكان مما تتوافر الهمم والدواعي على نقله، فإنه من أعظم الأمور خرقا للعادة من وجهين:

---

(١) سورة البقرة : (٢١٧).

(٢) الموضوعات لابن الجوزي : (١/ ٢٨٤).

من جهة إحياء الموتى

ومن جهة الإيمان بعد الموت

فكان نقل مثل هذا أولى من نقل غيره ، فلما لم يروه أحد من الثقات علم أنه كذب"[١].

- وقال ابن كثير –رحمه الله– :

"وأما الحديث الذي ذكره السهيلي وذكر أن في إسناده مجهولين إلى ابن أبي الزناد عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يحيي أبويه، فأحياهما وآمنا به، فإنه حديث منكر جدا"[٢].

وقال في موضع آخر:

"والحديث المروي في حياة أبويه عليه الصلاة السلام ليس في شيء من الكتب الستة ولا غيرها، وإسناده ضعيف، والله أعلم"[٣].

- وقال الذهبي –رحمه الله– بعد أن أورد حديث إحياء والدي النبي صلى الله عليه وسلم:

"لا يدرى من ذا الحيوان الكذاب، فإن هذا الحديث كذب مخالف لما صح أنه عليه السلام استأذن ربه في الاستغفار لها فلم يأذن له"[٤].

- وقال علي القارئ –رحمه الله–:

"أنه لم يثبت إحياؤهما وإيمانهما، والدليل على انتفائهما عدم اشتهارهما عند الصحابة؛ لا سيما والواقعة في حجة الوداع والخلق الكثير في خدمته بلا نزاع، مع منافاته للقواعد الشرعية من عدم قبول الإيمان بعد مشاهدة الأحوال الغيبية بالإجماع"[٥].

---

(١) مجموع الفتاوى : (٤/ ٣٢٤).

(٢) البداية والنهاية : (٢/ ٣٤٣).

(٣) تفسير القرآن العظيم : (١/ ٤٠١).

(٤) ميزان الاعتدال للذهبي : (٢/ ٦٨٤).

(٥) أدلة معتقد أبي حنيفة (ص: ٨٨).

- وقال العظيم آبادي –رحمه الله–[1]:

"وكل ما ورد بإحياء والديه صلى الله عليه وسلم وإيمانهما ونجاتهما أكثره موضوع مكذوب مفترى، وبعضه ضعيف جدا لا يصح بحال لاتفاق أئمة الحديث على وضعه كالدار القطني والجوزاقاني وابن شاهين والخطيب وابن عساكر وابن ناصر وابن الجوزي والسهيلي والقرطبي والمحب الطبري وفتح الدين بن سيد الناس وإبراهيم الحلبي وجماعة"[2].

ومن حيث المتن :

- أن في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل إلى الحجون، وجاءته البشارة بإحياء والديه هناك، مع أن أم النبي صلى الله عليه وسلم ماتت بالأبواء وليس بالحجون[3].

قال ابن الجوزي –رحمه الله–:

"قال شيخنا أبو الفضل بن ناصر: هذا حديث موضوع وأم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتت بالأبواء بين مكة والمدينة ودفنت هناك وليست بالحجون"[4].

- أن النبي صلى الله عليه وسلم زار قبر أمه بطريقه بالحجون عند مكة عام الفتح، وأما أبوه فلم يكن هناك ولم يزره؛ إذ تقدم أنه مات بالمدينة.

---

(١) هو محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو الطيب شرف الحق الصديقي العظيم آبادي؛ علامة بالحديث، هندي. من تصانيفه عون المعبود على سنن أبي داود، توفي رحمه الله سنة ١٣١٠هـ، انظر: الأعلام للزركلي : (٦/ ٣٩).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود : (١٢/ ٤٩٤).

(٣) الحجون بفتح الحاء جبل بمكة عنده مدافن أهلها، انظر: معجم البلدان : (٢/ ٢٢٥)، ولسان العرب : (١٣/ ١٠٨).

(٤) الموضوعات لابن الجوزي : (١/ ٢٨٤)، الحجون: جبل بأعلى مكة، عنده مدافن أهلها، قال عمرو بن الحارث بن مضاض، يتأسف على البيت – وقيل هو للحارث الجرهمي: كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا...أنيس، ولم يسمر بمكة سامر يلى، نحن كنا أهلها فأبادنا...صروف الليالي والجدود العواثر وبئر ميمون: بمكة أيضا، انظر: معجم البلدان : (٢/ ٢٢٥)، و لسان العرب لابن منظور : (١٣/ ١٠٨).

- أنهما لو كانا مؤمنين إيمانا ينفع، كان أحق بالشهرة والذكر من عميه حمزة والعباس، فلما كان من العلم المعروف المشتهر أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يذكر أبويه من جملة أهله المؤمنين كحمرة والعباس وفاطمة وعلي والحسن والحسين رضي الله عنهم كان هذا من أبين الأدلة على أن ذلك كذب.
- أن الله تعالى قال: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [(١)]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ [(٢)]، فأمر بالتأسي بإبراهيم عليه الصلاة والسلام والذين معه ؛ إلا في وعد إبراهيم لأبيه بالاستغفار . وأخبر أنه لما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، والله أعلم"[(٣)].
- قلت: لو كان والدا النبي صلى الله عليه وسلم من أهل التوحيد أو من أهل الفترة، فلا فائدة في إحيائهما، وأصحاب هذا القول يترددون بين قولهم أن والدي النبي صلى الله عليه وسلم من أهل التوحيد أو من أهل الفترة أو إحياء الله تعالى لهما.

قال الألباني —رحمه الله-:

و اعلم -أيها المسلم-أن هذه الأحاديث ونحوها مما فيه الإخبار بكفر أشخاص أو إيمانهم، إنما هو من الأمور الغيبية التي يجب الإيمان بها وتلقيها بالقبول، لقوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾[(٤)]، و

---

(١) سورة الممتحنة : (٤).

(٢) سورة التوبة : (١١٤).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية : (٤/ ٣٢٧).

(٤) سورة البقرة : (١-٣).

قوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [(١)]، فالإعراض عنها و عدم الإيمان بها يلزم منه أحد أمرين لا ثالث لهما- وأحلاهما مر: إما تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم، وإما تكذيب رواتها الثقات كما تقدم، وأنا حين أكتب هذا أعلم أن بعض الذين ينكرون هذه الأحاديث أو يتأولونها تأويلا باطلا كما فعل السيوطي - عفا الله عنا وعنه - في بعض رسائله، إنما يحملهم على ذلك غلوهم في تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ، وحبهم إياه، فينكرون أن يكون أبواه صلى الله عليه وسلم كما أخبر هو نفسه عنهما، فكأنهم أشفق عليهما منه صلى الله عليه وسلم" [(٢)].

وقال –رحمه الله- في موضع آخر :

"وممن جمحت به المحبة السيوطي -عفا الله عنه-، فإنه مال إلى تصحيح حديث الإحياء الباطل عند كبار العلماء كما تقدم، و حاول في كتابه " اللآلىء " (١ / ٢٦٥ - ٢٦٨) التوفيق بينه و بين حديث الاستئذان و ما في معناه ، بأنه منسوخ، و هو يعلم من علم الأصول أن النسخ لا يقع في الأخبار و إنما في الأحكام؛ و ذلك أنه لا يعقل أن يخبر الصادق المصدوق عن شخص أنه في النار ثم ينسخ ذلك بقوله : إنه في الجنة؛ كما هو ظاهر معروف لدى العلماء"[(٣)].

واستدلوا كذلك بما أورده ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [(٤)] قال: من رضا محمد صلى الله عليه وسلم ألا يدخل أحد من أهل بيته النار[(٥)].

---

(١) سورة الأحزاب : (٣٦).

(٢) السلسلة الصحيحة : (٦/ ٩١).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) سورة الضحى : (٥).

(٥) جامع البيان للطبري : (٢٤/ ٤٨٧)، وانظر: الحاوي للفتاوي للسيوطي: (٢/ ١٩٦).

ومن حيث السند فإن هذا الأثر ضعيف، وذلك أن في إسناده الحكم بن ظهير، ضعفه أحمد، وقال يحيى بن معين: الحكم بن ظهير ليس حديثه بشيء، وقال مرة: ليس بشيء، وقال البخاري: منكر الحديث[1].

وفي إسناده عباد بن يعقوب، وهو من غلاة الشيعة ورؤوس البدع، لكنه صادق في الحديث[2].

وأما من حيث المتن فإن القرابة لا تحمي صاحبها من المؤاخذة، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا بني عبد مناف اشتروا أنفسكم من الله، يا بني عبد المطلب اشتروا أنفسكم من الله، يا أم الزبير بن العوام عمة رسول الله، يا فاطمة بنت محمد اشتريا أنفسكما من الله لا أملك لكما من الله شيئا سلاني من مالي ما شئتما[3].

---

(١) ميزان الاعتدال : (١/ ٥٧١)، و الجرح والتعديل : (٣/ ١١٩).

(٢) ميزان الاعتدال : (٢/ ٣٧٩)، وانظر: السلسلة الضعيفة للألباني : (١/١٣٧).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية، حديث رقم : (٣٥٢٧) مع الفتح : (٨/١٨٠).

المسألة الثالثة: قول من قال إنهما من أهل الفترة.

أولا : المراد بأهل الفترة.

من جهة اللغة، قال ابن منظور –رحمه الله–:

الفترة الانكسار والضعف وفتر الشيء والحر وفلان يفتر ويفتر فتورا وفتارا سكن بعد حدة ولان بعد شدة[١].

وأما في الاصطلاح : هي الانقطاع بين رسولين.

قال ابن حجر–رحمه الله– :

والمراد بالفترة المدة التي لا يبعث فيها رسول من الله، ولا يمتنع أن ينبأ فيها من يدعو إلى شريعة الرسول الأخير[٢].

وقال الآلوسي –رحمه الله– فقال:

كل من كان بين رسولين ولم يكن الأول مرسلا إليهم ولا أدركوا الثاني[٣].

ثم اختلف العلماء –رحمهم الله– في مدتها، والمشهور هو ستمائة سنة[٤]، لما جاء في صحيح البخاري من حديث سلمان رضي الله عنه قال: فترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمئة سنة[٥].

ثانيا: انقسام أهل الفترة.

وينقسم أهل الفترة إلى ثلاثة أقسام:

- قسم من بلغته الدعوة
- وقسم آخر من لم تبلغه الدعوة
- وقسم من بقي على حنيفيته.

وأما أبوا النبي صلى الله عليه وسلم فهما من القسم الأول، كما سيأتي بيانه.

---

(١) لسان العرب : (٥/ ٤٣).

(٢) فتح الباري : (٨/٧٤٤).

(٣) روح المعاني : (٨/ ٣٩).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير : (٣/ ٧٠).

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام سلمان الفرسي رضي الله عنه، حديث رقم: (٣٩٤٨) مع الفتح: ((٨/٧٤٤).

وقد ذهب بعض العلماء –رحمهم الله- إلى القول بأن أبوا النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الفترة، ممن قال به العلامة شرف الدين المناوي، فإنه سئل عن والد النبي صلى الله عليه وسلم، هل هو في النار؟ فزأر في السائل زأرة شديدة، فقال له السائل، هل ثبت إسلامه؟ قال : إنه مات في الفترة، ولا تعذيب قبل البعثة[١].

ومنهم سبط ابن الجوزي، فقد نقل عنه السيوطي أنه حكى كلام جده-ابن الجوزي- على حديث إحياء أمه صلى الله عليه وسلّم في كتاب مرآة الزمان، ثم قال: وقال قوم قد قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾[٢]، والدعوة لم تبلغ أباه وأمه فما ذنبهما[٣].

وإلى هذا ذهب السيوطي، ورجحه، فقد نقل عن عز الدين بن عبد السلام قوله :

"كل نبي أرسل إلى قومه إلا نبينا صلى الله عليه وسلّم، فعلى هذا يكون ما عدا قوم كل نبي من أهل الفترة إلا ذرية النبي السابق فإنهم مخاطبون ببعثة السابق إلا أن تدرس شريعة السابق فيصير الكل من أهل الفترة"[٤].

ثم علق السيوطي بقوله:

"فبان بذلك أن الوالدين الشريفين من أهل الفترة بلا شك، لأنهما ليسا من ذرية عيسى ولا من قومه"[٥].

وقال الجكني –رحمه الله- :

"لأن آباء النبي صلى الله عليه وسلم كما تدل عليه الأحاديث كانوا متعبدين على ملة إبراهيم، وعلى أقل تقدير فهم معذورون لكونهم من أهل الفترة"[٦].

وقال به الإمام محمد الأمين الشنقيطي وقال –رحمه الله-:

---

(١) الحاوي للفتاوي : (٢/١٩١)، فقد نقل السيوطي عنه.

(٢) سورة الإسراء : (١٥).

(٣) الحاوي للفتاوي للسيوطي : (٢/ ١٩١).

(٤) الحاوي للفتاوي للسيوطي : (٢/ ١٩٦).

(٥) المصدر نفسه.

(٦) زاد المسلم : (٤/٢)، إلا أنه مال إلى أن أبوي النبي صلى الله عليه وسلم موحدون ناجون. ناجون.

"تلك الأحاديث الواردة في صحيح مسلم وغيره أخبار آحاد يقدم عليها القاطع، وهو قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [1]، وَقَوْلُهُ: ﴿ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾[2]، ونحو ذلك من الآيات"[3].

وأصحاب هذا القول استدلوا بالكتاب والسنة.

وأما الكتاب فقول الله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾[4]، وقول الله تعالى: تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴾[5]، وقول الله تعالى تعالى ﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[6].

وقول الله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾[7].

وقوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ﴾ [8].

وقول الله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴾[9].

وقول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ۝ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ [1].

---

(١) سورة الإسراء : (١٥).

(٢) سورة الملك : (٨-٩).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : (٣/ ٧٠).

(٤) سورة الإسراء : (١٥).

(٥) سورة الأنعام : (١٣١).

(٦) سورة القصص : (٤٧).

(٧) سورة طه : (١٣٤).

(٨) سورة القصص : (٥٩).

(٩) سورة الأنعام : (١٥٥-١٥٦).

وقول الله تعالى: ﴿ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [٢].

وقالوا إن هذه الآيات تبين أن الله تعالى لن يعذب قوما حتى يأتيهم النذير، وأبوا النبي صلى الله عليه وسلم لم يأتهم النذير، ولذا كانوا من أهل الفترة.

وأما السنة فحديث الأسود بن سريع أن نبي الله صلى الله عليه و سلم قال: (أربعة يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيئا ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات في فترة فأما الأصم فيقول رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئا وأما الأحمق فيقول رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبعر وأما الهرم فيقول ربي لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئا وأما الذي مات في الفترة فيقول رب ما أتاني لك رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل إليهم ان أدخلوا النار قال فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما)[٣].

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يؤتى بأربعة يوم القيامة بالمولود والمعتوه ، ومن مات في الفترة وبالشيخ الفاني كلهم يتكلم بحجته فيقول الله تبارك وتعالى لعنق من جهنم أحسبه قال : ابرزي فيقول لهم : إني كنت أبعث إلى عبادي رسلا من أنفسهم وإني رسول نفسي إليكم ادخلوا هذه فيقول من كتب عليه الشقاء : يا رب أتدخلناها ومنها كنا نفرق ؟ ومن كتبت له السعادة فيمضي فيقتحم فيها مسرعا قال : فيقول الله : قد عصيتموني وأنتم لرسلي أشد تكذيبا ومعصية قال : فيدخل هؤلاء الجنة ويدخل هؤلاء النار)[٤].

ويجاب عن ذلك :

---

(١) سورة الشعراء : (٢٠٨-٢٠٩).

(٢) سورة فاطر : (٣٧).

(٣) مسند أحمد بن حنبل: (٤/ ٢٤) حديث رقم : (١٦٣٤٤).

(٤) رواه البزار في مسنده، حديث رقم : (٧٥٩٤).

- أن هذه الآيات والأحاديث تدل على مصير أهل الفترة، وأن العذاب لا يكون إلا بعد البلوغ، ونحن نقول كذلك أن من لم تبلغه الدعوة فهم من أهل الفترة – وإن وقع الخلاف بين العلماء-.
- أن أبوي النبي صلى الله عليه وسلم قد بلغتهما الدعوة، ذلك لأن كثيرا ممن كان معهما قبل البعثة قد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنهم في النار.

كحديث عائشة رضي الله عنها قالت، قلت: يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذاك نافعه؟ قال: (لا ينفعه، إنه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين)[1].

وحديث عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: إن أبي كان يصل الرحم ويفعل ويفعل وأنه مات في الجاهلية؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أباك أراد أمرا فأدركه)[2].

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار)...الحديث[3].

فهذه الأحاديث تدل على أن من في تلك الفترة الزمنية قامت عليهم الحجة الرسالية التي يستوجب مخالفها النار، وأن تلك الفترة كان فيها من هو متمسك بالتوحيد، وينكر ما عليه أهل الشرك، ولا يمكن أن يفرق النبي صلى الله عليه وسلم بين هذا وذاك، لأنهم يعيشون في زمن واحد.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل، حديث رقم : (٥١٨)، ص : (١٥٢).

(٢) رواه البيهقي في سننه: (٧/ ٢٧٩)، حديث رقم : (١٤٦٢٣)، وأحمد في مسنده: (٤/ ٣٧٩)، حديث رقم : (١٩٤٠٥)، المعجم الكبير للطبراني : (١٠٤/١٧)، حديث رقم : (٢٥٠)، وحسنه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان : (١/ ٣٦٦)، حديث رقم : (٣٣٣).

(٣) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب قصة خزاعة، حديث رقم : (٣٥٢١)، مع الفتح: (١٧٥/٨)، ورواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، حديث رقم : (٧١٩٣)، ص: (١١٧٤).

- أن في تلك الفترة يوجد الموحدون، مثل ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وغيرهما، بل قد جاء الإنذار منه حين كان يسند ظهره إلى الكعبة قائلا: يا معاشر قريش، والله ما منكم على دين إبراهيم غيري، وقال: اللهم أني أشهد أني على دين إبراهيم[1].

وذكر ابن حجر –رحمه الله– حديث عامر بن ربيعة حليف بني عدي بن كعب قال: قال لي زيد بن عمرو: إني خالفت قومي واتبعت ملة إبراهيم وإسماعيل وما كانا يعبدان، وكانا يصليان إلى هذه القبلة وأنا أنتظر نبيا من بني إسماعيل يبعث، ولا أراني أدركه وانا أومن به وأصدقه وأشهد أنه نبي، وإن طالت بك حياة فأقره مني السلام! قال عامر : فلما أسلمت أعلمت النبي صلى الله عليه و سلم بخبره، قال: فرد عليه السلام وترحم عليه، قال: ولقد رأيته في الجنة يسحب ذيولا[2].

وفيه دليل واضح على أن في هذه الفترة أعني قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم من عرف ملة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وعرف ما كانا عليه من العبادة والتوحيد، لا سيما قد دعا إليه زيد بن عمرو بن نفيل هذا، وبين لهم أنهم ليسوا على دين إبراهيم عليه السلام، وأنهم على شرك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–:

"وأن حكم الوعيد على الكفر لا يثبت في حق الشخص المعين حتى تقوم عليه حجة الله التي بعث بها رسله كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وأن الأمكنة والأزمنة التي تفتر فيها النبوة لا يكون حكم من خفيت عليه آثار النبوة حتى أنكر ما جاءت به خطأ كما يكون حكمه في الأمكنة والأزمنة التي ظهرت فيها آثار النبوة"[3].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل، حديث رقم : (٣٨٢٧-٣٨٢٨)، مع الفتح : (٥٣٣/٨-٥٣٤).

(٢) فتح الباري : (٥٣٤/٨).

(٣) بغية المرتاد : (ص: ٣١١).

- أن أهل الجاهلية قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم يلزمهم اتباع ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام في أصول العقائد، وهو موافق للفطرة، وقد حصل هذا الاتباع لبعضهم، وكانوا مكلفين بذلك.

قال القرافي –رحمه الله–:

"فإن قواعد العقائد كان الناس في الجاهلية مكلفين بها إجماعاً، ولذلك انعقد الإجماع على أن أمواتهم في النار يعذبون على كفرهم"[١].

- ثم لو سلمنا جدلا أن في هذا الزمن زمن الفترة من لم تبلغه الدعوة، فإن هذا يكون على وجه العموم، وأما أبوا النبي صلى الله عليه وسلم قد جاء فيهما النص الصحيح الصريح من النبي صلى الله عليه وسلم أنهما ليسا من أهل الجنة، لأنه إذا جاء الدليل الخاص بأن فلان في النار، فهذا يدل دلالة ضمنية على أن هذا الشخص بالذات بلغته الدعوة، والله أعلم.

---

(١) شرح تنقيح الفصول : (١/ ١١٩).

المسألة الرابعة : القول بالتوقف.

وذهب بعض العلماء –رحمهم الله– إلى التوقف في مسألة والدي النبي صلى الله عليه وسلم، واختاروا السكوت والإمساك.

قال تاج الدين الفاكهي –رحمه الله– :

"الله أعلم بحال أبويه"(١)

وقال السخاوي –رحمه الله– :

"والذي أراه الكف عن التعرض لهذا اثباتا ونفيا"(٢).

وحكاه شمس الحق العظيم آبادي ومال إليه الدكتور يوسف القرضاوي في كتاب الحوار الهادئ مع الشيخ القرضاوي وقال : توقفت في الحديث حتى يظهر لي شيء يشفي الصدر، وإن كان محصلة كلامه رد الحديث وليس التوقف فيه.

ويرى البعض أن كثيرا من العلماء –رحمهم الله تعالى– توقفوا في هذه المسألة، كابن القيم وابن حجر والخطابي وابن إسحاق وابن هشام والشوكاني وابن قدامة وابن عثيمين وأحمد شاكر وغيرهم، بدليل أن هؤلاء لم يذكروا حديث أنس رضي الله عنهم في كتبهم ولا يتعرضون لهذه المسألة المهمة، ومنهم من ذكر حديث أنس رضي الله عنه وحديث النهي عن الاستغفار ولم يتكلم عليهما بشيء(٣).

وقد يجاب عن هذا القول :

- أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر في حديثه أن أباه ليس من أهل الجنة، ولذا نرى أن الوقوف في هذه المسألة لا ينبغي، لأنه أمر ثابت لدى الصحابة ولم يتوقفوا فيه، لأن التوقف فيه يؤدي إلى أمر آخر وهو التوقف في كثير من شرائع الإسلام، والرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبر بنص صريح صحيح، وفيه قدوة عليه الصلاة والسلام.

---

(١) الحاوي للفتاوى للسيوطي : (٢/٢١٩).

(٢) المقاصد الحسنة للسخاوي: (ص: ٦٧).

(٣) انظر: الرسالة بعنوان: الآيات والأحاديث والآثار الواردة في أهل الفترة ومن في حكمهم، للطالب مروان أحمد حمدان : (ص:٢٩٠-٢٩٢).

- وكون بعض العلماء –رحمهم الله– لم يتعرضوا لهذه المسألة لا يلزم منه أنهم توقفوا في هذه المسألة.
- ثم إن ابن عثيمين –رحمه الله– قد نهى عن السؤال عن هذه المسألة، لأنه لا فائدة منها، ولكن بعد السؤال لا بد من الجواب، فقال –رحمه الله– :

"لكن هذا السؤال ليس من الأسئلة التي يستحسن أن يسأل عنها؛ لأنه لا فائدة منها إطلاقاً، ولكن بعد السؤال لابد من الجواب فيقال: إن أبا النبي صلى الله عليه وسلم مات على الكفر وهو في النار، كما ثبت في الصحيح أن رجلاً جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: أبوك في النار، فلما انصرف دعاه النبي عليه الصلاة والسلام فقال له: أبي وأبوك في النار، وهذا نص في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى هذا فيكون أبو النبي صلى الله عليه وسلم كغيره من الكفار فيكون في النار"[1].

فقد أثبت –رحمه الله– تعالى أن أبوي النبي صلى الله عليه وسلم ليسا من أهل الجنة بعد أن نهى عن أن يسأل عن هذه المسألة، والله أعلم.

---

(١) فتاوى نور على الدرب لابن عثيمين : (١٤/ ٥٢).

المطلب الثاني : مذهب المخالفين.

المسألة الأولى : مذهب الشيعة.

إن الشيعة الرافضة من أشد الناس عدوا لأهل السنة والجماعة على مر العصور، وأنهم جعلوا أهل البيت وسيلة لنيل غاياتهم، ونسبوا الأقوال والأفعال إليهم –كذبا وزورا– وهم بريئون من هؤلاء الشيعة الرافضة، وإن هؤلاء الروافض قصدوا مخالفة أهل السنة والجماعة في كل ما جاء من الكتاب والسنة، وإن مما عابه الشيعة الرافضة تجاه أهل السنة والجماعة هو ما ذهب إليه أهل السنة و الجماعة من قولهم في أبوي النبي صلى الله عليه وسلم[(١)].

وإن هؤلاء الشيعة الرافضة قالوا بإيمان أبوي النبي صلى الله عليه وسلم، بل إن كل آباء النبي صلى الله عليه وسلم من لدن أدم عليه السلام إلى عبد الله بن عبد المطلب مؤمنون موحدون، وقد اتفقت كلمتهم على هذا، وليسوا مؤمنين موحدين فقط، بل كانوا من الصديقين[(٢)].

قال المجلسي: "بل كانوا من الصديقين، إما أنبياء مرسلين أو أوصياء معصومين، ولعل بعضهم لم يظهر الإسلام لتقية أو مصلحة دينية"[(٣)].

وقال الصدوق: "أن أم النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم آمنة بنت وهب كانت مسلمة أيضا"[(٤)].

وقد وصف شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– هؤلاء الروافض بقوله:

"ثم من جهل الرافضة أنهم يعظمون أنساب الأنبياء آباءهم وأبناءهم ويقدحون في أزواجهم، كل ذلك عصبية واتباع هوى حتى يعظمون فاطمة والحسن والحسين ويقدحون في عائشة أم المؤمنين، فيقولون أو من يقول منهم: إن آزر أبا إبراهيم كان

---

(١) انظر: الحجج الباهرة في إفحام الطائفة الكافرة الفاجرة : (ص: ٣١٢).

(٢) انظر: أوائل المقالات : (ص :١٢)، وتصحيح الاعتقاد : (ص: ٦٧)، وتفسير الرازي: (١٧٣/٢٤)، والبحار : (١٥ /١١٧)، ومجمع البيان: (٣٢٢/٤).

(٣) المجلسي في البحار : (١١٧/١٥)

(٤) المصدر نفسه

مؤمنا وإن أبوي النبي صلى الله عليه وسلم كانا مؤمنين، حتى لا يقولون إن النبي يكون أبوه كافرا، فإذا كان أبوه كافرا أمكن أن يكون ابنه كافرا، فلا يكون في مجرد النسب فضيلة"[(١)].

وقد تقدم الجواب عما أشكله الرافضة، من أن ليس كل آباء النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنين، فإنه يوجد من ليس بمؤمن.

وزيادة بيان هذه المسألة في قول الرافضة تجاه عم النبي صلى الله عليه وسلم أبي طالب والجواب عليهم في المبحث اللاحق[(٢)].

---

(١) منهاج السنة النبوية (٤/ ١٩١-١٩٢).

(٢) انظر: ص (٧٤٩/٢-٧٥٤).

المسألة الثانية : مذهب الصوفية.

إن من عقيدة الصوفية في والدي النبي صلى الله عليه وسلم القول بأن والدي النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الإيمان والتوحيد، وأنهما ناجيان في الآخرة.

قال البيجوري: "إذا علمت أن أهل الفترة ناجون على الراجح علمت أن أبويه صلى الله عليه وسلم ناجيان لكونهما من أهل الفترة، بل جميع آبائه صلى الله عليه وسلم وأمهاته ناجون ومحكومون بإيمانهم لم يدخلهم كفر ولا رجس ولا عيب ولا شيء مما كان عليه الجاهلية"[1].

وقال: وحديث أن بعض الصحابة سأله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فقال: أين أبي؟ فقال : في النار، أجيب بأن أحاديثهم أحاديث آحاد"[2].

وقال: والحق الذي نلقى الله عليه أن أبويه صلى الله عليه وسلم ناجيان"[3].

يقول البيجوري:

ولعل هذا الحديث "حديث إحياء والدي النبي صلى الله عليه وسلم وإيمانهما ثم موتهما" صح عند أهل الحقيقة بطريق الكشف"[4].

وذهب إليه كذلك القسطلاني القتبي المصري في المواهب اللدنية[5].

وقال عبد الرحمن دمشقية بعد أن ذكر بعض مشابهة الشيعة الرافضة بالصوفية في مسائل الاعتقاد :

"وإيمانهم –أي الصوفية- أن أبوي النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الجنة، وأنهما ماتا على الإيمان والتوحيد، وأن من يعتقد خلاف هذا فإنه طاعن في أهل بيت النبوة ومسيئ للأدب بحق النبي صلى الله عليه وسلم"[6].

---

(١) جوهرة التوحيد : (٢٩).

(٢) المصدر نفسه

(٣) المصدر نفسه : (٣٠).

(٤) المصدر نفسه، والكشف عند الصوفية هو الإطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجودا وشهودا، انظر: التعريفات للجرجاني : (ص: ٢٣٧).

(٥) انظر: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية : (١٠٤/١).

(٦) الكنز المطلسم : (٤-٥) نقلا عن كتاب مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية بتصرف يسير.

وقد استدل الصوفية بأن أبوي النبي صلى الله عليه وسلم وجميع آبائه وأمهاته كانوا مؤمنين، وأنهم كانوا من أهل الفترة، وقد تقدم الجواب على هذا الاستدلال[1].

وقولهم أن سؤال الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم، وقوله أن أبا السائل وأبا النبي في النار إن الحديث حديث آحاد، ولا يحتج به، فهو استدلال ضعيف كذلك، وقد تقدم الجواب على ذلك.

وأما استدلالهم بصحة حديث الإحياء، قد تقدم الجواب كذلك، وأن العلماء – رحمهم الله– ضعفوه بل كذبوه.

وأما تصحيحه بطريقة الكشف فما هكذا يعرف الحكم على الحديث عند أهل العلم.

قال ابن تيمية –رحمه الله–:

"وعامة هؤلاء إذا خوطبوا ببيان فساد قولهم قالوا من جنس قول النصارى هذا أمر فوق العقل، ويقول بعضهم ما كان يقوله التلمساني لشيخ أهل الوحدة يقول ثبت عندنا في الكشف ما يناقض صريح النقل"[2].

وقال في موضع آخر :

"والاتحاد والحلول باطل، وعلى قول من يقول به إنما هذا في الباطن والقلب؛ لا في الظاهر ؛ فإن غاية ذلك ما تقوله النصارى في المسيح ولم يقولوا إن أحدا رأى اللاهوت الباطن المتدرع بالناسوت، وهذا الغلط يقع كثيرا في السالكين، يقع لهم أشياء في بواطنهم فيظنونها في الخارج؛ في ذلك بمنزلة الغالطين من نظار المتفلسفة ونحوهم؛ حيث يتصورون أشياء بعقولهم كالكليات والمجردات ونحو ذلك فيظنونها ثابتة في الخارج وإنما هي في نفوسهم ؛ ولهذا يقول أبو القاسم السهيلي وغيره : نعوذ بالله من قياس فلسفي وخيال صوفي"[3].

وأن الكشف هو خيالي جنوني يدعي الصوفي أنه به حصل له علم اليقين في مسائل الاعتقاد وفي كثير من المسائل الشرعية، وبهذا يمكنهم أن يتكلموا في الأشياء

---

(١) انظر: ص: (٤٧٤).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : (٣/ ١٨٦).

(٣) مجموع الفتاوى : (٥/ ٤٩١).

المخالفة في الكتاب والسنة، ويستدلون بالكشف، وهو طريق باطل يهدم الكتاب والسنة، بل ويهدم الدين كله.

المبحث الرابع : وصف أبوي النبي صلى الله عليه وسلم بالكفر ليس نقصا في حق النبي صلى الله عليه وسلم.

إن علاقة الإنسان بوالديه من أحسن العلائق، وذلك أن الله تعالى أمر بالإحسان إليهما لما كان لهما من الفضائل على الإنسان، وقرن الله تعالى في غير موضع من كتابه العزيز بين عبادته وحده لا شريك له، وبين الإحسان إلى الوالدين، قال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾[1]، وقال الله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ﴾[4].

ثم إن الله تعالى قطع الطاعة للوالدين إذا أمرا بالشرك بالله تبارك وتعالى، قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾[6].

وقد أمر الله تعالى بالإحسان إليهما وإن كانا مشركين، وأمر الله تعالى بالإحسان إليهما في حال شركهما من أوضح الأدلة على أن شركهما لا ينقص من قدر من حولهما من الأبناء وغيرهم، وإلا لما أمر الله تعالى بذلك، وكذا النبي صلى الله عليه وسلم، فإن وصف والدي النبي صلى الله عليه وسلم بالكفر لا ينقص من قدر النبي صلى الله عليه وسلم شيئا.

قال البيهقي –رحمه الله– :

---

(١) سورة النساء : (٣٦).

(٢) سورة الإسراء : (٢٣).

(٣) سورة لقمان : (١٣-١٤).

(٤) سورة الأحقاف : (١٥).

(٥) سورة العنكبوت : (٨).

(٦) سورة لقمان : (١٥).

"وأمرهم –يعني والدي النبي صلى الله عليه وسلم- لا يقدح في نسب رسول الله، لأن أنكحة الكفار صحيحة ألا تراهم يسلمون مع زوجاتهم فلا يلزمهم تجديد العقد ولا مفارقتهن إذا كان مثله يجوز في الإسلام وبالله التوفيق"[١].

وقال ابن القيم –رحمه الله- :

"وذلك أن كون الرجل أبوه أو ابنه كافرا لا ينقصه ذلك عند الله شيئا فإن الله يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحى ومن المعلوم أن الصحابة أفضل من آبائهم وكان آباؤهم كفارا"[٢].

وكذا بقية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم ينقص من قدرهم بسبب كفر قراباتهم كنبي الله نوح وإبراهيم ولوط عليهم الصلاة والسلام، ونجاسة الكفار من حيث الاعتقاد لا تؤثر في جسمانيته ولا فيما يتصل به، مثل ما أخرج الله تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين.

قال ابن حزم –رحمه الله-:

"لأن إبراهيم ومحمدا صلى الله عليهما وسلم كان أبواهما كافرين مشركين وقد ولدا خير الإنس والجن من المؤمنين وأكمل الناس إيمانا"[٣].

وقال الحلبي –رحمه الله- :

"ولا يقال وصف أبي النبي صلى الله عليه وسلم بالكفر نقص في حقه؛ لأنا نقول: كلا وهيهات ذلك في حق مثلنا لا في حق مثله، فإن الماء القليل تؤثر فيه النجاسة بخلاف البحر"[٤].

وقال في موضع آخر من كتابه :

إذا عابهم بالاقتداء بآبائهم ربما عارضوه بمثله، بخلاف ما إذا كان دين آبائه على خلاف ما يدعو إليه، فإنه مما يقبل بالمدعو إلى الالتفات إلى الدعوة بأن يقول : لو لم يكن

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي : (١/ ١٩٢).

(٢) منهاج السنة النبوية : (٤/ ١٩٢).

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل : (٤/ ٦١).

(٤) رسالة في حق أبوي النبي صلى الله عليه وسلم : (ص:٣٥).

فيما يدعو إليه مزية؛ لما ترك دين آبائه إليه، ولا تمكنهم تلك المعارضة إذا عابهم بالتقليد [(١)].

ثم لو سلمنا جدلا، أن الابن يخلق من ماء الأب، ومن أولاد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من هو كافر بالله، كابن نوح عليه السلام، صار أولى جواز نبي من كافر[(٢)].

وإن هذا القول –أعني القول بكفر والدي النبي صلى الله عليه وسلم- لا يكون من سوء الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم، إذ القول بكفرهما لا يعني قدحا في نسبهما، لأن أنساب النبي صلى الله عليه وسلم من أشرف الأنساب وأحسنها، بل قد قرر علماء أهل السنة أن من قذف أم النبي صلى الله عليه وسلم قتل مسلما كان أو كافرا، قاله ابن قدامة[(٣)]، وإن الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم هو اتباع أوامر، واعتقاد ما أخبر به، ومما أخبر به صلى الله عليه وسلم ما يتعلق بوالديه، أما عدم التصديق بما أخبر به ولا سيما من أمور الغيبيات التي لا يدركها العقل والتقدم على قوله صلى الله عليه وسلم، هذا من سوء الأدب مع الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾[(٤)].

قال الشوكاني –رحمه الله-:

"كثيراً ما تجمح المحبة ببعض الناس ، فيتخطى الحجة ويحاربها ، ومن وفق علم أن ذلك مناف للمحبة المشروعة ، والله المستعان"[(٥)].

---

(١) رسالة في حق أبوي النبي صلى الله عليه وسلم: (ص:٣٦).

(٢) انظر: الحجج الباهرة في إفحام الطائفة الكافرة الفاجرة : (ص: ٣١٤).

(٣) انظر: الحاوي للفتاوي للسيوطي : (٢/ ٢٢١).

(٤) سورة الحجرات : (١).

(٥) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة : (ص: ٣٦٤).

المبحث الخامس : حكم زيارة قبر الكافر.

إن زيارة القبر أمر مشروع شرعه الله تعالى لحِكم، وأنه أمر مسنون للرجال دون النساء، كما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم عن أبي بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها)[١].

وفي رواية عن علي رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور... ثم قال: (إني كنتُ نهيتُكم عن زيارة القبور، فزوروها، فإنها تذكركم الآخرة)[٢].

ولأن رسول الله صلى الله عليه و سلم أتى مقبرة البقيع لزيارتهم، ثم قال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون[٣].

وفيه مصلحة متبادلة بين الزائرين والمزورين إذا كانوا مسلمين، فالزائر يسفيد أنه يذكره الموت والآخرة؛ فيستعد بالأعمال الصالحة، ويستفيد أيضا أنه فعل سنة النبي صلى الله عليه وسلم؛ فيؤجر على ذلك، ويستفيد كذلك أنه دعا لإخوانه المسلمين؛ فأحسن إليهم؛ فيثاب على ذلك الإحسان، ومن أحسن أحسن الله إليه، قال تعالى: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾[٤]، وكذلك الميت المسلم المزور ، فإنه يستفيد الدعاء له، لأن الأموات يستفيدون من دعاء الأحياء وفق ما جاءت به سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وأما في حق النساء فقد كرهه بعض العلماء وأجازه الآخرون، وأنه تكره في حقهن زيارة القبور، فقد ثبت ذلك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل في زيارة قبر أمه، حديث رقم : (٢٢٦٠)، ص : (٣٩٨).

(٢) رواه أحمد في مسنده، (٢/ ١١٢) حديث رقم : (١٢٣٥)، وابن ماجة في سننه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في زيارة القبور، حديث رقم : (١٥٦٩)، ص : (٢٧٥)، وصححه الألباني.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، حديث رقم : (٥٨٥)، ص: (١٦٣).

(٤) سورة الرحمن : (٦٠).

عليه و سلم قال : (لعن زوارات القبور)[1]، لأن النساء فيهن رقة القلب، وكثرة الجزع، وقلة احتمال للمصائب، وهذا كله مظنة لطلب بكائهن ورفع أصواتهن.

وأما زيارة قبر الكافر فقد اختلف العلماء –رحمهم الله تعالى–فيها على قولين :

القول الأول:

أنه يجوز للمسلم زيارة قبر الكافر، وهو ما ذهب إليه الشافعية والحنابلة.

قال النووي –رحمه الله– :

"ويجوز للمسلم اتباع جنازة قريبه الكافر، وأما زيارة قبره فالصواب جوازها، وبه قطع الأكثرون، وقال صاحب الحاوي: لا يجوز، وهذا غلط، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: استأذنت ربى أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي، رواه مسلم وزاد في رواية له فزوروا القبور فإنها تذكر الموت"[2].

وقال الخطيب الشربيني الشافعي –رحمه الله–:

"ولا بأس باتباع المسلم جنازة قريبه الكافر، وكالقريب الزوج والجار والصديق وزيارة قبره كذلك...ويجوز للمسلم زيارة قبر قريبه الكافر عند الأكثرين"[3].

وقال البهوتي الحنبلي[4] –رحمه الله–:

---

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب الجنائز عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في كراهية زيارة القبور للنساء، حديث رقم : (١٠٥٦)، ص: (٢٥٠).

(٢) المجموع شرح المهذب : (٥/ ١٤٤).

(٣) حاشيتي قليوبي وعميرة : (٤/ ٤٧٣)، وانظر: مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج : (٤/ ٣١٦).

(٤) هو منصور بن يونس بن صلاح الدين بن حسن بن احمد بن علي بن ادريس البهوتي الحنبلي، فقيه، توفي بمصر في ١٠ ربيع الثاني، ومن مصنفاته: الروض المربع في شرح زاد المستقنع في اختصار المقنع لابن قدامة، عمدة الطالب لنيل المآرب، كشف القناع عن الاقناع، والمنح الشافية في شرح نظم المفردات لمحمد بن عبد الهادي المقدسي وكلها في فروع الفقه الحنبلي، انظر: معجم المؤلفين : (١٣/ ٢٢)، و خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر : (٤/٤٢٦).

"وتباح الزيارة لقبر كافر والوقوف عند قبره، -كزيارته قال في شرح المنتهى وغيره-، لزيارته قبر أمه وكان بعد الفتح، وأما قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ فإنما نزلت بسبب عبد الله بن أبي في آخر التاسعة على أن المراد عند أكثر المفسرين : القيام للدعاء والاستغفار، ولا يسلم من زار قبر كافر عليه كالحي، بل يقول الزائر لكافر له : أبشر بالنار في استعمال البشارة تهكم به على حد قوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾[1]، ولا يمنع كافر من زيارة قريبه المسلم حيا كان أو ميتا لعدم المحظور"[2].

وقال ابن تيمية —رحمه الله-:

"فهذه الزيارة التي تنفع في تذكير الموت تشرع ولو كان المقبور كافرا، بخلاف الزيارة التي يقصد بها الدعاء للميت فتلك لا تشرع إلا في حق المؤمنين"[3].

واستدل صاحب هذا القول بفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما زار قبر أمه آمنة، كما ثبت ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : "زار النبي صلى النبي صلى الله عليه و سلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال: (استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكر الموت)[4].

وعن ابن بريدة عن أبيه قال : كنا مع النبي صلى الله عليه و سلم فنزل بنا ونحن معه قريب من ألف راكب فصلى ركعتين ثم أقبل علينا بوجهه وعيناه تذرفان فقام إليه عمر بن الخطاب ففداه بالأب والأم يقول: يا رسول الله مالك؟ قال: (إني سألت ربي عز و جل في الاستغفار لأمي فلم يأذن لي فدمعت عيناي رحمة لها من النار، وإني كنت نهيتكم عن ثلاث عن زيارة القبور فزوروها لتذكركم زيارتها خيرا)[5].

---

(١) سورة الدخان : (٤٩).

(٢) كشاف القناع عن متن الإقناع : (٤/ ٤٣٦).

(٣) مجموع الفتاوى : (١/ ١٦٦).

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب استئذان انبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل في زيارة قبر أمه، حديث رقم : (٢٢٥٩)، ص: (٣٩٨).

(٥) رواه أحمد في مسنده: (٥/ ٣٥٥)، حديث رقم : (٢٣٠٥٣)، والترمذي في سننه، كتاب الضحايا، باب الإذن في ذلك، حديث رقم: (٤٤٢٩)، ص: (٦٨٠)، وصححه الألباني.

ولكن إذا زار المسلم قبر الكافر، فلا يفعل مثل ما يفعله عند قبور المسلمين من السلام والدعاء، بل قد جاء الأمر ببشارتهم بالنار، كما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عيه وسلم من حديث سالم عن أبيه ، قال : (جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إن أبي كان يصل الرحم ، وكان وكان ، فأين هو ؟ قال : في النار، قال : فكأنه وجد من ذلك ، فقال : يا رسول الله ، فأين أبوك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حيثما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار، قال : فأسلم الأعرابي بعد ، وقال : لقد كلفني رسول الله صلى الله عليه وسلم تعبا ، ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار)[1].

ومن حديث عامر بن سعد عن أبيه ، قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : (إن أبي كان يصل الرحم ، وكان وكان ، فأين هو ؟ ، قال : في النار ، فكأن الأعرابي وجد من ذلك ، فقال : يا رسول الله ، فأين أبوك؟ قال : حيث ما مررت بقبر كافر فبشره بالنار ، قال : فأسلم الأعرابي بعد ، فقال : لقد كلفني رسول الله صلى الله عليه وسلم تعبا ، ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار)[2].

القول الثاني :

أنه لا يجوز للمسلم زيارة قبر الكافر.

قال الماوردي –رحمه الله– :

"لا يجوز لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾[3][4].

---

(١) رواه ابن ماجة في سننه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في زيارة قبور المشركين، حديث رقم : (١٥٧٣)، ص: (٢٧٦).

(٢) المعجم الكبير للطبراني (١/١٤٥)، باب النهي والتغليظ على سباب المسلمين وهجرانهم وقتالهم، حديث رقم : (٣٢٦)، وعمل اليوم والليلة لابن السني : (١/٥٤٦)، حديث رقم : (٥٩٥).

(٣) سورة التوبة : (٨٤).

(٤) مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج : (٤/ ٣١٧).

وإذا نظرنا إلى القولين السابقين الذي يبدو والله أعلم، أنه يجوز زيارة قبر الكافر للاعتبار والاتعاظ لفعل النبي عليه الصلاة والسلام، وخاصة للقريب، ولكن لا يجوز السلام عليه ولا استغفار له بل يبشرهم بالنار، كما تقدم، وكما أنه لا يجوز أن يقصد من زيارة الكفار تعظيمهم والإعجاب بهم، لأن ذلك نوع من موالاة الكفار، أو يكون ذلك لأجل النزهة والسياحة.

وأما ما استدل به صاحب القول الثاني فإن مقصود الآية القيام على قبر الكافر للدعاء له والاستغفار، وهذا منهي عنه، بدليل قول الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾[1]، وأما زيارة قبر الكافر فليس في الآية ما يدل على النهي عنه.

ثم إذا نظرنا في حديث الأعرابي الذي جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سائلا عن أبيه، ثم كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه حيث ما مر على قبر مشرك فبشره بالنار، فيه دليل على جواز إتيان وزيارة قبر الكافر، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد كلف هذا الأعرابي بهذا الأمر وأقره عليه.

ثم إن فيه فائدة أخرى وهي أن الإنسان إذا مر على قبر مشرك أو زاره يتذكر ويشعر بعظم نعمة الله تعالى عليه، ألا وهي نعمة الإسلام، فزاده ذلك إيمانا بعد إيمان بالله تعالى وبنعمة الإسلام، فإن الله تعالى قد اصطفاه بين سائر الخلق وأنعم عليه بهذه النعمة العظيمة، ثم يسأل الله تعالى أن يثبت على هذه النعمة ويميته عليه، فلله الحمد والمنة.

قال الألباني –رحمه الله –:

"وفي هذا الحديث فائدة هامة أغفلتها عامة كتب الفقه ، ألا و هي مشروعية تبشير الكافر بالنار إذا مر بقبره، و لا يخفى ما في هذا التشريع من إيقاظ المؤمن و تذكيره بخطورة جرم هذا الكافر حيث ارتكب ذنبا عظيما تهون ذنوب الدنيا كلها تجاهه ولو اجتمعت، وهو الكفر بالله عز و جل و الإشراك به"[2].

---

(١) سورة التوبة : (١١٣).

(٢) السلسلة الصحيحة : (١/ ١٧).

الفصل الثاني

زوجات النبي صلى الله عليه وسلم

وفيه تمهيد وثمانية مباحث:

تمهيد : تعدد أزواج النبي صلى الله عليه وسلم والحكمة في ذلك

المبحث الأول : زوجات النبي صلى الله عليه وسلم من أهل البيت

المبحث الثاني : وصف زوجات النبي صلى الله عليه وسلم بأمهات المؤمنين

المبحث الثالث : ما ورد في فضائل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الرابع : خصوصيات أمهات المؤمنين رضى الله عنهن.

المبحث الخامس : جهود أمهات المؤمنين رضى الله عنهن في خدمة التوحيد.

المبحث السادس : الشبهات التي أثيرت حول أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث السابع : موقف أهل السنة والجماعة تجاه أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثامن : موقف الشيعة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم .

تمهيد

تعدد أزواج النبي صلى الله عليه وسلم والحكمة في ذلك.

تعدد النساء أمر مشتهر بين الأمم، فأمم الأرض وأكثر الناس كانوا يعددون نساءهم بل كانوا يبالغون في التعدد حتى وصل في بعض المجتمعات إلى أكثر من مائة زوجة، وكان بعض العرب له أكثر من عشر نساء، كما كان غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وله عشر نسوة، وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اختر منهن أربعا)[(١)].

و قيس بن الحارث رضي الله عنه قال : (أسلمت وعندي ثمان نسوة ، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ذلك له فقال: اختر منهن أربعا)[(٢)]، لأنه لا يجوز في شريعة الإسلام أن يجمع بين أكثر من أربع، لقول الله تعالى: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ [(٣)].

وكذا لما قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة فآخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري ، وكان سعد ذا غنى، فقال لعبد الرحمن: أقاسمك مالي نصفين وأزوجك؟ قال: بارك الله لك في أهلك ومالك! دلوني على السوق؟[(٤)].

وذلك يدل على أن سعد بن الربيع كان له أكثر من زوجة.

---

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الطلاق، باب في من أسلم وعنده نساء أكثر من أربع أو أختان، حديث رقم : (٢٢٤١) ص: (٣٩٠)، وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته : (ص: ٢٣)، حديث رقم : (٢٢٢).

(٢) رواه ابن ماجة في سننه، كتاب النكاح، باب الرجل يسلم وعنده أكثر من أربع نسوة، حديث رقم : (١٩٥٢) ، ص: (٣٣٨).

(٣) سورة النساء : (٣).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠) وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [الجمعة: ١٠، ١١]، وقوله ﴿ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، حديث رقم : (٢٠٤٩)، مع الفتح : (٥/٥٠٠-٥٠١).

وقد كان الصينيون والبابليون والأشوريون والمصريون وغيرهم يعددون الزوجات، كما كان بنو إسرائيل يعددون النساء، فهذا نبي الله تعالى سليمان عليه السلام، كان تحته مئات الزوجات، كما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (قال سليمان بن داود – عليهما السلام –: لأطوفن الليلة على مئة امرأة ، أو تسع وتسعين – كلهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله، فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، والذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله؛ لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون)[١].

وكذا غيره من الأنبياء كإبراهيم ويعقوب وموسى وداود عليهم الصلاة والسلام كان تحتهم أكثر من امرأة، وقد أثبت ذلك التوراة والإنجيل.

جاء في التوراة : "إذا كان لرجل امرأتان أحداهما محبوبة و الأخرى مكروهة فولدتا له بنين المحبوبة و المكروهة فإن كان الابن البكر للمكروهة. فيوم يقسم لبنيه ما كان له لا يحل له أن يقدم ابن المحبوبة بكرا على ابن المكروهة البكر. بل يعرف ابن المكروهة بكرا ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده لأنه هو أول قدرته له حق البكورية"[٢].

وجاء في الإنجيل : "و قال من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته و يكون الاثنان جسدا واحدا"[٣].

ثم إن هناك أمرا ينبغي أن يعلم أن تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ليس لمجرد التعدد، بل هناك غايات وحكم لا تحصى، وليس كما زعمه الزاعمون من أن النبي صلى الله عليه وسلم كان شهوانيا مزواجا محبا للنساء، شديد الميل لهن، كلا وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب من طلب الولد للجهاد، حديث رقم : (٢٨١٩)، مع الفتح : (٨٧/٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب الأيمان، باب الاستثناء، حديث رقم : (٤٢٨٩)، ص : (٤٢٩١).

(٢) سفر التثنية، الإصحاح واحد وعشرون، العدد: ١٥-١٧.

(٣) إنجيل متى : الإصحاح التاسع عشر، العدد: ٥.

ثم إنه لا يجوز لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقف ههنا على غير قدم التسليم، بل يجب أن يعتقد أن قضاء الله الذي أبرمه لخلقه لا يخرج عن حكم أرادها الله تعالى في إباحته تعالى لعبده ورسوله صلى الله عليه وسلم أن يجمع بين عدد من النسوة حكم عظيمة وغايات جليلة.

ويمكن أن نلخص الحكم في تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم في الأمور التالية :

١-الحكمة التعليمية :

لقد كانت الغاية الأساسية من تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم هي وجود معلمات للنساء، يعلمنهن الأحكام الشرعية، لأن النساء نصف المجتمع، وقد فرض عليهن من التكاليف ما فرض على الرجال، وقد كانت كثيرات منهن يستحيين من سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن بعض الأمور الشرعية ولا سيما ما يتعلق بهن كأحكام الحيض والنفاس والجنابة والأمور الزوجية وغيرها من الأحكام، وقد كانت المرأة تغالب حياءها حينما تريد أن تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذا الرسول، كان له عليه الصلاة والسلام من الحياء الكامل.

كما روى عائشة رضي الله عنها (أن امرأة سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن غسلها من المحيض فأمرها، كيف تغتسل؟ قال: خذي فرصة من مسك فتطهري بها!

قالت: كيف أتطهر؟ قال: تطهري بها!

قالت: كيف؟

قال: سبحان الله! تطهري!

فقالت عائشة رضي الله عنها : فاجتبذتها إلي فقلت: تتبعي بها أثر الدم)[1].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحيض، باب دلك المرأة نفسها إذا تطهرت من المحيض وكيف تغتسل وتأخذ فرصة ممسكة فتتبع أثر الدم، حديث رقم : (٣١٤)، مع الفتح: (٧٠١/١)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم، حديث رقم : (٧٤٨)، ص: (١٨٤).

فكان النبي صلى الله عليه وسلم يستحيي من التصريح، حتى صرحت به عائشة رضي الله عنها، وقليل من النساء من يستطعن سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن أمور تخص المرأة مثل أم سليم رضي الله عنها، كما جاء عن أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: (جاءت أم سليم امرأة أبي طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن الله لا يستحيي من الحق هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم إذا رأت الماء)[1].

وكان منهن من تأتي إلى عائشة رضي الله عنها تسأل عن أمور النساء وإلى غيرها من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، وزوجات النبي صلى الله عليه وسلم هن اللواتي ينقلن إلى الأمة أخبار النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله في المنزل، ولا شك أن لزوجات النبي صلى الله عليه وسلم أثرا كبيرا في هذا الباب، ولقد أصبح من هؤلاء الزوجات معلمات ومحدثات نقلن هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم، واشتهرن بقوة الحفظ والنبوغ والذكاء.

٢-الحكمة التشريعية :

وهذه الحكمة ظاهرة، وهي أنها كانت من أجل إبطال بعض العادات الجاهلية المستنكرة، وذلك مثل التبني الذي كان يفعله العرب قبل الإسلام، يتبنى أحدهم الذي ليس من صلبه ويجعله كالولد الحقيقي، وله حكم الأبناء في الميراث والطلاق والزواج وحرمة المصاهرة وغير ذلك، وما كان الإسلام ليقر هذه العادة، فمهد ذلك بأن ألهم الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يتبني أحد الأبناء —وهذا قبل البعثة-، فتبنى زيد بن حارثة وأصبح الناس يدعونه بعد ذلك اليوم زيد بن حارثة، كما جاء عن عبد الله بن عمر ، رضي الله عنهما (أن زيد بن

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الغسل، باب إذا احتملت المرأة، حديث رقم : (٢٨٢)، مع الفتح : (١/٦٥٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها، حديث رقم : (٧١٢)، ص: (١٧٨-١٧٩).

حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه إلا زيد ابن محمد حتى نزل القرآن ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[1][2].

يا من حضر اشهدوا أن زيدا ابني يرثني وأرثه[3].

وقد زوجه النبي صلى الله عليه وسلم بابنة عمته زينب بنت جحش رضي الله عنها، وعاشت معه مدة من الزمن، ولحكمة أرادها الله تعالى طلق زيد زينب رضي الله عنهما، ثم أمر الله تعالى رسوله أن يتزوجها، ليبطل بهذا عادة التبني ويقيم أساس الإسلام وإن كان في بدايتها تكلم المنافقون والفجار عن النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٌ مِّنۡهَا وَطَرًا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرًاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴾[4]، ونزل قول الله تعالى مؤكدا لهذا التشريع: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ﴾[5].

وهكذا انتهى حكم التبني وبطلت هذه العادة بهذا الزواج المبارك للتشريع، وكان بأمر الحكيم العليم سبحانه الذي دقت حكمته أن تحيط بها العقول والأفهام.

٣-الحكمة الاجتماعية :

وهذا يظهر في زواج النبي صلى الله عليه وسلم بابنة أبي بكر الصديق عائشة رضي الله عنهما، حيث كان أبوها وزيره الأول، وكان أبو بكر من أحب الناس

---

(١) سورة الأحزاب : (٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [الأحزاب: ٥]، حديث رقم : (٤٧٨٢)، مع الفتح : (٤٩٢/١٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد رضي الله عنهما، حديث رقم : (٦٢٦٢)، ص : (١٠١٤).

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب : (٢/ ٥٤٥).

(٤) سورة الأحزاب : (٣٧).

(٥) سورة الأحزاب : (٤٠).

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان من أسبق الناس إلى الإسلام، وقدم نفسه وماله في سبيل نصرة الدين والذود عن رسوله وتحمل الأذى في سبيل الإسلام، وقال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يدا يكافئه الله به يوم القيامة، وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر، ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ألا وإن صاحبكم خليل الله)[1]، وبهذا الزواج يصبح بينهما المصاهرة والقرابة رباطا إجتماعيا وثيقا.

وكما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم بابنة الفاروق حفصة رضي الله عنهما، فكان ذلك قرة عين لأبيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي أعز الله به الإسلام والمسلمين ورفع به منار الدين، فكان زواج النبي صلى الله عليه وسلم بابنته أعظم شرف لهما.

وكما يقابل ذلك إكرامه صلى الله عليه وسلم لعثمان وعلي رضي الله عنهما بتزويجهما بناته، وهؤلاء الأربعة هم أعظم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه من بعده في نشر ملته وإقامة دعوته.

٤-الحكمة السياسية :

لقد تزوج النبي صلى الله عليه وسلم ببعض النسوة من أجل تأليف القلوب عليه، وجمع القبائل حوله، فمن المعلوم أن الإنسان إذا تزوج من قبيلة أو عشيرة يصبح بينه وبينهم قرابة ومصاهرة، وذلك يدعوهم إلى نصرته وحمايته.

وقد حصل هذا في زواج النبي صلى الله عليه وسلم بجويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق، وكانت قد أسرت مع قومها وعشيرتها، وأرادت أن تفتدي نفسها

---

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب في سن النبي صلى الله عليه وسلم وابن كم كان حين مات، حديث رقم : (٣٦٦١)، ص : (٨٣٢)، صححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير : (٢٢/ ٩٨)، حديث رقم: (١٠٥٩٨).

وجاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم بشيء من المال، فعرض عليها الرسول صلى الله عليه وسلم أن يدفع عنها وأن يتزوج بها، فقبلت فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما علم المسلمون بذلك اعتقوا جميع الأسرى الذين كانوا تحت أيديهم بسبب المصاهرة من النبي صلى الله عليه وسلم، فلما رأى بنو المصطلق هذا النبل والسمو أسلموا جميعا ودخلوا في دين الله تعالى، وأصبحوا مؤمنين.

قالت عائشة رضى الله عنها - فجاءت تسأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في كتابتها، فلما قامت على الباب فرأيتها كرهت مكانها وعرفت أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سيرى منها مثل الذى رأيت، (فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث، وإنما كان من أمرى ما لا يخفى عليك، وإني وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس، وإني كاتبت على نفسى فجئتك أسألك في كتابتي

فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : فهل لك إلى ما هو خير منه؟

قالت: وما هو يا رسول الله؟

قال: أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك.

قالت: قد فعلت.

قالت: فتسامع - تعنى الناس - أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد تزوج جويرية، فأرسلوا ما في أيديهم من السبي فأعتقوهم وقالوا: أصهار رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فما رأينا امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها أعتق في سببها مائة أهل بيت من بنى المصطلق)[1].

وكذلك من زواج النبي صلى الله عليه وسلم بصفية بنت حيي رضي الله عنها التي أسرت بعد قتل زوجها في غزوة خيبر، ووقعت في سهم بعض المسلمين، ثم عرضوا أمرها على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعاها الرسول وخيرها بين

---

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب العتق، باب في بيع المكاتب إذا فسخت المكاتبة، حديث رقم : (٣٩٣١)، ص : (٧٠٦).

أن يعتقها ويتزوجها، أو أن يطلق سراحها فتلحق بأهلها، فاختارت رضي الله عنها أن تكون زوجة النبي صلى الله عليه وسلم.

وكذلك زواج النبي صلى الله عليه وسلم بأم حبيبة رملة بني أبي سفيان رضي الله عنهما، فقد كان هذا الزواج سببا لتخفيف الأذى عنه وعن أصحابه المسلمين، لا سيما بعد أن أصبح بينهما نسب وقرابة.

المبحث الأول : زوجات النبي صلى الله عليه وسلم من أهل البيت.

إن مما يعلم عقلا فضلا عن النقل أن زوجة الرجل تكون من أهله، وهو مما يعلم بالضرورة، ولكن أبى ذلك بعض من أراد الطعن في النبي صلى الله عليه وسلم وفي زوجاته أمهات المؤمنين رضي الله عنهن أجمعين.

ويدل على أن أزواجه صلى الله عليه وسلم دخل في أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم أمور، منها :

١-قول الله تعالى في حقهن: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[1].

أورد ابن جرير –رحمه الله– في تفسيره :

"كان عكرمة ينادي في السوق ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[2] قال: نزلت في نساء النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم خاصة[3].

وقال ابن كثير –رحمه الله–:

"ثم الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم داخلات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾، فإن سياق الكلام معهن؛ ولهذا قال تعالى بعد هذا كله: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾"[4][5].

وقال في موضع آخر :

---

(١) سورة الأحزاب : (٣٣).

(٢) سورة الأحزاب : (٣٣).

(٣) جامع البيان : (٢٠/ ٢٦٧).

(٤) سورة الأحزاب : (٣٤).

(٥) تفسير القرآن العظيم : (٦/ ٤١٥).

"وهذا نص في دخول أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في أهل البيت هاهنا؛ لأنهن سبب نزول هذه الآية، وسبب النزول داخل فيه قولا واحدا، إما وحده على قول أو مع غيره على الصحيح"[1].

قال ابن تيمية –رحمه الله-:

"وقوله: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴾وقوله في قصة إبراهيم: ﴿ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ ﴾ [2]، وقد دخلت سارة، ولأنه استثنى امرأة لوط من آله فدل على دخولها في الآل...وكما أن أزواجه داخلات في آله وأهل بيته كما دل عليه نزول الآية وسياقها، وقد تبين أن دخول أزواجه في آل بيته أصح"[3].

فإن قال قائل: إن الضمير في قول الله تعالى: ﴿ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ وفي قوله تعالى ﴿ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴾ ضمير الذكور، فلو كان المراد نساء النبي صلى الله عليه وسلم لقيل : "عنكن" و "يطهركن".

فالجواب على هذا يكون من وجهين :

الأول: أن هذه الآية شاملة لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم ولعلي والحسن والحسين وفاطمة رضي الله عنهم، وقد أجمع أهل اللسان العربي على تغليب الذكور على الإناث في الجموع ونحوها.

الثاني: أن من أساليب اللغة العربية التي نزل بها القرآن أن زوجة الرجل يطلق عليها اسم الأهل، و لفظ الأهل تخاطب مخاطبة الجمع المذكر.

كقول الله تعالى في موسى: ﴿ فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ ﴾ [4]، وقوله: ﴿ لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم ﴾ [1]، وغيرها من الآيات، والمخاطب امرأة موسى عليهما السلام كما قال غير واحد من العلماء –رحمهم الله-، لأنها كانت مع موسى في السفر.

---

(١) تفسير القرآن العظيم: (٦/ ٤١٠).

(٢) سورة هود : (٧٣).

(٣) مجموع الفتاوى : (٢٢/ ٤٦١).

(٤) سورة طه : (١٠).

ويجوز خطاب المرأة بضمير الذكور، قال الله تعالى: ﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ۝ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾[2]، وفي خطاب الملائكة لسارة زوجة إبراهيم عليهما السلام خاطبوها بنون النسوة "أَتَعْجَبِينَ"، ثم خاطبوها مع زوجها بقوله "عَلَيْكُمْ"، وخاطب الله تعالى إبراهيم وزوجته عليهما السلام بأهل البيت.

وقال تعالى: ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾[3]، وقد خاطبت أخت موسى عليهما السلام فرعون وزوجته بقولها "لَكُمْ".

وقول امرأة عزيز مصر لزوجها عندما اتهمت يوسف عليه السلام بالتعدي عليها، قال الله تعالى حكاية عن قولها ﴿ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا ﴾[4]، فأطلق عليها كلمة الأهل.

وفي حادثة الإفك التي اتهمت فيها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فالنبي صلى الله عليه وسلم استشار أصحابه في ذلك، فقال له أسامة بن زيد: أهلك يا رسول الله، ولا نعلم والله إلا خيرا، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه مستعذرا في الناس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا)[5].

---

(١) سورة طه : (١٠).

(٢) سورة هود : (٧٢-٧٣).

(٣) سورة القصص : (١٢).

(٤) سورة يوسف : (٢٥).

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١٦] ﴿ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ [النور: ١٣] ، حديث رقم : (٤٧٥٠)، مع الفتح : (١٠/٣٨٦-٣٩٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك، =

فهـذا دليـل واضـح جلـي علـى أن أزواج النـبي صـلى الله تليـه وسـلم مـن أهـل بيته[1].

قال ابن منظور –رحمه الله-:

"وأهل البيت سكانه وأهل الرجل أخص الناس به، وأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم أزواجه وبناته وصهره أعني عليا عليه السلام وقيل نساء النبي صلى الله عليه وسلم والرجال الذين هم آله"[2].

٢-أن أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم تحرم عليهم الصدقة، وإن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ممن تحرم عليهن الصدقة[3].

قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس)[4].

قال ابن القيم –رحمه الله-:

"ولهذا كان القول الصحيح وهو منصوص الإمام أحمد رحمه الله أن الصدقة تحرم عليهم، لأنها أوساخ الناس وقد صان الله سبحانه ذلك الجناب الرفيع وآله من كل أوساخ بني آدم"[5].

٣-قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنهم قالوا : (يا رسول الله كيف نصلي عليك؟

وقبول توبة القاذف، حديث رقم : (٧٠٢٠)، ص : (١١٤٢-١١٤٥).

(١) شرح مشكل الآثار : (٢/ ٢٤٧)، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : (٦/ ٢٣٨).

(٢) لسان العرب : (١١/ ٢٨).

(٣) اختلف العلماء –رحمهم الله تعالى- في هذه المسألة، وسبب الخلاف هو دخول أزواج النبي صلى اله عليه وسلم في أهل البيت، وقد رجح ابن تيمية وابن القيم وابن كثير وابن قدامة أنهن من أهل البيت وحرم عليهن الصدقة، والله تعالى أعلم، انظر: مجموع الفتاوى : (٢٢/٢٦٠-٢٦١)، و تفسير القرآن العظيم لابن كثير : (٦/٤١٥)، والمغني : (٢/٥٢٠).

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب ترك استعمال آل النبي صلى الله عليه وسلم على الصدقة، حديث رقم : (٢٤٨٢)، ص : (٤٣٨).

(٥) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام : (ص: ٢١٧).

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قولوا : (اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد)[1].

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (قلنا يا رسول الله، هذا التسليم فكيف نصلي عليك؟ قال: قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد ، وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم)[2].

ووجه الاستدلال من هذين الحديثين هو أن الأول منهما فسره لفظ الآخر من كون أزواج النبي صلى الله عليه وسلم من أهل بيته.

٤- جاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اللهم ارزق آل محمد قوتا)[3]، وكان رزق أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قوتا، وما كان يحصل لهن من الأموال كن يتصدقن بها ويجعلن رزقهن قوتا.

٥- وورد من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: "ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعا حتى قبض"[4]، وهكذا أمر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب يزفون: النسلان في المشي، حديث رقم : (٣٣٦٩)، مع الفتح : (٦٧٢/٧).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ١- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٧] ، حديث رقم : (٤٧٩٨)، مع الفتح : (٥١٦/١٠).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتخليهم عن الدنيا، حديث رقم : (٦٤٦٠)، مع الفتح : (٥٧٦/١٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب في فضل الكفاف والقناعة، حديث رقم : (٢٤٢٧)، ص : (٤٢٦).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأطعمة، باب قول الله تعالى ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ [البقرة: ١٧٢] وقوله ﴿ أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، وقوله ﴿كُلُوا مِنَ =

قال ابن القيم –رحمه الله– بعد أن ساق الحديث:

"ودخل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في أهل بيته تشبيها لذلك، لأن اتصالهن بالنبي صلى الله عليه وسلم غير مرتفع، وهن محرمات على غيره في حياته وبعد مماته ، وهن زوجاته في الدنيا والآخرة، فالسبب الذي لهن بالنبي صلى الله عليه وسلم قائم مقام النسب"[1].

٦–إذا كان سلمان الفارسي من أهل البيت، فكيف لا يكون أزواجه من أهل البيت، وهذا من باب أولى.

كما جاء من حديث مصعب بن عبد الله قال: (وسلمان الفارسي يكنى أبا عبد الله كان ولاؤه لرسول الله صلى الله عليه و سلم، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: سلمان منا أهل البيت)[2].

٧–قول حصين بن سبرة إلى زيد بن أرقم رضي الله عنهما، ومن أهل بيته –رسول الله صلى الله عليه وسلم– (يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟

قال زيد رضي الله عنه : نسائه من أهل بيته– صلى الله عليه وسلم–)[3].

وبهذه الأدلة يُعلم أن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم كن من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وجرى لهن ما خُص به أهل بيت النبوة.

الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [المؤمنون: ٥١]، حديث رقم : (٥٣٧٤)، مع الفتح : (١٢/٢٨١)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين، حديث رقم : (٧٤٤٣)، ص : (١٢٢٠–١٢٢١).

(١) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام : (ص: ٢١٧).

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم : (٣/ ٦٩١)، حديث رقم : (٦٥٤١)، وضعفه الذهبي في التلخيص.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حديث رقم : (٦٢٢٥)، ص: (١٠٠٨).

المبحث الثاني: وصف زوجات النبي صلى الله عليه وسلم بأمهات المؤمنين.

لقد وصف الله تعالى في قوله: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾[1] أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بأنهن أمهات المؤمنين، ومعنى الأمومة التي وصف الله تعالى لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية هي أمومة دينية، وهي التي يكون سببها الدين، وهن رضي الله عنهن أمهات المؤمنين من هذا الوجه، لكونهن بمنزلة الوالد، لما قمن به من جهود عظيمة في نقل أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أقواله وأفعاله وأخلاقه وعبادته، وصار بسببهن نفع للأمة عظيم، ولهذا السبب يجب تقديرهن واحترامهن والقيام بحقوقهن، فإنهن بمنزلة الأمهات.

روى ابن جرير عن قتادة –رحمه الله– في قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾[2] قال: "يعظِّم بذلك حقهنّ"[3].

وروى ابن أبي حاتم عنه –رحمه الله– أنه قال : "أمهاتهم في الحرمة لا يحل لمؤمن أن ينكح امرأة من نساء النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم في حياته إن طلق ولا بعد موته ، هي حرام على كل مؤمن مثل حرمة أمه"[4].

قال الشافعي – رحمه الله–:

"وقوله: ﴿ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ مثل ما وصفت من اتساع لسان العرب وأن الكلمة الواحدة تجمع معاني مختلفة، ومما وصفت من أن الله أحكم كثيرا من فرائضه بوحيه وسن شرائع واختلافها على لسان نبيه وفي فعله، فقوله ﴿ أُمَّهَٰتُهُم ﴾ يعني في معنى دون معنى، وذلك أنه لا يحل لهم نكاحهن بحال ولا يحرم عليهم نكاح بنات لو كن لهن، كما يحرم عليهم نكاح بنات أمهاتهم اللاتي ولدنهم أو أرضعنهم.

قال الشافعي – رحمه الله–: فإن قال قائل: ما دل على ذلك؟

---

(١) سورة الأحزاب : (٦).

(٢) سورة الأحزاب : (٦).

(٣) جامع البيان : (٢٠/ ٢٠٩).

(٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي: (١١/ ٧٢٣).

فالدليل عليه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوج فاطمة بنته وهو أبو المؤمنين وهي بنت خديجة أم المؤمنين زوجها عليا رضي الله عنه، وزوج رقية وأم كلثوم عثمان وهو بالمدينة، وأن زينب بنت أم سلمة تزوجت وأن الزبير بن العوام تزوج بنت أبي بكر، وأن طلحة تزوج ابنته الأخرى وهما أختا أم المؤمنين، وعبد الرحمن بن عوف تزوج ابنة جحش أخت أم المؤمنين زينب، ولا يرثهن المؤمنون ولا يرثنهم كما يرثون أمهاتهم ويرثنهم ويشبهن أن يكن أمهات لعظم الحق عليهم مع تحريم نكاحهن"[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-:

"وقد أجمع المسلمون على تحريم نكاح هؤلاء بعد موته على غيره، وعلى وجوب احترامهن فهن أمهات المؤمنين في الحرمة والتحريم؛ ولسن أمهات المؤمنين في المحرمية، فلا يجوز لغير أقاربهن الخلوة بهن ولا السفر بهن كما يخلو الرجل ويسافر بذوات محارمه، ولهذا أمرن بالحجاب، فقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾[3]"[4].

وقال ابن كثير –رحمه الله -:

"أي في الحرمة والاحترام، والإكرام والتوقير والإعظام، ولكن لا تجوز الخلوة بهن، ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع... [5].

وقال القرطبي –رحمه الله-:

---

(١) الأم للشافعي : (٥/ ١٤١).

(٢) سورة الأحزاب : (٥٩).

(٣) سورة الأحزاب : (٥٣).

(٤) منهاج السنة النبوية : (٤/ ٢٠٧).

(٥) تفسير القرآن العظيم : (٦/ ٣٨٠).

"أي: في وجوب التعظيم والمبرة والإجلال وحرمة النكاح على الرجال وحجبهن رضي الله تعالى عنهن، بخلاف الأمهات. وقيل : لما كانت شفقتهن عليهم كشفقة الأمهات أنزلن منزلة الأمهات ثم هذه الأمومة لا توجب ميراثا كأمومة التبني وجاز تزويج بناتهن ولا يجعلن أخوات للناس"[(١)].

ثم إن العلماء –رحمهم الله تعالى- اختلفوا ، هل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أمهات للمؤمنين فقط أو أمهات للمؤمنين والمؤمنات؟

ففي هذه المسألة قولان مشهوران لأهل العلم –رحمهم الله-.

القول الأول :

إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أمهات للمؤمنين فقط، ويستدلون على ذلك بما جاء عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن امرأة قالت لها : يا أمه، فقالت: أنا أم رجالكم لست بأمك[(٢)].

قال ابن العربي –رحمه الله-: "وهو الصحيح"[(٣)].

وقال ابن كثير –رحمه الله-:

"وهذا أصح الوجهين في مذهب الشافعي رحمه الله"[(٤)].

القول الثاني:

إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أمهات للمؤمنين والمؤمنات، ويستدل أصحاب هذا القول على ذلك بما جاء عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت : "أنا أم الرجال منكم والنساء"[(٥)].

وقال القرطبي –رحمه الله– مرجحا لهذا القول :

---

(١) تفسير القرطبي : (١٤/ ١٢٢).

(٢) رواه البيهقي في سننه : (٧/ ٧٠)، حديث رقم : (١٣٢٠٠)، وقال ابن كثير في تفسير : (٦/ ٣٨١) : صح عن عائشة، رضي الله عنها.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي : (٦/ ٣١١).

(٤) تفسير القرآن العظيم : (٦/ ٣٨١).

(٥) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي : (١١/ ٧٢٤).

"والذي يظهر لي أنهن أمهات الرجال والنساء تعظيما لحقهن على الرجال والنساء، يدل عليه صدر الآية ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾، وهذا يشمل الرجال والنساء ضرورة، ويدل على ذلك حديث أبي هريرة وجابر فيكون قوله: ﴿ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ ﴾ عائدا إلى الجميع، ثم إن في مصحف أبي بن كعب (وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم) وقرأ بن عباس : (من أنفسهم وهو أب لهم وأزواجه أمهاتهم) وهذا كله يوهن مارواه مسروق إن صح من جهة الترجيح، وإن لم يصح فيسقط الاستدلال به في التخصيص وبقينا على الأصل الذي هو العموم الذي يسبق إلى الفهوم، والله أعلم"[1].

وهذا هو الأقرب، والله تعالى أعلم، وذلك أنه يمكن الجمع بين ما روي عائشة رضي الله عنها وما روي أم سلمة رضي الله عنها بأن يقال: إذا كان المقصود بالأمومة تحريم نكاحهن من بعده عليه الصلاة والسلام والنظر إليهن والخلوة بهن، فلا يخفى أن هذا أمر خاص بالرجال دون النساء.

وإن كان المقصود بالأمومة التوقير والإجلال والاحترام والقيام بالحقوق والواجبات ونحو ذلك؛ فهذا شامل للرجال والنساء للمؤمنين والمؤمنات، فلعل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لحظت بقولها المعنى الأول، وأم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها لحظت بقولها معنى الثاني، والله أعلم.

---

(١) تفسير القرطبي : (١٤/ ١٢٢).

المبحث الثالث: ما ورد في فضائل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.

المطلب الأول : ما ورد في فضائلهن عموما.

قد تزوج النبي صلى الله عليه وسلم عدة من النساء كما تقدم، وعدد أزواجه صلى الله عليه وسلم إحدى عشرة امرأة، توفي في حياته عليه الصلاة والسلام اثنتان منهن، ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التسع الباقيات رضي الله عنهن[1].

ولهن فضائل كثيرة، منها فضائل مشتركة، ومنها فضائل فردية لآحادهن رضي الله عنهن، فمن فضائلهن المشتركة:

١- ذكر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بوصف الزوجية.

قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ ﴾[3]، ففي الآية دليل ظاهر على التزكية العلية لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك أن لفظ الأزواج مشعر بالمشاكلة والمجانسة والاقتران، فإن الزوجين هما الشيئان المتشابهان المتشاكلان، كما في قول الله تعالى: ﴿ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾[4]، والله جعلهن في مقام المناسب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما يدل على الصلاح والتقوى والطهر، وحتى في مقام العتاب خاطبهن الله تعالى بالأزواج دون المرأة، كما في سورة التحريم، وقد سبق كلام ابن القيم —رحمه الله تعالى– في ذلك.

٢- اختيار أزواج النبي صلى الله عليه وسلم جميعا الله ورسوله والدار الآخرة.

---

(١) وذكر العراقي في ألفيته في السيرة (ص: ٢٩-٣٠)، قال ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد : (١/ ١٠٢) : "وقال بعضهم هن ثلاثون امرأة، وأهل العلم بسيرته وأحواله صلى الله عليه وسلم لا يعرفون هذا بل ينكرونه، والمعروف عندهم أنه بعث إلى الجونية ليتزوجها فدخل عليها ليخطبها فاستعاذت منه فأعاذها ولم يتزوجها، وكذلك الكلبية، وكذلك التي رأى بكشحها بياضا فلم يدخل بها والتي وهبت نفسها له فزوجها غيره على سور من القرآن هذا هو المحفوظ، والله أعلم".

(٢) سورة الأحزاب : (٢٨).

(٣) سورة الأحزاب : (٥٩).

(٤) سورة الصافات : (٢٢).

قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾[1].

قال ابن كثير –رحمه الله-:

"هذا أمر من الله لرسوله صلوات الله وسلامه عليه بأن يخير نساءه بين أن يفارقهن، فيذهبن إلى غيره ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال، ولهن عند الله في ذلك الثواب الجزيل، فاخترن رضي الله عنهن وأرضاهن الله ورسوله والدار الآخرة، فجمع الله لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة"[2].

وجاء من حديث عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: "لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخيير أزواجه بدأ بي، فقال: إني ذاكر لك أمرا فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك، قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: إن الله جل ثناؤه قال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا ﴾ إلى ﴿ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ قالت: فقلت: ففي أي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مثل ما فعلت"[3].

قال ابن تيمية –رحمه الله-:

---

(١) سورة الأحزاب : (٢٨-٢٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم : (٦/ ٤٠١)

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب الغرفة والعلية المشرفة وغير المشرفة في السطوح وغيرها، حديث رقم : (٢٤٦٨)، مع الفتح : (٦/٢٨٧-٢٨٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية، حديث رقم : (٣٦٨١)، ص : (٦١١).

"وقد ثبت أيضًا بالنقل الصحيح أن هذه الآيات لما نزلت قرأها النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – على أزواجه، وخيَّرهن كما أمره الله، فاخترنَ الله ورسولَه والدار الآخرةَ، ولذلك أقَرَّهنّ ولم يُطلِّقْهن حتى ماتَ عنهن"[1].

وفيه دلالة على المرتبة العالية في التقوى وصدق الإيمان لأمهات المؤمنين عموما حيث قدمن واخترن الله ورسوله والدار الآخرة.

٣- العناية بنصحهن وخطابهن بأحسن الألقاب.

وهذا أمر تميزن به عن بقية الصحابة بل عن بقية آل البيت رضي الله عنهم أجمعين.

قال الآلوسي -رحمه الله-:

"يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ " تلوين للخطاب وتوجيه له إليهن لإظهار الاعتناء بنصحهن ونداؤهن هاهنا وفيما بعد بالإضافة إليه عليه الصلاة والسلام، لأنها التي يدور عليها ما يرد عليهن من الأحكام ، واعتبار كونهن نساء في الموضعين أبلغ من اعتبار كونهن أزواجا كما لا يخفى على المتأمل" [2].

٤- استحقاقهن الأجر العظيم مع مقارنة الإحسان.

قال الله تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾ [3].

هذه الآية الكريمة تدل على أنهن سينلن أجرا عظيما، وهذا الأجر العظيم مجمل بينته آية أخرى، وهذا الأجر يكون في الدنيا والآخرة، أما في الأخرة فكونهن مع النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة.

وأما في الدنيا فيكون من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول : جعلهن أمهات المؤمنين تعظيما لحقهن وتأكيدا لحرمتهن وتشريفا لمنزلتهن.

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية : (٣/ ٧٦).

(٢) روح المعاني : (١١/ ١٨٠).

(٣) سورة الأحزاب : (٢٨).

الوجه الثاني : حظر طلاقهن وتحريم التزوج عليهن على أحد القولين عند المفسرين في قول الله تعالى: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ ﴾[1]، لأنهن لم يخترن غير النبي صلى الله عليه وسلم ، فأمر بإمساكهن.

الوجه الثالث : قتل قاذفهن، أما غيرهن فالجلد فقط[2].

٥- إبراز شرفهن وعلو منزلتهن.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴾[3]، وذلك أن مضاعفة العذاب لشرف المنزلة وفضل الدرجة وتقدمهن على سائر النساء، فهن وإن كن كالنساء جبلة فإنهن لسن كغيرهن شرفا.

قال ابن القيم –رحمه الله-:

"من كملت عليه نعمة الله واختصه منها بما لم يختص به غيره في إعطائه منها ما حرمه غيره، فحبي بالإنعام وخص بالإكرام وخص بمزيد التقريب وجعل في منزلة الولي الحبيب، اقتضت حاله من حفظ مرتبة الولاية والقرب والاختصاص بأن يراعي مرتبته من أدنى مشوش وقاطع فلشدة الاعتناء به ومزيد تقريبه واتخاذه لنفسه واصطفائه على غيره تكون حقوق وليه وسيده عليه أتم ونعمه عليه أكمل والمطلوب منه فوق المطلوب من غيره؛ فهو إذا غفل وأخل بمقتضى مرتبته نبه بما لم ينبه عليه البعيد البراني مع كونه يسامح بما لم يسامح به ذلك أيضا فيجتمع في حقه الأمران"[4].

٦- مضاعفة الأجر وهو منطوق قول الله تعالى: ﴿ نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ ﴾[5].

قال الطبري –رحمه الله- :

---

(١) سورة الأحزاب : (٥٢).

(٢) انظر: أحكام القرآن لابن العربي : (٣٤٧/٦)، وزاد المسير لابن الجوزي : (١٣٢/٥).

(٣) سورة الأحزاب : (٣٠).

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : (١/ ٣٣٤).

(٥) سورة الأحزاب : (٣١).

"يعطها الله ثواب عملها، مثلي ثواب عمل غيرهن من سائر نساء الناس"[1].

وقال الآلوسي –رحمه الله–:

"ويستدعي هذا أنه إذا أثيب نساء المسلمين على الحسنة بعشر أمثالها أثبن هن على الحسنة بعشرين مثلا لها وإن زيد للنساء على العشر شيء زيد لهن ضعفه"[2].

وقال ابن تيمية –رحمه الله–:

"وهن –ولله الحمد– قنتن لله رسوله وعملن صالحا فاستحققن الأجر مرتين فصرن أفضل لطاعة الأمر لا لمجرد الأمر"[3].

قال الزمخشري –رحمه الله–:

"وليس لأحد من النساء مثل فضل نساء النبي صلى الله عليه وسلم ولا على أحد منهنّ مثل ما لله عليهن من النعمة ...وإنما ضوعف أجرهنّ لطلبهنّ رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق ، وطيب المعاشرة والقناعة، وتوفرهنّ على عبادة الله والتقوى"[4].

٧- البشارة لهن بالجنة.

وقد أخذ العلماء هذه البشارة من قول الله تعالى: ﴿ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ [5]، والرزق الكريم هو الجنة.

قال ابن كثير –رحمه الله–:

"فإنهن في منازل رسول الله صلى الله عليه وسلم، في أعلى عليين، فوق منازل جميع الخلائق، في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة إلى العرش"[6].

وقال ابن عاشور –رحمه الله–:

---

(١) جامع البيان : (٢٠/ ٢٥٦).

(٢) روح المعاني : (١١/ ١٨٤).

(٣) منهاج السنة النبوية : (٤/ ٣٦٨).

(٤) تفسير الكشاف : (٣/ ٥٣٦).

(٥) سورة الأحزاب : (٣١).

(٦) تفسير القرآن العظيم : (٦/ ٤٠٨).

"والعدول عن المضارع إلى فعل ماضي في قوله: ﴿ وَأَعۡتَدۡنَا ﴾ إفادة تحقيق وقوعه"[1].

٨- تفضيلهن على عموم النساء، قال الله تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾[2].

قال ابن عباس رضي الله عنه :

"يريد ليس قَدْرُكنّ عندي مثل قدر غيركنّ من النساء الصالحات، أنتن أكرم عليَّ، وثوابُكنّ أعظمُ لديَّ"[3].

قال ابن العربي المالكي –رحمه الله-:

"قوله: ﴿ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ يعني في الفضل والشرف ، فإنهن وإن كن من الآدميات فلسن كإحداهن ، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان من البشر جبلة ، فليس منهم فضيلة ومنزلة، وشرف المنزلة لا يحتمل العثرات، فإن من يقتدى به وترفع منزلته على المنازل جدير بأن يرتفع فعله على الأفعال ويربو حاله على الأحوال"[4].

وقد علل ذلك الرازي –رحمه الله- بقوله:

"كما أن محمدا عليه السلام ليس كأحد من الرجال ، كما قال عليه السلام : «لست كأحدكم» كذلك قرائبه اللاتي يشرفن به وبين الزوجين نوع من الكفاءة"[5].

وقال ابن عاشور –رحمه الله-:

"وسبب ذلك أنهن اتصلن بالنبي عليه الصلاة والسلام اتصالا قريبا من كل اتصال، وصرن أنيساته ملازمات شؤونه، فيختصصن باطلاع ما لم يطلع عليه

---

(١) التحرير والتنوير : (٢١/ ٢٣٩).

(٢) سورة الأحزاب : (٣٢).

(٣) تفسير البغوي : (٦/ ٣٤٨).

(٤) أحكام القرآن لابن العربي : (٦/ ٣٥١).

(٥) مفاتيح الغيب : (٢٥/ ١٦٧).

غيرهن من أحواله وخلقه في المنشط والمكره، ويتخلقن بخلقه أكثر مما يقتبس منه غيرهن، ولأن إقباله عليهن إقبال خاص، ألا ترى إلى قوله صلى الله عليه وسلم: "حبب إلي من دنياكم النساء والطيب"[(١)].

٩- الوعد بقبول العمل.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[(٢)].

قال الآلوسي –رحمه الله-:

"والآية متضمنة الوعد منه عزّ وجلّ لأهل بيت نبيه صلّى الله عليه وسلم بأنهم أن ينتهوا عما ينهي عنه ويأتمروا بما يأمرهم به يذهب عنهم لا محالة مبادئ ما يستهجن ويحليهم أجلّ تحلية بما يستحسن ، وفيه إيماء إلى قبول أعمالهم وترتب الآثار الجميلة عليها قطعا ويكون هذا خصوصية لهم ومزية على من عداهم من حيث إن أولئك الأغيار إذا انتهوا وائتمروا لا يقطع لهم بحصول ذلك"[(٣)].

١٠-الاصطفاء الإلهي.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾[(٤)]، وإن ختم الآية بذكر الخبير له دلالته الواضحة على أن الله تعالى اختار لنبيه أزواجا هن خير الأزواج، حيث اصطفى له سبحانه خير نساء العالمين.

قال ابن كثير –رحمه الله-:

"بلطفه بكُنَّ بلغتن هذه المنزلة، وبخبرته بكن وأنكن أهل لذلك، أعطاكن ذلك وخصكن بذلك... إذ جعلكن في البيوت التي تتلى فيها آياته والحكمة، وهي السنة، خبيرا بكن إذ اختاركن لرسوله أزواجا، ولا ريب أن هذه تزكية إلهية ما

---

(١) التحرير والتنوير : (٢١/ ٢٣٩).

(٢) سورة الأحزاب : (٣٣).

(٣) روح المعاني : (١١/ ١٩٩).

(٤) سورة الأحزاب : (٣٤).

بعدها تزكية، تدل على كمال الصلاح وإيمان أمهات المؤمنين، وتؤكد حقيقة اصطفاء أمهات المؤمنين على سائر النساء"[(١)].

(١) تفسير القرآن العظيم : (٦/ ٤١٦).

المطلب الثاني: ما ورد في فضائلهن خصوصا.

فضائل خديجة رضي الله عنها، ومنها:

- إن خديجة رضي الله عنها كانت من السابقين الأولين إلى الإسلام، فهي أول الناس إيمانا بما أنزل الله تعالى، فكان لها أجرها وأجر من آمن بسببها.

كما جاء من حديث عفيف بن عمرو قال : "كنت امرأ تاجرا و كنت صديقا للعباس بن عبد المطلب في الجاهلية، فقدمت لتجارة فنزلت على العباس بن عبد المطلب بمنى، فجاء رجل فنظر إلى الشمس حين مالت؛ فقام يصلي، ثم جات امرأة فقامت تصلي، ثم جاء غلام حين راهق الحلم فقام يصلي، فقلت للعباس: من هذا؟ فقال : هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي يزعم أنه نبي، و لم يتابعه على أمره غير هذه المرأة و هذا الغلام، و هذه المرأة خديجة بنت خويلد امرأته، و هذا الغلام ابن عمه علي بن أبي طالب، قال عفيف الكندي : و أسلم و حسن إسلامه لوددت أني كنت أسلمت يومئذ فيكون لي ربع الإسلام"(١).

قال ابن حجر –رحمه الله-:

"ومما اختصت به سبقها نساء هذه الأمة إلى الإيمان، فسنت ذلك لكل من آمنت بعدها فيكون لها مثل أجرهن لما ثبت أن من سن سنة حسنة وقد شاركها في ذلك أبو بكر الصديق بالنسبة إلى الرجال، ولا يعرف قدر ما لكل منهما من الثواب بسبب ذلك إلا الله عز وجل"(٢).

- لم يتزوج عليها النبي صلى الله عليه وسلم حتى فارقت الحياة الدنيا، فانفردت بخمس وعشرين سنة.

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم : (٣/ ٢٠١)، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : (٨/ ٤١٥) : رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه والطبراني بأسانيد ورجال أحمد ثقات.

(٢) فتح الباري : (٨/٥٢٦).

كما ثبت من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: "لم يتزوج النبي صلى الله عليه وسلم على خديجة حتى ماتت"(١).

قال ابن حجر –رحمه الله–:

"وهذا مما لا اختلاف فيه بين أهل العلم بالأخبار، وفيه دليل على عظم قدرها عنده وعلى مزيد فضلها لأنها اغنته عن غيرها، واختصت به بقدر ما اشترك فيه غيرها مرتين لأنه صلى الله عليه و سلم عاش بعد أن تزوجها ثمانية وثلاثين عاما انفردت خديجة منها بخمسة وعشرين عاما وهي نحو الثلثين من المجموع، ومع طول المدة فصان قلبها فيها من الغيرة ومن نكد الضرائر الذي ربما حصل له هو منه ما يشوش عليه بذلك وهي فضيلة لم يشاركها فيها غيرها"(٢).

- كان حب الرسول صلى الله عليه وسلم لها رزقا من الله رزقه إياه، فحبها فضيلة، وأنها لم تسؤه قط ولم تغاضبه صلى الله عليه وسلم ولم ينل منه ايلاء ولا عتب قط ولا هجر.

كما ثبت من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (ما غرت على نساء النبي صلى الله عليه و سلم إلا على خديجة وإني لم أدركها، قالت: وكان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا ذبح الشاة فيقول: أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة، قالت: فأغضبته يوما فقلت خديجة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إني قد رزقت حبها)(٣).

- كان الرسول صلى الله عليه وسلم يكثر من ذكرها والثناء عليها والمدح لها وصلة ودها.

كما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما غرت على أحد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة وما رأيتها ولكن كان النبي صلى الله

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، حديث رقم : (٦٢٨١)، ص : (١٠١٧).

(٢) فتح الباري : (٥٢٥/٨).

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، حديث رقم : (٦٢٧٧)، ص : (١٠١٧).

عليه وسلم يكثر ذكرها ، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة فربما قلت له كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول: إنها كانت وكانت ، وكان لي منها ولد) [١].

- إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرتاح لسماع صوت من يشبه صوتها لما وضع الله لها في قلبه من المحبة والألفة رضي الله عنها.

فقد ثبت عن عائشة رضي الله عنها قالت: (استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرف استئذان خديجة فارتاع لذلك ، فقال : اللهم هالة، قالت: فغرت، فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر قد أبدلك الله خيرا منها)[٢].

قال النووي –رحمه الله-:

"وفي هذا كله دليل لحسن العهد ، وحفظ الود ، ورعاية حرمة الصاحب والعشير في حياته ووفاته ، وإكرام أهل ذلك الصاحب"[٣].

- كانت خير نساء أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

كما في حديث علي رضي الله عنه يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (خير نسائها مريم ابنة عمران وخير نسائها خديجة)[٤].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة وفضلها رضي الله عنها، حديث رقم : (٣٨١٨)، مع الفتح : (٥١٩/٨)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، حديث رقم : (٦٢٧٨)، ص : (١٠١٧).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة وفضلها رضي الله عنها، حديث رقم : (٣٨٢١)، مع الفتح : (٥١٩/٨)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، حديث رقم : (٦٢٨٢)، ص : (١٠١٧).

(٣) شرح النووي على مسلم : (٨/ ١٨٦).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة وفضلها رضي الله عنها، حديث رقم : (٣٨١٥)، مع الفتح : (٥١٨/٨)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، =

قال النووي –رحمه الله-:

"أراد وكيع بهذه الإشارة تفسير الضمير في نسائها ، وأن المراد به جميع نساء الأرض ، أي كل من بين السماء والأرض من النساء ، والأظهر أن معناه أن كل واحدة منهما خير نساء الأرض في عصرها، وأما التفضيل بينهما فمسكوت عنه"[1].

وقال ابن حجر –رحمه الله-:

"والذي يظهر لي أن قوله خير نسائها خبر مقدم والضمير لمريم فكأنه قال مريم خير نسائها أي نساء زمانها وكذا في خديجة وقد جزم كثير من الشراح ان المراد نساء زمانها"[2].

- سلام الله عليها وبشارتها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب)[3].

وفي هذا منقبتان عظيمتان لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وهما:

١- إرسال الرب جل وجل سلامه عليها مع جبريل، وإبلاغ النبي صلى الله عليه وسلم لذلك، وهذه الخاصية لا تعرف لامرأة سواها رضي الله عنها.

٢- البشرى لها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

قال السهيلي –رحمه الله-:

حديث رقم : (٦٢٧١)، ص : (١٠١٦).

(١) شرح النووي على مسلم : (٨/ ١٧٩).

(٢) فتح الباري : (٥٢٢/٨).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة وفضلها رضي الله عنها، حديث رقم : (٣٨١٧)، مع الفتح : (٥١٩/٨)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، حديث رقم : (٦٢٧٤)، ص : (١٠١٦).

"لذكر البيت ها هنا بهذا اللفظ معنى لائق بصورة الحال، وذلك أنها كانت ربة بيت إسلام لم يكن على الأرض بيت إسلام إلا بيتها حين آمنت، وأيضا فإنها أيضا من بنى بيتا في الإسلام بتزويجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ورغبتها فيه، وجزاء الفعل يذكر بلفظ الفعل وإن كان أشرف منه"[١].

وقال ابن حجر –رحمه الله–:

"وفي ذكر البيت معنى آخر، لأن مرجع أهل بيت النبي صلى الله عليه و سلم إليها، لما ثبت في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾[٢]، قالت أم سلمة لما نزلت: دعا النبي صلى الله عليه و سلم فاطمة وعليا والحسن والحسين فجللهم بكساء فقال: "اللهم هؤلاء أهل بيتي" الحديث أخرجه الترمذي وغيره، ومرجع أهل البيت هؤلاء إلى خديجة، لأن الحسنين من فاطمة وفاطمة بنتها وعلي نشأ في بيت خديجة وهو صغير ثم تزوج بنتها بعدها فظهر رجوع أهل البيت النبوي إلى خديجة دون غيرها"[٣].

- رزقه الله تعالى منها من الولد ولم يرزق عليه الصلاة والسلام من غيرها من الزوجات.

جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر خديجة أحسن عليها الثناء، فقلت: ما تذكر منها وقد أبدلك الله بها خيرا؟ قال: ما أبدلني الله بها خيرا منها، صدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها الولد إذ لم يرزقني من غيرها)[٤].

---

(١) الروض الأنف في شرح غريب السير : (١/ ٤١٤).

(٢) سورة الأحزاب : (٣٣).

(٣) فتح الباري : (٨/٥٢٧).

(٤) المعجم الكبير للطبراني : (١٣/٢٣)، باب مناقب خديجة رضي الله عنها، حديث رقم : (٢٢)، رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة وفضلها رضي الله عنها، حديث رقم : (٣٨١٨)، مع الفتح : (٨/٥١٩).

فضائل سودة رضي الله عنها، ومنها:

- حرصها على البقاء في عصمة النبي صلى الله عليه وسلم، فقد وهبت يومها في القسم لعائشة رضي الله عنها تقربا إليه صلى الله عليه وسلم وحبا له، ولتكون من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة.

كما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ، وكان يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها غير أن سودة بنت زمعة وهبت يومها وليلتها لعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تبتغي بذلك رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم)[1].

وفي لفظ آخر عن عائشة رضي الله عنها (أن سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقسم لعائشة بيومها ويوم سودة)[2].

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: "خشيت سودة أن يطلقها النبي صلى الله عليه و سلم فقالت: لا تطلقني وأمسكني واجعل يومي لعائشة، ففعل فنزلت ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ ﴾ [3]، فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز"[4].

ففي طلب سودة رضي الله عنها من النبي صلى الله عليه وسلم إمساكها مع إيثارها لضرتها بقسمها يدل على رجاحة عقلها، وبقيت في عصمة النبي صلى الله عليه وسلم في عداد زوجاته الطاهرات.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة، باب هبة المرأة لغير زوجها وعتقها إذا كان لها زوج، حديث رقم : (٢٥٩٣) ، مع الفتح: (٦/٤٤٧).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب المرأة تهب يومها من زوجها لضرتها، وكيف يقسم ذلك، حديث رقم : (٥٢١٢)، مع الفتح : (١١/٦٥٥).

(٣) سورة النساء : (١٢٨).

(٤) رواه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ومن سورة النساء، حديث رقم : (٣٠٤٠)، قال أبو عيسى : (ص: ٦٨١) هذا حديث حسن غريب، وحسنه ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة : (٧/ ٧٢٠).

قال ابن القيم –رحمه الله-:

"فلما توفاها الله سبحانه وتعالى تزوج بعدها سودة بني زمعة رضي الله عنها ...وكبرت عنده وأراد طلاقها فوهبت يومها لعائشة رضي الله عنها فأمسكها، وهذا من خواصها أنها آثرت بيومها حب رسول الله تقربا إلى رسول الله وحبا له وإيثارا لمقامها معه، فكان يقسم لنسائه ولا يقسم لها وهي راضية بذلك مؤثرة لرضى رسول الله رضي الله عنها"[1].

- تمنى عائشة رضي الله عنها أن تكون مثل هديها وطريقتها.

جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت امرأة أحب إلي أن أكون في مسلاخها[2] من سودة بنت زمعة من امرأة فيها حدة[3].

قال ابن الأثير –رحمه الله-:

"كأنها تَمَنَّت أن تكونَ في مثل هدْيها وطريقتها"[4].

وقال النووي –رحمه الله-:

"وقولها "من امرأة " قال القاضي: (من) هنا للبيان واستفتاح الكلام ، ولم ترد عائشة عيب سودة بذلك، بل وصفتها بقوة النفس وجودة القريحة وهي الحدة

---

(١) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام : (ص: ٢٣٧).

(٢) أصله من "سلخ"، والسين واللام والخاء أصلٌ واحد، وهو إخراج الشيء عن جلده، ثم يُحْمَل عليه، و المسلاخ : بكسر الميم وبالخاء المعجمة وهو : الجلد ومعناه : أن أكون أنا هي ، انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس : (٣/ ٩٤)، وشرح النووي على مسلم : (٥/ ١٩٨)

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب جواز هبتها نوبتها لضرتها، حديث رقم : (٣٦٢٩)، ص: (٦٠٢).

(٤) النهاية في غريب الأثر : (٣٨٩/٢).

فضائل عائشة رضي الله عنها[1]، ومنها :

- كانت أحب الأزواج إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد خديجة.

كما ثبت من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل فأتيته فقلت: (أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، فقلت: من الرجال؟ فقال: أبوها)[2].

قال الذهبي –رحمه الله–:

"وهذا خبر ثابت على رغم أنوف الروافض، وما كان عليه السلام ليحب إلا طيبا، وقد قال: " لو كنت متخذا خليلا من هذه الامة، لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن أخوة الاسلام أفضل"، فأحب أفضل رجل من أمته وأفضل امرأة

(١) واختلف أهل العلم رحمهم الله في أفضلية خديجة وعائشة رضي الله عنهما على ثلاثة أقوال، فقال بعضهم أن خديجة أفضل، وقال بعضهم أن عائشة أفضل، وتوقف آخرون، قال السيوطي في ألفيته :(ص: ٤٣)

وأفضل الأزواج بالتحقيق خديجة مع ابنة الصديق

فيهما ثالثها الوقف وفي عائشة وابنته الخلف قفي

يليهما حفصة فالبواقي وآخر الصحاب باتفاق

وقال ابن القيم رحمه الله في كتابه جلاء الأفهام : (ص: ٢٣٤) : "وسألت شيخنا ابن تيمية رحمه الله فقال : اختص كل واحدة منهما بخاصة، فخديجة كان تأثيرها في أول الإسلام وكانت تسلي رسول الله وتثبته وتسكنه وتبذل دونه مالها، فأدركت عزة الإسلام واحتملت الأذى في الله وفي رسوله وكانت نصرتها للرسول في أعظم أوقات الحاجة فلها من النصرة والبذل ما ليس لغيرها، وعائشة رضي الله عنها تأثيرها في آخر الإسلام فلها من التفقه في الدين وتبليغه إلى الأمة وانتفاع نبيها بما أدت إليهم من العلم ما ليس لغيرها، هذا معنى كلامه".

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : لو كنت متخذا خليلا، قاله أبو سعيد، حديث رقم : (٣٦٦٢)، مع الفتح : (٣٣٦/٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حديث رقم : (٦١٧٧)، ص: (٩٩٩).

من أمته، فمن أبغض حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو حري أن يكون بغيضا إلى الله ورسوله، وحبه عليه السلام لعائشة كان أمرا مستفيضا"[(١)].

- جاء جبريل عليه السلام بصورتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قطعة من الحرير قبل زواجها.

كما في حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: (أريتك في المنام مرتين، أرى أنك في سرقة من حرير، ويقول: هذه امرأتك، فاكشف عنها فإذا هي أنت، فأقول: إن يك هذا من عند الله يمضه)[(٢)].

وفي رواية لمسلم: ثلاث ليال[(٣)].

- إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج امرأة بكرا غيرها

وقد جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: (قلت يا رسول الله، أرأيت لو نزلت واديا وفيه شجرة قد أكل منها ووجدت شجرا لم يؤكل منها في أيها كنت ترتع بعيرك؟ قال: في الذي لم يرتع منها، تعني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها)[(٤)].

- أرسل لها جبريل السلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما: (يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام فقلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى تريد رسول الله صلى الله عليه وسلم)[(٥)].

---

(١) سير أعلام النبلاء : (٢/ ١٤٢).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم عائشة وقدومها المدينة وبنائه بها، حديث رقم : (٣٨٩٥)، مع الفتح : (٨/٦٦١).

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضل عائشة رضي الله تعالى عنها ، حديث رقم : (٦٢٨٣)، ص: (١٠١٧).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب نكاح الأبكار، حديث رقم : (٥٠٧٧)، مع الفتح : (١١/٣٤١).

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب فضل عائشة رضي الله عنها، حديث رقم : (٣٧٦٨)، مع الفتح : (٨/٤٧٦).

قال النووي –رحمه الله-:

"فيه فضيلة ظاهرة لعائشة رضي الله عنها[1].

- أنزل الوحي على رسول الله وهو في لحافها دون غيرها من أمهات المؤمنين.

كما ذكره هشام عن أبيه قال: "كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، قالت عائشة: فاجتمع صواحبي إلى أم سلمة، فقلن: يا أم سلمة، والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريده عائشة فمري رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث ما كان ، أو حيث ما دار قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبي صلى الله عليه وسلم، قالت: فأعرض عني، فلما عاد إلي ذكرت له ذاك فأعرض عني، فلما كان في الثالثة ذكرت له، فقال: يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها"[2].

قال الذهبي –رحمه الله-:

"وهذا الجواب منه دال على أن فضل عائشة على سائر أمهات المؤمنين بأمر إلهي وراء حبه لها، وأن ذلك الامر من أسباب حبه لها"[3].

- أول من بدأها النبي صلى الله عليه وسلم بالتخيير عند نزول آية التخيير، وهي قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾[4].

كما في حديث عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: "لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخيير أزواجه بدأ بي، فقال: إني ذاكر لك أمرا فلا عليك

---

(١) شرح النووي على مسلم : (٨/ ١٩٦).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب فضل عائشة رضي الله عنها، حديث رقم : (٣٧٧٥)، مع الفتح : (٤٧٧/٨).

(٣) سير أعلام النبلاء : (٢/ ١٤٣).

(٤) سورة الأحزاب : (٢٨-٢٩).

أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك، قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: إن الله جل ثناؤه قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ إلى ﴿ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ قالت: فقلت: ففي أي هذا أستأمر أبوي، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مثل ما فعلت"[1].

- نزول آيات من القرآن الكريم بسببها.

منها ما هو بشأنها كما أن الله تعالى شهد لها بالبراءة مما رميت به من الإفك والبهتان، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[2].

قال ابن القيم –رحمه الله–:

"ومن خصائصها أن الله سبحانه برأها مما رماها به أهل الإفك وأنزل في عذرها وبراءتها وحيا يتلى في محاريب المسلمين وصلواتهم إلى يوم القيامة، وشهد لها بأنها من الطيبات ووعدها المغفرة والرزق الكريم، وأخبر سبحانه أن ما قيل فيها من الإفك كان خيرا لها ولم يكن ذلك الذي قيل فيها شرا لها ولا عائبا لها ولا خافضا من شأنها، بل رفعها الله بذلك وأعلى قدرها وأعظم شأنها وصار لها ذكرا بالطيب والبراءة بين أهل الأرض والسماء فيا لها من منقبة ما أجلها.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب الغرفة والعلية المشرفة وغير المشرفة في السطوح وغيرها، حديث رقم : (٢٤٦٨)، مع الفتح : (٦/٢٨٧-٢٨٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية، حديث رقم : (٣٦٨١)، ص : (٦١١).

(٢) سورة النور : (٢٦).

وتأمل هذا التشريف والإكرام الناشئ عن فرط تواضعها واستصغارها لنفسها حيث قالت: "ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بوحي يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله رؤيا يبرئني الله بها"، فهذه صديقة الأمة وأم المؤمنين وحب رسول الله وهي تعلم أنها بريئة مظلومة وأن قاذفيها ظالمون لها مفترون عليها قد بلغ أذاهم إلى أبويها وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"(١).

وقال ابن كثير –رحمه الله–:

"ولما تكلم فيها أهل الافك بالزور والبهتان، غار الله لها فأنزل براءتها في عشر آيات من القرآن تتلى على تعاقب الزمان...وقد أجمع العلماء على تكفير من قذفها بعد براءتها"(٢).

ومنها ما نزل بسببها وهو عام للأمة، كما في حديث عائشة رضي الله عنها (أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فوجدها فأدركتهم الصلاة وليس معهم ماء، فصلوا فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله آية التيمم،

فقال أسيد بن حضير لعائشة: جزاك الله خيرا، فوالله ما نزل بك أمر تكرهينه إلا جعل الله ذلك لك وللمسلمين فيه خيرا)(٣).

- معرفة النبي صلى الله عليه وسلم لها حتى في أدق الأمور.

كما ثبت ذلك عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إني لأعلم إذا كنت عني راضية ، وإذا كنت علي غضبى، قالت: فقلت من أين تعرف ذلك؟ فقال: أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين لا ورب محمد ، وإذا كنت غضبى قلت لا ورب إبراهيم، قالت: قلت أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك)(٤).

---

(١) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام : (ص: ٢٣٨-٢٣٩).

(٢) البداية والنهاية : (٨/ ٩٩).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التيمم، باب إذا لم يجد ماء ولا ترابا، حديث رقم : (٣٣٦)، مع الفتح : (٢/١٩).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب غيرة النساء ووجدهن، حديث رقم : =

- حرص النبي صلى الله عليه وسلم أن يمرض في بيتها، فكانت وفاته صلى الله عليه وسلم بين سحرها ونحرها في يومها، وجمع الله ريقيهما في آخر ساعة له من الدنيا وأول ساعة له من الآخرة، ودفن في بيتها.

كما جاء عن عائشة رضي الله عنها: (دخل عبد الرحمن بن أبي بكر على النبي صلى الله عليه وسلم وأنا مسندته إلى صدري، ومع عبد الرحمن سواك رطب يستن به فأبده رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره فأخذت السواك فقصمته ونفضته وطيبته ثم دفعته إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاستن به، فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استن استنانا قط أحسن منه، فما عدا أن فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يده ، أو إصبعه ثم قال في الرفيق الأعلى ثلاثا، ثم قضى، وكانت تقول: مات بين حاقنتي وذاقنتي)[1].

وفي رواية عنها: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسأل في مرضه الذي مات فيه يقول: أين أنا غدا أين أنا غدا يريد يوم عائشة فأذن له أزواجه يكون حيث شاء فكان في بيت عائشة حتى مات عندها)[2].

وفي رواية أخرى: "فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة"[3].

- أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنها من أهل الجنة.

(٥٢٢٨)، مع الفتح: (٦٧٧/١١)، رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضل عائشة رضي الله تعالى عنها ، حديث رقم : (٦٢٨٥)، ص: (١٠١٧-١٠١٨).

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، حديث رقم : (٤٤٣٨)، مع الفتح: (٦٠٠/٩)، ومعنى فأبدَّه أي مد نظره إليه، ومعنى فقَصمته أي مضغته لأن والقضم الأخذ بطرف الأسنان، والحاقنة بالمهملة والقاف ما سفل من الذقن والذاقنة ما علا منه ، انظر: فتح الباري : (٨/ ١٣٩).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب فضل عائشة رضي الله عنها، حديث رقم : (٣٧٧٤)، مع الفتح : (٤٧٧/٨).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، حديث رقم : (٤٤٥١)، مع الفتح: (٦١٠/٩).

كما ثبت عن عائشة رضي الله عنها قالت: (قلت يا رسول الله من من أزواجك في الجنة ؟ قال : أما إنك منهن قالت : فخيل لي إن ذاك أنه لم يتزوج بكرا غيري)[١].

وكما أن عائشة رضي الله عنها اشتكت فجاء ابن عباس فقال: "يا أم المؤمنين تقدمين على فرط صدق على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر"[٢].

قال ابن التين: "فيه أنه قطع لها بدخول الجنة، إذ لا يقول ذلك إلا بتوقيف"[٣].

وكان عمار بن ياسر يقول: "والله، إنها -يعني عائشة رضي الله عنها- لزوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة"[٤].

- هي أعظم نساء هذه الأمة، إذ روت عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة، إضافة إلى ذلك أن كبار الصحابة كانوا يرجعون إيها ويستفتونها.
- تشبيه النبي صلى الله عليه وسلم فضلها على النساء بفضل الثريد على سائر الطعام.

كما جاء ذلك من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام)[٥].

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم : (٤/ ١٤)، حديث رقم : (٦٧٤٣)، وقال : صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب فضل عائشة رضي الله عنها، حديث رقم : (٣٧٧١)، مع الفتح : (٤٧٦/٨).

(٣) فتح الباري : (٤٧٩/٨).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر، حديث رقم : (٧١٠٠)، مع الفتح : (٥١٤/١٠).

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب فضل عائشة رضي الله عنها، حديث رقم : (٣٧٧١)، مع الفتح : (٤٧٦/٨)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضل عائشة رضي الله تعالى عنها ، حديث رقم : (٦٢٩٩)، ص: (١٠٢٠).

قال النووي –رحمه الله-:

"قال العلماء: معناه أن الثريد من كل الطعام أفضل من المرق، فثريد اللحم أفضل من مرقه بلا ثريد، وثريد ما لا لحم فيه أفضل من مرقه، والمراد بالفضيلة نفعه، والشبع منه وسهولة مساغه والالتذاذ به، وتيسر تناوله وتمكن الإنسان من أخذ كفايته منه بسرعة وغير ذلك، فهو أفضل من المرق كله ومن سائر الأطعمة، وفضل عائشة على النساء زائد كزيادة فضل الثريد على غيره من الأطعمة، وليس في هذا تصريح بتفضيلها على مريم وآسية؛ لاحتمال أن المراد تفضيلها على نساء هذه الأمة"[1].

---

(١) شرح النووي على مسلم : (٨/ ١٨٠).

فضائل حفصة بنت عمر رضي الله عنها وعن أبيها، ومنها:

- أنها زوجة النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة، وأنها كثرة الصيام والقيام.

كما جاء عن قيس بن زيد (أن النبي صلى الله عليه و سلم طلق حفصة بنت عمر، فدخل عليها خالاها قدامة و عثمان ابنا مظعون فبكت و قالت: و الله، ما طلقني عن شبع، و جاء النبي صلى الله عليه و سلم فقال: قال لي جبريل عليه السلام: راجع حفصة، فإنها صوامة قوامة، و إنها زوجتك في الجنة)[1].

قال ابن القيم –رحمه الله-:

"ومن خصائصها ما ذكره الحافظ أبو محمد المقدسي في مختصره في السيرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم طلقها فأتاه جبريل –عليه السلام- فقال: إن الله يأمرك أن تراجع حفصة فإنها صوامة قوامة وإنها زوجتك في الجنة"[2].

- إنها رضي الله عنها كانت ممن حظي بشرف الهجرة.
- ما روى البخاري بإسناده إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يحدث: "أن عمر بن الخطاب حين تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شهد بدرا توفي بالمدينة، قال عمر: فلقيت عثمان بن عفان، فعرضت عليه حفصة، فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر، قال: سأنظر في أمري، فلبثت ليالي فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا، قال عمر: فلقيت أبا بكر، فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر فلم يرجع إلي شيئا، فكنت عليه أوجد مني على عثمان، فلبثت ليالي ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكحتها إياه فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت علي حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك، قلت: نعم، قال: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما

(١) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٤/ ١٦)، حديث رقم : (٦٧٥٣).

(٢) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام : (ص: ٢٤١).

عرضت إلا أني قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها فلم أكن لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو تركها لقبلتها"[١].

- لما جمع المصحف على عهد أبي بكر رضي الله عنه ظل عنده حتى وفاته وعند عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته، ثم صار عند حفصة، ثم استعانوا به عندما جمعه عثمان رضي الله عنه وأعادوه لها حتى توفيت سنة خمس وأربعين من الهجرة بالمدينة النبوية.

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرا، حديث رقم: (٤٠٠٥)، مع الفتح : (٩/٦٤).

فضائل زينب بنت خزيمة رضي الله عنها، ومنها :

- كان تقال لها أم المساكين لإطعامها إياهم والتصدق عليهم.

قال ابن القيم –رحمه الله-:

"وتزوج رسول الله زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت تحت عبد الله بن جحش تزوجها سنة ثلاث من الهجرة، وكانت تسمى أم المساكين لكثرة إطعامها المساكين، ولم تلبث عند رسول الله إلا يسيرا شهرين أو ثلاثة وتوفيت رضي الله عنها[1].

- والنبي صلى الله عليه وسلم صلى عليها عند موتها، لأنها ماتت قبل النبي صلى الله عليه وسلم، وأنها أول نساء النبي صلى الله عليه وسلم موتا.

ذكر ابن سعد بإسناده إلى محمد بن قدامة عن أبيه قالا: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين فجعلت أمرها إليه، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشهد وأصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشا وكان تزويجه إياها في شهر رمضان على رأس أحد وثلاثين شهرا من الهجرة، فمكثت عنده ثمانية أشهر وتوفيت في آخر شهر ربيع الآخر على رأس تسعة وثلاثين شهرا وصلى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنها بالبقيع[2].

---

(١) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام : (ص: ٢٥٥).

(٢) الطبقات الكبرى : (٨/ ١١٥).

فضائل أم سلمة هند بنت أبي أمية رضي الله عنها، ومنها:

- زواج النبي صلى الله عليه وسلم منها ودعاؤه لها.

جاء عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: (أرسل إلي رسول الله صلى الله عليه و سلم حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له، فقلت: إن لي بنتا وأنا غيور، فقال: أما ابنتها فندعو الله أن يغنيها عنها، وأدعو الله أن يذهب بالغيرة)[1].

- أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنها من أهل الجنة.

جاء عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عندها في بيتها ذات يوم ، فجاءت الخادم فقالت: علي وفاطمة بالسدة فقال: (تنحي لي عن أهل بيتي، فتنحيت في ناحية البيت، فدخل علي وفاطمة وحسن وحسين فوضعهما في حجره وأخذ عليا بإحدى يديه فضمه إليه وأخذ فاطمة باليد الأخرى فضمها إليه وقبلها وأغدف عليهم خميصة سوداء ثم قال: اللهم إليك لا إلى النار، أنا وأهل بيتي، قالت: فناديته فقلت: وأنا يا رسول الله؟ قال: وأنت)[2].

- إنها رضي الله عنها امرأة زكية فطنة

كما جاء عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا : (خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم عام الحديبية يريد زيارة البيت...قال: فقام رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقال: يا أيها الناس انحروا واحلقوا!

قال: فما قام أحد، قال: ثم عاد بمثلها فما قام رجل حتى عاد بمثلها فما قام رجل، فرجع رسول الله صلى الله عليه و سلم فدخل على أم سلمة فقال: يا أم سلمة، ما شأن الناس؟

قالت: يا رسول الله، قد دخلهم ما قد رأيت فلا تكلمن منهم إنسانا واعمد إلى هديك حيث كان فانحره واحلق فلو قد فعلت ذلك فعل الناس ذلك

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة، حديث رقم : (٢١٢٦) ، ص: (٣٧٨).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة : (١٢/ ٧٣)، حديث رقم : (٣٢٧٦٧).

فخرج رسول الله صلى الله عليه و سلم لا يكلم أحدا حتى أتى هديه فنحره ثم جلس فحلق ،فقام الناس ينحرون ويحلقون، قال: حتى إذا كان بين مكة والمدينة في وسط الطريق فنزلت سورة الفتح)[1]

- أن جبريل عليه السلام دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهي عنده، فرأته في صورة دحية الكلبي رضي الله عنه.

كما جاء ذلك عن أبي عثمان قال: (أنبئت أن جبريل – عليه السلام – أتى النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أم سلمة، فجعل يحدث ثم قام، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأم سلمة: من هذا؟ أو كما قال : قال: قالت: هذا دحية، قالت أم سلمة: ايم الله ما حسبته إلا إياه حتى سمعت خطبة نبي الله صلى الله عليه وسلم يخبر جبريل)[2].

قال النووي —رحمه الله-:

"قوله: "أن أم سلمة رأت جبريل في صورة دحية" هو بفتح الدال وكسرها، وفيه منقبة لأم سلمة رضي الله عنها، وفيه جواز رؤية البشر الملائكة ، ووقوع ذلك، ويرونهم على صورة الآدميين؛ لأنهم لا يقدرون على رؤيتهم على صورهم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرى جبريل على صورة دحية غالبا، ورآه مرتين على صورته الأصلية"[3].

قال ابن القيم —رحمه الله-:

"ومن خصائصها أن جبريل دخل على النبي وهي عنده فرأته في صورة دحية الكلبي"[4].

(١) مسند أحمد بن حنبل: (٤/ ٣٢٣)، حديث رقم : (١٦٠١٨).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم: (٣٦٣٤)، مع الفتح: (٨/٣٠٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها، حديث رقم : (٦٣١٥)، ص: (١٠٢٦).

(٣) شرح النووي على مسلم : (٨/ ٢٠٦).

(٤) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام: (ص: ٢٥٣).

- ما ورد عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: (ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها إلا أخلف الله له خيرا منها، قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة ؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، ثم إني قلتها فأخلف الله لي رسول الله صلى الله عليه و سلم.

قالت: أرسل إلي رسول الله صلى الله عليه و سلم حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له...الحديث)[1].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة، حديث رقم : (٢١٢٦) ، ص: (٣٧٨).

فضائل زينب بنت جحش رضي الله عنها، ومنها :

- زوجها الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم من فوق سبع سموات، قال الله تعالى ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾[1]، فكانت زينب تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات[2].

وقال الذهبي –رحمه الله–:

"فزوجها الله تعالى بنبيه بنص كتابه بلا ولي ولا شاهد، فكانت تفخر بذلك على أمهات المؤمنين، وتقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق عرشه"[3].

- كان زواجها سببا لنزول آية الحجاب.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: "أنا أعلم الناس بهذه الآية آية الحجاب، لما أهديت زينب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت معه في البيت صنع طعاما ودعا القوم فقعدوا يتحدثون فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يخرج ثم يرجع وهم قعود يتحدثون، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ

---

(١) سورة الأحزاب : (٣٧).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ [هود: ٧] ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [التوبة: ١٢٩]، حديث رقم : (٤٧٢٠)، مع الفتح : (٣٩٠/١٧).

(٣) سير أعلام النبلاء : (٢/ ٢١١).

فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾[1]، فضرب الحجاب وقام القوم"[2].

قال ابن القيم –رحمه الله-:

"وهذا من خصائصها رضي الله عنها"[3].

- ثناء النبي صلى الله عليه وسلم ومدحه لها بين أزواجه بتصدقها وإنفاقها في سبيل الله.

كما في حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (أسرعكن لحاقا بي أطولكن يدا، قالت: فكن يتطاولن أيتهن أطول يدا، قالت: فكانت أطولنا يدا زينب، لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق)[4].

وعند الحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لأزواجه: (أسرعكن لحوقا بي أطولكن يدا، قالت عائشة : فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه و سلم نمد أيدينا في الجدار نتطاول، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش زوج النبي

---

(١) سورة الأحزاب : (٥٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، حديث رقم : (٤٧٩٣)، مع الفتح : (١٠/٥٠٨).

(٣) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام : (ص: ٢٥٥).

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل زينب أم المؤمنين رضي الله عنها، حديث رقم : (٦٣١٦)، ص: (١٠٢٦).

صلى الله عليه و سلم وكانت امرأة قصيرة و لم تكن أطولنا، فعرفنا حينئذ أن النبي صلى الله عليه و سلم إنما أراد بطول اليد الصدقة، قال : و كانت زينب امرأة صناعة اليد فكانت تدبغ و تخرز و تصدق في سبيل الله عز و جل)[١].

قال النووي –رحمه الله-:

"معنى الحديث أنهن ظنن أن المراد بطول اليد طول اليد الحقيقية، وهي الجارحة، فكن يذرعن أيديهن بقصبة، فكانت سودة أطولهن جارحة ، وكانت زينب أطولهن يدا في الصدقة وفعل الخير، فماتت زينب أولهن، فعلموا أن المراد طول اليد في الصدقة والجود ... وفيه معجزة باهرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنقبة ظاهرة لزينب"[٢].

- ثناء عائشة عليها رضي الله عنهما بالخيرية في كثير من أبواب الخير.

قالت عائشة رضي الله عنها: "ولم أر امرأة قط خيرا في الدين من زينب وأتقى لله وأصدق حديثا وأوصل للرحم وأعظم صدقة وأشد ابتذالا لنفسها في العمل الذي تصدق به وتتقرب به إلى الله تعالى"[٣].

وفي قصة الإفك قالت عائشة رضي الله عنها: "وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش عن أمري، فقال: يا زينب ما علمت ما رأيت؟ فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت عليها إلا خيرا، قالت: وهي التي كانت تساميني فعصمها الله بالورع"[٤].

وقال الذهبي –رحمه الله- يروي عن عائشة رضي الله عنها قالت: "يرحم الله زينب، لقد نالت في الدنيا الشرف الذي لا يبلغه شرف، إن الله زوجها، ونطق

---

(١) المستدرك على الصحيحين : (٤/ ٢٦)، حديث رقم : (٦٧٧٦)، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه.

(٢) شرح النووي على مسلم : (٨/ ٢٠٧).

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها، حديث رقم : (٦٢٩٠)، ص: (١٠١٨).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، حديث رقم : (٤١٤١)، مع الفتح: (٩/٢٤٤-٢٤٧).

به القرآن، وإن رسول الله قال لنا: " أسرعكن بي لحوقا أطولكن باعا "، فبشرها بسرعة لحوقها به، وهي زوجته في الجنة"[1].

(١) سير أعلام النبلاء : (٢/ ٢١٥).

فضائل جويرية بنت الحارث رضي الله عنها، ومنها:

- كانت رضي الله عنها من المكثرات للعبادة الذاكرات لله كثيرا.

كما جاء عن جويرية رضي الله عنها (أن النبي صلى الله عليه و سلم خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال: ما زلت على الحال التي فارقتك عليها ؟ قالت: نعم، قال النبي صلى الله عليه و سلم: لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته)[1].

- سماها النبي صلى الله عليه وسلم جويرية بعد ما كان اسمها برة.

كما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كانت جويرية اسمها برة فحول رسول الله صلى الله عليه و سلم اسمها جويرية، وكان يكره أن يقال: خرج من عند برة"[2].

- أن المسلمين أعتقوا بسببها مائة أهل بيت من الرقيق، وقالوا: أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما تقدم.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التسبيح أول النهار وعند النوم، حديث رقم : (٦٩١٣)، ص: (١١٢١).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن، وتغيير اسم برة إلى زينب وجويرية ونحوهما، حديث رقم : (٥٦٠٦)، ص: (٩١٢).

فضائل أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها وعن أبيها، ومنها:

- تعظيمها وإكرامها فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن يجلس عليه أبوها وهو مشرك لما قدم لتمديد الهدنة بين المسلمين وقريش.

فقد روى ابن سعد بإسناده إلى الزهري قال: "لما قدم أبو سفيان بن حرب المدينة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يريد غزو مكة فكلمه أن يزيد في هدنة الحديبية، فلم يقبل عليه رسول الله، فقام فدخل على ابنته أم حبيبة، فلما ذهب ليجلس على فراش النبي صلى الله عليه وسلم طوته دونه، فقال: يا بنية أرغبت بهذا الفراش عني أم بي عنه ؟ فقالت: بل هو فراش رسول الله وأنت امرؤ نجس مشرك، فقال: يا بنية لقد أصابك بعدي شر"[1].

- هاجرت الهجرة الثانية إلى الحبشة فارة بدينها رضي الله عنها.

لقد أورد الحاكم بإسناده إلى إسماعيل بن عمرو بن سعد بن العاص قال: قالت أم حبيبة: "رأيت في المنام كأن عبيد الله بن جحش زوجي بأسوأ صورة و أشوهه[2]، ففزعت فقلت: تغيرت و الله حاله، فإذا هو يقول حين أصبح: يا أم حبيبة إني نظرت في الدين فلم أر دينا خيرا من النصرانية وكنت قد دنت بها ثم دخلت في دين محمد ثم رجعت إلى النصرانية، فقلت: و الله ما خير لك وأخبرته بالرؤيا التي رأيت له فلم يحفل بها و أكب على الخمر حتى مات، فأرى في النوم كأن آتيا يقول لي: يا أم المؤمنين ففزعت و أولتها أن رسول الله صلى الله عليه و سلم يتزوجني، قالت: فما هو إلا أن انتقضت عدتي فما شعرت إلا برسول النجاشي على بابي يستأذن فإذا جارية له يقال لها: أبرهة كانت تقوم على ثيابه و دهنه فدخلت علي فقالت: إن الملك يقول لك: إن رسول الله صلى الله عليه و سلم كتب إلي أن زوجك، فقلت: بشرك الله بخير وقالت:

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد : (٨/ ٩٩).

(٢) الأشوه هو القبيح، انظر: المعجم الوسيط : (١/ ٥٠١).

يقول لك الملك : وكلي من يزوجك فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته...الحديث"[1].

وقال ابن سعد –رحمه الله-:

"وكان عبيد الله بن جحش هاجر بأم حبيبة معه إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية فتنصر وارتد عن الإسلام وتوفي بأرض الحبشة، وثبتت أم حبيبة على دينها الإسلام وهجرتها"[2].

وقال ابن كثير –رحمه الله-:

"أسلمت قديما وهاجرت هي وزوجها عبد الله بن جحش إلى أرض الحبشة فتنصر هناك زوجها، ثبتت على دينها رضي الله عنها"[3].

- ومن فضلها رضي الله عنها ما رواه ابن سعد والحاكم بإسناده عن عائشة رضي الله عنها تقول: "دعتني أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عند موتها فقالت: قد كان يكون بيننا وبين الضرائر فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك، فقلت: غفر الله لك ذلك كله وتجاوز وحللك من ذلك، فقالت: سررتني سرك الله، وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك، وتوفيت سنة أربع وأربعين في خلافة معاوية بن أبي سفيان"[4].

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم : (٤/ ٢٢)، حديث رقم : (٦٧٧٠).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: (٨/ ٩٦).

(٣) البداية والنهاية : (٨/ ٣١).

(٤) الطبقات الكبرى : (٨/ ١٠٠)، والمستدرك على الصحيحين للحاكم : (٤/ ٢٤)، حديث رقم : (٦٧٧٣).

فضائل صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها، ومنها:

- إن صداقها رضي الله عنها من رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عتقها.

كما ثبت عن أنس رضي الله عنه، قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم (الصبح قريبا من خيبر بغلس، ثم قال: الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين، فخرجوا يسعون في السكك، فقتل النبي صلى الله عليه وسلم المقاتلة وسبى الذرية ، وكان في السبي صفية فصارت إلى دحية الكلبي ثم صارت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عتقها صداقها)[1].

قال ابن القيم –رحمه الله–:

"ومن خصائصها أن رسول الله اعتقها وجعل عتقها صداقها، قال أنس: أمهرها نفسها، وصار ذلك سنة للأمة إلى يوم القيامة أنه يجوز للرجل أن يجعل عتق جاريته صداقها وتصير زوجته"[2].

- إنها رضي الله عنها زوجة نبي وابنة نبي وعمها نبي.

كما جاء ذلك عن أنس رضي الله عنها قال: (بلغ صفية أن حفصة قالت: إني ابنة يهودي، فبكت فدخل عليها النبي صلى الله عليه و سلم وهى تبكي فقال: ما شأنك؟ فقالت: قالت لي حفصة اني ابنة يهودي، فقال النبي صلى الله عليه و سلم: إنك ابنة نبي وإن عمك لنبي وإنك لتحت نبي، ففيم تفخر عليك؟ فقال: اتق الله يا حفصة)[3].

قال ابن القيم –رحمه الله–:

"وهذا من خصائصها رضي الله عنها"[4].

- وصفها النبي بالصدق لما قالت له في مرضه صلى الله عليه وسلم.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، حديث رقم: (٤٢٠٠)، مع الفتح : (٣٠٢/٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب فضيلة إعتاقه أمته ثم يتزوجها، حديث رقم: (٣٤٩٨)، ص: (٥٨٢).

(٢) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام : (ص: ٢٥٧).

(٣) مسند أحمد بن حنبل : (٣/ ١٣٥)، حديث رقم : (١٢٤١٥).

(٤) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام : (ص: ٢٥٨).

عن زيد بن أسلم قال: (كان النبي صلى الله عليه و سلم شاكيا وعنده أزواجه فقالت صفية: يا رسول الله لوددت أن الذي بك بي، قال: فتغامز بها أزواج النبي صلى الله عليه و سلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أعبتنها؟ فوالذي نفسي بيده إنها لصادقة)[1].

- ومن فضائلها ما رواه البخاري بإسناده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (قدم النبي صلى الله عليه وسلم خيبر، فلما فتح الله عليه الحصن ذكر له جمال صفية بنت حيي بن أخطب وقد قتل زوجها وكانت عروسا، فاصطفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه فخرج بها حتى بلغنا سد الروحاء حلت فبنى بها ثم صنع حيسا في نطع صغير، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: آذن من حولك، فكانت تلك وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية، ثم خرجنا إلى المدينة، قال: فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحوي لها وراءه بعباءة ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته فتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب)[2].

قال ابن حجر –رحمه الله-:

"ووقع في مغازي أبي الأسود عن عروة : فوضع رسول الله صلى الله عليه و سلم لها فخذه لتركب، فأجلت رسول الله صلى الله عليه و سلم أن تضع رجلها على فخذه فوضعت ركبتها على فخذه وركبت"[3].

---

(١) مصنف عبد الرزاق : (١١/ ٤٣١)، حديث رقم : (٢٠٩٢٢).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب هل يسافر بالجارية قبل أن يستبرئها، حديث رقم : (٢٢٣٥)، مع الفتح: (٥/٧١٤).

(٣) فتح الباري : (٩/٣٢٠).

فضائل ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها، ومنها:

- شهادة النبي صلى الله عليه وسلم لها بالإيمان.

كما ثبت عن بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الأخوات مؤمنات ميمونة زوج النبي صلى الله عليه و سلم، وأم الفضل بنت الحارث، وسلمى امرأة حمزة، وأسماء بنت عميس أختهن لأمهن)[1].

- سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة.

كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "كان اسم خالتي ميمونة برة فسماها رسول الله صلى الله عليه و سلم ميمونة"[2].

- إن ميمونة رضي الله عنها كانت صاحبة تقوى وممن يصل الرحم.

وقد ثبت من حديث يزيد بن الأصم ابن أخت ميمونة قال: "تلقيت عائشة وهي مقبلة من مكة أنا وابن لطلحة بن عبيد الله وهو ابن أختها، وقد كنا وقعنا في حائط من حيطان المدينة فأصبنا منه فبلغها ذلك فأقبلت على ابن أختها تلومه وتعذله، وأقبلت علي فوعظتني موعظة بليغة ثم قالت: أما علمت أن الله تعالى ساقك حتى جعلك في أهل بيت نبيه ذهبت والله ميمونة ورمي برسنك على غاربك أما أنها كانت من أتقانا لله عز وجل وأوصلنا للرحم"[3].

فهؤلاء أمهات المؤمنين اللاتي يجب على المسلم احترامهن والإقرار بفضلهن والاعتراف بشرفهن، وأنهن أمهات المؤمنين، وزوجات النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة.

---

(١) رواه النسائي في سنن الكبرى، حديث رقم : (٨٣٨٧)، (٥/ ١٠٣) والمستدرك للحاكم: (٣٥/٤)، حديث رقم : (٦٨٠١).

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم : (٤/ ٣٢)، حديث رقم : (٦٧٩٣).

(٣) المصدر نفسه: (٤/ ٣٤)، حديث رقم : (٦٧٩٩).

المبحث الرابع : خصوصيات أمهات المؤمنين رضى الله عنهن.

إن لأمهات المؤمنين رضي الله عنهن خصوصيات خص الله تعالى لهن دون غيره من نساء العالمين، وذلك لما لهن من الفضائل والشرف ما ليس لغيرهن رضي الله عنهن. ومن خصائص أزواج النبي صلى الله عليه وسلم :

- أن الله تعالى أكرمهن وشرفهن بأن كن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه خصوصية عظيمة ومنقبة كبيرة من الله تعالى لهن، وهن أزواجه في الدنيا والآخرة، وصرن بذلك أنهن أمهات للمؤمنين، قال الله تعالى: ﴿ وَأَزْوَاجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ﴾[1].
- ومن خصائصهن أنهن لا يجوز نكاحهن من بعده عليه الصلاة والسلام، قال الله تعالى: ﴿ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَاجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾[2]، بل يترتب عليه كبائر الذنوب، لأنه جاء وعيد من الله تعالى، وهذه خاصة بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم دون سائر النساء.
- إن النبي صلى الله عليه وسلم نص على الصلاة عليهن.

كما في الصحيحين من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه ، أنهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قولوا: اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد[3].

- إيثار هن البقاء مع النبي صلى الله عليه وسلم على الحياة الدنيا وزينتها لما خيرن في ذلك رضي الله عنهن، قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾

---

(١) سورة الأحزاب : (٦).

(٢) سورة الأحزاب : (٥٣).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب يزفون: النسلان في المشي، حديث رقم : (٣٣٦٩)، مع الفتح : (٦٧٢/٧).

وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1]، فاخترن البقاء معه صلى الله عليه وسلم.

- أنهن تحرم عليهن الصدقة، كما تقدم.
- أن الله تعالى شرفهن بتلاوة آياته والحكمة في مساكنهن، وهذ تدل على أنهن جليلات القدر رفيعات المنزلة، قال الله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾[2].

قال ابن جرير –رحمه الله-:

"وقوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله كان ذا لطف بكن؛ إذ جعلكن في البيوت التي تتلى فيها آياته والحكمة، خبيرا بكن إذ اختاركن لرسوله أزواجا"[3].

وقال ابن كثير –رحمه الله-:

"أي: اعملن بما ينزل الله على رسوله في بيوتكن من الكتاب والسنة، قاله قتادة وغير واحد، واذكرن هذه النعمة التي خصصتن بها من بين الناس، أن الوحي ينزل في بيوتكن دون سائر الناس"[4].

---

(١) سورة الأحزاب : (٢٨-٢٩).

(٢) سورة الأحزاب : (٣٤).

(٣) جامع البيان : (٢٠/ ٢٦٨).

(٤) تفسير القرآن العظيم : (٦/ ٤١٥).

المبحث الخامس : جهود أمهات المؤمنين رضى الله عنهن في خدمة التوحيد.

كان لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهن دور كبير في خدمة الإسلام والمسلمين، فكانت حجراتهن رضي الله عنهن مدارس يقصدها طلاب العلم، فيجد السائل عندهن جوابه، والمستفتي فتواه، والشاك يقينه، ومن نعمة الله تعالى على هذه الأمة أن تعددت هذه المدارس بتعدد أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، حيث توفي صلى الله عليه وسلم عن تسع نسوة، كلهن سمعن منه وشاهدن تفاصيل حياته المعيشية والعبادية والأخلاقية على تفاوت بينهن في الحفظ والرواية.

ولقد كان لأمهات المؤمنين رضي الله عنهن مكانة جليلة لدى الصحابة رضوان الله عليهم، وكيف لا وقد امتدحهن الله تعالى في محكم تنزيله، فقال الله تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ إلى قوله ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾[1].

وهناك بعض المواقف من قِبل أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، كيف أنهن غرس هذه العقيدة الصحيحة التي هي أساس الدين في قلوب المسلمين، ومن ذلك:

- المبادرة في طاعة الله وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم.

إن الله تعالى قد أوجب لعبادة طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وتوعد المخالفين لأمره بالفتنة أو العذاب الأليم، وبين ما جرى للأمم السابقة بسبب مخالفة أوامر الله ورسوله، لأن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله الدليل الصادقة على حبنا لله ولرسوله.

قال تعال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[2] والآيات والأحاديث في هذا

---

(١) سورة الأحزاب : (٣٢-٣٤).

(٢) سورة النساء : (٦٤-٦٥).

كثيرة، ولقد علمنا أمنا أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها عن هذا الأساس العظيم، ألا وهو في مبادرة تنفيذ أوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكان لأمهات المؤمنين رضي الله عنهن الأثر العظيم في تعليم هذه الأمة المبادرة إلى طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، فهذه أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها تشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحمل المسلمين على المبادرة إلى طاعة واتباعه وتنفيذ أمره صلى الله عليه وسلم.

كما ثبت في الصحيح عن المسور بن مخرمة ومروان رضي الله عنهما قالا: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية...فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا؟ قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت أم سلمة: يا نبي الله، أتحب ذلك؟ أخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا[1].

قال ابن حجر –رحمه الله–: "كأنهم توقفوا لاحتمال أن يكون الأمر بذلك للندب أو لرجاء نزول الوحي بإبطال الصلح المذكور أو تخصيصه بالإذن بدخولهم مكة ذلك العام لإتمام نسكهم وسوغ لهم ذلك لأنه كان زمان وقوع النسخ، ويحتمل أن يكونوا ألهتم صورة الحال فاستغرقوا في الفكر لما لحقهم من الذل عند أنفسهم مع ظهور قوتهم واقتدارهم في اعتقادهم على بلوغ غرضهم وقضاء نسكهم بالقهر والغلبة أو أخروا الامتثال لاعتقادهم أن الأمر المطلق لا يقتضي الفور ويحتمل مجموع هذه الأمور لمجموعهم[2].

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، حديث رقم : (٢٧٣٢)، مع الفتح : (٦/٦٢١-٦٢٤).

(٢) فتح الباري : (٦/ ٦٤٧).

- الولاء والبراء.

الولاء والبراء من مهمات الدين، لا يقوم الدين إلا به، فإن الله تعالى أمرنا أن يكون ولاؤنا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين، وأن و أن نبرأ من الشرك وأهله، ومن كان مؤمنا وجبت موالاته من أي صنف كان، ومن كان كافرا وجبت معاداته من أي صنف كان، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1].

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾[4].

وفي حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن

---

(١) سورة المائدة : (٥٥-٥٧).

(٢) سورة التوبة : (٧١).

(٣) سورة التوبة : (٢٣-٢٤).

(٤) سورة النساء : (١٤٤).

يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار)[1].

قال ابن تيمية —رحمه الله-:

"فإن المؤمنين أولياء الله وبعضهم أولياء بعض؛ والكفار أعداء الله وأعداء المؤمنين، وقد أوجب الموالاة بين المؤمنين وبين أن ذلك من لوازم الإيمان ونهى عن موالاة الكفار وبين أن ذلك منتف في حق المؤمنين وبين حال المنافقين في موالاة الكافرين..." [2].

والآيات والأحاديث وأقوال العلماء في هذا كثيرة، والمقصود أن الولاء والبراء من أساس عقيدة أهل السنة والجماعة، وقد ضربت أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها المثل أروع الأمثلة في تطبيق ذلك حتى مع أقرب الناس إليها.

روى ابن سعد —رحمه الله- بإسناده إلى الزهري قال : "لما قدم أبو سفيان بن حرب المدينة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يريد غزو مكة فكلمه أن يزيد في هدنة الحديبية، فلم يقبل عليه رسول الله، فقام فدخل على ابنته أم حبيبة، فلما ذهب ليجلس على فراش النبي صلى الله عليه وسلم طوته دونه، فقال: يا بنية أرغبت بهذا الفراش عني أم بي عنه ؟ فقالت: بل هو فراش رسول الله وأنت امرؤ نجس مشرك، فقال: يا بنية لقد أصابك بعدي شر"[3].

وقال ابن القيم —رحمه الله-:

"وهي التي أكرمت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجلس عليه أبوها لما قدم المدينة وقالت: "إنك مشرك"، ومنعته من الجلوس عليه"[4].

- سد كل وسيلة مؤدية إلى الشرك.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، حديث رقم : (١٦)، مع الفتح : (١/١١٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، حديث رقم : (١٦٥)، ص : (٩٠).

(٢) مجموع الفتاوى : (٢٨/ ١٩٠).

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد : (٨/ ٩٩).

(٤) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام : (ص: ٢٥٢).

ومن أكثر الأسباب التي تؤدي إلى الشرك ما يتعلق بالصور والقبور، فإن أول انحراف الناس كان بسبب هذا، فقوم نوح عليه الصلاة والسلام لما مات الصالحون منهم أوحى الشيطان إليهم أن أنصبوا إلي مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم عُبدت.

قال القرطبي –رحمه الله– :

"وإنما صور أوائلهم الصور ليتأسوا بها ويتذكروا أفعالهم الصالحة، فيجتهدون كاجتهادهم، ويعبدون الله عزّ وجلّ عند قبورهم ، فمضت لهم بذلك أزمان، ثم إنهم خلف من بعدهم قوم فجهلوا أغراضهم ، ووسوس لهم الشيطان: أن آباءكم وأجدادكم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها ، فعبدوها، فحذّر النبي صلى الله عليه وسلم عن مثل ذلك، وشدّد النكير والوعيد على من فعل ذلك، وسَدَّ الذرائع المؤدية إلى ذلك"[1].

ولذلك بوب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله تعالى– في كتابه "كتاب التوحيد" ثلاثة أبواب، وهي: باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟، وباب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك، وباب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده طرق الشرك إدراكا منه رحمه الله لأهمية سد كل طريق يوصل الناس إلى الشرك.

وقد بلغ اهتمام أمهات المؤمنين بقضية توحيد الله عز وجل وسد أبواب الشرك حيث سألن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك في مرض موته.

كما ثبت عن عائشة رضي الله عنها قالت: (لما اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم ذكرت بعض نسائه كنيسة رأينها بأرض الحبشة يقال لها: مارية، وكانت أم سلمة وأم حبيبة رضي الله عنهما أتتا أرض الحبشة فذكرتا من حسنها

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم : (٥/ ٥٨).

وتصاوير فيها، فرفع رأسه فقال: أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصورة أولئك شرار الخلق عند الله)[1].

فبين النبي صلى الله عليه وسلم خطر هذه المسألة وأن من ارتكبها فقد دخل في الشرك، وأن اليهود والنصارى بفعلهم ذلك ووقوعهم منه الذين فعلوا هذه الصنيعة، استحقوا أن يكونوا شرار الخلق عند الله، والعياذ بالله.

ولذا حذر النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأمة أن يفعلوا ذلك حتى لا يقع ب في مثل ما وقعت منه الأمم السابقة، فقال عليه الصلاة والسلام: (ولا تجعلوا قبري عيدا)[2]، ولو لا ذلك لأبرز قبر النبي صلى الله عليه وسلم غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا.

وقال عليه الصلاة والسلام: (اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)[3].

قال القرطبي –رحمه الله-:

"ولهذا بالغ المسلمون في سدّ الذريعة في قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فأَعْلُوا حيطان تربته وسَدُّوا المداخل إليها ، وجعلوها محدقة بقبره صلى الله عليه وسلم، ثم خافوا أن يُتخذ موضع قبره قبلة إذ كان مستقبل المصلين، فتتصور الصلاة إليه

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب بناء السجد على القبر، حديث رقم : (١٣٤١)، مع الفتح: (١١٨/٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، حديث رقم : (١١٨١)، ص : (٢٤٣).

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب المناسك، باب زيارة القبور، حديث رقم : (٢٠٤١)، ص : (٣٥٣)، وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته : (ص: ١٣١٩)، حديث رقم : (١٣١٨٢).

(٣) رواه مالك في الموطأ، باب جامع الصلاة، حديث رقم : (٤١٤)، وأحمد في المسند : (٢٤٦/٢)، حديث رقم : (٧٣٥٢)، وابن سعد في الطبقات : (٢٤٠/٢)، حديث رقم : (٢١٤١)، وصححه الألباني في تحقيق على مشكاة المصابيح : (١/ ١٦٥)، حديث رقم : (٧٥٠).

بصورة العبادة، فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين، وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلث من ناحية الشمال ، حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره"[1].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم : (٥/ ٥٨).

المبحث السادس: الشبهات التي أثيرت حول أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.

المطلب الأول: زواجه صلى الله عليه وسلم بخديجة رضى الله عنها.

ما ذكره بعضهم أن والد خديجة لم يكن يرغب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم، وأن خديجة احتلت لذلك ودعته وزمرا من قريش حتى طعموا وثملوا وأخبرته وهو كذلك أن محمدا خطبها، فزوجها وهو في سكره، كما جاء في مسند أحمد والمعجم الكبير للطبراني -رحمهما الله- بإسناده عن ابنِ عباس رضي الله عنه، فيما يَحْسِبُ حماد: (أن رسول الله-صلي الله عليه وسلم- ذكر خديجة، وكان أبوها يَرغَب أن يزوجه، فصَنعت طعاماً وشراباً، فدعت أباها وزُمَراً من قريش، فطَعمُوا وشربوا حتى ثَمِلُوا، فقالت خديجة لأبيها: إن محمد بن عبد الله يخطَبني، فزوّجْني إياه؟، فِزوَّجها إياه، فخلعتْه وألبستْه حُلةً، وكذلك كانوا يفعلون بالآباءَ، فلماَ سُرِّي عنه سُكْرِهِ نظر فإذا هو مُخَلَّق وعليه حُلة، فقال: ما شأني؟، ما هذا؟، قالت: زوجتني محمد بن عبد الله، قال: أنا أزوِّج يتيم أبي طالب؟ لا لعمري، فقالت خديجة: أما تستحي؟ تريد أن تُسفِّه نفسَك عند قريش؟، تخبر الناس أنك كنتَ سكرانَ؟!، فلم تزل به حتى رض)[1].

والجواب عن ذلك من جهتين:

أولا : من جهة الإسناد :

ففي إسنادها حماد بن سلمة.

- قال عنه البيهقي —رحمه الله-:

"هو أحد أئمة المسلمين إلا أنه لما كبر ساء حفظه، فلذا تركه البخاري، وأما مسلم فاجتهد وأخرج من حديثه عن ثابت ما سمع منه قبل تغيره"[2].

وقال الذهبي —رحمه الله-:

---

(١) رواه أحمد في مسنده : (٣/ ٢٦٣)، حديث رقم : (٢٨٥١)، المعجم الكبير للطبراني (١٨٦/١٢): حديث رقم : (١٢٨٣٨).

(٢) قال ابن حجر تهذيب التهذيب : (٣/ ١٣).

"كان بحرا من بحور العلم، وله أوهام في سعة ما روى، وهو صدوق حجة إن شاء الله، وليس هو في الاتقان كحماد بن زيد، وتحايد البخاري إخراج حديثه، إلا حديثا خرجه في الرقاق"[1].

وقال ابن حجر –رحمه الله-:

"ثقه عابد أثبت الناس في ثابت وتغير حفظه بأخرة"[2].

- ثم في هذه الرواية ما يدل على شك حماد فيما روي، وذلك في قوله : (فيما يحسب حماد).

ثانيا : من جهة المتن:

- فإن الذي زوج خديجة رضي الله عنها ليس أبوها خويلد، فقد توفي أبوها قبل زواجها برسول الله صلى الله عليه وسلم كما أخبر بذلك المؤرخون الذي تولى زواجها هو عمها رضي الله عنها.

ويدل على ذلك: ما أورده ابن سعد –رحمه الله- عن نفيسة بنت منية قالت: "كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي امرأة حازمة جلدة شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير ، وهي يومئذ أوسط قريش نسبا وأعظمهم شرفا وأكثرهم مالا ، وكل قومها كان حريصا على نكاحها لو قدر على ذلك قد طلبوها وبذلوا لها الأموال فأرسلتني دسيسا إلى محمد بعد أن رجع في عيرها من الشام ، فقلت: يا محمد، ما يمنعك أن تزوج ؟ فقال: ما بيدي ما أتزوج به قلت: فإن كفيت ذلك، ودعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ألا تجيب ؟ قال : فمن هي ؟ قلت : خديجة قال : وكيف لي بذلك ؟ قالت: قلت: علي، قال: فأنا أفعل فذهبت، فأخبرتها، فأرسلت إليه أن ائت لساعة كذا وكذا، وأرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها، فحضر ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمومته ، فزوجه أحدهم ، فقال عمرو بن أسد: هذا البضع لا يقرع أنفه ، وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس

---

(١) سير أعلام النبلاء : (٧/ ٤٤٦)، وقاله الذهبي في ميزان الاعتدال : (١/ ٥٩٠).

(٢) تقريب التهذيب : (١/ ١٧٨).

وعشرين سنة وخديجة يومئذ بنت أربعين سنة، ولدت قبل الفيل بخمس عشرة سنة"[1].

وأخرج ابن سعد والطبري –رحمهما الله– بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عمها عمرو بن أسد زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن أباها مات قبل الفجار[2].

وقال محمد بن عمر الواقدي –رحمه الله– بينا غلط رواية حماد بن سلمة:

"فهذا كله عندنا غلط ووهل، والثبت عندنا المحفوظ عن أهل العلم أن أباها خويلد بن أسد مات قبل الفجار، وأن عمها عمرو بن أسد زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم"[3].

وقال ابن حجر –رحمه الله–:

"وأسند أيضا عن الواقدي من حديث نفيسة أخت يعلى بن أمية قالت: كانت خديجة ذات شرف وجمال فذكر قصة إرسالها إلى النبي صلى الله عليه و سلم وخروجه في التجارة لها إلى سوق بصرى فربح ضعف ما كان غيره يربح، قالت نفيسة: فأرسلتني خديجة إليه دسيسا أعرض عليه نكاحها فقبل وتزوجها وهو بن خمس وعشرين سنة فولدت له القاسم وعبد الله وهو الطيب وهو الطاهر، سمي بذلك لأنها ولدته في الإسلام ... ثم أسند عن عائشة أن الذي زوجها عمها عمرو لأن أباها كان مات في الجاهلية"[4].

وقال السهيلي –رحمه الله– :

"إن عمرو بن أسد هو الذي أنكح خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن خويلدا كان قد هلك قبل الفجار"[5].

وهذا هو الذي أثبته أهل التاريخ والسير أن الذي ولي تزويجها هو عمها.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد : (١/ ١٣١).

(٢) المصدر نفسه : (١٣٢/١)، و تاريخ الأمم والملوك للطبري : (١/ ٥٢٢).

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد : (١/ ١٣٣).

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر : (٧/ ٦٠١).

(٥) الروض الأنف في شرح غريب السير : (١/ ٣٢١).

- أن خديجة رضي الله عنها هي التي عرضت الزواج على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما له من الصفات الحميدة والأخلاق الكريمة، كما هو معلوم في كتب السير، وقد سبق ذكره من كلام ابن سعد المتقدم.
- أن هذه الصنيعة الذي نسب إلى خديجة رضي الله عنها تجاه أبيها من سقيه الخمر حتى ثمل لا يليق بمقامها وشرفها وأخلاقها رضي الله عنها.
- ثم هذه الحكاية مخالفة للواقع وللظروف وللبيئة، فبنو هاشم في الذروة من قريش نسبا وشرفا، وقد صدع بها أبو طالب في مجمع حافل بالسادات فما نازعه فيها منازع، ثم إن مثل النبي صلى الله عليه وسلم في شبابه الغض ورجولته النادرة وخلقه الكريم مما يتطاول إلى مصاهرته أشراف قريش، فمن المستبعد أن يرغب عن مثل محمد صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثاني: زواجه صلى الله عليه وسلم بزينب رضى الله عنها.

لقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم قصة زيد وزوجته زينب رضي الله عنهما، يقو الله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾[1].

وإن السبب في طلاق زيد لزينب ومن ثم زواج النبي صلى الله عليه وسلم منها؛ هو ما كان بين زيد و بين زينب من خلافات، و أنه لم يكن بينهما وئام يؤمل معه أن تبقى الحياة الزوجية بينهما، فطلقها بمحض اختياره و رغبته، و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاه عن ذلك، و قد كان الله عز وجل قد أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أن زيداً سيطلق زينب، و أنه ستكون زوجة له، و أنه صلى الله عليه وسلم كان يخفي هذا و يخشى من مقولة الناس، أنه تزوج مطلقة من كان يدعى إليه، فعاتبه ربه على ذلك[2].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن هذه الآية ﴿ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ نزلت في شأن زينب ابنة جحش وزيد بن حارثة[3].

وذكر ابن حجر –رحمه الله– عن أنس قال: جاء زيد بن حارثة يشكو، فجعل النبي صلى الله عليه و سلم يقول: اتق الله وأمسك عليك زوجك، قال أنس: لو كان رسول الله صلى الله عليه و سلم كاتما شيئا لكتم هذه الآية[4].

---

(١) سورة الأحزاب : (٣٧).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير : (٤٢٥/٦).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، حديث رقم : (٤٧٨٧)، مع الفتح: (٥٠١/١٠).

(٤) فتح الباري : (٥٠٢/١٠).

وجاء في بعض التفاسير روايات استدل بها المستشرقون على أن هناك سببا آخر لطلاق زينب، هو أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى زينب فجأة و هي في ثياب المنزل فأعجبته، و وقع في قلبه حبها، فتكلم بكلام يفهم منه ذلك، إذ سمعه زيد فبادر إلى طلاقها تحقيقاً لرغبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، و أن زيداً شاوره في طلاقها، و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاه عن ذلك، لكن في قلبه ضد هذا، و أنه كان راغباً في طلاق زيد لها ليتزوجها، و فوق ذلك فقد أقر الله رسوله على ما فعل، بل عاتبه لِمَ يخفي هذا والله سيبديه، وذكروا عددا من الروايات، من ذلك منها :

الرواية الأولى

أخرج ابن سعد وابن جرير –رحمهما الله– عن محمد بن يحيى بن حبان قال: "جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت زيد بن حارثة يطلبه، و كان زيد إنما يقال له: زيد بن محمد، فربما فقده رسول الله صلى الله عليه وسلم الساعة فيقول: أين زيد؟ فجاء منزله يطلبه، فلم يجده، و تقوم إليه زينب بنت جحش زوجته فُضُلاً –أي وهي لابسة ثياب نومها –، فأعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها، فقالت: ليس هو هاهنا يا رسول الله فادخل بأبي أنت وأمي، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل، وإنما عجلت أن تلبس لما قيل لها: رسول الله صلى الله عليه وسلم على الباب فوثبت عجلى، فأعجبت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فولى و هو يهمهم بشيء لا يكاد يفهم منه إلا: سبحان مصرّف القلوب، فجاء زيد إلى منزله، فأخبرته امرأته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى منزله، فقال زيد: ألا قلت له أن يدخل؟ قالت: قد عرضت ذلك عليه فأبى، قال: فسمعت شيئاً؟ قالت: سمعته يقول حين ولى تكلم بكلام لا أفهمه، و سمعته يقول: سبحان الله العظيم، سبحان مصرف القلوب، فجاء زيد حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله بلغني أنك جئت منزلي فهلا دخلت؟ بأبي وأمي يا رسول الله، لعل زينب أعجبتك فأفارقها، فيقول رسول الله: "أمسك عليك زوجك"، فما استطاع زيد إليها سبيلاً بعد ذلك اليوم، فيأتي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره، فيقول رسول الله: "أمسك عليك زوجك"، فيقول: يا رسول الله أفارقها، فيقول رسول الله: "احبس عليك زوجك"، ففارقها زيد واعتزلها و حلت يعني انقضت عدتها قال: فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس

يتحدث مع عائشة، إلى أن أخذت رسول الله صلى الله عليه وسلم غشية، فسري عنه و هو يتبسم و هو يقول: من يذهب إلى زينب يبشرها أن الله قد زوجنيها من السماء؟ وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾ [1] الآية، القصة كلها.

قالت عائشة: فأخذني ما قرب و ما بعد لما يبلغنا من جمالها، وأخرى هي أعظم الأمور وأشرفها ما صنع الله لها، زوجها الله من السماء، و قلت: هي تفخر علينا بهذا، قالت عائشة: فخرجت سلمى خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم تشتد فتحدثها بذلك، فأعطتها أوضاحاً حلي من الفضة عليها"[2].

وإسناد هذه الرواية لا يخلو من العلل، من ذلك:

- أنها مرسلة، فمحمد بن يحيى بن حبان تابعي، يروي عن الصحابة، و يروي أيضاً عن التابعين، كعمر بن سليم و الأعرج، مات بالمدينة سنة احدى وعشرين ومائة وهو ابن اربع وسبعين سنة، فهو لم يدرك القصة قطعاً و لم يذكر من حدثه بها[3].
- أن في إسنادها عبد الله بن عامر الأسلمي، وهو ضعيف بالاتفاق، بل قال فيه البخاري: ذاهب الحديث، و قال أبو حاتم: متروك، قال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني عن أحمد بن حنبل ، وأبو زُرْعَة، وأبو حاتم، والنَّسَائي: ضعيف، وَقَال عَباس الدُّورِيُّ عن يحيى بن مَعِين : ليس بشيءٍ ، ضعيف[4].
- وفيه محمد بن عمر الواقدي، كثير الرواية لكنه متروك الحديث، ورماه جماعة من الأئمة بالكذب و وضع الحديث[5].

---

(١) سورة الأحزاب : (٣٧).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد : (٨/ ١٠١)، تاريخ الأمم والملوك للطبري : (٢/ ٨٩).

(٣) انظر: تهذيب التهذيب : (٩/ ٤٤٩).

(٤) انظر: تهذيب الكمال : (١٥/ ١٥١).

(٥) وقد أحسن الذهبي –رحمه الله– الكلام في كتابه سير أعلام النبلاء: (٩/ ٤٦٩)، فقال : "وقد تقرر أن الواقدي ضعيف، يحتاج إليه في الغزوات، والتاريخ، ونورد آثاره من غير احتجاج، أما في الفرائض، فلا ينبغي أن يذكر، فهذه الكتب الستة، ومسند أحمد، وعامة من =

الرواية الثانية:

ذكرها ابن جرير –رحمه الله– بإسناده إلى ابن زيد قال: كان النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قد زوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش، ابنة عمته، فخرج رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يومًا يريده وعلى الباب ستر من شعر، فرفعت الريح الستر فانكشف، وهي في حجرتها حاسرة، فوقع إعجابها في قلب النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فلما وقع ذلك كرِّهت إلى الآخر، فجاء فقال: يا رسول الله إني أريد أن أفارق صاحبتي، قال: ما ذاك، أرابك منها شيء؟ قال: لا والله ما رابني منها شيء يا رسول الله، ولا رأيت إلا خيرًا، فقال له رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: أمسك عليك زوجك واتق الله، فذلك قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ تخفي في نفسك إن فارقها تزوجتها(1).

و هذه الرواية فيها علتان:

- أن هذه الرواية معضلة، فابن زيد و هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ليس بصحابي ولا تابعي، فقد سقط من الإسناد راويان أو أكثر.
- وفي إسنادها عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف باتفاق المحدثين، بل صرح بعضهم بأنه متروك الحديث، قال البخاري وأبو حاتم: ضعفه علي بن المديني جداً.

  وقال أبو حاتم: كان في الحديث واهياً.

و جاء عن الشافعي أنه قال: قيل لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: حدثك أبوك عن جدك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن سفينة نوح طافت

جمع في الاحكام، نراهم يترخصون في إخراج أحاديث أناس ضعفاء، بل ومتروكين، ومع هذا لا يخرجون لمحمد بن عمر شيئا، مع أن وزنه عندي أنه مع ضعفه يكتب حديثه، ويروى، لاني لا أتهمه بالوضع، وقول من أهدره فيه مجازفة من بعض الوجوه، كما أنه لا عبرة بتوثيق من وثقه، كيزيد، وأبي عبيد، والصاغاني، والحربي، ومعن، وتمام عشرة محدثين، إذ قد انعقد الاجماع اليوم على أنه ليس بحجة، وأن حديثه في عداد الواهي، رحمه الله".

(1) جامع البيان : (٢٠/ ٢٧٤).

بالبيت و صلت خلف المقام ركعتين؟ قال: نعم، ولهذا لما ذكر رجل لمالك حديثاً منقطعاً قال له: اذهب إلى عبد الرحمن بن زيد يحدثك عن أبيه عن نوح. وأقوال الأئمة في تضعيفه كثيرة، و هو رجل صالح في نفسه لكنه شغل بالعبادة والتقشف عن حفظ الحديث فضعف جداً[1].

الرواية الثالثة:

ذكرها أحمد في مسنده قال: حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا مؤمل بن إسماعيل ثنا حماد بن زيد ثنا ثابت عن أنس قال : أتى رسول الله صلى الله عليه و سلم منزل زيد بن حارثة فرأى رسول الله صلى الله عليه و سلم امرأته زينب وكأنه دخله -لا أدري من قول حماد أو في الحديث-، فجاء زيد يشكوها إليه فقال له النبي صلى الله عليه و سلم: ﴿ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ قال: فنزلت ﴿ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِى فِى نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ ﴾ إلى قوله ﴿ زَوَّجۡنَـٰكَهَا ﴾ يعني زينب[2].

في إسناده مؤمل بن إسماعيل، وهو ضعيف.

قال أبو حاتم: صدوق شديد في السنة كثير الخطأ، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال أبو زرعة: في حديثه خطأ كثير، وذكره أبو داود فعظمه ورفع من شأنه، مات بمكة في رمضان سنة ست ومائتين[3].

وقال محمد بن نصر المروزي: مؤمل إذا انفرد بحديث وجب ان يتوقف ويتثبت فيه لأنه كان سيء الحفظ كثير الغلط[4].

وقال يعقوب بن سفيان: مؤمل أبو عبد الرحمن شيخ جليل سني سمعت سليمان ابن حرب يحسن الثناء عليه، كان مشيختنا يوصون به إلا أن حديثه لا يشبه حديث

---

(١) انظر: تهذيب التهذيب : (٦/ ١٦١-١٦٢)، وميزان الاعتدال : (٢/٥٦٥).

(٢) رواه أحمد في مسنده : (٣/ ١٤٩)، حديث رقم : (١٢٥٣٣).

(٣) ميزان الاعتدال : (٤/ ٢٢٨).

(٤) تهذيب التهذيب : (١٠/ ٣٤٠).

أصحابه، وقد يجب على أهل العلم أن يقفوا عن حديثه، فإنه يروي المناكير عن ثقات شيوخه وهذا أشد، فلو كانت هذه المناكير عن الضعفاء لكنا نجعل له عذرا[1].

الرواية الرابعة:

رواها ابن جرير في تفسيره بإسناده عن قتادة: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ وهو زيد أنعم الله عليه بالإسلام ﴿ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ أعتقه رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ قال: وكان يخفي في نفسه ودَّ أنه طلقها، قال الحسن: ما أنزلت عليه آية كانت أشد عليه منها؛ قوله ﴿ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ ولو كان نبي الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم كاتما شيئا من الوحي لكتمها ﴿ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ قال: خشِي نبي الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم مقالة الناس[2].

و روى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة هذه القصة مختصرة، قال: جاء زيد بن حارثة فقال: يا رسول الله إن زينب اشتد عليّ لسانها، وأنا أريد أن أطلقها، فقال له: "اتق الله وأمسك عليك زوجك"، قال: والنبي صلى الله عليه وسلم يحب أن يطلقها و يخشى مقالة الناس[3].

وهذه الرواية سردها قتادة، وهو قتادة بن دعامة السدوسي أحد الأئمة الحفاظ، مشهور بالتفسير، فما فسره من فهمه للآيات فينظر فيه، وما ذكره رواية فإن العلماء أخذوا عليه كثرة التدليس، فاشترطوا لصحة حديثه أن يصرح بالسماع، و هذا إذا ذكر الإسناد، فأما ما يرسله ولا يذكر بعده في الإسناد أحداً كما في روايته لهذه القصة فهو ضعيف جداً.

قال الشعبي: كان قتادة حاطب ليل.

---

(١) تهذيب التهذيب : (١٠/ ٣٤٠).

(٢) جامع البيان : (٢٠/ ٢٧٣).

(٣) فتح الباري :(٨/٥٢٤).

وقال أبو داود الطيالسي عن شعبة : كان قتادة إذا جاء ما سمع قال حدثنا، وإذا جاء ما لم يسمع قال: قال فلان.

وقال أبو عمرو بن العلاء: كان قتادة وعمرو بن شعيب لا يغث عليهما شيء، يأخذان عن كل أحد[1].

كان يحيى بن سعيد القطان لا يرى إرسال الزهري وقتاده شيئا ويقول: هو بمنزلة الريح، ويقول هؤلاء قوم حفاظ كانوا إذا سمعوا الشيء علقوه[2].

وعلى أن روايته لتفسير الآية ليس فيه تفصيل كما في الروايات الأخرى، و يمكن رد روايته إلى الروايات الصحيحة في تفسير الآية، فيكون معنى(أحب) و(ودّ) أي علم أن زيداً سيطلقها ولا بد بإلهام الله له ذلك، وتكون خشيته من مقالة الناس حينئذٍ أن يقولوا: تزوج حليلة ابنه.

الرواية الخامسة:

ذكرها القرطبي في تفسيره بإسناده عن مقاتل: (زوج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش من زيد فمكثت عنده حينا، ثم إنه عليه السلام أتى زيدا يوما يطلبه فأبصر زينب قائمة كانت بيضاء جميلة جسيمة من أتم نساء قريش فهويها وقال: سبحان الله مقلب القلوب، فسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن زيد فقال: يا رسول الله ائذن لي في طلاقها فإن فيها كبرا تعظم علي وتؤذيني بلسانها، فقال عليه السلام: أمسك عليك زوجك واتق الله، وقيل: إن الله بعث ريحا فرفعت الستر وزينب متفضلة في منزلها فرأى زينب فوقعت في نفسه ووقع في نفس زينب أنها وقعت في نفس النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لما جاء يطلب زيدا فجاء زيد فأخبرته بذلك فوقع في نفس زيد أن يطلقها)[3].

---

(١) انظر: تهذيب التهذيب : (٨/ ٣١٧)، وتهذيب الكمال : (٢٢/ ٦٨)، وميزان الاعتدال : (٣/ ٢٦٥).

(٢) جامع التحصيل في أحكام المراسيل : (ص: ٣٧).

(٣) تفسير القرطبي : (١٤/ ١٨٩).

وهذه الرواية التي أوردها القرطبي وغيره لم يذكروا لها إسناداً إلى مقاتل، ولو صحت إلى مقاتل لم يفدها شيئاً، فإن مقاتلاً وهو مقاتل بن سليمان فيما يظهر قد كذبه جمع من الأئمة ووصفوه بوضع الحديث، و تكلموا في تفسيره.

وكان مقاتل بن سليمان أحد الضعفاء أرسل عن أنس وغيره[1].

وقال وكيع: كان كذابا، وقال البخاري: قال سفيان بن عيينة: سمعت مقاتلا يقول: إن لم يخرج الدجال في سنة خمسين ومائة فاعلموا أني كذاب، وقال العباس بن مصعب في تاريخ مرو: كان مقاتل لا يضبط الاسناد، وكان يقص في الجامع بمرو، فقدم جهم فجلس إلى مقاتل، فوقعت العصبية بينهما، فوضع كل واحد منهما على الآخر كتابا ينقض عليه، وقال النسائي: كان مقاتل يكذب[2].

الرواية السادسة:

قال ابن إسحاق: مرض زيد بن حارثة فذهب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده و زينب ابنة جحش امرأته جالسة عند رأس زيد، فقامت زينب لبعض شأنها، فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم طأطأ رأسه، فقال: سبحان مقلب القلوب والأبصار، فقال زيد: أطلقها لك يا رسول الله؟، فقال: لا، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ إلى قوله ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولاً ﴾.

هذه الرواية لم يذكروا لها إسناداً.

وبهذا يتبين ضعف هذه الروايات من جهة أسانيدها.

وأما من حيث المتن فيلاحظ على تلك الروايات ما يلي:

- التناقض، ففي بعضها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم زار زيد بن حارثة و هو غائب فاستقبلته زينب، و في بعضها أن زيداً كان مريضاً، فزاره رسول الله صلى الله عليه وسلم، و كان عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم جالساً هو و زيد و زينب، فكيف يكون زيد غائباً و مريضاً في فراشه في وقت واحد.؟!

---

(١) جامع التحصيل في أحكام المراسيل : (ص: ٢٨٥).

(٢) ميزان الاعتدال : (٤/ ١٧٣).

- والروايات التي ذكرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم زار زيداً اختلفت في كيفية رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم لزينب رضي الله عنها، فرواية تقول بأنه كان واقفاً بالباب فخرجت إليه، ورواية بأنه كان واقفاً بباب زيد فرفعت الريح ستر الشعر فرآها فأعجبته.
- تتفق الروايات على أن إعجاب النبي صلى الله عليه وسلم بزينب ووقوع حبها في قلبه جاء متأخراً، أي بعد أن تزوجها زيد رضي الله عنه، و هذا شيء عجيب، فلقد ولدت زينب ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاوز الثانية عشرة من عمره، و شبت وترعرعت أمامه، فهي ابنة عمته، ألم يلحظ مفاتنها إلا متأخراً، و بعد أن صارت زوجة لدعيّه، و هو الذي زوجها له، والحجاب لم ينزل بعد، فقد نزل صبيحة عرسها، ألا يكون شاهدها، فلو كان يهواها أو وقعت في قلبه لما منعه شيء من زواجها، فإشارة منه صلى الله عليه وسلم كافية لأن يقدموها له، بل قد ورد أنها وهبت نفسها له[1].
- لو افترضنا جدلاً أن حبها وقع في قلبه صلى الله عليه وسلم متأخراً بعد رؤيته لها عند زيد بن حارثة، فبأي شيء يمكن تفسير ما صدر منه صلى الله عليه وسلم و فهم منه زيد و زينب أنها وقعت في قلبه، سواء كان ذلك تسبيحاً أو طأطأة للرأس، أو غير ذلك، كيف ذلك و هو صلى الله عليه وسلم الذي نهى عن أن يخبب الرجل امرأة غيره عليه.

كما ثبت ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من خبب زوجة امرئ أو مملوكه فليس منا)[2].

هذه الروايات التي فسروا بها الآية لو لم يرد ما يخالفها من الروايات الأخرى؛ لم يصح أن يفسر بها كتاب الله تعالى، لسقوطها إسناداً ومتناً، فكيف و قد وردت

---

(١) انظر: أحكام القرآن لابن العربي : (٦/٣٦٥).

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب فيمن خبب مملوكا على مولاه، حديث رقم : (٥١٧٠)، ص: (٩٣٤)، وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته : (ص: ١١١٧)، حديث رقم : (١١١٦٨).

روايات أخرى في تفسير الآية تفسيراً منطقياً لا إشكال فيه ولا نكارة، فالذي يخفيه صلى الله عليه وسلم هو ما أعلمه ربه أنها ستصبح زوجة له، و الذي يخشاه هو مقولة الناس إنه تزوج حليلة من كان يدعى إليه.

والغريب في الأمر أن بعض المفسرين ترك هذه الروايات الصحيحة و التي لا مطعن فيها، و ذكر تلك الروايات الشاذة الغريبة، و منهم من لم يذكرها لكنه ذهب يفسر الآيات على ضوئها.

قال ابن العربي المالكي –رحمه الله–:

"وهذه الروايات كلها ساقطة الأسانيد، إنما الصحيح منها ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتما من الوحي شيئا، لكتم هذه الآية: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ يعني بالإسلام، ﴿ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ يعني بالعتق، فأعتقته ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ إلى قوله ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولاً ﴾، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوجها قالوا: تزوج حليلة ابنه، فأنزل الله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾"[1][2].

وقال القرطبي –رحمه الله– بعد أن ذكر التفسير الصحيح لما كان يخفيه صلى الله عليه وسلم، وما الذي كان يخشاه من الناس:

"وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية، وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين، كالزهري والقاضي بكر بن العلاء القشيري والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم، فأما ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم هوي زينب امرأة زيد وربما أطلق بعض المجّان لفظ عشق فهذا إنما صدر عن جاهل بعصمة النبي صلى الله عليه وسلم عن مثل هذا، أو مستخف بحرمته"[3].

وقال ابن كثير –رحمه الله– بعد أن ذكر الروايات الصحيحة:

---

(١) سورة الأحزاب : (٤٠).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي : (٦/٣٦٤).

(٣) تفسير القرطبي : (١٤/ ١٨٩).

"ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير هاهنا آثاراً عن بعض السلف رضي الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردها، و قد روى الإمام أحمد هاهنا أيضاً حديثاً من رواية حماد بن زيد عن ثابت عن أنس رضي الله عنه فيه غرابة تركنا سياقه أيضاً"(١).

و قال ابن حجر –رحمه الله– بعد أن ذكر الروايات الصحيحة:

"ووردت آثار أخرى أخرجها بن أبي حاتم والطبري ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها"(٢).

وقال محمد رشيد رضا :

"وللقصاص في هذه القصة كلام لا ينبغي أن يجعل في حيز القبول، ويجب صيانة النبي صلى الله عليه و سلم عن مثله"(٣).

وبهذا يتبين أن زواج النبي صلى الله عليه وسلم أمر إلهي، وليس كما وصفه الواصفون بإعجاب النبي صلى الله عليه وسلم حينما رآها، كلا، وكان زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش لهلال ذي القعدة من العام الخامس الهجري و هي بنت خمس وثلاثين(٤).

---

(١) تفسير القرآن العظيم : (٦/ ٤٢٥).

(٢) فتح الباري : (١٠/٥٠٣).

(٣) محمد رسول الله : (ص: ٣٢٧).

(٤) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد : (٨/ ١١٤).

المطلب الثالث : زواجه صلى الله عليه وسلم بعائشة رضى الله عنها.

فقد حاول الحاقدون للإسلام عموما وللنبي صلى الله عليه وسلم خصوصا من النصارى وغيرهم أن يثيروا الشبهات حول زواج النبي صلى الله عليه وسلم بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وأن هذ الزواج هو زواج شهواني جمع بين الكهولة والطفولة، فطعنوا في عفة النبي صلى الله عليه وسلم وتشكيكا في طهارته، ومن ثَمَّ طعنا في الإسلام والمسلمين.

ولهذه الشبهات أجوبة، منها:

١- أن زواج النبي صلى الله عليه وسلم من عائشة رضي الله عنها كان أمرا توقيفيا جاء من رب العالمين.

كما جاء عن عائشة رضي الله عنها : أن النبي صلى الله عليه و سلم قال لها: (أريتك في المنام مرتين، أرى أنك في سرقة من حرير ويقال: هذا امرأتك، فاكشف عنها فإذا هي أنت، فأقول: إن يكن هذا من عند الله يمضه)[1].

٢- أن زواج النبي صلى الله عليه وسلم من عائشة رضي الله عنها اقتراحا من خولة بنت الحكيم حيث اقترحت عليه ثيبا وبكرا، وهما سودة وعائشة رضي الله عنهما.

كما جاء عن عبد الرحمن بن حاطب رضي الله عنه قال: قالت عائشة رضى الله عنها: (لما ماتت خديجة بنت خويلد رضى الله عنها جاءت خولة بنت حكيم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقالت: يا رسول الله ألا تزوج؟ قال: ومن؟ قالت: إن شئت بكرا وإن شئت ثيبا، قال: ومن البكر ومن الثيب، قالت أما البكر فابنة أحب خلق الله إليك عائشة بنت أبى بكر، وأما الثيب فسودة بنت زمعة قد آمنت بك واتبعتك)[2].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم عائشة وقدومها المدينة وبنائه بها، حديث رقم : (٣٨٩٥)، مع الفتح : (٨/٦٦١).

(٢) السنن الكبرى للبيهقي : (٧/ ١٢٩)، والطبراني في المعجم الكبير : (٢٣/٢٣)، باب عائشة بنت أبي بكر الصديق زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم : (٥٧). والحاكم في =

٣- أن عائشة رضي الله عنها كانت قبل ذلك مخطوبة لجبير بن مطعم بن عدي، فهي ناضجة من حيث الأنوثة بدليل خطبتها قبل حديث خولة، وكانت والدتها أم رومان أبدت اغتباطها عندما فسخت خطبة عائشة من جبير، كما أنها فرحت لما علمت أن الرسول صلى الله عليه وسلم قبِل زواجها.

٤- أن عائشة رضي الله عنها لم تكن أول صبية تزف في تلك البيئة ولن تكون كذلك آخرهن، لقد تزوج عبد المطلب من هالة بنت عم آمنة في اليوم الذي تزوج فيه عبد الله أصغر أبنائه وهي صغيرة.

٥- ومن المعروف أن البلوغ في المناطق الحارة يكون أسرع منه في المناطق الأقل حرارة، وقد يصل سن البلوغ في المناطق الحارة إلى ثماني أو تسع سنوات.

ولذا قالت عائشة رضي الله عنها : "إذا بلغت الجارية تسع سنين فهي امرأة"(١).

وقال النووي –رحمه الله- واصفا لحال عائشة رضي الله عنها :

"قال الداودي : وكانت قد شبت شبابا حسنا رضي الله عنها"(٢).

٦- إن زواج النبي صلى الله عليه وسلم بعائشة فيه حكم ومقاصد، منها تأكيدا الصلة بين النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه، وتعليم الأمة ولا سيما في فقه النساء.

قال الزهري –رحمه الله :

"لو جمع علم عائشة –رضي الله عنها- إلى علم جميع أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل"(٣).

المستدرك : (٢/١٨١)، كتاب النكاح، حديث رقم : (٢٧٠٤)، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب النكاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في إكراه اليتيمة على التزويج، حديث رقم : (١١٠٩)، ص: (٢٦٢).

(٢) شرح النووي على مسلم : (٥/ ١٢٨).

(٣) تهذيب التهذيب : (١٢/ ٣٨٦) ، وانظر: سير أعلام النبلاء : (٢/ ١٨٥).

وقال عطاء بن أبي رباح –رحمه الله-:

"كانت عائشة –رضي الله عنها- أفقه الناس، وأحسن الناس رأيا في العامة"[1].

٧- أن النبي صلى الله عليه وسلم لو أراد بهذا الزواج أمر شهوانيا، لكان أولى له أن يفعله في شبابه صلى الله عليه وسلم، ولكن نجد في سيرته صلى الله عليه وسلم أنه تزوج بخديجة وعمرها أربعين سنة.

٨- أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج من عائشة رضي الله عنها وهي بنت ست أو سبع سنوات، ودخل بها وهي بنت تسع سنوات.

كما ثبت ذلك عن عائشة رضي الله عنها قالت: (تزوجها رسول الله صلى الله عليه و سلم وهي بنت ست وبنى بها وهي بنت تسع ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة)[2].

فلماذا النبي صلى الله عليه وسلم انتظر ثلاث سنوات كاملة ليدخل بها؟، وهذا دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدخل بها وهي غير مؤهلة لذلك.

٩- وكانت قريش في ذلك الوقت يتربصون بالنبي صلى الله عليه وسلم كل مرصد، ولكنهم لم يتكلموا في هذا الزواج، ألم يكن هؤلاء أولى بالطعن للنبي صلى الله عليه وسلم إذا كان ما فعله من الزواج من عائشة مستهجنا في هذا الوقت؟

١٠-أن هذا الأمر هو أمر معروف في الكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى.

كما جاء في أسفارهم :"في السنة السابعة عشرة لفقح بن رمليا ملك احاز بن يوثام ملك يهوذا. كان احاز ابن عشرين سنة حين ملك وملك ست عشرة سنة في أورشليم ولم يعمل المستقيم في عيني الرب إلهه كداود أبيه"[3]، أي أنه مات وله من العمر ٣٦ عاما.

---

(١) سير أعلام النبلاء : (٢/ ١٨٥) ، وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي: (١٠/ ٧٠٢).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب تزويج الأب البكر الصغيرة، حديث رقم : (٣٤٨١)، ص : (٥٧٩).

(٣) سفر الملوك الثاني، الإصحاح السادس عشر، العدد: ١-٢.

وجاء كذلك: "وفي السنة الثالثة لهوشع بن إيلة ملك اسرائيل ملك حزقيا بن احاز ملك يهوذا. كان ابن خمس وعشرين سنة حين ملك وملك تسعا وعشرين سنة في اورشليم واسم امه ابي ابنة زكريا"[1]، فيكون عمر احاز ست وثلاثين سنة، فإذا ملك ابنه وعمره نحو خمس وعشرين سنة، يكون أبوه رزق به وعمره نحو إحدى عشرة سنة، وعلى ذلك لا بد أن يكون أبوه قد تزوج وعمره أقل من إحدى عشر سنة.

(١) سفر الملوك الثاني، الإصحاح الثامنة عشر، العدد : ١-٢.

المطلب الرابع : حادثة الإفك.

لقد روى أئمة الحديث هذه الحادثة وبينوها بأحسن البيان وأوضحه، (قالت عائشة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرا أقرع بين أزواجه، فأيهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه.

قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما أنزل الحجاب، فكنت أحمل في هودجي وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل دنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه

قالت: وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلوني فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه وهم يحسبون أني فيه ، وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه، وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل فساروا ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها منهم داع ، ولا مجيب، فتيممت منزلي الذي كنت به وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلي

فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت ، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني، وكان رآني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي والله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها، فقمت إليها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول

قالت: فهلك في من هلك ، وكان الذي تولى كبر الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول.

قال عروة: أخبرت أنه كان يشاع ويتحدث به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه.

وقال عروة أيضا: لم يسم من أهل الإفك أيضا إلا حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش في ناس آخرين لا علم لي بهم غير أنهم عصبة –كما قال الله تعالى–، وإنَّ كِبر ذلك يقال: عبد الله بن أبي ابن سلول.

قال عروة: كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول إنه الذي قال، فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء.

قالت عائشة: فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهرا والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم.

ثم يقول: كيف تيكم؟

ثم ينصرف فذلك يريبني ، ولا أشعر بالشر حتى خرجت حين نقهت فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع ، وكان متبرزنا وكنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل ، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا

قالت: وأمرنا أمر العرب الأول في البرية قبل الغائط، وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا

قالت: فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب، فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها،

فقالت: تعس مسطح

فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبين رجلا شهد بدرا؟

فقالت: أي هنتاه ولم تسمعي ما قال؟

قالت: وقلت ما قال فأخبرتني بقول أهل الإفك، قالت: فازددت مرضا على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم قال: كيف تيكم؟

فقلت له: أتأذن لي أن آتي أبوي؟

قالت: وأريد أن أستيقن الخبر من قبلهما

قالت: فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت لأمي: يا أمتاه ماذا يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن عليها، قالت: فقلت سبحان الله، أولقد تحدث الناس بهذا؟

قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي

قالت: ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله

قالت: فأما أسامة فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه فقال أسامة: أهلك ، ولا نعلم إلا خيرا، وأما علي فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء، سواها كثير، وسل الجارية تصدقك

قالت: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال: أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك؟ قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمرا قط أغمصه غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله

قالت: فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي وهو على المنبر فقال: يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي؟ والله ما علمت على أهلي إلا خيرا ، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا، وما يدخل على أهلي إلا معي

قالت: فقام سعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل فقال: أنا يا رسول الله أعذرك فإن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك

قالت: فقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه وهو سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج، قالت: وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد: كذبت لعمر الله لا تقتله ، ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل، فقام أسيد بن حضير -وهو ابن عم سعد - فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين

قالت: فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر

قالت: فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت

قالت: فبكيت يومي ذلك كله لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم

قالت: وأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوما لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم حتى إني لأظن أن البكاء فالق كبدي، فبينا أبواي جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي قالت: فبينا نحن على ذلك دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا فسلم ثم جلس

قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأني بشيء

قالت: فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس، ثم قال: أما بعد؛ يا عائشة إنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه

قالت: فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي: أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم عني فيما قال، فقال أبي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت لأمي: أجيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال، قالت أمي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقلت – وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيرا–: إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني، فوالله لا أجد لي ولكم مثلا إلا أبا يوسف حين قال: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [1].

---

(١) سورة يوسف : (١٨).

ثم تحولت واضطجعت على فراشي والله يعلم أني حينئذ بريئة ، وأن الله مبرئي ببراءتي ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيا يتلى، لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها، فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ، ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه من العرق مثل الجمان وهو في يوم شات من ثقل القول الذي أنزل عليه

قالت: فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال: يا عائشة أما الله فقد برأك

قالت: فقالت لي أمي: قومي إليه

فقلت: والله لا أقوم إليه فإني لا أحمد إلا الله عز وجل

قالت: وأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ ﴾ [1] العشر الآيات)[2].

وقد روى هذا الحديث ابن شهاب عن عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتيبة بن مسعود، وأن هؤلاء الأربعة عدول ثقات لا مطعن فيهم.

فهذه هي قصة حادثة الإفك كما ذكرها السنة الصحيحة الثابتة، والذي تولى كبره هو عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين حيث أخذ يذيع الخبر بين أصحابه حتى انتشر ذلك بين المسلمين.

قال ابن القيم –رحمه الله–:

"ثم سار بها يقودها حتى قدم بها وقد نزل الجيش في نحر الظهيرة فلما رأى ذلك الناس تكلم كل منهم بشاكلته وما يليق به ووجد الخبيث عدو الله ابن أبي متنفسا فتنفس من

---

(١) سورة النور : (١١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغاري، باب حديث الإفك، حديث رقم : (٤١٤١)، مع الفتح : (٩/٢٤٤-٢٤٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، حديث رقم : (٧٠٢٠)، ص: (١١٤٢-١١٤٥).

كرب النفاق والحسد الذي بين ضلوعه فجعل يستحكي الإفك ويستوشيه ويشيعه ويذيعه ويجمعه ويفرقه وكان أصحابه يتقربون به إليه"[(١)].

وقال ابن كثير –رحمه الله– :

"فكان المقدم في هذه اللعنة عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين، فإنه كان يجمعه ويستوشيه، حتى دخل ذلك في أذهان بعض المسلمين، فتكلموا به، وجوزه آخرون منهم، وبقي الأمر كذلك قريبا من شهر، حتى نزل القرآن، وسياق ذلك في الأحاديث الصحيحة...ثم الأكثرون على أن المراد بذلك إنما هو عبد الله بن أبي بن سلول –قبحه الله ولعنه –وهو الذي تقدم النص عليه في الحديث، وقال ذلك مجاهد وغير واحد.

وقيل: بل المراد به حسان بن ثابت، وهو قول غريب، ولولا أنه وقع في صحيح البخاري ما قد يدل على ذلك لما كان لإيراده كبير فائدة، فإنه من الصحابة الذين كان لهم فضائل ومناقب ومآثر، وأحسن محاسنه أنه كان يذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعره ، وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هاجهم وجبريل معك"[(٢)][(٣)].

وقد عاتب الله تعالى المؤمنين الذين انخدعوا بهذا الكذب الصادر من ذلك المنافق الخبيث عبد الله بن أبي بن سلول، وأما بقية المؤمنين فيكون لهم درسا وعبرة حتى لا يقع فيه مرة آخرى.

قال ابن كثير –رحمه الله–:

هذا تأديب من الله للمؤمنين في قضية عائشة، رضي الله عنها، حين أفاض بعضهم في ذلك الكلام السيئ، وما ذكر من شأن الإفك، فقال: ﴿ لَّوۡلَا ﴾ بمعنى: هلا ﴿ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ﴾ أي: ذلك الكلام، أي: الذي رميت به أم المؤمنين ﴿ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد : (٣/ ٢٣١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، حديث رقم : (٣٢١٣)، مع الفتح: (٥١٢/٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه، حديث رقم : (٦٣٨٧)، ص : (١٠٤٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم : (٦/ ١٩-٢٦).

بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرًا﴾ أي: قاسوا ذلك الكلام على أنفسهم، فإن كان لا يليق بهم فأم المؤمنين أولى بالبراءة منه بطريق الأولى والأحرى[1].

(١) تفسير القرآن العظيم: (٦/ ٢٦).

المطلب الخامس : موقعة الجمل.

في سنة خمس وثلاثين من الهجرة حصل ما حصل من قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه من بعض البغاة، وأكثر الصحابة يذهبون إلى الحج في هذه السنة، وكذلك أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، ثم بلغهم أن عثمان بن عفان رضي الله عنه قد قُتل مظلوما، وسادات الصحابة أكثرهم في مكة حاجين ومعتمرين، فلما كانوا هناك قامت أم المؤمنين تحثهم على طلب دم عثمان، لأنهم قتلوا عثمان في بلد حرام وفي شهر حرام ولم يحترموا جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم، سفكوا الدماء وأخذوا الأموال، فاستمع الناس إليها ووافقوا رأيها في طلب دم عثمان، ثم سار من سار منهم إلى البصرة، فلما وصلوا البصرة منعهم عامل علي بن أبي طالب رضي الله عنه من دخولها، فأرسلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عمران بن الحصين وأبا الأسود الدؤلي رضي الله عنهما ليخبرا بسبب قدومهم إلى البصرة، وذلك لطلب دم عثمان، لأنه قتل مظلوما في شهر حرام وبلد حرام، وتلت قول الله تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1].

ثم استمرت المراسلة حتى قدم علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى البصرة، ثم كاتب أبا موسى الأشعري رضي الله عنه عامله في الكوفة وطلب منه أن يستنفر الناس ليلحقوا به، إلا أن أبا موسى الأشعري لم يوافق رأي علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وأمر الناس بالقعود، وكلما جاء رسول من عند علي بن أبي طالب رده بمثل ذلك حتى جاء ابنه الحسن وعمار بن ياسر رضي الله عنهما، فقالا لأبي موسى: لم تثبط الناس عنا ؟ فوالله ما أردنا إلا الاصلاح، ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء، فقال: صدقت بأبي وأمي، ولكن المستشار مؤتمن، سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم يقول (إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الراكب)[2]، وقد جعلنا الله إخوانا وحرم علينا دماءنا وأموالنا.

---

(١) سورة النساء : (١١٤).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، حديث =

فكان أبو موسى كلما قام رجل فحرض على النفير يثبطهم من فوق المنبر، ومع ذلك فقد استجاب عدد كبير منهم للحسن، وقدموا على علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين.

ثم إن عليا أرسل القعقاع بن عمرو إلى أهل البصرة يدعوهم إلى الألفة والجماعة، ويعظم عليهم الفرقة والاختلاف، فبدأ بعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقال: أي أماه ! ما أقدمك هذا البلد ؟

فقالت: أي بني ! الاصلاح بين الناس

فسألها أن تبعث إلى طلحة والزبير ليحضرا عندها، فحضرا فقال القعقاع: إني سألت أم المؤمنين ما أقدمها ؟ فقالت: إنما جئت للاصلاح بين الناس

فقالا: ونحن كذلك

قال: فأخبراني ما وجه هذا الاصلاح ؟ وعلى أي شيء يكون ؟

فوالله لئن عرفناه لنصطلحن، ولئن أنكرناه لا نصطلحن

قالا: قتلة عثمان، فإن هذا إن ترك كان تركا للقرآن[1].

ولما رجع القعقاع بن عمرو إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وأخبره أن أصحاب الجمل استجابوا إلى ما بعث به إليهم، أذعن علي رضي الله عنه لذلك وبعث إلى طلحة والزبير يقول: "إن كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع بن عمرو فكفوا حتى ننزل، فننظر في هذا الأمر"

فأرسل إليه جواب رسالته: "إنا على ما فارقنا القعقاع بن عمرو من الصلح بين الناس" فاطمأنت النفوس واجتمع كل فريق بأصحابه من الجيش، فلما أمسوا بعث علي بن أبي طالب عبد الله بن عباس إليهم، وبعثوا إليه محمد بن طلحة السجاد، وبات الناس بخير ليلة، وبات قتلة عثمان بشر ليلة.

رقم : (٧٠٨١)، مع الفتح : (٤٧٦/١٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب نزول الفتن كمواقع القطر، حديث رقم : (٧٢٤٧)، ص: (١١٨٣).

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير : (٢٦٣/٧)، وتاريخ الملوك للطبري: (٢٦/٣)، والكامل لابن الأثير: (٥٩٢/٢).

قال ابن الأثير –رحمه الله–:

"ولما خرج طلحة والزبير نزلت مضر جميعاً وهم لا يشكون في الصلح، ونزلت ربيعة فوقهم وهم لا يشكون في الصلح، ونزلت اليمن أسفل منهم ولا يشكون في الصلح... ونزل علي بحيالهم، فنزلت مضر إلى مضر، وربيعة إلى ربيعة، واليمن إلى اليم، فكان بعضهم يخرج إلى بعض لا يذكرون إلا الصلح، وكان أصحاب علي عشرين ألفاً، وخرج علي وطلحة والزبير فتواقفوا فلم يروا أمراً أمثل من الصلح ووضع الحرب، فافترقوا على ذلك"[١].

ولما جاء الخبر عن عائشة وغيرها رضي الله عنهم أنهم ما جاءوا إلا للصلح، جمع الناس علي بن أبي طالب وقام في الناس خطيبا، فذكر الجاهلية وشقاءها وأعمالها، وذكر الاسلام وسعادة أهله بالألفة والجماعة، وأن الله جمعهم بعد نبيه صلى الله عليه وسلم على الخليفة أبي بكر الصديق، ثم بعده على عمر بن الخطاب، ثم على عثمان ثم حدث هذا الحدث الذي جرى على الأمة أقوام طلبوا الدنيا وحسدوا من أنعم الله عليه بها، وعلى الفضيلة التي من الله بها، وأرادوا رد الإسلام والأشياء على أدبارها، والله بالغ أمره.

ثم قال: "ألا إني مرتحل غدا فارتحلوا، ولا يرتحل معي أحد أعان على قتل عثمان بشيء من أمور الناس[٢].

فلما قال هذا اجتمع من رؤوسهم جماعة كالاشتر النخعي، وشريح بن أوفى، وعبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء، وسالم بن ثعلبة، وغلاب بن الهيثم، وغيرهم في ألفين وخمسمائة، وليس فيهم صحابي ولله الحمد

فقالوا: ما هذا، الرأي وعلي والله أعلم بكتاب الله ممن يطلب قتلة عثمان، وأقرب إلى العمل بذلك، وقد قال ما سمعتم، غدا يجمع عليكم الناس، وإنما يريد القوم كلهم أنتم، فكيف بكم وعددكم قليل في كثرتهم ؟

---

(١) الكامل في التاريخ : (٢/ ٥٩٩).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير : (٧/ ٢٦٥).

فقال الاشتر: قد عرفنا رأي طلحة والزبير فينا، وأما رأي علي فلم نعرفه إلى اليوم، فإن كان قد اصطلح معهم فإنما اصطلحوا على دمائنا، فإن كان الأمر هكذا ألحقنا عليا بعثمان، فرضي القوم منا بالسكوت

فقال ابن السوداء: بئس ما رأيت، لو قتلناه قتلنا، فإنا يا معشر قتلة عثمان في ألفين وخمسمائة وطلحة والزبير وأصحابهما في خمسة آلاف، ولا طاقة لكم بهم، وهم إنما يريدونكم

فقال غلاب بن الهيثم: دعوهم وارجعوا بنا حتى نتعلق ببعض البلاد فنمتنع بها

فقال ابن السوداء: بئس ما قلت، إذا والله كان يتخطفكم الناس

ثم قال ابن السوداء قبحه الله: يا قوم إن عيركم في خلطة الناس، فإذا التقى الناس فانشبوا الحرب والقتال بين الناس ولا تدعوهم يجتمعون فمن أنتم معه لا يجد بدا من أن يمتنع، ويشغل الله طلحة والزبير ومن معهما عما يحبون، ويأتيهم ما يكرهون، فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه[1].

فلما اجتمعوا على رأي عبد الله بن سبأ اليهودي الخبيث غدوا مع الغلس وما يشعر بهم جيرانهم انسلوا إلى ذلك الأمر انسلالا وعليهم ظلمة فخرج مضريهم إلى مضريهم وربعيهم إلى ربعيهم ويمانيهم إلى يمانيهم فوضعوا فيهم السلاح، فثار أهل البصرة وثار كل قوم في وجوه أصحابهم الذين بهتوهم

وخرج الزبير وطلحة في وجوه الناس فقال: ما هذا؟

قالوا: طرقنا أهل الكوفة ليلا بيّتونا وغدروا بنا، وثار أهل الكوفة، وقد وضعت السبئية رجلا قريبا من علي يخبرهم بما يريدون، فلما سمع علي الصوت عندما هجموا على معسكره، قال : ما هذا؟

قال ذلك الرجل: ما شعرنا إلا وقوم من أهل البصرة غدروا بنا

فثار كل فريق إلى سلاحه ولبسوا اللامة وركبوا الخيول، ولا يشعر أحد منهم بما وقع الأمر عليه في نفس الامر، وكان أمر الله قدرا مقدورا، وقامت الحرب على ساق وقدم، وتبارز الفرسان، وجالت الشجعان، فنشبت الحرب، وتواقف الفريقان وقد اجتمع مع

---

(١) البداية والنهاية : (٧/ ٢٦٥).

علي عشرون ألفا، والتف على عائشة ومن معها نحوا من ثلاثين ألفا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، والسابئة أصحاب ابن السوداء قبحه الله لا يفترون عن القتل، ومنادي علي ينادي: ألا كفوا ألا كفوا، فلا يسمع أحد، فاشتدت المعركة، وقد كان من سنتهم في هذا اليوم أنه لا يذفف على جريح، ولا يتبع مدبر، وقد قتل مع هذا خلق كثير جدا، حتى جعل علي يقول لابنه الحسن: يا بني ليت أباك مات قبل هذا اليوم بعشرين عاما فقال له: يا أبت قد كنت أنهاك عن هذا، قال: يا بني إني لم أر أن الامر يبلغ هذا[1].

ثم دخل علي بن أبي طالب لإنهاء المعركة وطلب طلحة والزبير ليكلمهما، فاجتمعوا حتى التقت أعناق خيولهما، فانتهى الأمر برجوع الزبير، فنزل واديا يقال له وادي السباع، فاتبعه رجل يقال له عمرو بن جرموز، فجاءه وهو نائم فقتله غيلة.

وأما طلحة فجاءه في المعركة سهم غرب، يقال رماه به مروان بن الحكم فالله أعلم، فانتظم رجله مع فرسه فجمعت به الفرس فجعل يقول: إلي عباد الله، إلي عباد الله، فاتبعه ولي له فأمسكها، فقال له: ويحك ! اعدل بي إلى البيوت ؟ وامتلا خفه دما فقال لغلامه: اردفني، وذلك أنه نزفه الدم وضعف، فركب وراءه وجاء به إلى بيت في البصرة فمات فيه رضي الله عنه[2].

فاشتدت المعركة وحمي القتال وتقدمت عائشة رضي الله عنها في هودجها، وناولت كعب بن سوار قاضي البصرة مصحفا، وقالت: دعهم إليه، فلما تقدم كعب بن سوار بالمصحف يدعو إليه استقبله مقدمة جيش الكوفيين، وكان عبد الله له بن سبأ وأتباعه بين يدي الجيش، يقتلون من قدروا عليه من أهل البصرة، لا يتوقفون في أحد، فلما رأوا كعب بن سوار رافعا المصحف رشقوه بنبالهم رشقة رجال واحد فقتلوه، ووصلت النبال إلى هودج أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فجعلت تنادي: الله الله ! يا بني، اذكروا يوم الحساب ورفعت يديها تدعو على أولئك النفر من قتلة عثمان، فضج الناس معها بالدعاء حتى بلغت الضجة إلى علي فقال: ما هذا ؟ فقالوا: أم المؤمنين تدعو على قتلة عثمان وأشياعهم.

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٦٧)، تاريخ الأمم والملوك للطبري : (٣/ ٣٩).

(٢) المصدر نفسه : (٧/ ٢٦٩).

فقال: اللهم العن قتلة عثمان، وجعل أولئك النفر لا يقلعون عن رشق هودجها بالنبال حتى بقي مثل القنفذ.

فلما رأى علي بن أبي طالب ذلك، وأن القتال اشتدت حول الجمل، أمر بعقره كي لا تصاب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لأنها بقيت عرضا للرماة، ثم لما سقط الإبل انهزم الناس من حوله وانتهت المعركة، وحملت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بأمر علي بن أبي طالب مكرمة معززة إلى البصرة، ومعها أخوها محمد بن أبي بكر رضي الله عنهم أجمعين.

وكان مجموع من قتل يوم الجمل من الفريقين عشرة آلاف، خمسة من هؤلاء وخمسة من هؤلاء، رحمهم الله ورضي عن الصحابة منهم، وقد سأل بعض أصحاب علي عليا أن يقسم فيهم أموال أصحاب طلحة والزبير، فأبى عليهم فطعن فيه السبائية وقالوا: كيف تحل لنا دماؤهم ولا تحل لنا أموالهم ؟ فبلغ ذلك عليا فقال: أيكم يحب أن تصير أم المؤمنين في سهمه ؟ فسكت القوم[1].

ولما أرادت أم المؤمنين عائشة الخروج من البصرة بعث إليها علي رضي الله عنه بكل ما ينبغي من مركب وزاد ومتاع وغير ذلك، وأذن لمن نجا ممن جاء في الجيش معها أن يرجع إلا أن يحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات، وسير معها أخاها محمد بن أبي بكر، فلما كان اليوم الذي ارتحلت فيه جاء علي فوقف على الباب وحضر الناس وخرجت من الدار في الهودج فودعت الناس ودعت لهم
وقالت: يا بني، لا يعتب بعضنا على بعض، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القدم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه على معتبتي لمن الاخيار.
فقال علي: صدقت والله كان بيني وبينها إلا ذاك، وإنها لزوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة.

---

(١) البداية والنهاية : (٧/ ٢٧٣).

وسار علي معها مودعا ومشيعا أميالا، وسرح بنيه معها بقية ذلك اليوم، وكان يوم السبت مستهل رجب سنة ست وثلاثين، وقصدت في مسيرها ذلك إلى مكة فأقامت بها إلى أن حجت عامها ذلك ثم رجعت إلى المدينة رضي الله عنها[1].

فهذه هي واقعة الجمل، وأن الصحابة رضي الله عنهم ما أردوا إلا الإصلاح والصلح، وقد اتفقوا على ذلك وحصل، وما خرجوا لأجل القتال، وهو أمر قد قضى الله تعالى لعباده ولا بد أن يقع، ولذلك جاء عن أبي رافع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي بن أبي طالب : إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر ، قال : أنا يا رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : أنا ؟ قال : نعم ، قال : فأنا أشقاهم يا رسول الله ، قال : لا، ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها[2].

وعن عمرو بن مرة قال: جاء سليمان بن صرد إلى علي بن أبي طالب بعد ما فرغ من قتال يوم الجمل، وكانت له صحبة مع النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له علي: خذلتنا وجلست منا، وفعلت على رؤوس الناس فلقي سليمان الحسن بن علي، فقال: ما لقيت من أمير المؤمنين، قال: قال لي كذا وكذا على رؤوس الناس، فقال: لا يهولنك هذا منه فإنه محارب ، فلقد رأيته يوم الجمل حين أخذت السيوف مأخذها يقول: لوددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة[3].

وأن عليا رضي الله عنه قال يوم الجمل: اللهم ليس هذا أردت، اللهم ليس هذا أردت[4].

وليس كما زعمته الشيعة الرافضة وبعض المبتدعة الذين يريدون أن يطعنوا في خيار هذه الأمة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما أردوا إلا الإصلاح كما تقدم.

قال ابن حزم –رحمه الله–:

---

(١) البداية والنهاية : (٧/ ٢٧٣).

(٢) مسند أحمد بن حنبل : (٦/ ٣٩٣)، حديث رقم : (٢٧٢٤٢)، وقال ابن حجر في فتح الباري : (١٦/٥١٦) : وسنده حسن.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة : (١٥/ ٢٨٤)، رقم الحديث : (٣٨٩٨٧).

(٤) المصدر نفسه، رقم الحديث : (٣٨٩٧٥).

"وأما أم المؤمنين والزبير وطلحة رضي الله عنهم ومن كان معهم فما أبطلوا قط إمامة علي ولا طعنوا فيها ولا ذكروا فيه جرحة تحطه عن الإمامة، ولا أحدثوا إمامة أخرى ولا جددوا بيعة لغيره، هذا ما لا يقدر أن يدعيه أحد بوجه من الوجوه بل يقطع كل ذي علم على أن كل لك لم يكن، فإذ لا شك في كل هذا فقد صح صحة ضرورية لا إشكال فيها أنهم لم يمضوا إلى البصرة لحرب علي ولا خلافا عليه ولا نقضا لبيعته؛ ولو أرادوا ذلك لأحدثوا بيعة غير بيعته، هذا ما لا يشك فيه أحد ولا ينكره أحد، فصح أنهم إنما نهضوا إلى البصرة لسد الفتق الحادث في الإسلام من قتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ظلما، وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا، فلما كان الليل عرف قتله عثمان إلا أن الأراغة[1] والتدبير عليهم فبيتوا عسكر طلحة والزبير وبذلوا السيف فيهم فدفع القوم عن أنفسهم في دعوى حتى خالطوا عسكر علي، فدفع أهله عن أنفسهم وكل طائفة تظن ولا شك أن الأخرى بدأتها بالقتال، واختلط الأمر اختلاطا لم يقدر أحد على أكثر من الدفاع عن نفسه، والفسقة من قتلة عثمان لا يفترون من شن الحرب وأضرامها، فكلتا الطائفتين مصيبة في غرضها ومقصدها مدافعة عن نفسها، ورجع الزبير وترك الحرب بحالها وأتى طلحة سهم غاير وهو قائم لا يدري حقيقة ذلك الاختلاط، فصادف جرحا في ساقه كان أصابه يوم أحد بين يدري رسول الله صلى الله عليه و سلم فانصرف ومات من وقته رضي الله عنه وقتل الزبير رضي الله عنه بوادي السباع على أقل من يوم من البصرة، فهكذا كان الأمر"[2].

وقد ذكر شيخ الإسلام –رحمه الله– ردا على هؤلاء الشيعة الرافضة وبعض أهل الأهواء الذين نصبوا العداء للصحابة وبالخصوص أم المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين بقوله:

"وأما الحديث الذي رواه وهو قوله لها: "تقاتلين عليا وأنت ظالمة له"، فهذا لا يعرف في شيء من كتب العلم المعتمدة ولا له إسناد معروف وهو بالموضوعات المكذوبات أشبه منه بالأحاديث الصحيحة، بل هو كذب قطعا فإن عائشة لم تقاتل ولم تخرج لقتال وإنما خرجت لقصد الإصلاح بين المسلمين وظنت أن في خروجها مصلحة للمسلمين، ...

---

(١) أي الإرادة والطلب، انظر: القاموس المحيط : (١٠١١/١).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل: (٤/ ١٢٣).

ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في الاقتتال، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم فإنه لما تراسل علي وطلحة والزبير وقصدوا الاتفاق على المصلحة وأنهم إذا تمكنوا طلبوا قتلة عثمان أهل الفتنة، وكان علي غير راض بقتل عثمان ولا معينا عليه كما كان يحلف فيقول: والله ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله، وهو الصادق بار في يمينه فخشى القتله أن يتفق علي معهم على إمساك القتلة، فحملوا على عسكر طلحة والزبير فظن طلحة والزبير أن عليا حمل عليهم فحملوا دفعا عن أنفسهم، فظن علي أنهم حملوا عليه فحمل دفعا عن نفسه، فوقعت الفتنة بغير اختيارهم، وعائشة رضي الله عنها راكبة لا قاتلت ولا أمرت بالقتال، هكذا ذكره غير واحد من أهل المعرفة بالأخبار"[١].

قال ابن أبي العز –رحمه الله–:

"فجرت فتنة الجمل على غير اختيار من علي ولا من طلحة و الزبير وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين"[٢].

وقال ابن حجر –رحمه الله–:

"والعذر في ذلك عن عائشة أنها كانت متأولة هي وطلحة والزبير، وكان مرادهم إيقاع الإصلاح بين الناس وأخذ القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنهم أجمعين"[٣].

وقال في موضع آخر من كتابه:

"ويدل لذلك أن أحدا لم ينقل أن عائشة ومن معها نازعوا عليا في الخلافة ولا دعوا إلى أحد منهم ليولوه الخلافة، وانما أنكرت هي ومن معها على علي منعه من قتل قتلة عثمان وترك الاقتصاص منهم، وكان علي ينتظر من أولياء عثمان أن يتحاكموا إليه فإذا ثبت على أحد بعينه أنه ممن قتل عثمان اقتص منه، فاختلفوا بحسب ذلك وخشي من نسب إليهم القتل أن يصطلحوا على قتلهم فأنشبوا الحرب بينهم إلى أن كان ما كان"[٤].

---

(١) منهاج السنة النبوية : (٤/ ١٧٠-١٧١).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية : (ص: ٤٨٢).

(٣) فتح الباري : (٨/٤٧٩).

(٤) المصدر نفسه : (١٦/٥١٨).

وهذا هو الذي قرره أهل السنة والجماعة من أن الواقعة حصلت من غير قصد، لا من عائشة ومن معها، ولا من علي بن أبي طالب ومن معه رضي الله عنهم أجمعين.

المبحث السابع : موقف أهل السنة والجماعة تجاه أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.

إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم هن أمهات المؤمنين، وقد شرفهن الله تعالى بأن كن في خير بيت من بيوت الأرض، واختار الله لهن الزوج من خير البشر على الإطلاق، وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ولا بد أن نوقف تجاههن موقفا حسنا لما لهن من الفضائل، وقد جمع الله تعالى لهن أن كن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، ومن أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، وأنهن من الصحابيات اللاتي عشن مع النبي صلى الله عليه وسلم، وكل الأحاديث التي جاءت في فضل أهل البيت وفضل الصحابة فإنهن يدخلن في هذه الفضائل.

فموقف أهل السنة والجماعة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل في الأمور التالية:

١-تولي أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبهن، ومعرفة فضلهن وقدرهن ومنزلتهن العظيمة التي شرفهن الله تعالى بها.

قال ابن تيمية –رحمه الله-:

"ويتولون أزواج رسول الله صلى الله عليه و سلم أمهات المؤمنين ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة، خصوصا خديجة رضي الله عنها أم أكثر أولاده أول من آمن به وعاضده على أمره وكان لها منه المنزلة العالية، والصديقة بنت الصديق رضي الله عنها التي قال النبي صلى الله عليه و سلم: (فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)"[1].

٢-احترامهن وتوقيرهن واعتقاد أنهن أمهات المؤمنين، وأنهن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة.

قال الصابوني –رحمه الله-:

---

(١) العقيدة الواسطية : (ص: ٢٦).

"وكذلك يرون تعظيم قدر أزواجه رضي الله عنهن، والدعاء لهن ومعرفة فضلهن والإقرار بأنهن أمهات المؤمنين"[1].

٣- الترضي عنهن وسلامة الصدر تجاههن من الغل أو الغش، والحقد عليهن.

قال ابن قدامة المقدسي –رحمه الله-:

"ومن السنة الترضي عن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين المطهرات المبرآت من كل سوء ، أفضلهن خديجة بنت خويلد ، وعائشة الصديقة بنت الصديق التي برأها الله في كتابه ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة ، فمن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم"[2].

٤- إحسان القول فيهن، وسلامة اللسان تجاههن.

قال الطحاوي –رحمه الله-:

"ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم وأزواجه الطاهرات من كل دنس وذرياته المقدسين من كل رجس فقد برىء من النفاق"[3].

قال ابن أبي العز –رحمه الله- شارحا لهذه العبارة :

"وإنما قال الشيخ رحمه الله : "فقد برىء من النفاق" لأن أصل الرفض إنما أحدثه منافق زنديق قصده إبطال دين الإسلام والقدح في الرسول صلى الله عليه و سلم كما ذكر ذلك العلماء"[4].

٥- البراءة من طريقة الروافض ومن نحا نحوهم تجاه أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وما رموهم به من تكفير أو سب أو وقيعة أو سخرية أو تنقص أو نحو ذلك.

قال ابن تيمية –رحمه الله-:

---

(١) اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث : (ص: ١٢٤).

(٢) لمعة الاعتقاد : (ص: ٣١).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية : (ص: ٤٩٠).

(٤) المصدر نفسه.

"ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل"[1].

٦-الذب عنهن، والرد على من يريد التنقص من قدرهن أو يحط من شأنهن أو يقلل من مكانتهن.

٧-دراسة سيرتهن ومعرفة أخبارهن وآدابهن وعبادتهن، فإنهن أعظم النساء تعلمن في مدرسة النبوة، بل إن هناك أمورا عديدة من هديه صلى الله عليه وسلم لا يمكن العلم بها إلا من طريقهن رضي الله عنهن أجمعين.

---

(١) العقيدة الواسطية : (ص: ٢٦).

المبحث الثامن : موقف الشيعة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.

إن الله تعالى قد رفع مقام أمهات المؤمنين مقاما عاليا، وأثنى عليهن في مواضع كثيرة من كتابه العزير، إلا أن الشيعة الرافضة لم يقنعوا بذلك، فأبوا إلا أن يطعنوا في أمهات المؤمنين، وذلك طعن في النبي صلى الله عليه وسلم، شعروا بذلك أم لم يشعروا، ووقفوا تجاههن كأنهن موقف الخصوم.

فلهم فيهن رضي الله عنهن مواقف وأقوال شائنة، فمن ذلك:

أولا: تكفير الصحابة إلا قليلا منهم، ومن ضمنهم أمهات المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين.

فالرافضة تعتقد أن الصحابة كلهم كفار مرتدون عن دين الإسلام، فنساء النبي صلى الله عليه وسلم يدخلن ضمن الصحابة رضي الله عنهن، وهؤلاء يتقربون إلى الله تعالى بسبهم وشتمهم ونصبوا الأعداء لهم، وقد جاءت الروايات عنهم في ذلك، ومنها:

قال التستري –من كبار علمائهم- :"كما جاء موسى للهداية وهدى خلقا كثيرا من بني إسرائيل وغيرهم فارتدوا في أيام حياته ولم يبق فيهم أحد على إيمانه سوى هارون، كذلك جاء محمد صلى الله عليه وسلم وهدى خلقا كثيرا لكنهم بعد وفاته ارتدوا على أعقابهم"(١).

واستثنوا من ذلك علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين وسلمان الفارسي والمقداد بن الأسود وأبو ذر الغفاري، وغيرهم قليل.

وروى الكليني عن أبي جعفر رحمه الله تعالى –زورا– قوله : "كان الناس أهل ردَّةٍ بعد النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم إلّا ثلاثة، فقلت : من الثلاثة ؟ فقال : المقداد ابن الأسود ، وأبو ذر الغفاري ، وسلمان الفارسي"(٢).

وذكر الطبرسي عن سلمان رضي الله عنه قال: "لما كان الليل ، حمل عليٌّ فاطمة على حمار، وأخذ بيد ابنيه الحسن والحسين ، فلم يدع أحداً من أهل بدر من المهاجرين ولا من الأنصار ؛ إلا أتى منزله ، وذكر حقّه ، ودعا إلى نصرته،... فأصبح لم يوافه منهم

---

(١) إحقاق الحق : (ص:٣١٦).

(٢) الكافي: (٣ : ٨٥) ورجال الكشي: (١٢ . ١٣)

أحد غير أربعة . قيل لسلمان : من الأربعة ؟ قال : أنا وأبو ذر والمقداد والزبير بن العوام ،... ثم أتاهم في الليلة الثانية ،... ثم الثالثة فما وفى أحدٌ غيرنا"[1].

وأشار إليه ابن كثير –رحمه الله– بقوله:

"وأما طوائف الروافض وجهلهم وقلة عقلهم، ودعاويهم أن الصحابة كفروا إلا سبعة عشر صحابياً، وسموهم: فهو من الهذيان بلا دليل، إلا مجرد الرأي الفاسد، عن ذهن بارد، وهوى متبع، وهو أقل من أن يرد، والبرهان على خلافه أظهر وأشهر"[2].

وهذا هو شأن الشيعة الرافضة تجاه أزواج النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة كلهم، مع ما لهم من الفضائل ما لا يحصى.

ثانيا : وصف أمهات المؤمنين بالحشايا.

وذلك في القصة التي اخترعوها من قبل أنفسهم، أن عليا رضي الله عنه بعد انتهائه من موقعة الجمل، أرسل إلى عائشة رضي الله عنها عبد الله بن العباس رضي الله عنهما يأمرها بالرحيل، فحصلت مناظرة بينهما –على حد زعمهم–، جاء فيها قول ابن عباس رضي الله عنهما لعائشة رضي الله عنها: ما أنت إلا حشية من تسع حشايا خلفهن بعده، أي رسول الله صلى الله عليه وسلم[3].

ثالثا : زعمهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد جعل أمر نسائه بيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعده.

فقد أسند الصدوق إلى الحسن العسكري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل طلاق أزواجه بيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال له: يا أبا الحسن، إن هذا

---

(١) في الاحتجاج: (ص:١٥٧-١٥٨).

(٢) الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث : (١٨٢/١).

(٣) انظر: بحار الأنوار للمجلسي : (٤٥١/٨)، وشرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد : (٨٢/٢).

الشرف باق لهن ما دمن لله على الطاعة، فأيتهن عصت الله بعدي بالخروج عليك فطلقها في الأزواج واسقطها من تشريف الأمهات ومن شرف أمومة المؤمنين[1].

وفي رواية : فمن عصتك فطلقها طلاقا يبرأ الله ورسوله منها في الدنيا والآخرة.

وفي رواية أخرى : لم ترني ولم أراها في عرصات القيامة[2].

رابعا : شدة بغضهم لعائشة وحفصة رضي الله عنهما على وجه الخصوص.

وقد اهتمت الشيعة الرافضة بصناعة كثرة الروايات المكذوبة على أم المؤمنين عائشة وحفصة رضي الله عنهما، لأنهما بنتا أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ومن تلك الروايات المزعومة، منها ما يلي:

- اعتقاد كفر عائشة وحفصة رضي الله عنهما.

لقد امتلأت كتب الشيعة الرافضة بالروايات والأقوال السقيمة التي تنال من إيمان وأخلاق عائشة رضي الله عنها وعفتها وطهارتها وصدق اتباعها للنبي صلى الله عليه وسلم.

ولقد ترجم عن محتوى كتب الشيعة من تصريحات هابطة وأقوال سقيمة تنال من أمنا عائشة وتحكم عليها بأنها من الكافرين من أهل النار عدد مشايخ الشيعة المعاصرين منهم : العراقي مجتبى الشيرازي، والشيعي الكويتي ياسر الحبيب، والمتشيع المصري حسن شحاته، ومن ذلك ما أقدمت عليه جماعة شيعية رافضة حاقدة بزعامة ياسر الحبيب من إقامة احتفال في بريطانيا يوم الجمعة ١٧ رمضان ١٤٣١هـ الموافق ٢٧ أغسطس ٢٠١٠م بإقامة احتفال ضخم في مدينة لندن تحت رعاية (هيئة خدام المهدي) وبحضور علماء ومثقفي الشيعة تحت شعار (فرحة الحسن —عائشة في النار)، أقاموا هذا الاحتفال فرحا

---

(١) إكمال الدين للصدوق: (ص:٤٢٩-٤٣٠)، وانظر: دلائل الإمامة لابن رستم: (ص:٢٧٧).

(٢) انظر: مختصر بصائر الدرجات للحلبي: (ص:٣٩)، وعلم اليقين للكاشاني: (٦٦٠/٢)، والدرجات الرفيعة للشيرازي : (٣٠٣-٣٠٤).

بمناسبة وفاة الطاهرة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم والصديقة بنت الصديق أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي أنزل الله تعالى في حق عفتها وطهارتها قرآنا يتلى إلى يوم القيامة ، حيث أقدمت هذه الشرمذة الشيعية على لعنها وتكفيرها واتهامها بالخيانة للنبي صلى الله عليه وسلم ووصفها بأبشع الصفات وأخسها.

وما فعله ياسر الحبيب وزمرته في لندن من تكفير وشتم عائشة رضي الله عنها ليس شيئا جديدا، لأن هذا هو معتقد الشيعة الرافضة في زوج النبي صلى الله عليه وسلم، فعامة علماء الرافضة يعتقدون كفر عائشة رضي الله عنها وأنها من شر النساء، وأنها من أهل النار، وأنها – والعياذ بالله- زنت كما صرح بذلك غير واحد من علمائهم كالقمي والمجلسي والعياشي وابن رجب الرافضي والبرسي وغيرهم.

يقول شيخ الطائفة لدى الشيعة أبو جعفر الطوسي: "عائشة مصرة على حربها لعلي رضي الله عنه ولم تتب، وهذا يدل على كفرها وبقائها عليه"[(١)].

وقال يوسف البحراني عنها : "إنما ارتدت بعد موته صلى الله عليه وسلم كما ارتد ذلك الجم الغفير المجزوم بإيمانهم سابقا"[(٢)].

ويقول محمد بن الحسين الشيرازي القمي: "مما يدل على إمامة أئمتنا الاثني عشر أن عائشة رضي الله عنها كافرة مستحقة للنار، وهو مستلزم لحقية مذهبنا وحقية أئمتنا الاثني عشر...وكل من قال بإمامة الاثني عشر قال باستحقاقها اللعن والعذاب"[(٣)].

- التبرؤ من عائشة وحفصة ومن أبويهما رضي الله عنهم أجمعين.

يقول محمد الباقر المجلسي: "وعقيدتنا في التبرؤ إننا نتبرأ من الأصنام الأربعة: أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية، والنساء الأربع: عائشة وحفصة وهند وأم الحكم

---

(١) ذكر ذلك البياضي في الصراط المستقيم (١٨٧/١)، وفي كتاب الاقتصاد فيما يتعلق في الاعتقاد ص: (٣٦).

(٢) محاسن الاعتقاد في أصول الدين ، طبعة مؤسسة مجمع البحوث العلمية بالبحرين ١٤١٣هـ، (ص:١٥٧).

(٣) الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين: (ص:٦١٥).

ومن جميع أشياعهم وأتباعهم، وأنهم شر خلق الله على وجه الأرض، وأنه لا يتم الإيمان بالله ورسوله والأئمة إلا بالتبرؤ من أعدائهم"[1].

- أن عائشة رضي الله عنها من أهل النار، والعياذ بالله.

وقال محمد طاهر: "أن عائشة رضي الله عنها كافرة ومستحقة للنار، وهو مستلزم لحقيتنا وحقية أئمتنا الاثني عشر"[2].

- اتهام الشيعة الرافضة بأن عائشة وحفصة رضي الله عنهما أرادتا قتل النبي صلى الله عليه وسلم بالسم.

كما روى المفسر العياشي عن عبد الصمد بن بشير عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : "تدرون، مات النبي صلى الله عليه وسلم وآله أو قتل؟ إن الله يقول: ﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾[3]، فسُمَّ قبل الموت ! إنهما سقتاه! فقلنا: إنهما وأبويهما شر من خلق الله"[4].

وروى علي بن إبراهيم القمي في تفسيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله قال لحفصة رضي الله عنها في مجريات قصة التحريم: كفى! فقد حرمت مارية على نفسي ولا أطأها بعد هذا أبدا، وأنا افضي إليك سرا، فإن أنت أخبرت به فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين! فقالت: نعم، ما هو؟ فقال: إن أبا بكر يلي الخلافة من بعدي (غصبا)، ثم من بعده أبوك، فقالت: من أنبأك هذا؟ قال: نبأني العليم الخبير. فأخبرت حفصة عائشة من يومها ذلك، وأخبرت عائشة أبا بكر، فجاء أبوبكر إلى عمر فقال له: إن عائشة أخبرتني عن حفصة بشيء ولا أثق بقولها، فاسأل أنت حفصة، فجاء عمر إلى حفصة فقال لها: ماهذا الذي أخبرت عنك عائشة؟ فأنكرت ذلك وقالت: ما قلت لها

---

(١) حق اليقين: (ص:٥١٩)، فارسي، وقد قام بترجمته النص ونقله إلى العربية الشيخ محمد عبد الستار التونيسي في كتابه: بطلان عقائد الشيعة: (ص:٥٣).

(٢) كتاب الأربعين في الأئمة الطاهرين، محمد طاهر الشيرازي النجفي القمي: (ص:٦١٥).

(٣) سورة آل عمران : (١٤٤).

(٤) تفسير العياشي : (٢٠٠/١).

من ذلك شيئا! فقال لها عمر: إن كان هذا حقا فأخبرينا حتى نتقدم فيه (نجهز على النبي سريع)! فقالت : نعم، قد قال رسول الله ذلك، فاجتمعوا أربعة على أن يسُمّوا رسول الله"[1].

وقال المجلسي: إن العياشي روى بسند معتبر عن الصادق : أن عائشة وحفصة لعنة الله عليهما وعلى أبويهما، قتلتا رسول الله بالسم دبرتاه"[2].

وقد نقل هذه الحادثة المكذوبة عدد كبير من مصنفي الشيعة ، وذكروا كذبا وبهتانا اسم عائشة وحفصة وأبي بكر وعمر صراحة ، وزعموا أنهم وضعوا السم لرسول الله فمات بسببه[3].

وليس هذا القول بدعا من القوم، فقد سبق إليه الكليني –شيخ الإسلام عند الشيعة– ومرجعهم ونسبه إلى أبي جعفر الباقر، وقد تقدم ذكره في امرأة نوح عليه الصلاة والسلام.

وهذا في منتهى الافتراء والبشاعة في حق الصديقة حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي حق حفصة رضي الله عنها، وكيف يصف الله تعالى في كتابه الكريم قاتلتي نبيه بأمهات المؤمنين؟

- الدعاء عليهما ولعنهما وأنهما صنمي قريش، رضي الله عنهما.

قال محمد نبي التوسيركاني : "اعلم أن أشرف الأمكنة والأوقات والحالات وأنسبها للعنة عليهم إذا كنت في المبال، فقل عند كل واحد من التخلية والاستبراء والتطهير مرارا بفراغ من البال: اللهم العن عمر ثم أبا بكر وعمر، ثم عثمان وعمر، ثم معاوية وعمر ، ثم يزيد وعمر، ثم ابن زياد وعمر، ثم ابن سعد

---

(١) تفسير القمي : (٢/٣٧٦).

(٢) حياة القلوب للمجلسي : (٢/٧٠٠).

(٣) انظر: تفسير القمي طبعة حجرية (ص: ٣٤٠)، وطبعة حديثة: (٣/٣٧٥-٣٧٦)، وانظر: الصراط المستقيم للبياضي: (٣/١٦٨-١٦٩)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: (٢/)٤٥)، وإحقاق الحق للتستري: (ص:٣٠٨)، تفسير الصافي للكاشاني: (٢/٧١٦-٧١٧)، والبرهان للبحراني: (١/٣٢٠)،و (٤/ ٣٥٢-٣٥٣)، والأنوار النعمانية للجزائري: (٤/٣٣٦-٣٣٧).

وعمر ، ثم شمرا وعمر، ثم عسكرهم وعمر ، اللهم العن عائشة وحفصة وهندا وأم حكم، والعن من رضي بأفعالهم إلى يوم القيامة"[١].

واخترعت الشيعة هذا الدعاء المسمى عندهم (دعاء صنمي قريش)، وقد خصصوه للعن أبي بكر وعمر وابنتيهما عائشة وحفصة، ومما جاء في هذا الدعاء : "اللهم صلى على محمد وعلى ال محمد والعن صنمي قريش وطاغوتيهما وإفكيهما وابنتيهما اللتين خالفا أمرك وأنكر ا وحيك وجحدا إنعامك وعصيا رسولك وقلبا دينك وحرفا كتابك اللهم العنهما بكل آية حرفوها وفريضة تركوها ، اللهم العنهم في مكون السر وظاهرة العلانية لعنا كثيرا أبدا دائما دائبا سرمدا...الخ"[٢].

ولم يكتف الرافضة بذلك اللعن الرخيص لخيار الصحابة ومنهم عائشة رضي الله عنها، بل رتبوا على هذا الدعاء الأجر والثواب الكبير، فنسبوا -كذبا وزورا- إلى ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : إن عليا رضي الله عنه كان يقنت بهذا الدعاء في صلواته، وقال : الداعي به كالرامي مع النبي صلى الله عليه وسلم في بدر وحنين بألف ألف سهم[٣].

---

(١) الآلي الأخبار : (٩٢/٤)

(٢) وممن ذكر مقتطفات من هذا الدعاء الشيعي أو أشار إليه من مصنفات الشيعة : قرة العيون للكاشاني: (ص: ٤٢٦)، وعلم اليقين للكاشاني: (٧٠١/٢)، ومرآة العقول للمجلسي: (٣٥٦/٤)، واحقاق الحق التستري: (ص:٥٨، ١٣٣-١٣٤)، ومقدمة على تفسير البرهان لأبو الحسن العاملي: (١١٣/١-١٧٤، ٢٢٦، ٢٥٠)، (٩٥/٢، ٢٩٠-٢٩٤، ٣١٣-٣٣٩)، والزام الناصب للحائري: (ص: ٢١٩)، وفصل الخطاب النوري للطبرسي: (ص:٢٢١-٢٢٢)، وحق اليقين لعبد الله شبر: (٢١٩/١)، والبلد الأمين للكفعمي: (ص:٥١١)، والمصباح له: (ص: ٥١١) .

(٣) انظر: علم اليقين في أصول الدين الفيض للكاشاني، تحقيق وتعليق محسن بيدارفر، الطبعة الأولى مع التصحيح والتعليق ، ١٤١٨هـ، منشورات بيدار، رقم (٧٠١/٢).

وقد اهتم الرافضة بهذا الدعاء واعتبروه من أعظم الأدعية، فبلغت شروحه أكثر كم عشرة شروح، كما أشار إلى ذلك آغا برزك الطهراني في كتابه الذريعة ١٩٢/٨، والحر العاملي في امل الامل ٣٢/٢.

- إن عائشة رضي الله عنها وغيرها من الصحابة عند الخميني أخبث من الكلاب والخنازير، والعياذ بالله، فعليهم من الله ما يستحقون.

يقول الخميني : "فلو خرج سلطان على أمير المؤمنين عليه السلام، لا بعنوان التدين بل للمعارضة في الملك أو غرض آخر كعائشة وزبير وطلحة ومعاوية وأشباههم أو نصب أحد عداوة له أو لأحد من الأئمة عليهم السلام لا بعنوان التدين بل لعداوة قريش أو بني هاشم أو العرب أو لأجل كونه قاتل ولده أو أبيه أو غير ذلك، لا يوجب ظاهرا شيء منها نجاسة ظاهرة، وإن كانوا أخبث من الكلاب والخنازير لعدم دليل من إجماع أو أخبار عليه"(١).

- اتهام الشيعة الرافضة عائشة رضي الله عنها بعداوتها النبي صلى الله عليه وسلم وآل البيت رضي الله عنهم.

ذكر الكليني: "لما احتضر الحسن عليهما السلام قال للحسين : يا أخي! إني أوصيك بوصية فاحفظها، فإذا مت فهيأني ثم وجهني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحدث به عهدا ثم اصرفني إلى أمي فاطمة عليها السلام ثم ردني فادفني بالبقيع، واعلم أنه يصيبني من الحميراء ما يعلم الناس من صنيعها وعداوتها الله ولرسوله صلى الله عليه وسلم واله وعداوتها لنا أهل البيت"(٢).

وعن أبي عبد الله : "اذهب فغير اسم ابنتك التي سميتها أمس، فإنه اسم يبغضه الله، وكان ولد لي ابنة سميتها الحميراء، فقال أبو عبد الله عليه السلام : انته إلى أمره ترشد، فغيرت اسمها"(٣).

واتهمها الشيعي محسن المعلم بأنها ناصبية ناصبت العداء لآل البيت(١).

---

(١) كتاب الطهارة للخميني : (٣٣٧/٣)

(٢) الكافي، الأصول باب والنص على الحسين بن علي عليهما السلام، حديث (٣).

(٣) الأصول من الكافي للكليني: (٢٤٧/١).

- تنكر الرافضة أن تكون عائشة رضي الله عنها مبرأة بنص القرآن.

وذلك من خلال أقوال كبرائهم، من ذلك:

قول القمي في تفسيره في قول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ [2]، يقول إنها نزلت في اتهام عائشة لمارية القبطية[3].

وفي قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡ ﴾ [4]، قال: إن العامة رووا أنها نزلت في عائشة رضي الله عنها، وما رميت به في غزوة بني المصطلق من خزاعة، وأما الخاصة فإنهم رووا أنها نزلت في مارية القبطية وما رمتها بها من النساء المنافقات[5].

- إن عائشة رضي الله عنها عند الشيعة الرافضة أم الشرور، والعياذ بالله.

أفرد البياضي في كتابه فصلين خاصين في الطعن على عائشة وحفصة بل تجاوز به القبح والكفر أن سمى الفصل الأول (فصل في أم الشرور) ويعني بها عائشة، وقد أورد فيه الكثير من الطعن والقدح فيهما، بل قد سماها شيطانة.

وسمى الفصل الأخر (فصل في أختها حفصة) وما ترك مسبة إلا الحقها بها[6].

ويقول أيضا محمد طاهر القمي الشيرازي ما نصه : "ومما يدل ظلمها وعصيانها وكفرها ما ذكره صاحب الصراط المستقيم ، وهذا مختصر من قوله : فصل في أم الشرور، أكثر اعتقاد القوم على روايتها، وقد خالفت ربها"[7].

---

(١) النصب والنواصب: (ص:٣٣٧).

(٢) سورة الحجرات : (٦).

(٣) تفسير القمي: (٣١٨/٢).

(٤) سورة النور : (١١).

(٥) تفسير القمي: (٩٩/٢).

(٦) الصراط المستقيم: (١٣٥/٣).

(٧) الأربعين : (ص:٦٢٢).

الفصل الثالث

عم النبي صلى الله عليه وسلم أبو طالب

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول : اسمه ونسبه ونشأته.

المبحث الثاني : كفالته للنبي صلى الله عليه وسلم ومناصرته له.

المبحث الثالث : شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب.

المبحث الرابع : مذهب أهل السنة والجماعة في إسلام أبى طالب.

المبحث الخامس : مذهب المخالفين في أبي طالب.

المبحث السادس : وفاة أبي طالب ووصيته.

المبحث الأول : اسمه ونسبه ونشأته.

هو أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان(١).

وأمه فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان(٢).

وهو عم رسول الله صلى الله عليه و سلم وشقيق أبيه، أمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ المخزومية، ولد قبل النبي بخمس وثلاثين سنة، ولما مات عبد المطلب أوصى بمحمد صلى الله عليه و سلم إلى أبي طالب فكفله وأحسن تربيته وقام في نصرته والذب عنه على من عاداه.

ويعد أبو طالب من الشخصيات المرموقة في مكة المكرمة وفي قبيلة قريش، وقد كان خلف أباه عبد المطلب الذي كان أحد سادة قريش في المكانة والوجاهة، ولكن ضيق حالته المالية جعله يكل إلى أخيه العباس شأن السقاية وأعباءها نظرا لما كان له من الثراء.

---

(١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر : (٧/ ٢٣٥)، صحيح البخاري مع الفتح: (٥٦٤/٨)، وتاريخ دمشق : (٣٠٧/٦٦).

(٢) البداية والنهاية : (٢/ ٢٦٧)، وانظر: السيرة النبوية لابن كثير :(١/ ١٠٣)، و تاريخ الأمم والملوك للطبري : (١/ ٤٩٧).

المبحث الثاني : كفالته للنبي صلى الله عليه وسلم ومناصرته له.

كان النبي صلى الله عليه وسلم في كفالة عمه أبي طالب بعد ما توفي جده وأمه وأبوه، وترعرع في هذا البيت حسب وصية عبد المطلب لأبي طالب.

قال ابن إسحاق –رحمه الله-:

"وكان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جده، فكان إليه ومعه"(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان النبي صلى الله عليه و سلم في حجر أبي طالب بعد جده عبدالمطلب فيصبح ولد عبدالمطلب غمصا رمصا ويصبح صلى الله عليه و سلم صقيلا دهينا"(٢).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أرسله الله تعالى إلى الناس نبيا ورسولا دعا قومه أولا إلى توحيد الله تعالى وعبادته، وكان لهذه الدعوة الإلهية معارضة قوية من قبل قريش، وفعلوا ما فعلوا بالنبي صلى الله عليه وسلم من الأذى والسخرية والتهديد وغير ذلك من أنواع الوان العداء والأذى، فقام عمه أبو طالب يحامي عنه ويقف معه ويدفع عنه أذى مشركي قريش، فنصره ودافع عنه ولم تستطيع قريش النيل من النبي صلى الله عليه وسلم بسبب وقوف أبي طالب معه ودفاعه عنه.

قال أبو طالب شعرا حين أجمع نصرة رسول الله عليه والدفاع عنه:

إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا

فامض لأمرك ما عليك غضاضة أبشر وقر بذاك منك عيونا

ودعوتني وزعمت أنك ناصحي فلقد صدقت وكنت قبل أمينا

---

(١) الروض الأنف في شرح غريب السير: (١/ ٣١١).

(٢) تاريخ الأمم والملوك للطبري : (١/ ٤٥٨)، وانظر: مختصر تاريخ دمشق (٣/٨٤)، قال ابن الأثير بعد أن ساق قول ابن عباس رضي الله عنهما : أي في صِغَره، يقال غَمِصَت العَين ورَمِصَت من الغَمَص والرمَص وهو البياض الذي تَقْطَعه العين ويجتمع في زوايا الأجفان والرمص : الرطْب منه والغَمص : اليابس والغُمْص والرُّمْص : جمع أغْمَص وأرْمَص وانْتَصبا على الحال لاَ على الخبَرَ لأن أصْبح تامَّة وهي بمعنى الدُّخول في الصباح، انظر: النهاية في غريب الأثر (٢/ ٢٦٣).

وعرضت دينا قد عرفت بأنه   من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذاري سبة   لوجدتني سمحا بذاك مبينا[1].
قال القرطبي –رحمه الله – :
"وكان أبو طالب يرسل كل يوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالا من بني هاشم يحرسونه حتى نزل : ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [2]، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يا عماه إن الله قد عصمني من الجن والإنس فلا احتاج إلى من يحرسني"[3].
وثبت في الصحيح أن أبا طالب كان مع النبي صلى الله عليه وسلم ينصره ويحوطه ويدفعه عن أذى المشركين الذين يحاولون إيقاف دعوة النبي صلى الله عليه وسلم.
عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: (ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟...الحديث)[4].
قال ابن كثير –رحمه الله–:
"ومن عصمة الله عز وجل لرسوله حفظه له من أهل مكة وصناديدها وحسادها ومعانديها ومترفيها، مع شدة العداوة والبغضة ونصب المحاربة له ليلا ونهارا، بما يخلقه الله تعالى من الأسباب العظيمة بقدره وحكمته العظيمة، فصانه في ابتداء الرسالة بعمه أبي طالب، إذ كان رئيسا مطاعا كبيرا في قريش، وخلق الله في قلبه محبة طبيعية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا شرعية، ولو كان أسلم لاجترأ عليه كفارها وكبارها، ولكن لما كان بينه وبينهم قدر مشترك في الكفر هابوه واحترموه، فلما مات أبو طالب نال منه المشركون أذى يسيرا"[5].

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي : (٢/ ١٨٨)، وانظر: تفسير القرطبي : (٦/ ٤٠٥).
(٢) سورة المائدة : (٦٧).
(٣) تفسير القرطبي : (٦/ ٢٤٤)، وتفسير القرآن العظيم : (٣/ ١٥٣).
(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، حديث رقم : (٣٨٨٣)، مع الفتح : (٨/٦١٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه، حديث رقم : (٥١٠)، ص: (١٥١).
(٥) تفسير القرآن العظيم : (٣/ ١٥٤).

ومن مواقف كفالة ونصرة وحماية أبي طالب لابن أخيه :

- رعايته للنبي صلى الله عليه وسلم والاهتمام به.

اعتنى أبو طالب عناية بالغة بالنبي صلى الله عليه وسلم، وقام بجميع خدمته وشؤونه وتولى رعايته منذ نعومة أظفاره، وكان أبو طالب سافر مع النبي صلى الله عليه وسلم يوما إلى الشام لأمر التجارة، فسارع إليه الراهب بحيري يوصي أبا طالب بمحمد صلى الله عليه وسلم.

قال ابن اسحاق –رحمه الله-:

"فلما فرغ –أي بحيرا- أقبل على عمه أبي طالب فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني، قال له بحيري: ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا، قال: فإنه ابن أخي، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات، وأمه حبلى به، قال: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه يهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرع به الى بلاده"[(١)].

- عدم تسليم ابن أخيه لقريش.

ذكر ابن كثير –رحمه الله – :

"قال ابن إسحاق : ثم إن قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسلامه وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوته، مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له – فيما بلغني -: يا أبا طالب، هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش وأجمله، فخذه فلك عقله ونصره، واتخذه ولدا فهو لك ؟ وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومك، وسفه أحلامنا فنقتله، فإنما هو رجل برجل.

قال: والله لبئس ما تسومونني ؟ أتعطونني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني فتقتلونه؟ هذا والله ما لا يكون أبدا"[(٢)].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام : (١/ ٣٢٢).

(٢) البداية والنهاية : (٣/ ٦٣).

- غضبه لأجل ابن أخيه والوقوف ضد من يتعرض لأذاه.

قال القرطبي –رحمه الله-:

"وروى أهل السير :"كان النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج إلى الكعبة يوما وأراد أن يصلي ، فلما دخل في الصلاة قال أبو جهل – لعنه الله – : من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته، فقام ابن الزبعرى فأخذ فرثا ودما فلطخ به وجه النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فانفتل النبي صلى الله عليه وسلم من صلاته، ثم أتى أبا طالب عمه فقال: يا عم، ألا ترى إلى ما فعل بي، فقال أبو طالب: من فعل هذا بك ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: عبدالله بن الزبعرى؛ فقام أبو طالب ووضع سيفه على عاتقه ومشى معه حتى أتى القوم ؛ فلما رأوا أبا طالب قد أقبل جعل القوم ينهضون؛ فقال أبو طالب: والله لئن قام رجل جللته بسيفي فقعدوا حتى دنا إليهم ، فقال: يا بني من الفاعل بك هذا ؟ فقال: عبدالله بن الزبعرى؛ فأخذ أبو طالب فرثا ودما فلطخ به وجوههم ولحاهم وثيابهم وأساء لهم القول"[1].

- تحمل الأذى مع ابن أخيه.

وذلك في حصار النبي صلى الله عليه وسلم ومن آمن معه وسائر بني هاشم وبني المطلب، وحبست قريش لهم في شعب أبي طالب، ومنعوه من المواد الغذائية، وقطعوا الصلة معهم إلا أن يسلموا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأبى أبو طالب ذلك، وكان معهم في الحصار لمدة ثلاث سنين، حتى فرج الله عنهم، فأرسل الله الأرضة وأكلت ما فيها من ظلم وقطيعة رحم وتركت ما فيها من أسماء الله تعالى[2]، فجاء جبرائيل إلى النبي صلى الله عليه وسلم،

---

(١) تفسير القرطبي : (٦/ ٤٠٥).

(٢) قال ابن القيم : "فلما رأت قريش أمر صلى الله عليه وسلم يعلو والأمور تتزايد أجمعوا على أن يتعاقدوا على بني هاشم وبني المطلب وبني عبد مناف أن لا يبايعوهم ولا يناكحوهم ولا يكلموهم ولا يجالسوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في سقف الكعبة يقال: -كتبها منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم ويقال النضر بن الحارث، والصحيح أنه بغيض بن عامر بن هاشم- فدعا عليه رسول الله =

فأعلمه بذلك، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب، وكان أبو طالب لا يشك في قوله، فخرج من الشعب إلى الحرم، فاجتمع الملأ من قريش، وقال: "إن ابن أخي أخبرني أن الله أرسل على صحيفتكم الأرضة فأكلت ما فيها من قطيعة رحمٍ وظلمٍ وتركت اسم الله تعالى، فأحضروها، فإن كان صادقاً علمتم أنكم ظالمون لنا قاطعون لأرحامنا، وإن كان كاذباً علمنا أنكم على حق وأنا على باطل".

فقاموا سراعاً وأحضروها، فوجدوا الأمر كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقويت نفس أبي طالب واشتد صوته وقال: قد تبين لكم أنكم أولى بالظلم والقطيعة، فنكسوا رؤوسهم ثم قالوا: إنما تأتوننا بالسحر والبهتان، وقام نفر من عقلائهم في نقضها وإنهاء المقاطعة.

وقال أبو طالب في أمر الصحيفة وأكل الأرضة ما فيها من ظلم وقطيعة رحم أبياتاً منها:

وقد كان في أمر الصحيفة عبرةٌ ... متى ما يخبّر غائب القوم يعجب

محا الله منهم كفرهم وعقوقهم ... وما نقموا من ناطق الحقّ معرب

فأصبح ما قالوا من الأمر باطلاً ... ومن يختلق ما ليس بالحقّ يكذب"[1].

وغير ذلك من مواقف أبي طالب في منع وصول أعداء النبي صلى الله عليه وسلم إليه، وكان حاميا ومحاميا للنبي صلى الله عليه وسلم حتى لا يتجرأ عليه أحد من قومه، وكان صلى الله عليه وسلم وصية عبد المطلب لأبي طالب.

صلى الله عليه وسلم فشلت يده فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم إلا أبا لهب؛ فإنه ظاهر قريشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبني هاشم وبني المطلب وحبس رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه في الشعب شعب أبي طالب ليلة هلال المحرم سنة سبع من البعثة، وعلقت الصحيفة في جوف الكعبة وبقوا محبوسين ومحصورين مضيقا عليهم جدا مقطوعا عنهم الميرة والمادة نحو ثلاث سنين حتى بلغهم الجهد وسمع أصوات صبيانهم بالبكاء من وراء الشعب وهناك عمل أبو طالب قصيدته اللامية المشهورة أولها : جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا عقوبة شر عاجلا غير آجل، زاد المعاد في هدي خير العباد : (٣/ ٢٠)

(١) الكامل في التاريخ : (١/ ٦٨٤).

المبحث الثالث : شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب.

قد خص الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأنواع من الشفاعة، من ذلك شفاعته صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه، وليس في الخروج من النار.

فقد ثبت من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، قال للنبي صلى الله عليه وسلم: (ما أغنيت عن عمك؟ فإنه كان يحوطك ويغضب لك، قال: هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار)[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه فقال: (لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه)[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: (أهون أهل النار عذابا أبو طالب وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه)[3].

والنبي صلى الله عليه وسلم شفع لأبي طالب ليس لأجل القرابة، وإنما لأجل ما قدمه للرسول صلى الله عليه وسلم وللإسلام، إذ لو كان لأجل القرابة لكان أولى بذلك طلب الشفاعة لوالديه، وهما من أقرب الناس إليه صلى الله عليه وسلم.

ومن المتقرر عند أهل السنة والجماعة أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم الحسنات بحيث تخرجهم من النار، حتى ولو اقترن ذلك بشفاعة الشافع، كما ثبت عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت: (يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم

---

(١) سبق تخريجه ص : (٧٣٦/٢).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، حديث رقم : (٣٨٨٥)، مع الفتح : (٦١٣/٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه، حديث رقم : (٥١٣)، ص: (١٥٢).

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذابا، حديث رقم : (٥١٥)، ص: (١٥٢).

ويطعم المسكين فهل ذاك نافعه ؟ قال لا ينفعه إنه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين)[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها)[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–:

"وأما الشفاعة والدعاء فانتفاع العباد به موقوف على شروط وله موانع فالشفاعة للكفار بالنجاة من النار والاستغفار لهم مع موتهم على الكفر لا تنفعهم – ولو كان الشفيع أعظم الشفعاء جاها – فلا شفيع أعظم من محمد صلى الله عليه وسلم ثم الخليل إبراهيم وقد دعا الخليل إبراهيم لأبيه واستغفر له كما قال تعالى عنه: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾[3]، وقد كان صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر لأبي طالب اقتداء بإبراهيم وأراد بعض المسلمين أن يستغفر لبعض أقاربه فأنزل الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾[4]...فآزر لما مات مشركا لم ينفعه استغفار إبراهيم مع عظم جاهه وقدره"[5].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل، حديث رقم : (٥١٨)، ص: (١٥٢).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة، وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا، حديث رقم : (٧٠٨٩)، ص: (١١٥٩).

(٣) سورة ابراهيم : (٤١).

(٤) سورة التوبة : (١١٣).

(٥) مجموع الفتاوى: (١/ ١٤٥).

وهذا هو المتفق عليه عند أهل السنة والجماعة، إلا أن ما حصل لعم النبي صلى الله عليه وسلم من شفاعته له لا تتعارض مع قول الله تعالى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ ﴾[1]، ولا مع هو مستقر عند أهل السنة والجماعة لأمور، منها:

- أن نفي الانتفاع من الشفاعة للكفار عام، وأما الانتفاع بالشفاعة لعم النبي صلى الله عليه وسلم خاص للأحاديث الصحيحة الصريحة في ذلك، وذلك لحمايته النبي صلى الله عليه وسلم لكي يبلغ الدعوة وانتشر.
- أن شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب إنما هي في تخفيف العذاب، وليس الخروج من النار.
- أن المنفعة المثبتة في الحديث غير المنفعة المنفية في الآية، إذ يمكن الجمع بينهما، فالمثبتة في الحديث هي تخفيف العذاب، والمنفية في الآية هي لخلاص من العذاب.

قال ابن حجر –رحمه الله–:

"ظهر من حديث العباس وقوع هذا الترجي، واستشكل قوله صلى الله عليه و سلم "تنفعه شفاعتي" بقوله تعالى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ ﴾ [2]

وأجيب بأنه خص، ولذلك عدّوه في خصائص النبي صلى الله عليه و سلم، وقيل معنى المنفعة في الآية يخالف معنى المنفعة في الحديث، والمراد بها في الآية الإخراج من النار، وفي الحديث المنفعة بالتخفيف، وبهذا الجواب جزم القرطبي، وقال البيهقي في البعث صحة الرواية في شأن أبي طالب فلا معنى للإنكار من حيث صحة الرواية.

ووجهه عندي أن الشفاعة في الكفار إنما امتنعت لوجود الخبر الصادق في أنه لا يشفع فيهم أحد؛ وهو عام في حق كل كافر فيجوز أن يخص منه من ثبت الخبر بتخصيصه، قال وحمله بعض أهل النظر على أن جزاء الكافر من العذاب يقع على كفره وعلى معاصيه فيجوز أن الله يضع عن بعض الكفار بعض جزاء

---

(١) سورة المدثر : (٤٨).

(٢) سورة المدثر : (٤٨).

معاصيه تطييبا لقلب الشافع لا ثوابا للكافر، لأن حسناته صارت بموته على الكفر هباء، وأخرج مسلم عن أنس :وأما الكافر فيعطي حسناته في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة"[1].

وقال القرطبي –رحمه الله-:

"أن الشفاعة المنفية إنما هي شفاعةٌ خاصةٌ ، وهي التي تخلّص من العذاب، وغاية ما ذكر من المعارضة إنما هي بين خصوصٍ وعموم، ولا تعارُض بينهم؛ إذ البناء والجمع ممكن ، وأن تنزّلنا على أنه لسان حال ، فيكون معناه أن أبا طالب لما بالغ في إكرام النبي صلى الله عليه وسلم والذبّ عنه، خُفّف عنه بسبب ذلك ما كان يستحقه بسبب كفره مع ما يحمله عنده من معرفة صدق النبي صلى الله عليه وسلم ...وأنّ المخفّف عنه لَمَّا لم يجد أثرًا لما خُفف عنه، فكأنّه لما ينتفع بذلك، ألا ترى أنه يعتقد أنّه ليس في النار أشدّ عذابًا منه، مع أنّ عذابه جمرة من جهنّم في أخمصة، وسببه أن القليل من عذاب جهنّم – أعاذنا الله منه – لا تطيقه الجبال، وخصوصًا عذاب الكافر، وإنما تظهر فائدة التخفيف لغير المعذّب ، وأما المعذّب فمشتغل بما حلّ به؛ إذ لا يخلّى، ولا بغيره يتسلى، فصدق عليه أنه لم ينتفع، ولم يحصل له نفع البتة، والله الموفق"[2].

وبهذا يمكننا الجمع بين ما ورد في الآية الكريمة وما ورد في الحديث الشريف.

قال حافظ الحكمي –رحمه الله– في النوع السادس من أنواع الشفاعة:

"الشفاعة في تخفيف عذاب بعض الكفار، وهذه خاصة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم في عمه أبي طالب كما في مسلم وغيره"[3].

وأما ورد في شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة لأبيه وأمه وعمه وأخيه في الجاهلية من حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) فتح الباري : (١٥/١٠٧-١٠٨).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم : (٣/ ٨٥).

(٣) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة : (ص: ١٧٧).

وسلم: إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأمي وعمى أبي طالب وأخ لي كان في الجاهلية، فهو حديث منكر.

قال ابن حجر –رحمه الله-:

"أخرجه تمام الرازي في فوائده من طريق الوليد بن مسلم عن عبد الله بن عمر رفعه...وقال تمام الوليد منكر"[1].

وقال أبو الحسن الكناني:

"وفى سنده الوليد بن سلمة قال تمام منكر، قلت : بل كذاب كما قال غير واحد من الحفاظ، وأظن هذا من أباطيله مع أنه لو ثبت حمل على الشفاعة في تخفيف العذاب كما صح في أبي طالب والله أعلم"[2].

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة : (٧/ ٢٤٣).

(٢) تنزيه الشريعة المرفوعة : (١/ ٣٢٢).

المبحث الرابع : مذهب أهل السنة والجماعة في إسلام أبي طالب.

لأبي طالب له فضل كبير في نشر الإسلام في أول الأمر، إذ كان يقف مع ابن أخيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أن هذا الفضل لا يجعله من المسلمين حيث لم ينطق بأهم الأركان في دخول الإسلام وهو كلمة التوحيد وإن أقره في قلبه، لأن النطق بالشهادتين هو مفتاح دخول المرء في دين الله تعالى، بل كان أبو طالب مستمرا ومقيما على دين الأشياخ من مشركي قريش وهو دين عبد المطلب، كما ثبت من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه، أنه أخبره أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي طالب: (يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله! فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ الآية)[1][2].

وهذا أمر مستقر عند أهل السنة والجماعة أن أبا طالب مات على دين آبائه.

قال الحلبي –رحمه الله– :

---

(١) سورة التوبة : (١١٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، حديث رقم : (٣٨٨٤)، مع الفتح : (٦١٣/٨)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع– وهو الغرغرة– ونسخ جواز الاستغفار للمشركين، والدليل على أن من مات على الشرك فهو في أصحاب الجحيم، ولا ينقذه من ذلك شيء من الوسائل، حديث رقم : (١٣٢)، ص: (٨٥).

"وسكوت النبي صلى الله عليه وسلم عند قول أبي جهل وصاحبه : أترغب عن ملة عبد المطلب، أظهر دليل على أن ملة عبد المطلب منافية لقول : لا إله إلا الله؛ إذ لو كان عبد المطلب مسلما لأخبر عنه بذلك، خصوصا في مثل هذا المحل"[(١)].

وقال ابن حجر –رحمه الله–:

"فهذا هو الصحيح، يرد الرواية التي ذكرها بن إسحاق إذ لو كان قال كلمة التوحيد ما نهى الله تعالى نبيه عن الاستغفار له، وهذا الجواب أولى من قول من أجاب بأن العباس ما أدى هذه الشهادة وهو مسلم وإنما ذكرها قبل أن يسلم فلا يعتد"[(٢)].

وقد ورد أحاديث كثيرة فيها التصريح بموت أبي طالب على الكفر، بوب لها به الإمام البخاري في كتاب الجنائز: باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله، وفي كتاب التفسير: باب قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين، وباب قوله :إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء، ثم أورد الأحاديث، وهو حديث سعيد بن المسيب المتقدم[(٣)].

والإمام مسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت، والدليل على أن من مات على الشرك فهو في أصحاب الجحيم ولا ينقذه من ذلك شيء من الوسائل، ثم أورد الأحاديث، ومنها حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لعمه : قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة، قال: لولا أن تعيرني قريش يقولون إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك، فأنزل الله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾[(٤)][(٥)].

---

(١) رسالة في حق أبوي النبي صلى الله عليه وسلم : (ص: ٢٨).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة : (٧/ ٢٣٨-٢٣٩).

(٣) انظر: صحيح البخاري مع الفتح : (١٤٠/٤)، حديث رقم : (١٣٦٠)، و : (٢٠٢/١٠)، حديث رقم : (٤٦٧٥)، و : (٤٧٣/١٠)، حديث رقم : (٤٧٧٣).

(٤) سورة القصص : (٥٦).

(٥) انظر: صحيح مسلم : (ص:٨٥)، حديث رقم : (١٣٢).

والإمام النسائي في السنن الكبرى، كتاب الجنائز: باب النهي عن الاستغفار للمشركين، ثم أورد حديث سعيد المسيب[1]، وغيرهم من العلماء –رحمهم الله– رووا حديث قصة أبي طالب وأنه مات ولم يدخل في الإسلام.

ثم الأدلة المتقدمة في شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب تدل على أنه ليس من أهل الإسلام، إذ أنه يعذب في النار خالدا فيها، وإن حصل له التحفيف.

قال ابن الجوزي –رحمه اله– :

"ولا يختلف المسلمون أن عبدالمطلب مات كافرا، وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ثمان سنين"[2].

قال ابن عساكر –رحمه الله– في ترجمته :

"وقيل أنه أسلم، ولا يصح إسلامه"[3].

وأما سماح النبي صلى الله عليه وسلم ببقاء فاطمة بنت أسد في عصمة أبي طالب، فإن ذلك لا يدل على إسلامه، لأن ذلك كان قبل تحريم بقاء المؤمنات تحت الكفار، لأن أبا طالب مات عام الحزن، وهو قبل الهجرة بثلاث سنين، وتحريم بقاء المؤمنات في عصم الكفار نزل في صلح الحديبية عام ستة من الهجرة، كما ثبت عند البخاري عن المسور بن مخرمة ومروان رضي الله عنهما لما عاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كفار قريش يوم الحديبية جاءت نساء من المؤمنات، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ﴾ حتى بلغ ﴿ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ ﴾[4] فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة...الحديث[5].

---

(١) انظر: سنن النسائي : (ص:٣٢٤)، حديث رقم : (٢٠٣٥).

(٢) الموضوعات لابن الجوزي : (١/ ٢٨٣).

(٣) تاريخ دمشق : (٦٦/٣٠٧).

(٤) سورة الممتحنة : (١٠).

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب الحرب وكتابة الشروط، حديث رقم : (٢٧٣٢،٢٧٣١)، مع الفتح : (٦/٦٢١-٦٢٥).

فوفاة أبي طالب ونزول تحريم بقاء المؤمنات في عصم الكفار بينهما تسع سنين، والله أعلم.

ثم إن ابن كثير –رحمه الله– التمس الحكمة في ذلك فقال:

"وكان استمراره على دين قومه من حكمة الله تعالى، ومما صنعه لرسوله من الحماية، إذ لو كان أسلم أبو طالب لما كان له عند مشركي قريش وجاهة ولا كلمة، ولا كانوا يهابونه ويحترمونه"[١].

---

(١) البداية والنهاية : (٣/ ٥٤).

المبحث الخامس : مذهب المخالفين في أبي طالب.

المطلب الأول : مذهب الشيعة.

إن معتقد الشيعة الرافضة تجاه عم النبي صلى الله عليه وسلم أبي طالب هو كاعتقادهم في والدي النبي صلى الله عليه وسلم سواء بسواء، وأنه كان مؤمنا موحدا، وهو من آباء النبي صلى الله عليه وسلم، فإن هؤلاء الشيعة الرافضة قالوا إن كل آباء النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنين موحدين، وهؤلاء قد صنفوا العديد من الرسائل في إثبات ذلك، مثل رسالة : مؤمن أهل البيت للخنيزي، ورسالة: إيمان أبي طالب للمفيد، ورسالة : شيخ الأبطح للحر العاملي، وغير ذلك من الرسائل في إثبات إيمان أبي طالب.

قال الطبرسي – أحد علماء الشيعة-:

"إن أهل البيت عليهم السلام قد أجمعوا على أن أبا طالب مات مسلما، وتظاهرت الروايات بذلك"[1].

وأورد بعد ذلك أدلة الشيعة في ذلك.

ومن الأدلة التي احتجت به الشيعة الرافضة في إيمان أبي طالب ما يلي:

- استدل الشيعة الرافضة بقول الله تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[2]، وقالوا: إن أبا طالب قد عزر النبي صلى الله عليه وسلم بما هو معلوم من الأخبار، فيكون من المفلحين.

  والجواب عن هذا:

  أن أبا طالب كان ممن نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالغ في ذلك، ولكنه لم يتبع نور الذي أنزل معه وهو الكتاب العزيز الداعي إلى التوحيد، ولا يحصل الفلاح إلا بحصول الأسباب التي رتب عليها.

---

(١) مجمع البيان للطبرسي : (٧/٤٧٥).

(٢) سورة الأعراف : (١٥٧).

ولذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أن شفاعته حصلت لأبي طالب لما قدم من نصرة النبي صلى الله عليه وسلم، كما ثبت عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه فقال: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه[1].

- وبعض الشيعة قالوا إن اسم أبي طالب هو عمران، وهو المذكور في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[2].

والجواب عن هذا :

أن عمران المراد في هذه الآية هو والد مريم عليه السلام، وسياق الآية من أولها إلى آخرها يتكلم عن قصة مريم عليها السلام، ولا يوجد فيه ذكر أبي طالب، وإن اسم أبي طالب كما ذكره غير واحد من أهل السير هو عبد مناف.

قال ابن كثير –رحمه الله–:

"وزعمت الروافض أن اسم أبي طالب عمران، وأنه المراد من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[3]، وقد أخطأوا في ذلك خطأ كثيرا، ولم يتأملوا القرآن قبل أن يقولوا هذا البهتان من القول في تفسيرهم له على غير مراد الله تعالى، فإنه قد ذكر بعد هذه قوله تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا ﴾[4]، فذكر ميلاد مريم بنت عمران عليها السلام وهذا ظاهر ولله الحمد"[5].

---

(١) تقدم تخريجه: (ص:٧٢١).

(٢) سورة آل عمران : (٣٣).

(٣) سورة آل عمران : (٣٣).

(٤) سورة آل عمران : (٣٥).

(٥) البداية والنهاية : (٧/ ٣٦٩).

- واستدلوا كذلك بما أورده ابن هشام : قال ابن إسحاق فحدثني العباس بن عبدالله بن معبد بن عباس عن بعض أهله عن ابن عباس قال... فجعل يقول له أي عم فأنت فقلها استحل لك بها الشفاعة يوم القيامة، قال: فلما رأى حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه قال: يا ابن أخي، والله لولا مخافة السبة عليك وعلي بني أبيك من بعدي وأن تظن قريش أني إنما قلتها جزعا من الموت لقلتها، لا أقولها إلا لأسرك بها، قال: فلما تقارب من أبي طالب الموت قال: نظر العباس إليه يحرك سفتيه قال: فأصغى إليه بأذنه قال: فقال: يا ابن أخي، والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها: قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم اسمع[1].

والرد على هذا يكون من وجهين:

الوجه الأول: من جهة الإسناد

قال ابن كثير –رحمه الله-:

"أن في السند مبهما لا يعرف حاله وهو قوله : عن بعض أهله، وهذا إبهام في الاسم والحال، ومثله يتوقف فيه لو انفرد"[2].

الوجه الثاني: من جهة المتن.

إن في متن هذا الحديث ما يدل على عدم إيمان أبي طالب، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يسمع أن أبا طالب قال كلمة التوحيد ولم يقر ما سمعه العباس رضي الله عنه، مع أنه صلى الله عليه وسلم من أحرص الناس على إيمان عمه أبي طالب، وهو من أعدل الناس صلوات الله عليه وسلامه.

- ثم إن هذه الرواية تخالف ما في الرواية الصحيحة الثابتة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك أن أبا طالب مات على ملة عبد المطلب، كما تقدم، وقد يؤيد هذا ما جاء عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما مات أبو طالب أتيت النبي صلى الله عليه و سلم فقلت له: إن عمك الشيخ الضال قد

(١) السيرة النبوية لابن هشام : (٢/ ٢٦٤).

(٢) السيرة النبوية لابن كثير : (٢/ ١٢٥).

مات، قال: اذهب فواره أنت إنه مات مشركا، قال اذهب فواره ولا تحدث شيئا حتى تأتيني، فواريته ثم أتيته فقلت قد واريته فأمرني فاغتسلت[١].

- واستدلوا كذلك بما جاء عند الطبري، وفيه قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر الصديق رضي الله عنه: (ألا تركت الشيخ حتى تأتيه، قال: أردت يا رسول الله أن يأخذه الله عز وجل، أما والذي بعثك بالحق لأنا كنت أشد فرحاً بإسلام أبي طالب مني بإسلام أبي ألتمس بذلك قرة عينك قال: صدقت)[٢].

والرد على هذا يكون من وجهين:

الوجه الأول : من جهة الإسناد

إسناده واه، فيه العباس بن بكار، قال عنه الدارقطني: كذاب.

وقال العقيلي: الغالب على حديثه الوهم والمناكير[٣].

قال ابن حجر –رحمه الله-:

"وأسانيد هذه الأحاديث واهية"[٤].

الوجه الثاني : من جهة المتن.

فإن هذه الرواية لو كانت صحيحة لم تدل على إسلام أبي طالب، ولكن يدل على رغبة أبي بكر رضي الله عنه وفرحه بإسلامه لما له من المنعة والقوة ضد من يقوم على دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما أبوه ليس له ذلك.

قال ابن حجر –رحمه الله-:

" وليس المراد بقوله في الحديث الأخير إثبات إسلام أبي طالب"[٥].

- ومما استدل به الرافضة على إسلام أبي طالب قول أبي طالب في شعره:

---

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الجنائز، باب الرجل يموت له قرابة مشرك، حديث رقم : (٣٢١٤)، ص: (٥٧٨)، والنسائي في سننه، كتاب الجائز، باب مواراة المشرك، حديث رقم : (٢٠٠٦)، ص: (٣٢٠)، وصححه الألباني.

(٢) الرياض النضرة في مناقب العشرة للطبري : (١/٧٥).

(٣) ميزان الاعتدال: (٢/ ٣٨٢).

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة : (٧/ ٢٣٨).

(٥) المصدر نفسه.

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب رهينا

فاصدع بأمرك ليس عليك غضاضة وأبشر وقر بذاك منك عيونا

ودعوتني وعلمت أنك صادق ولقد صدقت وكنت قبل أمينا

وعرضت دينا لا محالة أنه من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا.

والجواب عن هذا :

١-أن في هذه الأبيات ما يدل على عدم إيمان أبي طالب، وذلك أنه عرف أن الإسلام هو خير أديان البرية، إلا أنه لم يك يدخل فيه مخافة السب والشتم والملامة من قبل قومه، فهو يختار البقاء على دين آبائه عبد المطلب على دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

٢-أن في آخر حياته أنه مات على دين عبد المطلب كما تقدم.

٣- لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى عليه حين وفاته، كما نقلت صلاته عليه الصلاة والسلام على النجاشي لما وصله الخبر بوفاته.

٤-وإن هذا القول هو نظير ما حكى الله سبحانه وتعالى في كتابه عن الكفار: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[(١)] فكان كفرهم عنادا ومنشؤه من الأنفة والكبر، كما أشار إلى ذلك أبو طالب في قوله: "لولا أن تعيرني قريش"[(٢)].

- واستدلوا كذلك بما ورد عن على بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هبط على جبريل فقال يا محمد إن الله يقرئك السلام ويقول: إني حرمت النار على صلب أنزلك وبطن حملك وحجر كفلك، فقال: يا جبريل بين لي؟، فقال أما الصلب فعبد الله وأما البطن فآمنة بنت وهب، وأما الحجر فعبد يعنى عبدالمطلب وفاطمة بنت أسد) .

والجواب من هذا كما قال ابن الجوزي –رحمه الله-:

---

(١) سورة النمل : (١٤).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة : (٧/ ٢٣٩).

"هذا حديث موضوع بلا شك وإسناده كما ترى، قال بعض حفاظ خراسان: كان أبو الحسين يحيى بن الحسين العلوى رافضيا غاليا، وكان يدعى الخلافة بجيلان، واجتمع عليه خلق كثير[(١)].

وبهذا يتبين لنا ما هو مذهب الشيعة الرافضة تجاه أبي طالب، فإنهم مجمعون على أن أبا طالب مؤمن موحد ومات على الإسلام، وهذا مخالف لما كان عليه أهل السنة والجماعة.

قال جلال الدين الدواني :

"أن الصدر الأول من أولاد علي رضي الله عنه كانوا قائلين بكفر أبي طالب، ويدل عليه كتابهم إلى أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي مغايرة، كتبوا إليه: "إنا لم تلدنا الأعاجم ولا السراري -يعنون العباس رضي الله عنه فإن أمه سرية أعجمية- وإن أبانا أخف أهل النار عذابا في قدميه نعلان يغلي منهما دماغه، وإن الإمامة لنا".

فكتب إليهم المنصور: "إن قولكم لم تلدنا الأعاجم والسراري فهذا كذب وبهت، أنتم أولاد شاه زنان بنت كسرى وهو سيد الأعاجم، أخذت قهرا وشراها الحسين رضي الله عنه، وأما قولكم إن أباكم أخف أهل النار عذابا، فليس في عذاب الله فخر، خف أو ثقل... [(٢)].

والخلاصة من هذا هو ما ذكره ابن حجر -رحمه الله تعالى-:

"ونحن نرجو أن يدخل عبد المطلب وآل بيته في جملة من يدخلها طائعا فينجو لكن ورد في أبي طالب ما يدفع ذلك وهو ما تقدم من آية براءة وما ورد في الصحيح عن العباس بن عبد المطلب أنه قال للنبي صلى الله عليه و سلم ما أغنيت عن عمك أبي طالب فإنه كان يحوطك ويغضب لك فقال هو في ضحضاح من النار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل فهذا شأن من مات على الكفر فلو كان مات على التوحيد لنجا من النار أصلا والأحاديث الصحيحة والأخبار المتكاثرة طافحة بذلك" [(٣)].

---

(١) الموضوعات لابن الجوزي : (١/ ٢٨٣).

(٢) الحجج الباهرة في إفحام الطائفة الكافرة الفاجرة : (ص: ٣١٧).

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة : (٧/ ٢٤١).

وقال المناوي ناقلا لكلام ابن حجر -رحمهما الله-:

"ووقفت على جزء جمعه بعض أهل الرفض أكثر فيه من الأحاديث الواهية الدالة على إسلام أبي طالب ولا يثبت منها شيء"[١].

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير : (٣/ ٨٩).

المطلب الثاني : مذهب الصوفية.

و معتقد الصوفية تجاه عم النبي صلى الله عليه وسلم هو مثل معتقد الشيعة الرافضة في عمه صلى الله عليه وسلم، وهو القول بإيمان أبي طالب وأنه مات مسلما، وأنهم قالوا مثل ما قاله في أبوي النبي صلى الله عليه وسلم، وقد تقدم كلام البيجوري بأن كل آباء النبي صلى الله عليه وسلم ناجون، وأنهم مؤمنين.

وكذلك نقل الدكتور عبد الرحمن دمشقية قول الصوفية تجاه عم النبي صلى الله عليه وسلم :

وإيمانهم بأن أبا طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الجنة، وأن أبا طالب مات على الإيمان والتوحيد، وأن من يعتقد خلاف هذا فإنه طاعن في أهل بيت النبوة، ومسيئ للأدب بحق النبي صلى الله عليه وسلم[1].

وهذا المذهب موافق لمذهب الشيعة، وقد ألف بعض الرفاعية[2] رسالة سماها "السهم الصائب لكبد من آذى أبا طالب" للصيادي، وذكر أن أهل البيت كلهم مطهرون، وأنهم كلهم في الجنة، وقد تقدم الجواب في ذلك[3].

---

(١) الكنز المطلسم (: ٤-٥)، نقلا عن كتاب مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية : (٣٩).

(٢) الرفاعية هي طريقة صوفية تنتسب إلى أحمد بن أبي الحسين الرفاعي البطائحي وهو منسوب إلى بني رفاعة قبيلة من العرب سكن أم عبيدة بأرض البطائح إلى أن مات بها عام (٥٧٠ هـ)، وقد انتهت إليه الرياسة في علوم الطريق وشرح أحوال القوم وكشف مشكلات منازلهم. انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى للشعراني: (١/١٤٠) ومظاهر الانحرافات العقدية لإدريس محمود: (١/١٥٨)، انظر المراجع التي ترجمت للرفاعي في الموسوعة المسيرة : (١/٢٦٦).

(٣) انظر: ص (٢/٥٨٢) من هذه الرسالة.

المبحث السادس : وفاة أبي طالب ووصيته.

توفي أبو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة إلى المدينة بثلاث سنين. قال ابن إسحاق: "ثم إن خديجة وأبا طالب هلكا في عام واحد، فتتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصائب بهلك خديجة، وكانت له وزير صدق على الابتلاء يسكن إليها، وبهلك عمه أبي طالب، وكان له عضدا وحرزا في أمره، ومنعة وناصرا على قومه"[1].

ومن وصية أبي طالب عند موته:

- أمره لبني عبد المطلب باتباع النبي صلى الله عليه وسلم.

  قال بن إسحاق –رحمه الله-:

  "ثم إن أبا طالب دعا بني عبد المطلب فقال: إنكم لن تزوالوا بخير ما سمعتم قول محمد واتبعتم أمره، فاتبعوه وصدقوه ترشدوا[2].

  وكذلك قوله لقريش : وإني أوصيكم بمحمد خيرا، فإنه الأمين في قريش والصديق في العرب...دونكم يا معشر قريش ابن أبيكم، كونوا له ولاة ولحزبه حماة، والله لا يسلك أحد منكم سبيله إلا رشد، ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد[3].
- أوصى وجهاء قريش بصلة الأرحام، لأن في صلة الأرحام منسأة في الأجل وسعة في العدد.
- وترك البغي والعقوق، لأن فيهما هلكة القرون السابقة.
- وإجابة الدعوة وإعطاء السائل، لأن فيهما شرف الحياة والممات.
- وصدق الحديث وأداء الأمانة، لأن فيهما محبة في الخاص ومكرمة في العام[4].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير : (٣/ ١٥١).

(٢) السيرة النبوية لابن إسحاق (٢٣٧/١)، وانظر: تاريخ دمشق لابن عساكر : (٣٣٠/٦٦).

(٣) الروض الأنف في شرح غريب السير للسهيلي : (٢/ ٢٢٣)، ولكنه جاء بصيغة التمريض، والتردد، وذلك قوله : وحُكِي عن هشام بن السائب أو ابنه، ولم يجزم القائل بينهما.

(٤) المصدر نفسه.

وهذا ما جاء من الخبر عن وفاة أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم ووصيته لبني عبد المطلب، لأنه كان من عظمائهم ووجهائهم، ولكن مع هذا كله لم يجعله في دائرة المسلمين.

الخاتمــة

خاتمــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات...وبعد:

في ختام عملي في هذه الرسالة، أود أن أذكر بأهم النتائج التي توصلت إليه على النحو التالي :

- يتبين لي في معنى (أولي العزم) أنهم أولو الجد والثبات والصبر، وهم خمسة، نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام.
- كما يتبين لي الفرق بين النبي والرسول، فالنبي هو الذي ينبئه الله تعالى وهو ينبئ بما أنبأ الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي.
- كما تبين لي أن امرأة نوح عليه السلام كافرة به، وأن خيانتها له عليه السلام خيانة دينية وليست خيانة الفراش، وأنها ممن أهلك الله تعالى بالطوفان.
- أن أحد أبناء نوح عليه السلام كان كافرا به، ولم يؤمن بما دعا إليه أبوه، وأهلك مع من أهلك من قوم نوح عليه السلام.
- كما أثبت في هذه الرسالة أن آزر أبو إبراهيم عليه السلام، وليس عمه، وأن لفظ "الأب" في القرآن والسنة ما يتعلق بقصة إبراهيم عليه السلام المراد به أبوه الحقيقي، وأنه ليس ممن آمن بإبراهيم بخلاف ما اعتقده الشيعة الرافضة وبعض أهل البدع والضلال.
- أن أم إبراهيم عليه السلام مؤمنة به، كما قال ذلك العلماء رحمهم الله تعالى.
- أن هاجر أم إسماعيل جارية إبراهيم عليه السلام، ولكن لم تكن أمة في بدايتها، بل كانت من أعزاء قومها، وكان لأبيها عليها السلام مكانة ورفعة في الأنساب، ولم يكن من سلالة الأرقاء.
- أن جبال فاران جبال مكة الذي هاجر إليه إسماعيل عليه السلام وأمه، وسكنا فيه، ويكون من سلالته أفضل الأنبياء والمرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.
- كما أثبت أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام وليس إسحاق عليه السلام.

- أن قبر إسماعيل عليه السلام وأمه لم يك داخل الحجر، وأن الروايات في ذلك ضعيفة، وأن الحجر لا يوجد بعد، وأن هذه الروايات الضعيفة تترتب عليها مفسدة كبيرة ضد التوحيد.
- كما أثبت أن زوجة موسى عليه السلام ليست ابنة شعيب النبي، ولكنها ابنة صاحب أهل مدين.
- وأثبت أن مراد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لعلي بن أبي طالب : (أنت مني بمنزلة هارون من موسى عليهما السلام) هو مجرد وصية الاستخلاف مدة سفره، وليس كما زعمه الرافضة بأن يكون عليا خليفة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته.
- وبينت أن أخت موسى عليهما السلام ليست نبية، والروايات التي تدل على أنها زوجة النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة ضعيفة.
- وكما أثبت أن مريم أم عيسى عليه السلام ليست نبية، وأن الروايات التي تدل على أنها من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة ضعيفة كذلك.
- أثبت أن القرآن كلام الله وليس بمخلوق، وهو مذهب أهل السنة والجماعة، بخلاف ما اعتقدة الجهمية ومن نهج منهجهم من الرافضة والإباضية والمعتزلة وغيرهم من نفاة الصفات.
- كما أثبت أن أهل السنة والجماعة أوسط فرق الأمة، وأن اليهود والنصارى لديهم إفراط وتفريط، وغلو وجفاء تجاه مريم عليها السلام، فاليهود اتهموها بفاحشة الزنى، والنصارى رفعوها إلى منزلة الإله، وأنها والدة الإله وزوجة الإله.
- كما بينت أن والدا النبي صلى الله عليه وسلم ليسا من أهل الجنة، وهو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة، وأن الشيعة الرافضة والصوفية زعموا أن والدا النبي صلى الله عليه وسلم مؤمن من أهل التوحيد، وكل آباء النبي صلى الله عليه وسلم كانوا على ملة الحنفية.
- أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم من أهل البيت، لا كما زعمه الرافضة بإخراجهن من كونهن أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم.
- كما أثبت أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أمهات للمؤمنين وللمؤمنات.

- أن لأمهات المؤمنين خصائص خص الله تعالى بهن دون سائر النساء.
- كما بينت أن الشبهات التي أثيرت حول أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مجرد ادعاء من قبل أعداء الإسلام، لا يستند إلى دليل صحيح صريح.
- وبينت أن موقف أهل السنة والجماعة تجاه أزواج النبي صلى الله عليه وسلم موقف وسطي إيجابي بعيد من الإفراط والتفريط، وأن الشيعة الرافضة فرّط فيهن وفي حقهن وأنزلوهن بأسفل المنازل، بل كفّروهن ضمن تكفيرهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- أثبت أن شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه، وليس في الخروج من النار.
- كما أثبت أن أهل السنة والجماعة قالوا بعدم إيمان أبي طالب، وأنه مات على ملة أشياخ مشركي قريش، بخلاف الشيعة والصوفية.

هذه أهم المسائل التي عرضت لها في هذه الرسالة، فإن كان صوابا فمن الله تعالى وبفضله وتوفيقه، وإن كان مخطأ فمن نفسي وأستغفر الله تعالى لذنبي، وحسبي أني اجتهدت في ذلك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

الفهـارس

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الآثار.
- فهرس المصطلحات العلمية والكلمات الغريبة.
- فهرس الأعلام المترجم له في البحت.
- فهرس الفرق والطوائف والأديان المعرف بها في البحث.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

سورة آل عمران

سورة النساء

سورة المائدة

سورة الأنعام

سورة الأعراف

سورة الأنفال

سورة التوبة

سورة يونس

سورة هود

سورة يوسف

سورة إبراهيم

سورة الحجر

سورة النحل

سورة الإسراء

سورة الكهف

سورة مريم

سورة طه

سورة الأنبياء

سورة الحج

سورة المؤمنون

سورة النور

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة النمل

سورة القصص

سورة العنكبوت

سورة لقمان

سورة السجدة

سورة الأحزاب

سورة فاطر

سورة يس

سورة الصافات

سورة ص

سورة الزمر

سورة غافر

سورة فصلت

سورة الشورى

سورة الزخرف

سورة الدخان

سورة الجاثية

سورة الأحقاف

سورة محمد

سورة الفتح

سورة الحجرات

سورة الذاريات

سورة النجم

سورة القمر

سورة الرحمن

سورة الحديد

سورة المجادلة

سورة الحشر

سورة الممتحنة

سورة الصف

سورة الجمعة

سورة التغابن

سورة التحريم

سورة الملك

سورة القلم

سورة نوح

سورة المزمل

سورة المدثر

سورة الإنسان

سورة المرسلات

سورة النازعات

سورة التكوير

سورة الانفطار

سورة الأعلى

سورة الشمس

سورة الضحى

سورة التين

سورة العلق

سورة القدر

سورة الزلزلة

سورة المسد

سورة الإخلاص

فهرس الأحاديث النبوية

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الصاد

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الواو

حرف الهاء

حرف الياء

فهرس الآثـــار

الأثر القائل الصفحة

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الواو

حرف الهاء

حرف الياء

فهرس المصطلحات العلمية والكلمة الغريبة

فهرس الأعلام

حرف الألف

حرف الباء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الواو

حرف الهاء

حرف الياء

فهرس الفرق والطوائف والأديان

فهرس المصادر والمراجع

حرف الألف

- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي، المتوفى سنة ٣٨٧هـ ، تحقيق عثمان عبد الله آدم الأثيوبي، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ ، دار الراية – السعودية.
- اتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة للشيخ حمود بن عبد الله التويجري المتوفى سنة ١٤١٣هـ، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ/٢٠٠٤م، دار الصميعي –الرياض.
- أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي، المتوفى سنة ٥٤٣هـ.
- أحكام النساء لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد المعروف بابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ، تحقيق ودراسة عمرو عبد المنعم سليم، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، مكتبة ابن تيمية –القاهرة.
- الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام، للإمام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس المصري المالكي المعروف بالقرافي، المتوفى سنة ٦٨٤هـ، اعتنى بن عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الأولى ١٣٧٨هـ/١٩٦٧م، مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب.
- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه لأبي عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي المتوفى سنة ٢٧٢هـ ، المحقق الدكتور عبد الملك عبد الله دهيش، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ، دار خضر –بيروت.
- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار لأبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي، دراسة وتحقيق علي عمر، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية.
- اختلاف الأئمة العلماء للوزير أبي المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة الشيباني المتوفى سنة ٥٦٠هـ، تحقيق السيد يوسف أحمد، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية –بيروت –لبنان.

- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لأبي محمد بن قتيبة الدينوري، المتوفى سنة ٢٧٦هـ، المحقق عمر بن محمود أبو عمر، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩١م، دار الراية.
- أداب النساء الموسوم بكتاب الغاية والنهاية لعبد الملك بن حبيب المتوفى سنة ٨٥٢هـ، حققه وقدم له ووضع فهارسه عبد المجيد تركي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، دار الغرب الإسلامي.
- الأدب المفرد لأمير المؤمنين في الحديث الإمام الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري، المتوفى سنة ٢٥٦هـ ، حققه وقابله على أصوله سمير بن أمين الزهيري ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، مكتبة المعارف –الرياض.
- أدلة معتقد أبي حنيفة الأعظم في أبوي الرسول صلى الله عليه وسلم لعلي بن سلطان محمد القاري، تحقيق مشهور بن حسن بن سلمان، الطبعة الأولى ١٩٩٣هـ، مكتبة الغرباء الأثرية –المدينة المنورة.
- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للإمام أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس شهاب الدين المتوفى سنة ٩٢٣هـ، الطبعة السابعة ١٣٢٣هـ، المطبعة الكبرى الأميرية –مصر.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، لمحمد ناصر الدين الألباني المتوفى سنة ١٤٢٠هـ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، المكتب الإسلامي –بيروت.
- الأسامي والكنى لأبي أحمد الحاكم المتوفى سنة ٣٧٨هـ، المحقق يوسف بن محمد الدخيل، الطبعة الأولى ١٩٩٤م ، دار الغرباء الأثرية –بالمدينة.
- الأسماء والصفات للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي –جدة.
- الإصابة في تمييز الصحابة للإمام أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، دار الجيل –بيروت.

- أصول الدين للإمام أبي منصور بن طاهر بن محمد التميمي البغدادي، المتوفى سنة ٤٢٩ هـ ، حققه وعلق عليه أحمد شمس الدين، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية –بيروت– لبنان.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، المتوفى سنة ١٣٩٣هـ ، خرج آياته وأحاديثه الشيخ محمد عبد العزيز الخالدي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ، دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان.
- إظهار الحق للشيخ العلامة رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي المتوفى سنة ١٣٠٨هـ، دراسة وتحقيق وتعليق الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل مكاوي، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد –السعودية.
- إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين، للعلامة أبي بكر شطا عثمان بن محمد شطا البكري الدمياطي المكي الشافعي، المتوفى سنة : ١٣١٠هـ ، تصحيح ومراجعة أبراهيم بن حسن الأنبالي، طبع سنة : ١٣٤٢هـ ، دار النوادر.
- أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة للحافظ بن أحمد الحكمي، تحقيق حازم القاضي، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ، وزارة شئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن القيم الجوزية، المتوفى سنة ٧٥١هـ ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، طبع سنة ١٩٧٣هـ ، دار الجيل –بيروت.
- الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي المتوفى سنة ٦٧١هـ، تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا، طبع سنة ١٣٩٨هـ، دار التراث العربي –القاهرة.

- الأعـلام قـاموس تـراجم لأشـهر الرجـال والنسـاء مـن العـرب والمسـتعربين والمستشرقين لخير الـدين الزركلي ، الطبعـة الخامسـة عشر مـايو ٢٠٠٢م ، دار العلم للملايين —بيروت —لبنان.
- إغاثة اللهفـان من مصائد الشيطان للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبـد الله ابـن القـيم الجوزيـة، تحقيـق محمـد حامـد الفقـي، الطبعـة الثانيـة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، دار المعرفة —بيروت.
- الإفصاح عن معاني الصحاح للوزير عون الـدين أبي المظفر يحي بن محمد بن هبـيرة الحنبلي المتـوفى سـنة ٥٦٠هـ، حـرر في ١٣٩٨هـ، مؤسسـة السـعيدية — الرياض.
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ، تحقيق الدكتور ناصر عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد — الرياض.
- الإقنـاع في فقه الإمـام أحمد بن حنبل للإمام شرف الـدين موسى بن أحمد بن موسى أبو النجا الحجاوي المتوفى سنة ٩٦٠هـ، المحقق عبد اللطيف محمد موسى السبكي، دار المعرفة —بيروت —لبنان.
- ألفية العراقي في السيرة، لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي المتوفى سنة ٨٠٦هـ.
- إمتاع الأسماع بما للنبي صلى الله عليه وسلم من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع لتقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي المتوفى سنة ٨٤٥هـ ، تحقيق وتعليق محمد عبد الحميد النميسي، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م ، دار الكتب العلمية ، بيروت —لبنان.
- الأم للإمـام محمـد بـن إدريـس الشـافعي، المتـوفى سـنة ٢٠٤هـ ، الطبعـة الثانيـة ١٣٩٣هـ، دار المعرفة — بيروت.
- إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، لأبي عبد الله محمد بن المرتضى اليماني المشهور بـابن الوزير، المتوفى سنة ٨٤٠هـ ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، دار الكتب العلمية —بيروت —لبنان.

- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للعلامة جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الطبعة الخامسة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، مكتبة العلوم والحكم –المدينة المنورة –المملكة العربية السعودية.
- الإيمان لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الدمشقي، المكتب الإسلامي –دمشق.

حرف الباء

- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير ، تأليف أحمد محمد شاكر ، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية –بيروت – لبنان.
- البحر الرائق شرح كنز الدقائق للإمام زين الدين بن إبراهيم بن نجيم، المعروف بابن نجيم المصري، المتوفى سنة ٩٧٠هـ، دار المعرفة –بيروت.
- بحر العلوم تفسير السمرقندي، للإمام أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، المتوفى سنة ٣٧٥هـ ، تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ، دار الكتب العلمية –بيروت –لبنان.
- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للإمام علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاشاني الحنفي، المتوفي سنة ٥٨٧هـ ، تحقيق وتعليق الشيح علي محمد المعوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الثانية ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية –بيروت –لبنان.
- بدائع الفوائد لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله ابن القيم الجوزية، تحقيق هشام عبد العزيز عطا وعادا عبد الحميد العدوي وأشرف أحمد، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م ، مكتبة نزار مصطفى البار –مكة المكرمة.
- البداية والنهاية للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ ، حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه علس شيري، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، دار إحياء التراث العربي.

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني المتوفى سنة ١٢٥٠هـ، دار المعرفة — بيروت.
- بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، المتوفى سنة ٨٠٧هـ ، تحقيق عبد الله محمد درويش، طبع سنة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، دار الفكر —بيروت —لبنان.
- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية لشيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني المتوفى سنة ٧٢٨ هـ، تحقيق الدكتور موسى سليمان الدويش، الطبعة الأولى ١٤٠٨هت/١٩٨٨م، مكتبة العلوم والحكم.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية — لبنان/صيدا.
- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المتوفى سنة ٤٥٠هـ، حققه الدكتور محمد حجي، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، دار الغرب الإسلامي —بيروت —لبنان.

حرف التاء

- تاج التراجم، أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قطلوبغا السودوني الجمالي الحنفي المتوفى سنة ٨٧٩هـ، المحقق محمد خير رمضان يوسف، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٢، دار القلم — دمشق.
- تاج العروس من جواهر القاموس، لأبي الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسني الملقب بمرتضى الزبيدي، محقق : مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر لعبد الرحمن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨هـ، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس الأستاذ خليل شحادة، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م، دار الفكر.

- تاريخ أصبهان لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠هـ، المحقق سيد كسروي حسن، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، دار الكتب العلمية – بيروت.
- التاريخ الأوسط لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، المتوفى سنة ٢٥٦هـ ، المحقق تيسير بن سعد، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، دار الرشد –الرياض.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المحقق الدكتور عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، دار الكتاب العربي –بيروت –لبنان.
- التاريخ الصغير للإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، المحقق محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة – بيروت – لبنان.
- تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م ، دار المعارف –مصر.
- التاريخ الكبير للإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، المحقق السيد هاشم الندوي.
- تاريخ مدينة دمشق للإمام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هـ ، دراسة وتحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، دار الفكر.
- التبيان في أقسام القرآن لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية، طبعة دار الفكر.
- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق لعثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي المتوفى سنة ٧٤٣هـ، الطبعة الأولى ١٣١٣هـ، المطبعة الكبرى الأميرية –بولاق –القاهرة.
- تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني المتوفى سنة ٤١٥هـ.

- تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد للإمام محمد ناصر الدين الألباني المتوفى سنة ١٤٢٠هـ، الطبعة الرابعة، المكتب الإسلامي.
- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للإمام الحافظ أبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري المتوفى سنة ١٣٥٣هـ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، دار الكتب العلمية —بيروت —لبنان.
- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب لعبد الله بن عبد الله الترجمان التونيسي (انسلم تورميدا سابقا) المتوفى سنة ١٤٢٠هـ .
- تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني، الطبعة الأولى ١٩٨٤هـ، دار القلم — بيروت — لبنان.
- تحفة المودود بأحكام المولود، للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجورية المتوفى سنة ٨٥٢هـ، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ/١٩٧١م، مكتبة دار البيان —دمشق.
- تخجيل من حرف التوراة والإنجيل للإمام القاضي أبي البقاء صالح بن الحسين الجعفري الهاشمي المتوفى ٦٦٨هـ، دراسة وتحقيق الدكتور محمود عبد الرحمن قدح، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، مكتبة العبيكان — الرياض– المملكة العربية السعودية.
- تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد للإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني، المحقق عبد المحسن بن حمد العباد البدر، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، مطبعة سفير — الرياض — المملكة العربية السعودية.
- التعريفات لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، دار الكتاب العربي — بيروت.
- تفسير التحرير والتنوير للإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور المتوفى سنة ١٣٩٣هـ، ، الطبعة الأولى : ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، مؤسسة التاريخ العربي — بيروت — لبنان.
- تفسير السراج المنير للإمام محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين، دار الكتب العلمية —بيروت —لبنان.

- تفسير السمعاني للإمام أبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي السمعاني المروزي المتوفى سنة ٤٨٩هـ ،اعتنى به وخرج أحاديثه مصطفى عبد القادر عطا ، الطبعة الأولى ٢٠١٠م، دار الكتب العلمية –بيروت –لبنان.
- تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للإمام العلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه الشيخ زكريا عميرات، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٦ م، دار الكتب العلمية –بيروت – لبنان.
- تفسير القرآن العظيم للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، المتوفى سنة ٧٧٤، تحقيق سامي بن محمد السلامة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، دار طيبة.
- تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، للإمام الحافظ عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي بن أبي حاتم، المتوفى سنة ٣٢٧هـ ، تحقيق أسعد محمد الطيب، الطبعة الأولى : ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، المكتبة العصرية – صيدا.
- التفسير القيم للإمام ابن القيم، المتوفى سنة ٧٥١هـ ، جمعه محمد أويس الندوي وحققه محمد حامد الفقي وقدم له الشيخ إبراهيم رمضان وأشرف على مراجعته وضبطه مكتب الدراسات والبحوث الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، در الرائد العربي –بيروت –لبنان.
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي، المتوفى سنة ٦٠٤هـ، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م ، دار الكتب العلمية –بيروت –لبنان.
- تفسير اللباب لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي المتوفى بعد سنة ٨٨٠هـ ، دار الكتب العلمية –بيروت –لبنان.
- تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم) لمحمد رشيد بن علي رضا المتوفى سنة ١٣٥٤هـ ، طبع سنة ١٩٩٠هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.
- تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، دار العاصمة.
- تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما أشكل منه عن بوادر التصحيف والوهم للإمام أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ، المحقق سكينة الشهابي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، طلاس —دمشق.
- التلقين في الفقه المالكي لأبي محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي المالكي المتوفى سنة ٤٢٢هـ ، المحقق أبي أويس محمد بو خبزة الحسني التطواني، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/١٩٩٥م، دار الكتب العلمية —بيروت — لبنان.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد للإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي المتوفى سنة ٤٦٣هـ ، المحقق مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، طبع سنة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، مؤسسة القرطبة.
- تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء، لأبي الحسن علي بن أحمد السبت الأموي المعروف بابن حمير، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/١٩٩٠م ، دار الفكر المعاصر —بيروت —لبنان.
- تهذيب الأسماء واللغة للإمام أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٦هـ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية —بيروت — لبنان.
- تهذيب التهذيب للإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، المتوفى ٨٥٢هـ، الطبعة الأولى ١٣٢٦هـ ، مطبعة دائرة المعارف النظامية —الهند.

- تهذيب الكمال للإمام أبي يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي، المتوفى سنة ٧٤٢هـ، المحقق الدكتور بشار عواد معروف، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، مؤسسة الرسالة —بيروت.
- تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق محمد عوض مرعب، الطبعة الأولى ٢٠٠١م ، دار إحياء التراث العربي —بيروت.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي المتوفى سنة ١٣٧٦هـ، المحقق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، /٢٠٠٠م، مؤسسة الرسالة.
- تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد للشيخ العلامة سليمان بن الشيخ عبد الله بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب المتوفى سنة ١٢٣٣هـ، تحقيق أسامة بن عطايا بن عثمان العتيبي، الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، دار الصميعي.
- التيسير بشرح الجامع الصغير للإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، مكتبة الإمام الشافعي —الرياض.

حرف الثاء

- الثبات عند الممات لعبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، تحقيق عبد الله الليثي الأنصاري، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، مؤسسة الكتب الثقافية —بيروت.
- الثقات للإمام محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق السيد شرف الدين أحمد، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، دار الفكر.
- الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب للإمام محمد ناصر الدين الألباني المتوفى سنة ١٤٢٠هـ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، مؤسسة غراس.

حرف الجيم

- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، المتوفى سنة ٦٧١هـ، تحقيق سمير البخاري، طبع سنة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، دار عالم الكتب –الرياض- المملكة العربية السعودية.
- جامع الأصول في أحاديث الرسول لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير المتوفى سنة ٦٠٦هـ، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، الطبعة الأولى ، مكتبة الحلواني –مطبعة الملاح –مكتبة دار البيان.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، المتوفى سنة ٣١٠هـ ، تحقيق أحمد شاكر ومحمود شاكر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، دار ابن الجوزي –القاهرة.
- جامع التحصيل في أحكام المراسيل لأبي سعيد بن خليل بن كيكلدي أبو سعيد العلائي، المحقق حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، عالم الكتب – بيروت.
- الجامع شعب الإيمان للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن حسين البيهقي، المتوفى سنة : ٤٥٨هـ ، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه د. عبد العلي عبد الحميد حامد، وأشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه مختار أحمد الندوي، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م ، مكتبة الرشد.
- الجرح والتعديل للإمام الحافظ شيخ الإسلام أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن منذر التميمي الحنظلي الرازي المتوفى سنة ٣٢٧هـ، الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية –بحيدر آباد الدكن –الهند سنة ١٢٧١هـ/١٩٥٢م، دار إحياء التراث العربي –بيروت.
- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على خير الأنام صلى الله عليه وسلم للإمام ابن القيم الجوزية، المتوفى سنة ٧٥١هـ ، قرأه وضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه مشهور بن حسن آل سليمان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، دار ابن الجوزي.

- جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، لنعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين الآلوسي المتوفى سنة ١٣١٧هـ، قدم له علي السيد صبح المدني، طبع سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م، مطبعة المدني.
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني المتوفى سنة ٧٢٨هـ، تحقيق وتعليق د. علي بن حسن بن ناصر و د. عبد العزيز بن إبراهيم العسكر ود. حمدان بن محمد الحمدان، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، دار العاصمة —السعودية.
- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن القيم الجوزية، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، دار العروبة — الكويت.

حرف الحاء

- حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار لابن عابد محمد علاء الدين أفندي المتوفى سنة ١٢٥٢هـ، طبع سنة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، دار الفكر —بيروت.
- حاشية على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح لأحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي الحنفي المتوفى سنة ١٢٣١هـ، طبع سنة ١٣١٨هـ، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق.
- الحاوي الكبير للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي المتوفى سنة ٤٥٠هـ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، دار الكتب العلمية- بيروت —لبنان.
- الحاوي للفتاوى في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب وسائر الفنون، للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية —بيروت —لبنان.

- الحجج الباهرة في إفحام الطائفة الكافرة الفاجرة لجلال الدين محمد بن أسعد الصديقي الدواني المتوفى سنة ٩١٨هـ، تحقيق ودراسة عبد الله حاج علي منيب، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، مكتبة الإمام البخاري.
- حيلة البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، لعبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي المتوفى سنة ١٣٣٥هـ، حققه ونسقه وعلق عليه حفيده محمد بهجة البيطار، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، دار صادر – بيروت.

حرف الخاء

- خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، للإمام أحمد بن شعيب النسائي أبو عبد الرحمن، تحقيق أحمد ميرين البلوشي، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، مكتبة المعلا –الكويت.
- خطبة الحاجة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابها، للعلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، مكتبة المعارف –الرياض.
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، لمحمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل الدمشقي، المتوفى سنة ١١١١هـ، دار صادر – بروت.
- خلق أفعال العباد للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ، المحقق الدكتور عبد الرحمن عميرة، دار المعارف السعودية – الرياض.

حرف الدال

- دراسات في الأديان، اليهودية والنصرانية للدكتور سعود بن عبد العزيز الخلف، الطبعة الخامسة ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، دار أضواء السلف.

- الدر المختار شرح تنوير الأبصار في فقه مذهب الإمام أبي حنيفة، لمحمد علاء الدين بن علي الحصكفي المتوفى سنة ١٠٨٨هـ، طبع سنة ١٣٨٦هـ، دار الفكر —بيروت.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١هـ ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية الدكتور عبد السند يمامة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ، القاهرة.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هت، المحقق محمد عبد المعيد ضان، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، دائرة المعارف العثمانية- الهند.
- دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد ين عبد الوهاب للشيخ عبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، دار الوطن — الرياض — المملكة العربية السعودية.
- دلائل النبوة لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠هـ، حققه الدكتور محمد رواس قلعة جي عبد البر عباس، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، دار النفائس — بيروت.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لإبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون برهان الدين اليعمري، توفي سنة ٧٩٩هـ، تحقيق وتعليق الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث — القاهرة.

حرف الذال

- ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى لمحب الدين أحمد بن عبد الله الطبري المتوفى سنة ٦٩٤هـ، طبع سنة ١٣٥٦هـ، دار الكتب المصرية.
- الذخيرة لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي المتوفى سنة ٦٨٤هـ، تحقيق الدكتور محمد حجي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، دار الغرب الإسلامي.

- ذيل مرآة الزمان، لقطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونيني المتوفى سنة ٧٢٦هـ، بعناية وزارة التحقيقات الحكمية والأمور الثقافية للحكومة الهندية، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، دار الكتاب الإسلامي- القاهرة.

حرف الراء

- الرد على الجهمية للإمام عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد أبو سعيد الدارمي، تحقيق بدر بن عبد الله البدر، الطبعة الثانية ١٩٩٥هـ، دار ابن الأثير – الكويت.
- الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله، للإمام أهل السنة والجماعة أحمد بن محمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١هـ ، دراسة وتحقيق دغش بن شبيب العجمي، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ ، دار الإمام البخاري – الدوحة – قطر.
- الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار المعرفة –بيروت.
- رسالة في الرد على الرافضة لأبي حامد محمد المقدسي، المتوفى سنة ٨٨٨، تحقيق الأستاد عبد الوهاب خليل الرحمن، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، الدار السلفية –بومبائي–الهند.
- رسالة في الرد على الرافضة للشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، المتوفى سنة ١٢٠٦هـ ، المحقق د. ناصر بن سعد الرشيد، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي –مكة المكرمة.
- رسالة في تفسير قوله تعالى إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً، لشمس الدين محمد بن علي بن طولون الصالحي، المتوفى سنة ٩٥٣هـ ، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، دار ابن حزام.

- رسالة في حق أبوي الرسول صلى الله عليه وسلم لإبراهيم بن محمد بن إبراهيم الحلبي المتوفى سنة ٩٤٥هـ، دراسة وتحقيق الدكتور أبو البراء علي رضا بن عبد الله بن علي رضا المدني، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، دار المعارج.
- الرسالة لعبد الله بن عبد الرحمن بن زيد القيرواني المتوفى سنة ٣٨٦هـ، دار الفكر.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، المتوفى سنة ١٢٧هـ، ضبطه وصححه علي عبد الباري عطية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م، دار الكتب العلمية -بيروت -لبنان.
- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية، طبع سنة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، دار الكتب العلمية — بيروت.
- الروض الأنف في سرح السيرة النبوية لابن هشام، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي المتوفى سنة ٥٨١هـ، المحقق عمر عبد السلام السلامي، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، دار احياء التراث العربي —بيروت.
- الرياض النضرة في مناقب العشرة للإمام أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد محب الدين الطبري المتوفى سنة ٦٩٤هـ، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية — بيروت– لبنان.

حرف الزاي

- زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم، للعلامة الحافظ محمد حبيب الله بن الشيخ سيد عبد الله بن أحمد المشهور بأبي الحكني الشنقيطي، المتوفى سنة ١٣٦٣هـ، دار إحياء التراث العربي —بيروت — لبنان.
- زاد المسير في علم التفسير، للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، المتوفى سنة ٥٩٧هـ ، حققه محمد بن عبد

الرحمن عبد الله وخرج أحاديثه أبو هاجر السعيد بن بسيوني زغلول، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، دار الفكر.

- زاد المعاد في هدي خير العباد للإمام المحدث المفسر الفقيه شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المشهور بابن القيم الجوزية، المتوفى سنة ٧٥١هـ، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ /١٩٩٨م، مؤسسة الرسالة.

حرف السين

- سفر التكوين في ميزان القرآن الكريم للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، دار العلوم.
- السلوك لمعرفة دول الملوك، لأحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي تقي الدين المقريزي المتوفى سنة ٨٤٥هـ، المحقق محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.
- السنة لعبد الله بن أحمد الشيباني، تحقيق الدكتور محمد سعيد سالم القحطاني، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، دار ابن القيم –الدمام.
- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، المتوفى سنة ٢٧٥هـ ، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، واعتنى به أبو عبيدة مشهور بن الحسن آل سليمان، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م ، مكتبة المعارف –الرياض.
- سنن ابن ماجه لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني الشهير بابن ماجه، المتوفى سنة ٢٧٣هـ ، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، واعتنى به أبو عبيدة مشهور بن الحسن آل سليمان، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م ، مكتبة المعارف –الرياض.
- سنن الترمذي للإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، المتوفى سنة ٢٧٩هـ ، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه العلامة المحدث محمد ناصر

الدين الألباني، واعتنى به أبو عبيدة مشهور بن الحسن آل سليمان، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م ، مكتبة المعارف –الرياض.

- سنن الكبرى للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، المتوفى سنة ٤٥٨هـ ، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية –بيروت –لبنان.
- السنن الكبرى للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي المتوفى سنة ٣٠٣هـ ، قدم له الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، وأشرف عليه شعيب الأرنؤوط، حققه وخرج أحاديثه حسن عبد المنعم شلبي، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة.
- سنن النسائي لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الشهير بالنسائي، المتوفى سنة ٣٠٣هـ ، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، واعتنى به أبو عبيدة مشهور بن الحسن آل سليمان، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م ، مكتبة المعارف –الرياض.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها للعلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، طبع سنة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، مكتبة المعارف –الرياض.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة للعلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، مكتبة المعارف – الرياض.
- السلوك لمعرفة دول الملوك لأحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي تقي الدين المقريزي، المتوفى ٨٤٥هـ، المحقق محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.
- سيرة ابن إسحاق لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني المتوفى سنة ١٥١هـ، تحقيق سهيل زكار، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، دار الفكر – بيروت.
- سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، المتوفى سنة ٧٤٨هـ ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، مؤسسة الرسالة.

- السيرة النبوية لابن إسحاق محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني المتوفى سنة ١٥١هـ ، حققه وعلق عليه وخرّج أحاديثه أحمد فريد المزيدي، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م ، دار الكتب العلمية –بيروت –لبنان.
- سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي محمد عبد الملك بن هشام المتوفى سنة ١٨٣هـ ، تحقيق ودراسة مجدي فتحي السيد، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، دار الصحابة – طنطا.
- السيرة النبوية لأبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري المتوفى سنة ٢١٣هـ، المحقق طه عبد الرؤوف سعد، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، دار الجيل –بيروت.

حرف الشين

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩هـ، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط، طبع سنة ١٤٠٦هـ، دار ابن كثير –دمشق.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، للإمام أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، تحقيق د. أحمد سعد حمدان، طبه سنة ١٤٠٢هـ، دار طيبة – الرياض.
- شرح السنة للإمام الحسين بن مسعود البغوي، المتوفى سنة ٥١٦هـ ، المحقق شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، المكتب الإسلامي –دمشق –بيروت.
- شرح الشفا للإمام القاضي عياض، شرحه الملا علي القارئ الهروي الحنفي، المتوفى سنة ١٠١٤هـ ، ضبطه وصححه عبد الله محمد الخليلي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، دار الكتب العلمية –بيروت –لبنان.
- شرح العقيدة الطحاوية، شرحها معالى الشيخ الدكتور صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، خرج أحاديثه سليمان القاطوني، دار المودة.

- شرح العقيدة الطحاوية للإمام القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، المتوفى سنة ٧٩٢هـ ، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة.
- شرح العقيدة الواسطية لفضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين، المتوفى سنة ١٤٢٠هـ ، الطبعة الرابعة ١٤٢٤هـ، دار ابن الجوزي.
- شرح تنقيح الفصول للإمام شهاب الدين أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي ، المتوفى سنة ٦٨٤هـ، دراسة وتحقيق ناصر بن علي بن ناصر الغامدي.
- شرح عمدة الفقه لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي المتوفى سنة ٧٢٨هـ، المحقق الدكتور سعود صالح العطيشان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، مكتبة العبيكان –الرياض.
- شرح صحيح البخاري لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، مكتبة الرشد –السعودية.
- شرح معاني الآثار للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي المتوفى سنة ٣٢١هـ، حققه وقدم له محمد زهري النجار ومحمد سيد جاد الحق، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، علم الكتب.
- الشريعة للإمام أبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الأجري البغدادي المتوفى سنة ٣٦٠هـ، المحقق الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، دار الوطن – الرياض – السعودية.
- شعب الإيمان للإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخرساني أبو بكر البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، مكتبة الرشد – الرياض.

- الشيعة والقرآن لفضيلة الشيخ إحسان إلهي ظهير، المتوفى سنة ١٤٠٧هـ ، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ/٢٠٠١م ، مكتبة بيت السلام – الرياض.

حرف الصاد

- الصارم المسلول على شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم، للإمام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المتوفى سنة ٧٢٨هـ ، المحقق محمد محيي الدين عبد الحميد، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، الحرس الوطني السعودي- المملكة العربية السعودية.
- الصحائف الإلهية للإمام شمس الدين السمرقندي، حققه وعلق عليه و خرج نصوصه الدكتور أحمد عبد الرحمن الشريف.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للإمام أبي النصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفاربي المتوفى سنة ٣٩٣هـ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، دار العلم للملايين –بيروت.
- الصحاح في اللغة والعلوم، تجديد صحاح العلامة الجوهري والمصطلحات العلمية والفنية للمجامع والجامعات العربية، إعداد وتصنيف نديم مرغشلي وأسامة مرغشلي، الطبعة الأولى ١٩٧٤هـ ، دار الحضارة العربية –بيروت.
- صحيح ابن حبان للإمام محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي أبو حاتم الدارمي البستي، المتوفى سنة ٣٥٤هـ ، المحقق شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة –بيروت.
- صحيح الجامع الصحيح وزيادته (الفتح الكبير) للإمام محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، المكتب الإسلامي.
- صحيح السيرة النبوية للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، المكتبة الإسلامية- عمان – الأردن.
- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، للإمام أبي العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، المتوفى سنة ٩٧٣هـ ، تحقيق عبد

الرحمن بن عبد الله التركي وكامل محمد الخراط، الطبعة الأولى : ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، دار الوطن –الرياض.

حرف الضاد

- الضعفاء لأبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي، المتوفى سنة ٣٢٢هـ ، المحقق عبد المعطي أمين قلعجي، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، دار المكتبة العلمية –بيروت.
- الضعفاء الكبير لأبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي المتوفى سنة ٣٢٢هـ، المحقق عبد المعطي أمين قلعجي، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨٤م، دار المكتبة العلمية – بيروت.
- ضعيف الجامع الصغير وزيادته للإمام محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، المكتبة الإسلامي –بيروت.

حرف الطاء

- طبقات الحفاظ، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١هـ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.
- طبقات الحنفية لأبي محمد عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي المتوفى سنة ٧٧٥هـ، تحقيق مير محمد كتب خانه، كراتشي.
- طبقات الشافعية الكبرى للإمام تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق الدكتور محمود محمد الطناحي والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ، دار هجر للطباعة والنشر.
- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد أبو عبد الله البصري المتوفى سنة ٢٣٠هـ، المحقق إحسان عباس، الطبعة الأولى ١٩٦٨هـ، دار صادر – بيروت.
- طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها لأبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبي الشيخ الأصبهان المتوفى سنة ٣٦٩هـ،

المحقق عبد الغفور عبد الحق البلوشي، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، مؤسسة الرسالة –بيروت.

- طبقات المفسرين لمحمد بن علي بن أحمد شمس الدين الداوودي المتوفى سنة ٩٤٥هـ، دار الكتب العلمية- بيروت.
- طبقات المفسرين لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق علي محمد عمر، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ، مكتبة وهبة – القاهرة.
- طبقات النسابين، لأبي بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد المتوفى سنة ١٤٢٩هـ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، دار الرشد – الرياض.
- طريق الهجرتين وباب السعادتين للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم الجوزية، المتوفى سنة ٧٥١هـ ، تحقيق عمر بن محمود ابو عمر، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م ، دار ابن القيم –الدمام.
- طوفان نوح بين الحقيقة والأوهام ، لقسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافة الاجتماعية –مملكة البحرين، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م ، دار كيوان .

حرف العين

- عصمة الأنبياء للإمام محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري فخر الدين الرازي، المتوفى سنة ٦٠٦هـ ، قامت بضبطه وتصحيحه وتنقيحه جماعة من العلماء، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١، دار الكتب العلمية –بيروت- لبنان.
- عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي للدكتور صالح بن عبد الله بن عبد الرحمن العبود – الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

- العلل ومعرفة الرجال للإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني المتوفى سنة ٢٤١هـ، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، المكتب الإسلامي –دار الخاني –بيروت– الرياض.
- علوم الحديث لابن الصلاح للإمام أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، المتوفى سنة ٦٤٣هـ ، تحقيق وشرح نور الدين عستر، طبع سنة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، دار الفكر المعاصر.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري للإمام أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني المتوفى سنة ٨٥٥هـ، دار احياء التراث العربي.
- عمل اليوم والليلة سلوك النبي صلى الله عليه وسلم مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد، للإمام أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط بن عبد الله بن إبراهيم بن بديح الدينوري المعروف بابن السني المتوفى سنة ٣٦٤هـ، المحقق كوثر البرني، دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن –جدة /بيروت.
- العواصم من القواصم في تحقيق موافقة الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي المتوفى سنة ٥٤٣هـ ، المحقق محب الدين الخطيب ومحمود مهدي الاستانبولي ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، دار الجيل –بيروت – لبنان.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، محقق عبد الرحمن محمد عثمان، الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، المكتبة السلفية – المدينة المنورة.

حرف الغين

- غريب الحديث للإمام لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي المتوفى سنة ٣٨٨هـ ، تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي، وخرج أحاديثه عبد القيوم عبد رب النبي، طبع سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، دار الفكر –دمشق.

- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للإمام أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني المتوفى سنة ٨٥٥هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

حرف الفاء

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفى سنه ٨٥٢هـ ، اعتنى به أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م ، دار طيبة.
- فتح الباري للإمام زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب المتوفى سنة ٧٩٥هـ، تحقيق أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، دار ابن الجوزي – السعودية –الدمام.
- فتح البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي المتوفى سنة ١٣٠٧هـ، عني بطبعه وقدم له وراجعه عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، طبع سنة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، المكتبة العصرية – صيدا –بيروت.
- فتح القدير لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني المتوفى سنة ١٢٥٠هـ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، دار ابن كثير – دار الكلم الطيب –دمشق –بيروت.
- فتح المعبود في الرد على ابن المحمود للشيخ حمود بن عبد الله التويجري، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ/ ١٩٨٩م، مطبعة المدينة.
- فتوح مصر وأخبارها لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرشي المصري، تحقيق محمد الحجيري، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، دار الفكر –بيروت.

- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المتوفى سنة ٧١٨هـ ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه الدكتور عبد الرحمن بن عبد الكريم اليحيى، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ، دار طويق.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري المتوفى سنة ٤٥٦هـ، مكتبة الخانجي —القاهرة.
- فوات الوفيات لمحمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين المتوفى سنة ٧٦٤هـ، المحقق إحسان عباس، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٤هـ، دار صادر — بيروت.
- الفوائد للإمام الجليل شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن القيم الجوزي، المتوفى سنة ٧٥١هـ، ، الطبعة الثالثة، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ، دار الكتب العلمية —بيروت —لبنان.
- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق عبد الرحمن يحيى المعلمي.
- فيض الباري على صحيح البخاري لمحمد أنوار شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ثم الديوبندي، المتوفى ١٣٥٣هـ ، تحقيق محمد بدر عالم الميرتهي، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م ، دار الكتب العلمية —بيروت —لبنان.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي المتوفى سنة ١٠٣١هـ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، دار الكتب العلمية —بيروت- لبنان.

حرف القاف

- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاي، وهذا الكتاب ترجمة للمؤلف الفرنسي، الطبعة الرابعة ١٩٧٧م، دار المعارف.

- قصص الأنبياء للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ ، تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ، دار الكتب الحديثة.

حرف الكاف

- الكامل في التاريخ لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠هـ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان.
- الكامل في ضعفاء الرجال للإمام الحافظ أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني المتوفى سنة ٣٦٥هـ، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، دار الكتب العلمية –بيروت –لبنان.
- كتاب البعث والنشور للإمام الحافظ ابي بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ ، من رواية الشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن الفضل بن أحمد بن محمد الفراوي المتوفى سنة ٥٣٠هـ ، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول الإبياني، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، مؤسسة الكتب الثقافية.
- كتاب التوحيد لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، المتوفى سنة ٣١١هـ، المحقق عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، الطبعة الخامسة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، مكتبة الرشد – الرياض.
- كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه للإمام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني المتوفى سنة ٧٢٨هـ، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، مكتبة ابن تيمية.
- كتاب تاريخ أصبهان (ذكر أخبار أصبهان) للحافظ الإمام أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحا بن موسى بن مهران المهراني الأصبهاني، تحقيق سيد

كسروي حسن، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، دار الكتب العلمية — بيروت —لبنان.

- كتاب الصافي في تفسير القرآن للمولى محسن الكاشاني المتوفى سنة ١٠٩١هـ، تحقيق السيد محسن الحسيني الأميني، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ، دار الكتب الإسلامية —ايران— طهران.
- كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهدي، المتوفى سنة ١٧٠هـ ، ترتيب وتحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ، دار الكتب العلمية —بيروت —لبنان.
- كتاب لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرق المرضية للشيخ محمد بن أحمد السفاريني الأثري الحنبلي.
- كشف الخفاء ومزيا الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، للشيخ المفسر المحدث إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي المتوفى سنة ١١٦٢هـ، طبع سنة ١٣٥١هـ، دار القدسي.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، المتوفى سنة ٥٣٨هـ ، تحقيق وتعليق ودراسة الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، مكتبة العبيكان -الرياض.
- كشف المشكل من حديث الصحيحين للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ، تحقيق الدكتور علي حسين البواب، طبع سنة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، دار النشر/دار الوطن —الرياض.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن للإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق المتوفى سنة ٤٢٧هـ ، تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م ، دار إحياء التراث العربي —بيروت —لبنان.
- كلمة الحق للعلامة أحمد محمد شاكر المتوفى سنة ١٣٧٧هـ، قدم للكتاب وترجم لمؤلفه عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ، مكتبة السنة.

- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، المتوفي سنة ١٠٩٤هـ ، قابله على نسخة خطية وأعده للطبع ووضع فهاسه د. عدنان درويش ومحمد المصري، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ، مؤسسة الرسالة.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فورى، المتوفى سنة ٩٧٥هـ، المحقق بكري حياني وصفوة السقا، الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ/١٩٨١م، مؤسسة الرسالة.
- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، نجم الدين محمد بن محمد الغزي المتوفى سنة ١٠٦١هـ، المحقق خليل المنصور، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

حرف الام

- اللباب في تهذيب الأنساب لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري، توفي سنة ٦٣٠هـ، طبع سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، دار صادر – بيروت.
- لسان العرب للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الطبعة الأولى، ١٣٠٠هـ ، دار صادر– بيروت.
- لسان الميزان لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ ، المحقق عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الأولى ٢٠٠٢هـ ، دار البشائر الإسلامية.
- لطائف المعارف فيما المواسم العام من الوظائف للإمام الحافظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي الدمشقي المتوفى سنة ٧٩٥هـ، حققه ياسين محمد السواس، الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، دار ابن كثير – دمشق –بيروت.
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، لشمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي،

المتوفى سنة ١١٨٨هـ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، مؤسسة الخافقين — دمشق.

حرف الميم

- المبسوط للسرخسي شمس الدين أبو بكر محمد بن أبي سهل، دراسة وتحقيق خليل محيي الدين الميس، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، دار الفكر —بيروت —لبنان.
- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، للإمام الحافظ محمد بن حبان بن أحمد بن أبي حاتم التيميمي البستي، المتوفى سنة ٣٥٤هـ، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة —بيروت — لبنان.
- مجمع البيان لعلوم القرآن للإمام السعيد أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي المتوفى سنة ٥٤٨هـ ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، رابطة الثقافة والعلاقة الإسلامية.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧هـ ، حققه وخرج أحاديثه حسين سليم أسد الداراني ، دار المأمون للتراث.
- المجموع شرح المهذب للإمام العلامة الفقيه الحافظ أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٦هـ، مطبعة التضامن الأحوذي.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد قاسم العاصمي النجدي الحنبلي وساعده ابنه محمد، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، طباعة ورثة عبد الرحمن بن محمد قاسم- الرياض.
- محاسن التأويل للإمام العلامة محمد جمال الدين القاسمي، المتوفى سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٤م، ضبطه وصححه وخرج آياته وأحاديثه محمد باسل عيون السود، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية —بيروت —لبنان.

- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للقاضي الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي المتوفى سنة ٣٦٠هـ ، قدم له وحققه وخرج أخباره وعلق عليه ووضع فهارسه الدكتور محمد عجاج الخطيب، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ/١٧٧١م، دار الفكر – بيروت.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للإمام أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، المتوفى سنة ٥٤٢هـ ، المحقق عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ، دار الكتب العلمية – بيروت–لبنان.
- محمد رسول الله لمحمد رشيد رضا.
- المحلى بالآثار للإمام الجليل المحدث الفقيه الأصولي أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، تحقيق د. عبد الغفار سليمان البندوي، الطبعة الأولى : ١٤٢٥هـ/٢٠٠٣م ، دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان.
- مختار الصحاح للإمام الشيخ محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، تحقيق محمد حسني عبد الرحمن ورمضان عبد المطلب، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، مطبعة الأندلس الجديدة.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد المشهور بابن القيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ، تحقيق محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، دار الكتاب العربي –بيروت.
- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لأبي الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري المتوفى سنة ١٤١٤هـ، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية– بنارس الهند.

- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي بن سلطان محمد أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري المتوفى سنة ١٠١٤هـ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، دار الفكر – بيروت –لبنان.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الخامسة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، دار الفكر.
- مسائل الإمام أحمد رواية ابنه أبي الفضل صالح لأبي الفضل صالح بن الإمام أحمد المتوفى سنة ٢٦٦هـ ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، الدار العلمية –الهند.
- المستدرك على الصحيحين، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الثانية: ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية –بيروت –لبنان.
- المستصفى في علم الأصول لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي المتوفى سنة ٥٠٥هـ، المحقق محمد بن سليمان الأشقر، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، مؤسسة الرسالة –بيروت –لبنان.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المتوفى سنة، ٢٤١هـ ، المحقق أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، دار الحديث – القاهرة.
- مسند أبي داود الطيالسي سليمان بن داود بن الجارود المتوفى سنة ٢٠٤هـ، تحقيق الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، دار هجر.
- مسند أبي يعلى الموصلي، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن المثنى التميمي ، حققه وخرج أحاديثه حسين سليم أسد، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦، دار المأمون للتراث –دمشق.
- مسند البزار المعروف بالبحر الزجار للإمام أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، المتوفى سنة ٢٩٢هـ ، المحقق محفوظ الرحمن زين الله وعادل بن

سعد وصبري عبد الخالق الشافعي، الطبعة الأولى ٢٠٠٩هـ ، مكتبة العلوم والحكم –المدينة المنورة.

- مشارق الأنوار على صحاح الأثار للإمام الحافظ الكبير القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي المتوفي سنة ٥٤٤هـ، طبعه المكتبة العتيقة –بتونس ودار التراث –بالقاهرة.
- مشاهر علماء نجد وغيرهم، لعبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، دار اليمامة.
- مشكاة المصابيح للإمام محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، بتحقيق الإمام محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، المكتب الإسلامي.
- مصنف عبد الرزاق للحافظ الكبير أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني المتوفى سنة ٢١١هـ، عني بتحقيق نصوصه وتخريج أحاديثه والتعليق عليه الشيخ المحدث حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، المكتب الإسلامي –بيروت –لبنان.
- المصنف لابن أبي شيبة وهو الإمام أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي المتوفى سنة ٢٣٥هـ ، حققه وقوم نصوصه وخرج أحاديثه محمد عوامة، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، شركة دار القبلة ومؤسسة دار القرآن.
- المصنوع في معرفة الحديث الموضوع (الموضوعات الصغرى)، لعلي بن سلطان محمد أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري المتوفى سنة ١٠١٤هـ، المحقق أبو الفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت.
- معارج الألباب في مناهج الحق والصواب لحسين بن مهدي بن عز الدين النعمي المتوفى سنة ١١٨٧هـ، دراسة وتحقيق محمد عبد الله مختار، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، دار المغني –الرياض.

- معارج القبول بشرح سلم الأصول إلى علم الأصول، لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي، المتوفى سنة ١٣٧٧هـ، المحقق عمر بن محمود أبو عمر، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، دار ابن القيم — الدمام.
- معجم البلدان لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، دار الفكر — بيروت.
- معجم المحدثين للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق الدكتور محمد الحبيب الهيلة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، مكتبة الصديق — الطائف.
- معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، لعمر رضا كحالة، مكتبة المثنى — بيروت- دار إحياء التراث العربي.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي، للإمام أبي محمد بن الحسين بن مسعود البغوي، المتوفى سنة ٥١٠هـ ، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م ، دار طيبة.
- معالم السنن شرح سنن أبي داود للإمام أبي سليمان أحمد بن محمد الخطابي البستي المتوفى سنة ٢٨٨هـ، الطبعة الأولى ١٣٥١هـ/١٩٣٢م، المطبعة العلمية —حلب.
- المعجم الكبير للإمام سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني المتوفى سنة ٣٦٠هـ، المحقق حمدي بن عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، مكتبة ابن تيمية — القاهرة.
- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المتوفى سنة ٣٩٥هـ ، بتحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، ١٣٩٩هـ/١٩٨٩م، دار الفكر.
- معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن لحسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب — مصر.

- المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، قام بإخراجه إبراهيم مصطفى و أحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، وأشرف على طبعه عبد السلام هارون، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠، مطبعة مصر شركة مساهمة مصر.
- معرفة الصحابة لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، المتوفى سنة ٤٣٠هـ، تحقيق عادل بن يوسف الغزازي، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، دار الوطن – الرياض.
- المغني لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي الشهير بابن قدامة المقدسي المتوفى سنة ٦٢٠هـ، نشر سنة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، مكتبة القاهرة.
- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، وهو شرح للأمام الجليل عين أعيان الشافعي الشيخ محمد الخطيب الشربيني المتوفى سنة ٩٧٧هـ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، دار الكتب العلمية - بيروت –لبنان.
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة للإمام العلامة شيخ الإسلام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، المتوفى سنة ٧٥١هـ ، قدم له وضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، دار ابن عفان.
- مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، المحقق الدكتور مصطفى ديب البغا، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م، مؤسسة علوم القرآن –دمشق- بيروت.
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للشيخ أبو العباس أحمد بن الشيخ أبي حفص عمر بن إبراهيم الحافظ الأنصاري القرطبي.
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للإمام عبد الرحمن السخاوي، دار الكتاب العربي.
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق هلموت ريتر، الطبعة الثالثة دار إحياء التراث العربي – بيروت.

- الملل والنحل لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، المتوفى سنة ٥٤٧هـ، تحقيق محمد سيد كيلاني، طبع سنة ١٤٠٤هـ، دار المعرفة – بيروت.
- مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية، قدم لها وعلق عليها عبد الرحمن دمشقية، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ/١٩٧٩م، مكتبة ابن تيمية – القاهرة.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، دار الكتب العلمية – بيروت –لبنان.
- منهاج السنة النبوي، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى، دار النشر–مؤسسة قرطبة.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي المتوفى سنة ٦٧٦هـ، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ، دار إحياء التراث العربي –بيروت.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي ، تحقيق الدكتور محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، الطبعة الأولى ١٩٩٨هـ ، مكتبة مدبولى.
- الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية– الكويت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥، دار الصفوة.
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة د مانع بن حماد الجهني، الطبعة الخامسة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، دار الندوة العالمية .
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة –بيروت –لبنان.

حرف النون

- النبوات للإمام العلامة شيخ الإسلام علم الأعلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية، المتوفى سنة ٧٢٨هـ ، تحقيق الدكتور عبد العزيز بن صالح الطويان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، أضواء السلف.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ليوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن جمال الدين المتوفى سنة ٨٧٤هـ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي — دار الكتب —مصر.
- نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار للإمام بدر الدين العيني محمود بن أحمد بن موسى العينتابي الحلبي ثم القاهري الحنفي المتوفى سنة ٨٥٥هـ، حققه وضبط نصه أبو تميم ياسر بن إبراهيم، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية —قطر.
- ناسخ الحديث ومنسوخه، لأبي حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين، تحقيق سمير بن أمين الزهيري، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، دار المنار – الزرقاء.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق إحسان عباس، طبع سنة ١٩٦٨هـ، دار صادر — بيروت.
- نقض مسالك السيوطي في والدي المصطفى صلى الله عليه وسلم، للدكتور أحمد بن صالح الزهراني، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م ، دار الإمام مالك — أبو ظبي.
- النكت والعيون –تفسير الماوردي– للإمام أبي الحسن بن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، المتوفى سنة ٤٥٠هـ ، راجعه وعلق عليه السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، دار الكتب العلمية –بيروت –لبنان.
- النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات للإمام أبي محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفزي القيرواني المالكي المتوفى سنة ٣٨٦هـ،

تحقيق الدكتور محمد حجي، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، دار الغرب الإسلامي –بيروت.

- نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب لأبي العباس أحمد القلقشندى المتوفى سنة ٨٢١هـ ، تحقيق إبراهيم الأبياري، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، دار الكتب اللبناني –بيروت –لبنان.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري بن الأثير المتوفى سنة ٦٠٦هـ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، طبع سنة ١٣٩٩ه/١٩٧٩م، المكتبة العلمية – بيروت.
- نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، للشيخ محمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠ه، إدارة الطباعة المنيرية.

حرف الواو

- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ه، المحقق أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، طبع سنة ١٤٢٠ه/٢٠٠٠م، دار إحياء التراث – بيروت.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، المتوفى سنة ٦٨١هـ ، حققه الدكتور إحسان عباس، طبع سنة ١٣٩٨ه/١٩٧٨م ، دار صادر –بيروت.

حرف الهاء

- هداية الحياري في أجوبة اليهود والنصارى، للإمام محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ه، الجامعة الإسلامية – المدينة النبوية.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البابابي البغدادي المتوفى سنة ١٣٩٩هـ، - دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان.

فهرس الموضوعات